

ريس بوين



مكتبة ياسين في

مزرعة فارغ

الفائزة بجائزة أغاتا وجائزة ماكافيني لأفضل رواية تاريخية
وجائزة ليفت كوست كرايم لأفضل رواية تاريخية شامضة

رواية



والخيال

التناء على الروايات الخيالية الغامضة للمحقق إيفانز:

«قليل من الكتاب قادرون على جمع هذا المزيج الذي يتسم بالحدق والمهارة من الظلام والضوء. وهذا الكتاب مثالي إلى حد الكمال، والذي سيسحركم في جملة واحدة، ويجفدكم في الجملة التالية.»

لورا ليبمان، الحائزة جوائز إدغار، شاموس،
انتوني، وأغاثا.

الثناء على روايات التجسس الملكي الخيالية الغامضة:

«شخصيات رائعة... تبعث البهجة في النفس».

شارلين هاريس

«إن عشاق بي جي ودهاوس الذين يبحثون عن الضحك الممزوج برغبة هاوية لاكتشاف المعلومات حول الجرائم سيكونون سعداء للغاية».

بيلشرز ويكلي

«إن معنويات جورجى العالية ونثر المؤلف الممتع والسهل الفهم أسر تمامًا».

ذا دنفر بوست

«المزيج المثالي بين المواسم لقدمني داونتون ابي».

- ديبورا كرومبي، مؤلفة كتاب صحيفة نيويورك تايمز «صوت الرجاج المكسور» الأكثر مبيعًا.
«قصة صاخبة ورائعة»

- بوكليست

الثناء على قصص مولي ميرفي

الغامضة:

«لقد قرأت بشغف قصة الخيال الغامض هذه المكتوبة بشكل لا تشوبه شائبة في يوم واحد، واستمتعت بكل كلمة. . . إن قراءتها رائعة، مليئة بالتفاصيل المثيرة للاهتمام التي تعطي الحياة للقصة».

جمعية الزوايات التاريخية

«مكتوبة بشكل جيد وسريع الخطا، مع لمسة من شأنها أن تجعل القراء مندهشين حقًا. هذه الرواية لا ينبغي تفويت قراءتها».

- مراجعات كتاب روسيا اليوم

«مزيج ساحر من التاريخ، والغموض، والرومانسية».

مراجعات كيركوس

«الكتابة الإدراكية والمؤثرة... تجعلنا نتطعم إلى عودة مولي».

- شيكاغو تريبيون

ففي مزرعة فارلي

هذا عمل خيالي. والأسماء، والشخصيات، والمنظمات، والأماكن، والحوادث هي إمّا نتاج خيال المؤلفة، أو أنها تُستخدم بشكل وهمي.

هذا الكتاب مهدى لميغ رولي، التي أمنت به منذ البداية وساعدت في صقله. ميغ، أنت بطلتي، وكان اليوم الذي التقينا فيه أحد أهم مراحل حياتي.

ملاحظة

هوامش الكتاب ص 544

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

شهر أيلول 1938

من: حكومة جلالة الملكة.

إلى: السكان المدنيين في بريطانيا العظمى.

خلال فترة الحرب، يجب مراعاة القواعد السبعة التالية في جميع الأوقات.

١. لا تضيّعوا الطعام.

٢. لا تتحدّثوا إلى الغرباء.

٣. احتفظوا بجميع المعلومات لأنفسكم.

٤. استمعوا دائماً إلى تعليمات الحكومة ونفذوها.

٥. أبلغوا الشرطة عن أي شيء مثير للشبهات.

٦. لا تنشروا الشائعات.

٧. اقللوا أي شيء قد يساعد العدو إذا تعرّضنا للغزو.

توزيع الشخصيات

- رودريك ستون، إيرل ويسترهام، صاحب منزل فارلي بليس، وهو منزل فخم في كينت.
 - الليدي إيسميستون، زوجة رودريك.
 - ليدي أوليفيا «ليفي» ستون، البالغة من العمر ٢٦ سنة، الابنة الكبرى لعائلة ستون، متزوجة من فيكونت كارينغتون، والدة تشارلز.
 - الليدي مارغريت «مارغوت» ستون، الابنة الثانية البالغة من العمر ٢٣ سنة، وهي تعيش الآن في باريس.
 - الليدي بامبلا «باما» ستون، البالغة من العمر ٢١ سنة، الابنة الثالثة، وتعمل حاليًا في «إدارة حكومية».
 - الليدي ديانا «ديدو» ستون، البالغة من العمر ١٩ سنة، الابنة الرابعة، وهي مبتدئة (1) محبطة.
 - الليدي فوبي «فيس» ستون، البالغة من العمر ١٢ سنة، الابنة الخامسة، ذكية للغاية وملتزمة بمصالحها.
- الخدم في فارلي (الحد الأدنى لعدد الموظفين)
- سوامز، كبير الخدم.
 - السيدة مورتلوك، طبخة.
 - إلسي، خادمة صالون.
 - جيني، خادمة منزل.

- روبي، خادمة التنظيف.

- فيلبوت، خادمة الليدي إيسمي، مربية.

المربية:

- الأنسة غامبل، مربية لليدي فوبي.

- السيد روبنز، حارس الطرائد.

- السيدة روبنز، زوجة حارس الطرائد.

- ألفي، الصبي اللندني، الذي تمّ إجلاؤه الآن إلى المدينة.

- جاكسون، سانس الخيول.

جيران فارلي

- القس كريسويل، نائب كنيسة جميع القديسين.

- بن كريسويل، ابن القس، يعمل الآن في «دائرة حكومية».

في نيزركوت

- السير وليم بريسكوت، ممول المدينة.

- الليدي بريسكوت، زوجة السير وليم.

- جيرمي بريسكوت، ابن السير وليم والليدي

بريسكوت، طيار عسكري

في سلاح الجو الملكي البريطاني.

في سيمالا

- العقيد هنتلي، كان في السابق في الجيش

البريطاني.

- السيدة هنتلي، زوجة العقيد.

- الانسة هاملتون، عانس.

- الدكتور سنكلير، طبيب.

- قرويو سندي، في ذلك اثنان من الفنانين،
وشخص يمتهن البناء، ونمساوي مشكوك فيه.

ضباط فوج غرب كينت
الملك

- العقيد بريتشارد، الضابط القائد.

- النقيب هارتلي، ضابط مساعد.

- الجنود المرؤوسين.

في دولفين سكوير

- ماكسويل نايت، مسؤول التجسس.

- جوان ميلر، سكرتيرة نايت.

في بليتشي بارك

- القائد ترافيس، نائب رئيس دائرة حكومية سرية.

- تريكسي رادكليف، المبتدئة، التي تقوم الآن بعمل

مفيد.

- فروغي بريسويت، كاسر الشيفرة.

في المخابرات العسكرية، القسم الخامس (2)

- غاي هاركورت، مستهتر سابق، والان زميل العمل

لبن كريسويل.

- مايك راديسون، رئيس القسم.

في الاستطلاع الجوي

- مافيس بوغ، فتاة حريصة.

في باريس

- السيدة جيغي أرماند، مصفمة الأزياء الشهيرة.

- هير دينكسلاغر، ضابط نازي ورجل خطير يتمتع
بقدرات كبيرة.

- كونت غاستون دي فارين، حبيب مارغوت.

مقدمة

المسلي، كينت أب عام ١٩٣٩

لقد كان الجوّ حارًا بشكلٍ غير عاديّ طوال فصل الصيف. وكان بن كريسويل يشعر بأنّ الشَّمس تحرق فخذيّه من خلال زيّه الخاص بالكريكيت ذي اللون الأبيض بينما كان جالسًا على شرفة النادي في انتظار دوره في ضرب الكرة. جلس العقيد هنتلي إلى جانبه، ماسخًا وجهه الأحمر والمتعزق. كان يرتدي معدّات واقية لأنّه كان التّالي في ضرب الكرة. لم يكن ضارب كرة جيّدًا مثل بن، لكنّه كان قائد الفريق، وفي كثير من الأحيان كان للأقدميّة الأسبقية في لعبة الكريكيت في القرية على الكفاءة.

فقط جولتان قبل الشّاي. كان بن يأمل في ألا يسدّد سايمز الصّغار إحدى الضّربات الشّديدة الكاسحة له ويكونوا خارجًا قبل فاصل الشّاي. لقد كان رأسه يتوهّج حرارةً، وكان فمه جافًا تمامًا. أغمض عينيه واستمع إلى ضربة قاضية مرضية ضد الكرة، وأصوات ملكات النحل على زهر العسل وراء النادي، وإيقاع قعقعة جازاة العشب في واحدة من الحدائق المنزلية. امتزجت رائحة العشب الجديد المقصوص التي يحتضنها النسيم الدافئ بدخان الأوراق المشتعلة على نار كبيرة بعيدة. «إنّها الزوانح والأصوات لصيف الأحد الإنكليزي، الذي لم يتغيّر لعدة قرون»، هذا ما كان يجول في خاطر بن. وجه التّصفيق المهذّب انتباهه إلى المباراة مرة

أخرى حيث كان هناك شخصان يرتديان ملابس بيضاء، ويركضان بين النصيبات بينما ركض مدافع لاستعادة الكرة، وربما في وقت متأخر جدًا. وحدة تسجيل أخرى. جيد جدًا، هذا ما كان يجول في خاطر بن. قد يفوزون حتى لو لمرة واحدة. بعيدًا من الملعب المزدحم تمامًا، ألقى الهيكل المخروطي لكنيسة جميع القديسين - حيث كان والده نائبًا - بظلاله على فسحة القرية الخضراء. وعلى الجانب البعيد الآخر، أقت شجرة بلوط قديمة بظلال مماثلة على النصب التذكاري الذي أقيم لأولئك الرجال من القرية الذين قضوا في الحرب العظمى. كان هناك ستة عشر اسقا. كان بن قد قام بعدها. ستة عشر رجلًا وصبيًا من قرية يبلغ عدد سكانها مئتي نسمة. هذا هراء. تمتع بن لنفسه.

أوقف العقيد هنتلي تأملاته متسائلًا «أين الشاب بريسكوت، إذن؟». «كان من المفكّن أن نستخدمه اليوم. إنه يتعامل مع رام سريع مثل أي شخص رأيته».

استدار بن بعيدًا من ملعب الكريكييت للنظر إلى العقيد. لقد كان رجلًا كبيرًا أحمر الوجه، وقد تحوّل لون وجهه إلى لون الشمندر بشكل دائم بسبب عمله في الشمندر لفترة طويلة في الهند، وبسبب تناول الكثير من الويسكي. «إنه يقوم باختبار الطيران، يا سيدي».

«اختبار الطيران؟ هل هذا ما يفعله الشاب الغبي هذه الأيام؟». «نعم يا سيدي. لقد أخذ دروسًا في

الظيران. يريد أن يكون جاهزًا، كما تعلم. عندما ثغلن الحرب، سوف ينضم مباشرة إلى سلاح الجو الملكي البريطاني كطيار. إنه لا يريد أن يجد نفسه غارقًا حتى عنقه في الوحل وفي الخنادق مثل أولئك الشباب الفقراء في الحرب الأخيرة». أوما العقيد بالموافقة. إنها صفقة غير عادلة. من حسن حظي أنني كنت على الحدود الشمالية الغربية. دعونا نأمل ألا يرتكبوا الأخطاء الشنيعة نفسها هذه المرة».

قال بن متسائلًا «أفترض أن الحرب أمر لا مفر منه؟». «نعم من المؤكد. أنت محق تمامًا. لا جدال حول هذا الموضوع. لا شك في ذلك أبدًا». حالما يزحف هتلر الكريه إلى بولندا، ستحتّم علينا التزاماتنا الأخلاقية إعلان الحرب، في الأسبوعين المقبلين، على ما أظن».

لقد تحدّث ببهجة رجل يعرف أنه كبير السن إلى حد أنه لا يفكن استدعاؤه للخدمة العسكرية. «كان لدينا واحد من رجال الدفاع المدني الذين يدورون حول المنزل في الأسبوع الماضي. أرادوا مني أن أحفر العشب الخلفي، وحفر ملجأ للحماية من الغارات الجوية. لقد أخبرته أن هذا الأمر غير وارد. العشب الخلفي هو المكان الذي تلعب فيه الممصيب(3)(Memsaab) الكريكيت(4) (croquet). سوف يجري توزيع الحصص علينا في كل شيء آخر. لا يمكنك أن تتوقع منها أن تتخلى عن لعبة الكريكيت، أيضًا!».

ابتسم بن بطريقة مؤدبة. «نعم، كان لدينا زيارة

مماثلة. لقد قاموا بتسليم الكثير من الحديد الصلب والخطط. كما لو أن والدي قد بنى أي شيء في حياته. لقد تعلم فقط تشغيل الراديو!».

نظر العقيد إلى بن بارتياب. «وماذا عنك أيها الفلاح الشاب؟ هل تخطط لتصبح طيارًا أيضًا؟». ابتسم له بن ابتسامة اعتذار. «أتمنى ذلك يا سيدي، ولكن لا يمكنني تحمّل نفقات دروس الطيران في الوقت الحالي. يجب أن أنتظر لمعرفة ما إذا كان سلاح الجو الملكي البريطاني سيأخذني».

سعل العقيد، كما لو أنه أدرك للتوّ أنّ نجل نائب القس الذي جاء حديثًا من أكسفورد والذي يدرّس الآن في مدرسة إعدادية صغيرة جدًا، من غير المحتمل أن يكون لديه الكثير من المال الزائد على الحاجة ليصرفه. نظر حوله، محاولًا بشكل واضح التفكير في أمرٍ آخر لتغيير الموضوع، وقال فجأة في دهشة: «مرحبًا. إليكم هذا الحدث المفاجئ. إنها الليدي بامبلا. لم أكن أعلم أنها مهتمة بالكريكيت».

لقد شعر بن بالاحمرار والحرارة على وجهه وكان غاضبًا من نفسه. كانت بامبلا تسير نحوه بهذه النعمة السهلة، وكانت تبدو رائعةً وأنيقةً بثوب حريري بلون الخوخ. نزلت خصلة من الشعر الأشقر الرمادي على وجهها، وردّتها إلى مكانها حين رأت بن. أسرع الزجال بالوقوف على أقدامهم.

قال العقيد مقدّمًا لها مكانه على المقعد: «لطف منك أن تأتي لتشجيعنا يا أنستي، تفضلي واجلسي هنا إلى جانب الشاب كريسويل. دوري هو التالي».

أنا أحتاج إلى الحفاظ على تدفق الدم في هاتين الساقين القديمتين، في أي حال». رمقته بامبلا بابتسامة مبهرة وانزلت على المقعد الذي أخلاه العقيد.

قال بن: «مرحبًا، يا باما. لم أتوقع رؤيتك هنا. اعتقدت أنك كنت في باريس مع أختك».

«أنا كنت هناك. أبي أمرني بالعودة إلى المنزل. والواقع، إنه أمرني بإحضار مارغوت معي إلى الوطن. إنه متأكد تمامًا أن الحرب على وشك أن تندلع، ويخشى أن تحاصر في القارة. لكنها ترفض أن تغير رأيها».

«إنها حريصة جدًا على تعلم تصميم الأزياء إلى حد أن تهديد الحرب لن يحركها؟». كانت عينا بامبلا تحدقان في عينيه مع ابتسامة أظهرت أن ذلك أمرٌ مضحك.

«أفضل الاعتقاد أن كوننا فرنسيًا معينا هو السبب في أنها لا تريد المغادرة».

قال بن: «كرايكي» معبّرًا عن شعوره بالذهول، شاتقًا نفسه لأنه كان يبدو وكأنه تلميذ في المدرسة. «لقد وقعت أختك في حب رجل فرنسي؟».

قالت بامبلا: «إنهم جذابون إلى حد ما، كما تعلم»، بينما كانت عيناها تحدقان بثبات بعينيه. «إنهم مهذبون جدًا. ويفعلون أشياء مثل تقبيل اليدين. من تستطيع المقاومة؟».

«أمل أن تكوني أنت قد استطعت المقاومة».

خرجت الكلمات قبل أن يتمكن من إيقافها.

قالت بامبلا: «أنا لا أختار النوع الفرنسي». ثم نظرت حولها مستكشفة المكان. «ألن يلعب جيرمي اليوم؟»

وأدرك بن بخيبة أمل شديدة أنها لم تأت لرؤيته بعد كل شيء. كان جيرمي بالطبع هو من جاءت من أجل رؤيته، كان ذلك جيرمي بالتأكيد. ثم ومضت صورة مفاجئة في ذهن بن بلا طلب. منذ فترة طويلة كان هو، وبامبلا، وجيرمي في فترة ما بعد الظهر الصيفية مثل هذه، ولدى تسلق شجرة البلوط الكبيرة في فارلي بليس، منزل والد بامبلا، إيرل ويسترهام. كان جيرمي في موقع القيادة كالعادة، وبامبلا ورائه مباشرة، حيث استمر جيرمي في الصعود حتى وصل إلى الفرع الذي كانت تجلس عليه قد بدأ يتمايل بعنف. فصاح بن «لا تذهبي إلى أعلى أبعد من ذلك». لقد نظرت إليه وابتسامة التحدى كانت ترتسم على وجهها. ثم تلا ذلك ضجيج تكسير قوي. تلا ذلك مشهد وجه بامبلا المفاجئ يمزّ بقربهم، كما لو كان في حركة تصوير بطيء، ثم تلا ذلك صوت مجلجل وهي تضرب الأرض. لقد استغرق الأمر وقتاً طويلاً جداً للوصول إليها. وصل جيرمي إلى القاع أولاً، قافراً إلى جانبها. كان بن الأخير، كالعادة. كانت مستلقية هناك من دون حراك. فجأة فتحت عينيها، ونظرت أولاً إلى وجه بن القلق، ثم ركزت نظرها في جيرمي، وأضاءت بريق عينيها. «أنا بخير. لا تحدثوا فوضى». لم تكن على ما يرام. لقد كسرت ذراعها.

لكن هذه كانت حقًا المرة الأولى التي أدرك بن فيها أنها كانت تهتم بجيرمي، وليس به. وأيضًا مدى اهتمام بن الملعون بها.

الكثير من الذكريات من الصيف الماضي. . .
كان هناك صرخة «كيف هذا؟» وتأوه من الجمهور.
تمتم العقيد هنتلي «الشاب الأحمق. سوف يضربها
كلها مرة أخرى. كرات نظيفة من جديد».

وقف على قدميه. ولكن قبل أن يتمكن من الخروج
من النادي للقاء رجل المضرب المفصول، كان هناك
صوت طنين في السماء.

نظر الجميع إلى أعلى بينما ظهرت طائرة فوق
التلال، محلقة بشكل منخفض للغاية. أصبح الطنين
هديزًا. واصلت الطائرة الانخفاض. صاح العقيد
هنتلي قائلاً: «لا يفكن أن تهبط هنا؟ فيم يفكر هذا
الأحمق؟».

لكن الطائرة كانت على وشك الهبوط. لقد انزلت
فوق الجزء العلوي من شجرة الزان النحاسي
الكبيرة قبل الهبوط على أرض الملعب، مفرقة لاعبي
الكريكت، غافلة فقط الخضرة المتموجة لملاعب
الكريكت.

كانت الطائرة مطلية باللون الأصفر والأسود
الزاهي مثل دبور متضخم. ارتدت عبر العشب
وتوقفت أمام النادي. سمع بن العقيد يتمتم: «اللعة،
ما الذي حصل!»، لكنه لم يكلف نفسه عناء الإجابة.
قبل أن يخلع الطيار نظاراته وخوذته، كان بن يعرف

أنه جيرمي. كانت عينا جيرمي تتفحصان الحشود. لقد رصد بن. وعاد وجهه إلى شكله المبتسم المعتاد وأشار بغضب.

صاح قائلاً: «لقد اشتريتها منذ وقت قصير. أليست جميلة؟ تعال لننضم بجولة».

وقفت بامبلا وركضت نحو الطائرة قبل أن يستجيب بن. «هل يفكني القدوم أيضاً؟».

قال جيرمي: «ماذا، من باما». «لم أكن أتوقع أن أراك في مباراة الكريكت. كنت أعتقد أنك كنت في باريس. ولكن أسف! إنها فقط ذات مقعدين، وأنت لا تريدين ملابس مناسبة لتسلق قمرة القيادة، على الرغم من مظهرك الساحر.». «لقد تركتكم الجملة معلقة. وأضاف: «سأتي وأراكم لاحقاً إذا سمحت لي بذلك». وإذا أردت، فسأطلب الإذن من أبيك لأقلبك في طائرتي الجديدة».

«حسناً»، استدارت بامبلا بعيداً وعادت إلى الجناح، بينما كانت تمر إلى جانب بن وتلمسه لمسة خفيفة بانزعاج قائلة «إنه عالم الرجل في النهاية، أليس كذلك؟ أطلب من أبي بكل تأكيد. هيا إذن. اذهب معه واستمتع بوقتك».

تمتم بن قائلاً: «لا أريد أن أتركك وحدك. أنا متأكد أنه سيكون هناك... غير...».

قالت بامبلا: «أه، من أجل الله. أعلم أنك تكاد تموت لتصعد على متن طائرة هيا. اذهب». ودفعته دفعة ودية.

بعد أن شعر بوعيه الشديد لأعين القرية المركزة فيه، مشى بن إلى الطائرة. كان وجه جيرمي مشرقاً بسرور. لقد رأى بن ذلك مَرَات عِدَّة من قبل - عادة عندما يكون جيرمي قد أنجز أمراً ممنوعاً تماماً.

قال بن بجفاف: «أنا أعدك اجتزت اختبارك».

«بنجاح باهر يا رجل. وقال الزجل أنا وُلِدْتُ من أجل ذلك. حسناً، يوجد صقر على شعار (5) عائلتي، أليس كذلك؟ هيا، لا تقف هناك. اقفز إلى الداخل».

صعد بن في المقعد الخلفي. «هل أحتاج إلى خوذة أو أي شيء؟».

ضحك جيرمي قائلاً: «إذا تحظمتنا، فإنَّ الخوذة الغبية لن تنفعك كثيرًا. لا تقلق لقد تدرّبت على كل شيء، وتعلّمت كل شيء في الدقائق الخمس الأولى. إنها الآن كقطعة من الكعكة بالنسبة إلي».

دار المحرك وزادت سرعته. سارت الطائرة فوق العشب بتسارع حتى ارتفعت في الهواء. لقد حلّق خلف الجناح وتجوّلا مرّة أخرى فوق ملعب الكريكييت، ثم فوق شجرة الزان النحاسية الكبيرة في أسفل حديقة الكاهن متجنية إياها بارتفاع قدمين. كانت قرية المسلي تمتد تحتهم: لقد تمّ بناؤها حول المنطقة الخضراء مع وجود ملعب الكريكييت في الوسط، والنصب التذكاري للحرب العظمى في مكانه البارز من جانب، وكنيسة القديسة مريم ببرجها المتعامد الجانب الآخر. أسفل الجناح الأيمن، كانت حدائق نيزركوت المشدّبة وهي بلدة جيرمي. انعطفت الطائرة، وظهرت فجأة

مدينة سفنوكس، ثم وادي شورهام بالكامل مع خط الشمال لداونز المنحرف إلى الجنوب. كان نهر ميدواي خطًا ساطعًا على يسارهم، في حين أن نهر التايمز كان أكثر إشراقًا في الأفق البعيد. كانت الرياح تخرق شعر بن، وكانت تملؤه البهجة، والسعادة، والإثارة. استدار جيرمي نحوه قائلاً: «هذه هي البطاقة على ما يرام، أليس كذلك؟ لا أستطيع الانتظار حتى يبدأ العرض الكبير. هذه هي فكرتي عن كيف ينبغي أن تكون الحرب - حرب رجل نبيل. المحارب ضد المحارب، ويفوز الرجل الأفضل. يجب أن تحصل على الترخيص الخاص بك، أيها الصديق الشاب، ثم يمكننا الانضمام معا».

كان بن يعتقد أنه لم يكن هناك فائدة تُذكر من القول بأنه لا يستطيع تحمّل الأعباء المادية لدروس الطيران. ولم يفهم جيرمي قط أنّ المال قد يكون مشكلة. في أكسفورد، كان دائمًا يدعو بن في رحلات باهظة الثمن إلى عروض لندن أو النوادي الليلية أو حتى رحلات نهاية الأسبوع إلى باريس. كان جيرمي سعيدًا بدفع ثمنها، لكنّ بن كان لديه الكثير من الفخر لقبوله وقد اخترع المقالات التي كان لا بد من الانتهاء منها. وبالتالي، فقد اكتسب سمعة الشخص الذي يدرس دائمًا، وهو لم يكن كذلك. واكتسب سمعة الشخص الذكي، وهو لم يكن كذلك أيضًا. لقد حصل على درجة جيدة من الدرجة الثانية. وكان جيرمي قد نجح بصعوبة بالحصول على شهادة من الدرجة الثالثة، ولكن في حالته، لم يكن الأمر مهمًا. لقد كان الابن الوحيد وسيبرث اللقب

وكل الميزات التي تأتي معه في يوم من الأيام.

صاح جيرمي: «إذن ما رأيك؟».

«أمرٌ مثيرٌ للإعجاب حقًا».

«أعلم ذلك. أليس كذلك؟ دعنا نطرح إلى فرنسا».

«هل لديك ما يكفي من الوقود؟».

«كيف يجدر بي أن أعلم؟»، قال جيرمي وهو يضحك: «لقد اشتريت ذلك الشيء لتوي». لكنه صعد إلى الطائرة وأعدّها مرة أخرى في دائرة واسعة نحو القرية. كان هناك تحتهم الشارع الرئيسي الوحيد من الأكواخ المؤدية إلى البقعة الخضراء، المحوطة بحقول الرضفة الثلاثية الأوراق وأشجار التفاح. كانت أنيقة وخضراء وهي النموذج الإنكليزي الأصلي. انحنى جيرمي على الجانب وأشار: «أنظر. هذه فارلي. ألا تبدو منظّمة من هنا من الأعلى؟ لقد قام كيبابليتي براون بعمل رائع في بناء تلك الحدائق». دفع ذراع عصا التحكم، وبدأت الطائرة بالهبوط في الوقت الذي ظهرت فيه فارلي بليس، منزل أجداد بامبلا منذ عام ١٦٠٠ وما شابه، وهو مبنى ضخم من الحجر الرمادي اللون وسط فدان من الحدائق مع ممر منحني يؤدي إلى زهور الزينة السابقة، حيث تقع البحيرة من جهة، وحدائق المطبخ وراءها.

أطلق جيرمي صرخة صاخبة من الفرح والإثارة وقال: «أنظر يا بن، عندهم ضيوف يتناولون الشاي. دعنا نفاجنهم، ما رأيك؟».

انعطفت الطائرة بحدّة. تمسك بن جيّدًا، وأغلق عينيه عندما أصبحت الأرض سماء. دارت معدته دورتها الخاصة. وحلّقت الطائرة منخفضة أكثر فأكثر حتى حلّقت فوق البحيرة ببناء الجزيرة الذي يبدو كقلعة قديمة أو آثار رومانية (6)، ثم فوق الطريق الذي تصطف على جانبيه أشجار كستناء الحصان، والتي كانا قد جمعا منها الكستناء لما كانا في سنّ الطفولة. لقد وُضعت علامة على ملعب تنس في الحديقة الخلفية، مع طاوولات إلى جانبه، وعدد من الشّخصيات باللون الأبيض في وضع الجلوس، في حين أن الخادم سوامز كان يقَدّم الشاي.

صاح جيرمي قائلاً: «أعتقد أنّ هناك مساحة كافية للهبوط إلى جوارهم. هذا سيء للغاية. إنهم لا يرتدون هذا النوع من القبعات التي سوف تبحر جيّدًا عندما تطير في الهواء».

لقد شقّا طريقهما على طول الممر الجنوبي مع أشجار الكستناء على جانبي نهاية أجنحة الطائرة. كان بن لا يزال مبتهجًا جدًّا إلى حدّ أنّه لم يكن يشعر بالخوف قط. وقرر أنّ مدرّب الطيران كان محقًّا. لقد كان جيرمي يطير كما لو أنّه ولد من أجل ذلك. انتصب ضيوف الشاي على أقدامهم حين ظهرت الطائرة فجأة من بين الأشجار. تراجعوا إلى الوراء مذعورين في حين أغطية الطاوولات كانت ترفرف والمناديل تطير. كانت الطائرة الآن على بعد أقدام فقط من الأرض، ثم بوصات فقط.

لاحظ جيرمي الساعة الشمسية في اللحظة

نفسها التي لاحظها فيها بن. كانت تقف متاكلة بفعل
العوامل الجوية، وكانت منسية في وسط المرج
الشرقي. فتح بن فمه ليقول «احترس، يوجد. .»
في اللحظة نفسها التي سحب فيها جيرمي عصا
التحكّم بقوة إلى اليمين. انخفض الجناح، وحفر
العشب، وانقلبت الطائرة.

الجزء الأول
بامبلا

الفصل الأول

متنزه بليتشلي شهر أيار 1941

حدقت الليدي بامبلا ستون في الملصقات الكنيبة التي أصدرتها الحكومة على الزاوية الصغيرة في جدار الكوخ الثالث. كان بعض منها إرشادات مبهجة لبذل قصارى الجهد، وبعضها للجندي للبقاء حازماً وغير عاطفي لدي مواجهة الشدائد، وكان بعضها الآخر تحذيرات رهيبة حول التصرف بشكل سيء أو عدم القيام بعمل جيد. وراء ستائر التعقيم التي غطت النوافذ، سيبزغ الفجر. كان يمكنها سماع جوقة الطيور في الغابة خلف الكوخ، ولا تزال تزقزق بجنون وفرح كما كانت قد فعلت قبل بدء الحرب، وستواصل القيام بذلك بعد انتهائها - في أي وقت كان ذلك ممكناً. لقد استمر لتوه بالفعل لفترة طويلة جداً، ولم تكن هناك نهاية في الأفق. فركت بامبلا عينيها. لقد كانت ليلة طويلة، وكان في عينيها وخز لاذع من شدة التعب. ووفقاً للوائح الخدمة المدنية، لم يكن يفترض بالنساء أن يعملن في نوبة ليلية مع الرجال في حال تعرّضت أخلاقهن للخطر. لكنها كانت قد وجدت هذا مسلياً حين كان النقص في عدد المترجمين الذكور يعني أن على إحدى الفتيات القيام بأعمال نوبة ليلية. وكانت قد قالت: «بصراحة، لا أعتقد أن شرفي في خطر من أي من الشباب هنا». إنهم يهتمون بمشكلات الرياضيات أكثر من اهتمامهم بالفتيات».

لكنها جاءت لتندم على تظاهرها بالشجاعة مرات

عدّة منذ ذلك الحين. لقد كان العمل الليلي عملاً وحشيًا. الحمد لله أنّ النوبة الليلية كانت تقترب من نهايتها وكان يمكنها أن تنام. ولكن لم يكن في مقدورها أن تنام بشكل صحيح خلال النهار مع قطارات تجلجل مارة بالقرب من نافذتها.

«حرب ملعونة»، تمتت وأطلقت الرّفير على يديها في محاولة لبثّ بعض الدّفء في أصابعها. وعلى الرّغم من أنّه كان شهر أيّار، الاكواخ باردة ورطبة بين عشية وضحاها. وكان قد تم إيقاف حصص فحم الكوك في أول شهر أيّار. لكن ذلك لم يكن سيئًا تمامًا؛ إذ إنّ موقد الحديد المصنوع من حديد الزهر يدخن بشكل سيء وينفث الدخان الضار بالصحة. كل شيء كان فظيغًا هذه الأيام. فلم يكن يوجد طعام مناسب للأكل. وكانت الوجبات تتكوّن من البيض المسحوق، ولحم البقر المحفوظ المعلب، والثّقانق التي كانت أقرب إلى نشارة الخشب أكثر من كونها لحومًا. ومن الواضح أنّ صاحبة الأرض لم تكن تطبخ كثيرًا قبل الحرب، لكنّ ما تطبخه الآن غير صالح للأكل أبدًا. كانت باميلًا تحسد أولئك الذين يعملون في وردية النهار. على الأقلّ يمكنهم تناول الوجبة الرئيسية في غرفة الطعام، والتي كان يفترض أن تكون جيّدة جدًا. كان يمكنها الذهاب لتناول وجبة الإفطار قبل أن تنقطع عن العمل، لكنّها كانت دائمًا تعبّة جدًا إلى حدّ أنها لم تكن قادرة على تناول الطعام بنهاية ليلة طويلة.

لدى اندلاع الحرب كانت حريصة على القيام بشيء مفيد. وكان جيرمي قد انضم في اليوم

الأول إلى سلاح الجو، وقد زُحِبَ به في سلاح الجو الملكي البريطاني بأذرع مفتوحة. لقد كان واحداً من أكثر الطيارين تكريماً في معركة بريطانيا، ولكن بعد ذلك وبأسلوب جيرمي التمودجي، كان قد دخل لمسافة بعيدة جدًا في فرنسا ليلحق طائرة ألمانية عائدة وجرى إسقاطه. الآن كان في «ستالغ لوفت»، وهو معسكر للطيارين الأسرى، في مكان ما من ألمانيا، ولم يسمع عنه أحد منذ شهور. لم تكن تعرف ما إذا كان حيًا أو ميتًا. ضغطت على عينيها لتبقى مغلقة حتى لا تذرف الدموع. الحفاظ على رباطة الجأش والابتعاد عن العواطف قالت لنفسها مرّات عدّة هذا هو الأمر المتوقع هذه الأيام. «يجب أن نكون قدوة»، وكان والدها قد قال مُحدثًا ضوضاء وضجة مثل الزعد، وهو يضرب الطاولة بيده بشدة لتحقيق تأثير أفضل: «لا تدعي أي شخص يرى أنك غاضبة أو خائفة. فالناس يتطلعون إلينا بإعجاب واحترام، ومن واجبنا أن نوضّح لهم كيف يتم ذلك». لهذا السبب بالذات كانت قد اختيرت لهذه الوظيفة. كانت صديقتها تريكسي رادكليف، زميلتها الشابة الثرية في ربيع ١٩٣٩، قد دعته إلى تناول الشاي في لندن، في الأيام الأولى للحرب لَمَّا كانت أشياء حضارية مثل الشاي في فندق براون لا تزال موجودة.

قالت تريكسي بطريقتها المتحمسة: «أقول يا باما، هذا الشاب الذي أعرفه قدمني إلى شاب آخر قد يرغب في منحنا وظيفة». إنه يبحث عن فتيات مثلنا، من عائلات جيدة. لا سخافات عندهن. ولسن

عرضة للهستيريا".

«يا إلهي! ما نوع الوظيفة التي سيقدمها - فصول الترحيل في سلاح الجيش النسائي المساعد(7) أو خدمة البحرية الملكية للمرأة(8)؟». ضحكت تريكسي قائلة: «لا شيء من هذا القبيل. أعتقد أن الأمر سرّي نوعًا ما. لقد سألتني ما إذا كان يمكن الوثوق بي للحفاظ على فمي مغلقًا وألا أترثر أبدًا». بدت بامبلا مندهشة: «بالله عليك!».

انحنت تريكسي مقتربة أكثر. «كما يبدو يعتقد أننا نشأنا على فعل الشيء الصحيح. وبالتالي، لن نخذه بإفشاء الأسرار». ثم ضحكت وهي تقول: «سألني حتى إذا كنت أشرب كثيرًا. أعتقد أن الناس يفشون الأسرار الخاصة عندما يكونون في حالة السكر». «إذن ماذا قلت له؟».

«إنني قد خرجت للتو قبل الحرب فقط، ومنذ التقنين(9)، لم تُتح لي الفرصة حقًا لإثبات مدى قدرتي على الشرب من دون أن أسكر».

ضحكت بامبلا أيضًا، ثم عادت ملامح الجدية إلى وجهها مرةً من جديد. «أتساءل من أجل ماذا يفكر أن يريدنا؟ هل سيرسلنا كجواسيس إلى ألمانيا؟».

«لقد سألتني إن كنت أتحدّث الألمانية. والواقع، أنه قال: هل تمكنت من اللغة الألمانية. وكنت أعتقد للوهلة الأولى أنه يقصد شابًا ألمانيًا. كنت أخشى أن انفجر في نوبة الضحك. لقد أخبرته بأننا على وشك الانتهاء من الدراسة في سويسرا، وأنت

كنت تتمتعين بمستوى عالٍ من المهارة أو المعرفة في اللغات. بالمناسبة، بدا مهتمًا حقًا بك. لقد بدا متحمسًا أكثر حين قلت إنني أعرفك».

قالت بامبلا مرة أخرى: «غير معقول!! لا أعتقد أنني أستطيع أن أرى نفسي جاسوسة تغوي الضباط الألمان. هل تستطيعين أنت القيام بذلك؟».

«لا، يا حلوتي. لا أستطيع رؤيتك تغوين الرجال الألمان. لقد كنت دائمًا بريئة جدًا. أما أنا، من ناحية أخرى، فقد أجيد ذلك بشكل جيد. ولكن لسوء الحظ، أتحدث لغتي الألمانية باللهجة الإنكليزية الواضحة والمؤكدّة. وسيكتشفون أنني غير حقيقية في لحظة. لكنني لا أعتقد أنه تجسس. كما سأل هذا الشاب عن مدى كفاءتي في حل ألغاز الكلمات المتقاطعة».

قالت بامبلا: «يا له من سؤال غريب».

انحنت تريكسي نحوها لتقترب أكثر من قبل هامسة في أذن بامبلا قائلة: «أعتقد أن الأمر قد يكون متعلقًا بكسر الزموز والأشياء».

وقد تبين أن الأمر كان صحيحًا. كانت الفتاتان قد استقلتا القطار من محطة أوستون إلى تقاطع بليتشلي، على بعد ساعة شمال لندن. كان الظلام قد حلّ تقريبًا لدى وصولهما. كانت المحطة والبلدة لا تثيران الإعجاب أو الاهتمام. وكان الغبار المنبعث من مصنع الطوب عاليًا في الهواء. لم يكن هناك أحد من أجل خدمة مقابلة القطار (10)، وحملتا حقائبهما الخاصة على طول الطريق إلى جانب خط

سكة الحديد حتى وصلنا إلى سياج شبكي مرتفع
تعلوه أسلاك شائكة.

«غير معقول!». كانت حتى تريكسي هذه المرة
منزعجة. «من المؤكد أنها لا تبدو جذابة للغاية،
أليس كذلك؟».

قالت بامبلا: «لا يتعين علينا القيام بذلك».

حدقتا بعضهما في بعض، في حين أن كل واحدة
منهما كانت تتمنى أن تركض الأخرى فجأة مسرعة
هاربة.

«يمكننا على الأقل معرفة ما يريدون منا أن نفعل،
ثم نقول: لا، شكراً جزيلاً لكم، لكنني أفضل أن أكون
طفلة ريفية وأرثي الخنازير».

وهذا ما وضعهما في حالة معنوية أفضل.

«هيا. دعينا نتحمل نتائج أعمالنا». دفعت تريكسي
صديقتها برفق، وسارتا إلى البوابة الرئيسية. كان
حارس سلاح الجو الملكي البريطاني المناوب في
كشك الحراسة الخرساني يحمل أسميهما على
حافظة أوراقه، وتم توجيههما إلى المنزل الرئيسي،
حيث كان يتعين عليهم إبلاغ القائد ترافيس أولاً. لم
يعرض أحد عليهما حمل حقائبهما، وهذا الأمر أخبر
بامبلا بأكثر من أي شيء أنهما كانتا في ذلك الوقت
ضمن عالم مختلف تمامًا عن العالم الذي اعتادته.
مر الطريق بصفوف من الأكواخ ذات المظهر الممل
والكئيب قبل ظهور المنزل الرئيسي الذي تم
بناؤه من قبل عائلة حديثة الثراء في ذروة العصر
الفيكتوري المزخرف، وكانت عبارة عن مزيج

مترامي الأطراف من النماذج مع الطابوق الرائع،
والجملونات والأعمدة الشرقية، ومعهد الموسيقى
البارز من طرف واحد. وغالبًا ما كان الوافدون
الجدد من أسفل النطاق الاجتماعي يشعرون
بالإعجاب، أما بالنسبة إلى الفتيات اللاتي تربين في
منازل فخمة، فكان التأثير عكس ذلك.

صاحت تريكسي باستغراب وهي تضحك قائلة: يا
للعجب! حمام قوطي! أليس كذلك؟"

قالت بامبلا: «لكن المنظر رائع. أنظري - هناك
بحيرة، غابة من الأشجار، وحقول. أتساءل ما إذا
كان هناك خيول يمكن للمرء أن يمتطيها».

قالت تريكسي «إنها ليست حفلة منزلية، يا
عزيزتي. نحن هنا للعمل. هيا. دعينا نتجاوز الأمر
ونكتشف ما نحن بصدده».

دخلت الفتاتان المنزل الرئيسي ووجدتا أنفسهما
في هذا التصميم الداخلي المثير للإعجاب الذي
اعتادتا - السقوف المنحوتة بشكل مزخرف،
والجدران المغطاة بالألواح، والنوافذ ذات الزجاج
الملون، والسجاد السميك. خرجت شابة تحمل
مجموعة من الأوراق من باب جانبي ولا يبدو
أنها فوجئت برؤيتهما: «أوه، أفترض أنكما أحدث
مجموعة من المبتدئات». في حين أنها كانت تنظر
باحترقار إلى قبة المنك (11) التي ترتديها تريكسي.
القائد ترافيس في الطابق العلوي. الباب الثاني إلى
اليمين».

همست تريكسي وهما تغادران حقائبهما وتصعدان

درجًا طويلًا منحوتًا من خشب البلوط: «لم يكن ترحيبًا حارًا».

همست باما: «هل تعتقدين أننا نرتكب خطأ فظيلاً؟». قالت تريكسي وهي تضغط على يدها: «تأخر الوقت قليلاً للتراجع الآن». ثم تقدمتا إلى الأمام لطرق باب البلوط المصقول.

نظر القائد ترافيس، نائب المدير، إليهما بشك واضح.

«هذا ليس رحلة سريعة بالسيارة للمتعة، أيتها الانستان الشابتان. الواقع، أنه عمل شاق جدًا. ولكن أمل أن تجداه مجزيًا. ستقومان بواجبكما لوقف العدو - وبأهمية العمل نفسه الذي يقوم بها أولادنا في الخدمة. وأول شيء نؤكدُه هنا السرية المطلقة. سيطلب منكما التوقيع على قانون الأسرار الرسمية. وبعد ذلك، لا يُسمح لكما بمناقشة عملكما مع أي شخص خارج وحدتكما. ولا حتى بعضنا مع بعض. ولا حتى مع والديكما أو أصدقائكما. هل هذا واضح؟».

هزت الفتاتان رأسيهما بالموافقة. بعد ذلك امتلكت بامبلا الشجاعة الكافية لطرح السؤال: «بالضبط ما سيكون عملنا؟ لم يتم إخبارنا بأي شيء حتى الآن». رفع يده. «الأولوية للأمور الأهم، أيتها الانسة الشابة». أخرج ورقتين وقلمي حبر. «قانون الأسرار الرسمية. اقرأ هذا ووقعاهنا، من فضلكما». ونقر بإصبعه على الورقة.

تساءلت تريكسي: «أنت تقول إن علينا أن نعد

بعدم الكشف أبدًا عما يجري هنا قبل أن نعرف ما يجري هنا؟». ضحك القائد ترافيس قائلاً: «لديك روح دعابة. أحب ذلك. لكنني أخشى أنه بمجرد دخولك عبر هذه البوابة، أن تصبحي خطرًا آمنياً على البلد. وأؤكد لك أن عملكما هنا سيكون أكثر إثارة للاهتمام ومجزياً أكثر بكثير جدًا من الوظائف الأخرى التي يمكنكما القيام بها».

نظرت تريكسي إلى بامبلا وهي ترفع كتفيها وقالت: «لم لا؟ ماذا لدينا لنخسر؟». أخذت القلم ووقعت، وخذت بامبلا حذوها. في وقت لاحق، لما كانت وحدها، اكتشفت أنه سيتم إرسالها إلى الكوخ رقم ثلاثة لترجمة الرسائل الألمانية التي تم فك شفرتها. لم تعرف بامبلا ما الذي كانت تفعله تريكسي، بحيث لم يكون يُسمح لهما بمشاركة المعلومات مع أعضاء من كوخهما الخاص، لكنها علمت أن تريكسي كانت منزعجة لأنها لم تكن قد حصلت على وظيفة أكثر إثارة للحماس وأكثر روعة. «ترتيب الوثائق والكتابة في غرفة الفهرس. هل يمكنك تخيل أي شيء ممل أكثر من ذلك؟»، فقد قالت إنها: «بينما يقوم المرء بعملية التجميع، يستمتع الرجال في الأكواخ بكل متعة العمل على آلات غريبة. ما كنت لأحضر قط لو كنت أعلم أنني سأقوم بأعمال وضيعة ومملة. ماذا عنك؟ هل ستكون وظيفتك وضيعة أيضًا؟».

قالت بامبلا: «إه لا، سأحدث يومياً إلى هير هتلر»، ثم انفجرت ضاحكة على وجه صديقتها بطريقة مباشرة وجهاً لوجه. «هذه نكتة يا عزيزتي. على

المرء الحفاظ على روح الدعابة في جميع الأوقات. نعم، أنا متأكدة أن عملي سيكون وضيغًا تمامًا أيضًا. في نهاية الأمر نحن لسنا رجالًا، أليس كذلك؟”

ولم تكن قد أخبرت تريكسي قط بأكثر من ذلك. كانت تدرك تمامًا أهمية وظيفتها وأنّ الفشل في الترجمة أو سوء الترجمة قد يعني مقتل مئات الأشخاص. وكانت تدرك أنّها غالبًا ما سيتم إعطاؤها مهمة فك رموز أولوية المستوى الأدنى، وأنّ مهمة فك اعتراضات الأولوية كانت تذهب إلى الرجال، ولكنها في بعض الأحيان، كانت تشعر بالرضا لتدبر أمر جوهرة خفية.

كانت المهمة صعبة ومثيرة في البداية، ولكن بعد عام كامل، أصبحت مُتعبة ومملة. كان عدم واقعية كل شيء، والمضايقات والتيار المستمر للأخبار السيئة القادمة من ساحات المعارك قد بدأ بإنهاك حتى شخص مرحّ مثل بامبلا وإرهاقه بشكل تدريجي. كانت الأكواخ تفتقر إلى وسائل الراحة الأساسية بشكل فظيع، بحيث كانت شديدة البرودة في فصل الشتاء، وحارة خانقة وشديدة الرطوبة في فصل الصيف، وكانت دائمًا تثير الكآبة مع المصابيح العارية غير الكافية المعلقة المتدلية من السقف. وفي نهاية المناوبات الطويلة، كانت مجبرة على العودة إلى غرفة النوم الخاصة بها، وهي غرفة داخلية مزعجة تسبب اليأس يقع خلفها خط السكة الحديدية. وبينما كانت عائدة إلى المدينة على الدراجة القديمة التي كانت قد حصلت عليها، وجدت أفكارها تعود إلى فارلي في الربيع

- حيث تكون الغابة سجادة من الحجارة الزرقاء في هذا الأسبوع الأول من شهر أيار، والحملان الصغيرة في الحقول، وركوب الخيل في الصباح الباكر مع أخواتها. لقد اكتشفت أنها كانت تتوق إلى رؤية أخواتها، وكان عليها أن تعترف بأنها لم تكن بالفعل قريبة من أي واحدة منهم في يوم من الأيام باستثناء مارغوت، التي لم ترها منذ زمن طويل، والتي كانت قد اشتاقت إليها كثيرًا. كن جميعهن مختلفات تمامًا، ليفي التي تكبرها بخمس سنوات، ولدت هشة وحساسة، وراشدة، وكانت دائمًا تُخبر الآخرين بكيفية التصرف بشكل صحيح.

لقد أدركت بامبلا مع الأسف أنها لا تكاد تعرف ابنة الصغرى فوبي. لقد كانت تبدو طفلة صغيرة مشرقة، وكانت تمتلك مقومات الفارسة الزائفة لكنها قضت معظم حياتها في الحضانة بعيدًا من بقية العائلة. ثم كانت هناك ديدو المزعجة، وهي أصغر منها بسنتين وتتملكها رغبة قوية في المنافسة، كما كانت تتملكها أيضًا رغبة جامحة لتكبر وتخرج إلى المجتمع - للحصول على كل شيء تمتلكه بامبلا. لكن ديدو رأتها منافسة لها، ولم تكن شخصًا يفكر الاعتماد عليه للمساعدة كما كانت مارغوت، ولم يسبق لهما تبادل العلاقة الحميمة نفسها قط.

لقد عادت بامبلا إلى عملها عندما وضعت سلة من النصوص أمامها. كانت رسائل الصباح الباكر قد بدأت بالقدوم، وكان ذلك بمنزلة أخبار سارة. وهذا يعني أن الشباب الأذكىاء في الكوخ السادس قد تمكنوا من الحصول على إعدادات جهاز التشفير من

نوع إنغما(12) بشكل صحيح، وكانت المطبوعات الناجمة عن ذلك باللغة الألمانية الحقيقية، أو على الأقل بالألمانية المفهومة ولو بشكل غامض. التقطت البطاقة الأولى. أنتجت آلة التشفير من نوع تاييكس(13) ((Typex شرائط طويلة من الرسائل مقسمة مجموعات من خمسة. كان الحرفان إكس وإس (XS) يشيران إلى فترات، والحرفان واي إس(YS) يشيران إلى فواصل، والأسماء الصحيحة كان يسبقها الحرف جي (J)). نظرت إلى الأولى: دبليو يو بي واي- واي إن إل إل- إس إي كيو إن يو- إل إل إن يو إل- إل إل إكس. كانت هذه الأشياء تأتي كل يوم. النشرة الجوية ((Wetterbericht. النشرة الجوية الصباحية للقطاع السادس. وكانت كلمة (NULL) تعني: «لا شيء مهمًا كان يحدث». كتبت ترجمة سريعة وأسقطتها في سلة الصادر.

وكانت التالية روتينية هي الأخرى كما كانت الأولى (إي بي إس تي أي- إم إم إس بي آر يو سي إيتش واي واي- آر إي إس تي إكس- أو إيتش إن إي إكس- إس أي إن إن). اختبار إرسال من مركز قيادة ألماني للتأكيد من أن رموز اليوم تعمل. «شكرًا، هامبورغ، إنها تعمل بشكل جيد للغاية». قالت ذلك مبتسمة، بينما كانت تسقط تلك في السلة. وصلت الرسالة التالية بطريقة مشوهة للغاية حيث كان نصف الحروف مفقودًا. وغالبًا ما كان يتم استقبال الرسائل بهذا الشكل وكانت تتطلب المهارة المستخدمة لحل لغز الكلمات المتقاطعة

وكذلك معرفة جيدة بمصطلحات الحرب الألمانية. ولقد تمكنت بامبلا من استنتاج أن موضوع الرسالة كان قسم بانزر الحادي والعشرين، وهو جزء من قوة روميل الصحراوية. لكن الرسائل التالية: / إف إف أي-جي / (G-FF-I) كانت قد جعلتها في حيرة من أمرها. هل كانت كلمتين أو حتى ثلاثة؟ إذا كانت أكثر من كلمة واحدة، فربما تكون الكلمة الأولى (auf)، بمعنى «على». كانت تحدق بامعان أكثر فأكثر حتى بدت الحروف تتراقص في الضوء الباهت. وكانت تتوق إلى إزالة ستائر التعقيم، ولكن لم يُسمح إلا للمراقب بالقيام بذلك في الساعة المحددة له. عندها بدأت تشعر بألم في عينيها. لقد فكرت في الراحة. «أنا في حاجة إلى الراحة».

عادت بعد ذلك إلى حالة التأهب مرة أخرى، وارتسمت ابتسامة أمل على وجهها. لقد جربت الحروف والتجديد (Auffrischung). وكانت فرقة بانزر الحادية والعشرون في حاجة إلى الراحة وإعادة التجهيز!

قفزت وهرعت عبر غرفة المراقبة. لكن ويلسون، الرجل الأكبر سناً الذي كان يشغل منصب رئيس المراقبة نظر إليها عابثاً. لم يكن يرحب بالنساء في نوبته الليلية، وكان يتجاهل بامبلا قدر الإمكان.

قالت: «أعتقد أنني حصلت على شيء مثير للاهتمام يا سيدي». وضعت التايبيكس أمامه وترجمتها تحتها. حدق بها مقظباً حاجبيه لفترة طويلة قبل أن ينظر إلى الأعلى. «أليس هذا امتداداً

من امتدادات خيالك يا ليدي بامبلا؟». كان وحده دائماً الذي أصر على مخاطبتها بلقبها. أما بالنسبة إلى البقية فقد كانت تدعى بي.

«ولكن هذا قد يعني أنه قد يجري سحب فرقة بانزر الحادية والعشرين (14). هذا أمر مهم، أليس كذلك؟».

انحنى رجلان آخران على الطاولة ليريا سبب تلك الجلبة.

قال أحدهما مبتسماً ابتسامة مشجعة لبامبلا: «ربما تكون على حق يا ويلسون. إن الزاحة والتجديد (Auffrischung) كلمة جيدة».

قال الآخر: «أنظر إذا كان يمكنك التوصل إلى شيء آخر منطقي، إذن، يا ويلسون. نعلم جميعاً أن لغتها الألمانية أفضل من لغتنا».

قال الأول: «يجب إعلام مقر قيادة الجيش بذلك في أي حال، لأخذ الحيطة والحذر». نظر إلى بامبلا وقال: «أحسنت، يا بي».

سمحت بامبلا لنفسها بتكشيرة بينما كانت عائدة إلى مقعدها. كانت قد أفرغت سلة البريد الوارد للتو حين أشارت الأصوات في الطرف الآخر من الكوخ وصول نوبة اليوم الباكر. ثم أخذت معطفها من على علاقته.

قال أحد الشابين وهو يتقدم نحوها: «يوم جميل هناك»، لقد كان طويل القامة ونحيفاً ويتحرك بطريقة مريحة، وينظر إلى العالم من خلال

نظارات سميكة. كان اسمه رودني، وكان مثلاً لشباب أكسفورد أو كامبريدج الذين تم إغراؤهم للعمل في بليتشلي بارك. «لحسن حظك، لديك وقت للاستمتاع به. أظن أن هناك مباراة بعد الظهر للراوندرز هذا اليوم، إذا كنت تحبين الراوندرز فأنا جاهل تمامًا بها للأسف. والرّقص الزّيفي الليلة، لكئك ستكونين في العمل، أليس كذلك؟» ثم توقّف مؤقتًا، وأدخل يده بعصبية خلال شعره الجامح. «لا أفترض أنك تهتمين بالذهاب معي إلى السينما في ليلة عطلتك؟».

قالت: «هذا لطف منك يا رودني، لكنني بصراحة، أفضل النوم في ليلة عطلتي».

قال مؤكداً كلامها: «تبدو تجاعيد خفيفة حول عينيك»، فهو لم يظهر نفسه قط على أنه لبق. «هذه المناوبات الليلية تصبح أمرًا عاديًا بالنسبة إلى المرء فعلاً، أليس هذا صحيحًا؟ ومع ذلك، فإن هذا يستحق العناء، هكذا يقولون».

قالت مكررة ما قال: «هكذا يقولون. أتمنى أن نرى أننا نحرز تقدمًا. أقصد بلدنا. الأخبار كلها تبدو سيئة، أليس كذلك؟ والفقراء في لندن يتعرّضون للقصف ليلة بعد أخرى. إلى متى يمكننا أن نحتمل ذلك، برأيك؟».

قال رودني: «بكل بساطة، ما دام يتعين علينا ذلك».

نظرت باميلًا إلى تراجعها بإعجاب. لقد كان يمثل العمود الفقري لبريطانيا في تلك اللحظة.

إنه شخص نحيل ومرتبك ومحب للقراءة، لكنه، على الرغم من ذلك، مصمم على الاستمرار مهما احتاج الأمر لهزيمة هتلر. لقد شعرت بالخجل من اكتئابها، وانعدام الثقة حين ذهبت لاستعادة دراجتها لركوبها إلى المدينة.

كان مكان إقامتها في المنزل الداخلي للسيدة آدمز على مقربة من المحطة، وأطلق القطار صفارته بينما كان يقترب من المنصة. فكرت باميلامع ابتسامة قاتمة قائلة: «ماذا لو كان والداي يستطيعان رؤية المكان الذي أعيش فيه الآن». ولكن في ذلك الحين لم يكن لديهما أدنى فكرة عما كانت تعمل أو ماذا كانت تفعل. وبموجب قانون الأسرار الرسمية، لم يُسمح لها بالكشف عن أي شيء لأي شخص. لم يكن من السهل إقناع والدها بالسماح لها بمغادرة منزلها، لكنها أضحت في الحادية والعشرين من عمرها، وخرجت إلى المجتمع، لذلك لم يكن يستطيع منعها. ولما كانت قد قالت: «أريد أن أقوم بمساهمتي الخاصة بي يا أبتى. لقد قلت إن الأمر متروك لنا في أن نكون قدوة، وأنا أضرب مثالا لذلك». كان قد وافق على مضم.

نزلت عن دراجتها وجزتها على طول الرصيف. لقد شعرت بالمرض من الجوع والإرهاق، لكنها تنهدت وهي تتساءل عن وجبة الإفطار التي ستنتظرها اليوم: عصيدة العقد مطبوخة بالماء؟ الخبز المقلي في دهن اللحم المشوي من لحم الضأن ليوم الأحد الماضي؟ الخبز المحمص مع كشط من السمن والبرتقال المائي إذا كانوا محظوظين.

ثم انتقل عقلها إلى الامتداد على الجانب الخلفي في فارلي: البازيلاء، ولحم الخنزير المقدد، وطبق الكيدغري(15)، والبيض المخفوق. كم من الوقت سيمر قبل أن تتمكن من العودة إلى المنزل؟ ولكن إذا عادت إلى المنزل، كيف ستجبر نفسها على العودة؟

كان يوجد كشك للجراند خارج المحطة، وكان هناك عنوان كتب كما يلي: «بطل يأتي إلى الوطن». نظرت بامبلا إلى الصفحة الأولى على كومة الصحف. منذ أن بدأت الحرب بحيث كان الورق نادرًا، أصبحت الطباعة أصغر وأكثر ازدحامًا، وكانت الصور صغيرة جدًا. ولكن هناك، في منتصف الصفحة الأولى لصحيفة ديلي إكسبريس، رصدت صورة غير واضحة لرجل يرتدي زيًا عسكريًا في سلاح الجو الملكي البريطاني وميزت ابتسامته التي تظهر السعادة والثقة بالنفس. كانت مترددة جدًا في الوصول إلى قعر جيبها لإخراج بنسين، ثم أخرجتهما وأخذت الجريدة. «هروب الأس الجوي(16) الملازم جيرمي بريسكوت من كل الصعاب من معسكر ألماني لأسرى الحرب. الناجي الوحيد من هروب باستخدام القوة». وقبل أن تتمكن من قراءة المزيد، لم تعد ساقاها قادرتين على حملها، وسقطت على الأرض.

على الفور كان هناك أناس من حولها، رفعوها بالأيدي. قال أحد الأصوات: «اهدني يا حبيبتي. لا تقلقي. أمسكت بها».

«أحضرها، بيرت، إلى المقعد، وليذهب شخص آخر إلى مقهى المحطة لإحضار فنجان من الشاي. إنها شاحبة جدًا».

لقد كان اللطف أكثر من أي شيء آخر وهو ما شجع على تنهد الصعداء من أعماق بامبلا. كل التوثر، والليالي الطويلة، والعمل الشاق، والأخبار الكئيبة هربت منها في تنهيدة واحدة، وبعدها، بدأت الدموع تسيل على خديها.

شعرت بأنها تُحمل وتوضع برفق على مقعد، كما وجدت أنها كانت لا تزال تمسك الصحيفة.

سألت المرأة التي كانت تقف بالقرب من كشك الصحف: «ماذا حصل يا حبيبتي، هل هي أخبار سيئة؟».

كان جسم بامبلا لا يزال يرتجف بالتهنيدات.

«لا، إنها أخبار جيدة» تمكنت من الكلام أخيرًا وقالت لاهثة: «إنه حي يرزق. إنه بأمان. إنه سيعود إلى البيت».

بعد ظهر ذلك اليوم تلقت رسالة تبلغها بمراجعة القائد ترافيس. كاد قلبها يتوقف. ثرى ما الخطأ الذي يمكن أن تكون قد ارتكبته؟ هل أبلغ أحدهم عن الحادث في المحطة؟ كانت تشعر بالخجل الشديد والإحراج بسبب افتقارها الكامل للسيطرة. كانت ستخرج مشاعر أبيها لو كان قد أخبر عن تصرفها غير اللائق. والان تشعر بالقلق: هل قالت أي شيء لا ينبغي لها أن تقوله؟ سمعت شائعات عن أشخاص قالوا الكثير في انتهاك للأمن. لقد اختفوا ولم يروا

من بعد ذلك. كانت هناك نكات تثير التوثر العصبي حول المكان الذي ذهبوا إليه، لكن أحدًا لم يضحك كثيرًا لأن النكات قد تكون حقيقية.

ألا أنه بعد ذلك لم يتم استدعاء أحد إلى نائب المدير للشؤون اليومية. ثم قفزت على دراجتها ورجعت إلى السكن.

رفع القائد ترافيس نظره عن أوراقه ونظر إلى أعلى عندما دخلت. أشار لها بالجلوس على الكرسي إلى بجانب مكتبه. فجلست على حافته.

وقال: «سمعت أنك واجهت مشكلة صغيرة في وقت سابق اليوم، ليدي باميليا؟». لقد كانت رسمية لقبها في حد ذاتها مثيراً للقلق.

«مشكلة يا سيدي؟».

«سمعت أنك انهرت في الشارع خارج المحطة. ألا تأكلين ما يكفي؟ أعلم أن الطعام ليس شهياً دائماً».

«أتناول ما فيه الكفاية يا سيدي».

«وأنا أعلم أن للتوبات الليلية تأثيراً سيئاً وتسبب الكثير من المعاناة للجسم!».

«ولكن علينا جميعاً أن نتناوب ونقوم بنصيبنا. أنا لا أستمتع بها. لا يبدو لي أنني أحصل على قسط كافٍ من النوم عندما أكون في نوبة ليلية، ولكن لا بد من أن يكون الوضع نفسه بالنسبة إلى الآخرين جميعاً».

سألها: «هل أنت بخير؟». وهو يرمقها بثبات واهتمام وبعينين مفتوحتين. ثم انتظر ثانية أو

اثنتين قبل أن يضيف: «هل لديك ارتباط خاص بأحد شبابنا؟»

«في الحقيقة»، ضحكت في ذلك الوقت. قالت: «لست حاملاً إذا كان هذا ما قصدت».

«أنت لا تبدين لي أنك من النوع الذي يصاب بالإغماء بالنسبة لي». ثم انحنى مقترباً منها عبر مكتبه قائلاً «إذن، ما الأمر؟».

«أسفة ياسيدي. أشعر بحماقة كبيرة. ومن المؤكد أنك على حق. أنا لم أعود نفسي على القيام بهذا النوع من الأشياء».

بدأ بتقليب صفحات ملفها وقراءتها، ثم سألها: «كم من الوقت مضى على إجازتك الأخيرة؟».

«ذهبت إلى المنزل لبضعة أيام في عيد الميلاد، يا سيدي».

«إذن لقد تأخرت».

«لكننا نعاني من نقص الموظفين في الكوخ الثالث. لن يكون ذلك صحيحاً أن...».

«يا ليدي باميلا، أتوقع أن يقوم الموظفون لدينا بعمل من الدرجة الأولى. لكن لا يفكّني أن أتركهم يضحكون علينا. خذي إجازة لمدة أسبوع».

«ولكن لن يكون هناك أحد ليحلّ محلّي، ولا يفكّني أن...».

«متى تنتهي نوبتك الحالية؟».

«في نهاية الأسبوع».

«إذن انه نوبتك واذهي إلى البيت بعد ذلك».

«أوه، لكن سيدي. . .».

«هذا أمر، يا ليدي باميلا. اذهبي إلى المنزل، واستمتعي بقضاء وقت ممتع وعودي منتعشة».

«نعم سيدي. شكراً لك».

فقط عندما نزلت على درجات المنزل الكبير، ظهرت عليها الآثار الكاملة لهذا. كانت ستعود إلى المنزل، وقد عاد جيرمي بأمان إلى بريطانيا. قد يكون بالفعل في نيزركوت. فجأة كان كل شيء مناسباً في العالم.

الفصل الثاني

فارلي بليس بالقرب من سيفين أوكس، كينت 19 أيار، 1941

كان ابن صائد الطرائد هو من رصدها أولاً. لقد كان خارج المنزل عند الفجر للتحقق من الفخاخ (لأن تقنين الحرب كان يعني أن الأرنب كان في قائمة الطعام حتى في المنزل الكبير). لقد كان واجباً قام به عن طيب خاطر، محباً لحرية الزيف وعزلته، لا يزال في رهبة اتساع وخضار كل شيء، من القوس الهائل للسماء مثل الرجاج الأزرق الشاحب فوقه. بعد شقة في ستيني والأزقة مع شريط صغير من سماء ضيقة متسخة، لا تزال فارلي تبدو من غير المحتمل أن تكون حقيقية.

هذا الصباح بالذات كان عائداً خالي الوفاض. لقد اشتبه صائد الطرائد بأن بعض فتیان القرية كانوا يسهلون على أنفسهم التعامل مع الأرانب الغربية أو الحجل، ويتحدثون عن نصب الأشرار للقبض على الناس. لقد جلبت فكرة الأشرار منكهات إضافية للإثارة إلى العمل اليومي للصبي. ولقد تساءل: كيف سيكون شعور المرء لدى رؤية أحد أولاد القرية الأكبر منه يقبض عليهم في فخ - الأولاد الذين كانوا يحصلون على الكثير من المتعة في التنمر عليه، وإعطائه أوامر بطريقة مهينة لأنه أصغر وأضعف ولكونه دخيلاً عليهم. سارع بخطى واسعة نحو الكوخ، ومعدته تتضور جوعاً وتثوق إلى العصيدة

والبيض، البيض الحقيقي، وليس الأشياء المجففة التي كان مذاقها كمذاق الورق المقوى. سيكون يوماً صيفياً مثاليًا دافئًا ومبكرًا من فصل الصيف. كانت خيوط الضباب عالقة فوق المروج، وكان الوقواق يغرد بصوت عالٍ مغطيًا على جوقة طيور الصباح.

خرج الصبي من الغابة، ودخل الحدائق التي أحاطت بالمنزل الكبير، باحثًا بعناية عن الغزلان التي لا يزال خائفًا منها. يخشاها، حيث العشب الأخضر الناعم الذي تتخلله أشجار البلوط، والكستناء، وأشجار الزان النحاسي، وبعد ذلك، ألقى نظرة خاطفة على المنزل الكبير الذي يرتفع كقلعة خرافية فوق الأشجار. لقد كان على وشك أن يسلك المسار الذي كان يؤدي إلى الكوخ حين رأى شيئًا راقدًا على العشب - شيئًا بنيًا، وإلى جانبه، رأى شيئًا طويلًا وخفيًا مرفرفًا قليلًا، مثل طائر جريح وكبير. لم يكن قادرًا على تخيل ما يُفكن أن يكون، وذهب نحوه بحذر، لأنه لا يزال مدركًا بأن البلاد كانت مليئة بالمخاطر غير المتوقعة. لما اقترب أكثر، اكتشف أن رجلًا كان مستلقيًا هناك يرتدي زيًا عسكريًا ووجهه للأسفل وأطرافه في زوايا غير محتملة. كانت تخرج خيوط من رزمة على ظهره، وكانت الخيوط مرتبطة بما يشبه خيوطًا طويلة من القماش الأبيض. استغرق الأمر بعض الوقت ليدرك أنها كانت مظلة، أو بقايا مظلة، لأنها كانت ملقاة هناك رخوة وبلا حياة، ممزقة ومرفرفة بشكل يثير الشفقة في النسيم. أدرك الصبي عندئذ أن الرجل قد سقط حرفيًا من السماء.

لقد وقف للحظة، متسائلًا ماذا يفعل، وهو يشعر بالمرض قليلاً لأنَّ الجثة كانت قد تعرّضت لأضرار فظيعة، وكانت قد لظخت العشب المحيط بها بالدم. وقبل أن يتمكن من اتخاذ قراره، سمع ضربات حافر على العشب كما سمع جلجلة لجام. نظر إلى أعلى فرأى فتاة على حصان أبيض سمين تعدو نحوه. كانت فتاة أنيقة، وتضع خوذة مخملية اللون وترتدي سروال ركوب الخيل، وسترة صوفية، ولما اقتربت أكثر، عرف أنها الليدي فوبي، وهي أصغر بنات البيت الكبير. لقد أدرك مرتعبًا أنها ستدوس الجثة بشكل مباشر إذا لم يمنعها. فركض إلى الأمام ملوِّحًا لها بذراعيه.

صرخ قائلاً: «توقفي!».

انزلت المهرة للتوقف، وصهلت، ورقصت، ورفضت بعصبية، لكنَّ الفتاة تشبّثت بمقعدها جيدًا على صهوة المهر.

قالت: «ماذا تعتقد أنك تفعل؟ هل أنت مجنون؟ كان من الممكن أن تسقطني أرضًا. كان من الممكن أن يدوسك سنوبول».

فقال لها: «يجب ألا تسيري في هذا الاتجاه. كان هناك حادث. وأنت لا تريدين رؤيته».

«أي نوع من الحوادث؟».

نظر إلى الوراء قائلاً: «سقط رجل من السماء. لقد تحظم كلّه تمامًا. إنه شيء فظيع».

«سقط من السماء؟»، كانت تبذل جهدًا لتجاهل ما

قاله. «مثل الملاك، أليس كذلك؟».

قال: «إنه جندي. لا أعتقد أن مظلمته قد فتحت».

«غير معقول! كم هذا رهيب! دعني أر». حاولت
حث المهر للتحرك للأمام، لكنه كان لا يزال يشخر
ويرقص بعصبية.

خطا الفتى خطوة ليقف بينها وبين الجثة مرة
أخرى قائلاً: «لا تنظري يا أنسة. أنت لا تريدين رؤية
أشياء من هذا القبيل».

«بالطبع أريد. أنا لست حساسة بشكل مفرط، كما
تعلم. لقد شاهدت الرجال وهم يذبحون خنزيرًا.
الآن، كان الأمر فظيغًا بالفعل إلى حد ما. إذ إنَّ
الطريقة التي صرخ بها جعلتني أقرر عدم أكل لحم
الخنزير المقدد مرة أخرى أبدًا. لكنني أعشق لحم
الخنزير المقدد، لذلك لن يدوم ذلك القرار طويلًا».

لقد دفعت المهر إلى الأمام، مجبرة الضبي على
التنحي. تقدّم المهر بضع خطوات بعصبية، ثم
توقّف، وشعرت بأنه لا يريد الاقتراب أكثر. وقفت
فوبي في السرج ونظرت بصعوبة.

قالت: «غير معقول! يجب أن نقول لشخص ما».

«يجب أن نخبر شبان الجيش. هو واحد منهم،
أليس كذلك؟»

«أليس كذلك» فصحة الخطأ اللغوي الذي ارتكبه.
«حقًا، قواعد اللغة عندك فظيعة».

«أتركي قواعد النحوية وشأنها، يا أنسة، إذا كنت
لا تمانعين في أن أقول هذا».

«بالطبع أنا أمانع. ولست أنسة، أنا الليدي فوبي ستون، وعليك أن تخاطبني يا سيدتي».

قال: «أنا أسف»، وهو يبتلع كلمة «أنسة» التي كانت على وشك الخروج من فمه.

قالت بحزم: «يجب أن نخبر والدي. إنها لا تزال أرضه على الرّغم من أنّ الجيش يستخدمها في الوقت الحالي. لا تزال تنتمي إلى مزرعة فارلي. هيا. من الأفضل أن تأتي معي».

«إلى البيت الكبير، أنستي؟ أعني يا سيدتي؟»
«من المؤكد. بابا دائمًا ما يستيقظ في وقت مبكر. أما البقية فيبقون نائمين».

بدأ يمشي إلى جانب المهر.
تساءلت: «أنت الصبي الذي يقيم مع صائد الطرائد، أليس كذلك؟».

«صحيح. اسمي ألفي. جئت من الدخان في الشتاء الماضي».

«الدخان؟ أي نوع من الدخان؟»
ضحك عندئذ قائلاً: «هذا هو الاسم الذي نطلقه نحن الكوكنيز على لندن».

نظرت إليه بطريقة ناقدة قائلة: «لا أراك كثيرًا في الأرض».

«أنا في المدرسة بالقرية طوال اليوم».
«ما رأيك بها؟».

«كل شيء على ما يرام. أطفال القرية يتنمرون

علي لأثني صغيرٍ بحسب عمري، وليس لدي أي شخص ليدافع عني".
«هذا ليس لطيفًا».

نظر إلى وجهها الصغير المتغطرس، وهو وجه بدا متصلخًا مع نفسه وأمنًا جدًا. قال: «إذا لم تكوني قد لاحظت، الناس ليسوا لطفاء. هناك حرب مستعرة».

يحلّق الطّيارون فوق لندن كل ليلة ويسقطون القنابل ولا يهتمون بمن يقتلون - النساء، والأطفال، وكبار السن... لا يهمهم ذلك الأمر. لقد رأيت طفلًا بعد انفجار قنبلة. كان ممددًا على الأرض هناك في الشارع، ويبدو كما لو لم تكن هناك علامة عليه. وذهبت لأخذه، لكنه كان ميتًا تمامًا. ومرة أخرى ركضت امرأة في الشارع وهي تصرخ، وجميع ملابسها قد خُلعت عن جسدها في الانفجار، هل تعرفين ماذا كانت تقول؟ كانت تقول وهي تصرخ: «يا ولدي الصغير. لقد ذفن تحت هذه الأنقاض كلها. فليُنقذ الصغير».

لانت لهجة فوبي. وقالت: «لقد كنت عاقلاً بمجيتك إلى هنا بعيدًا من الدخان. كم عمرك؟»
«إحدى عشرة، ما يقرب من اثنتي عشرة».

قال بفخر: «لقد بلغت الثانية عشرة من العمر. كنت أمل أن يرسلوني إلى المدرسة عندما يصبح عمري ثلاثة عشرة، لكنني لا أعتقد أن هذا سيحدث الآن. ليس مع الحرب المستمرة. لكن أخواتي قد ذهبن إلى المدرسة، كم هن محظوظات».

«هل تقصد أنك لم تذهب إلى المدرسة بعد؟»

«لا. لقد كان لدي دائمًا مربية. إنه أمر ممل جدًا القيام بالدروس لوحدها. لكن الأمر كان مختلفًا بالنسبة إلى أخواتي لأنهن كنَّ شقييات، وكنَّ يخدعن المربية. لكنني كنت فكرة لاحقة. تقول ديدو إنني كنت عرضيًا».

«من تكون ديدو؟»

«أختي ديانا. إنها في التاسعة عشرة من عمرها. إنها غاضبة من الحرب لأنه كان يفترض بها أن تخرج العام الماضي».

«تخرج، مم ستخرج؟»

ضحكت فوبي، كانت ضحكتها مزيفة ومتعالية إلى حد ما. «أنت لا تعرف أي شيء، أليس كذلك؟ الفتيات مثلنا لديهن موسم ويجري تقديمهن إلى الديوان الملكي. نذهب إلى الحفلات الراقصة، ومن المفترض أن نجد زوجًا. لكن ديدو عالقة هنا بدلًا من ذلك، وتموت من الملل. وكانت الأخريات الأكبر سنًا كلهن قد حصلن على فرصهن».

«وتزوجت؟»

«تزوجت ليفي. لكنها كانت دائمًا الطفلة الطيبة، كما تقول ديدو. تزوجت إدموند كارينغتون الفمل وقد أنجبت ولي العهد منذ وقت قريب».

سألها ألفي: «الهواء (17)؟»، ما جعلها تضحك مرة أخرى.

ليس هذا النوع من «الهواء». أقصد أنها أنجبت

الابن المطلوب ليرث اللقب في يوم من الأيام. لم يستطع أبي وأمي إنجاب ذكر، ما يعني أن فارلي سوف تذهب إلى ابن عمّ بعيد عندما يموت بابا، وسيصبّ الماء البارد علينا، وسنُخرم من كل شيء، كما تقول ديدو. لكنني أعتقد أنها كانت فقط تضايقني. لا تحدث هذه الأيام أشياء من هذا القبيل، أليس كذلك؟ خصوصاً مع استمرار الحرب».

توقفت مؤقتاً في أثناء استيعاب ألفي لهذه المعلومات، ثم تابعت: «لكن الآخرين لم يطيعوا القواعد تماماً، ما أثار غضب بابا كثيراً.

ذهبت مارغوت إلى فرنسا لدراسة الأزياء في باريس، والتقت رجلاً فرنسياً وسيماً. لم ترغب في المغادرة حين أُتيحت لها الفرصة، وهي الآن محاصرة في باريس، ولا نعرف ماذا حدث لها. أما بالنسبة إلى باما، حسناً، إنها لطيفة حقاً وذكية جداً. لقد أرادت الذهاب إلى الجامعة، لكن بابا قال إن تعليم النساء مضيعة للوقت. أعتقد أن لديها شخصاً أرادت أن تتزوجه، لكنه ذهب إلى سلاح الجو الملكي البريطاني، وتم إسقاطه وهو في أحد معسكرات الاعتقال في ألمانيا. لذلك كل شيء محزن، أليس كذلك؟ هذه الحرب البشعة تفسد حياة الجميع».

هزّ ألفي رأسه بالموافقة. ثم قال: «والدي مع الجيش في شمال إفريقيا. لا نكاد نسمع عنه شيئاً، وعندما نسمع، تكون ورقة صغيرة جداً معظم كلماتها قد تم حذفها من قبل الرقابة. بكت أُمي في

المرة الأخيرة التي وصلت فيها آخر رسالة».

كان ألفي يلهث، ماشيًا بسرعة لمواكبة سرعة المهر ومتحدثًا في نفس الوقت عينه حين عبر العشب الناعم للحدائق، ومزا بموقف من الأشجار (18)، ووصلا إلى حافة الحدائق الرسمية. كانت لا تزال هناك صفوف مثالية من شجيرات الورد، وحدود عشبية، لكن تيجان الزهور أصبحت الآن متضخمة، ولم يتم تشذيب الورد. إلى جانب واحد، جرى حفر العشب وتحول إلى حديقة مطبخ أخرى. وكان ما وراءها، حيث سمحت الساحة الأمامية ذات مرة بجز العربات، كانت هناك صفوف من عربات الجيش المموهة.

لم يكن يقترب ألفي من المنزل الكبير إلى مثل هذه المسافة. لذا كان يحدق فيها الآن متعجبًا. كان قد أخذ إلى قصر باكنغهام ذات مرة، وهذا كان بالحجم نفسه والجاهزية. لقد تم بناؤه من الحجر الرمادي الصلب، وكان ارتفاعه ثلاثة طوابق، وكان السقف مزينًا بالأبراج من كلا الطرفين. لقد برز جناحان من الأمام ليشكل شكل الحرف /E/ مع مدخل مركزي مهيب مشكلًا الشريط الأوسط من الحرف. تدعم الأعمدة عند هذا المدخل المركزي مساحة مثلثية تشكل الجملون مزينة بشخصيات كلاسيكية تشارك في معركة. بيد أن انطباع العظمة قد جرى إفساده بمجموعة من الجنود، وهم ينزلون بطريقة بطينة ومريحة على درجات الزخام، ويضحكون، ويدخنون. كان هناك المزيد من الجنود

يقفون حول مركبات الجيش من مختلف الأشكال والأحجام، ومن الجانب الآخر من المنزل، كان يصدر صوت دؤس أقدام وصرخات الرقباء المسؤولين عن التدريبات العسكرية في حين كان يجري استعراض الرتب العسكرية في العرض الصباحي.

اقترب اثنان من الضباط، وهما يمشيان نحو الجيب. قال واحد منهم بطريقة ودية: «مرحبًا، أيتها الأنسة الشابة، أنت ذاهبة في جولة، أليس كذلك؟». قالت فوبي بطريقة لائقة: «لقد كنت بالفعل، شكرًا لك. نحن فقط نعيد مهري إلى الإسطبلات».

نظرت إلى الأسفل إلى ألفي بمجرد تخطي الجنود قائلة: «لا تذكر لأبي أنني كنت أمتطي الحصان وحدي. لأنه سيفضب. ولا يفترض بي أن أخرج من دون السائس. لكن هذا سخيف للغاية، أليس كذلك؟ أنا فارسة جيدة للغاية، وأصبح السائس كبير السن ولا يرغب في ركوب لخيول».

هز ألفي رأسه علامة الموافقة. الآن بعد أن أضحى قريبًا من المنزل الكبير، كان لديه شعور غير سار وضيق في المعدة من شدة التوتر. كان يتذكر بوضوح تامّ اليوم الذي كان قد وصل فيه إلى هنا. لقا كانت أول رحلة بالقطار قادمًا من الذخان، كما أسماه، كان مظهره يبدو مثل عينة صغيرة مثيرة للشفقة - كان هزيلًا وصغير الحجم بالنسبة إلى عمره، ويرتدي سروالًا قصيرًا أكبر بقياس واحد كبير من قياسه الحقيقي، مظهرًا ركبتين نحيلتين تغطيهما قشور الجروح من الدم اليابس. كان أنفه

يسيل، وكان يمسحه بظهر يده، تاركًا وراءه خيظًا من المخاط على وجنتيه. لا عجب أنه كان آخر الأطفال الذين تم إجلاؤهم، والذي تمكن من العثور على شخص مستعد لاستقباله. في النهاية، وضعه الضابط المكلف، وهي الأنسة هيمب هاتشيت، التي تشغل منصب قاضي الصلح المحلي، ونقيبة مرشدي الفتيات، في الجزء الخلفي لسيارة الموريس التي تمتلكها واقتادته إلى فارلي.

كانت قد قالت بصوت عالٍ جعل أجيالاً من المرشديات ينتبه بشغف: «يجب أن تأخذه يا ليدي ويسترهام. ببساطه لا يوجد أحد آخر، ولديك مكان أكبر من بقيتنا».

كانت قد غادرت بعد ذلك تاركة الصبي واقفاً هناك، محدقاً برهبة في بهو الزدهة الرخامية بأسلحتها، وصور أسلافها وهي تنظر إليه نظرات نفور.

«الوجه البشع الملعون»، انفجر اللورد ويسترهام حين جاءت السيدة ويسترهام لإبلاغه بذلك. «من تظن نفسها هذه المرأة الحمقاء حتى تملي علينا ما نفعل؟ أين يعتقد هؤلاء الأشخاص الملعونون أننا سنضع الشقي؟ لقد استولى الجيش لتوه على ثلثي منزلنا. وجرى تحويل منزلنا إلى جناح واحد، وجناح ملعون غير ملائم أيضًا. هل تعتقد أنني سأضع طفلًا من الأحياء الفقيرة على سرير المخيم في غرفة نومي؟ أم أنه يجب أن يشارك إحدى بناتي غرفتها؟»

قالت السيدة ويسترهام بطريقتها الهادئة: «لا

تصرخ يا رودى»، بعد أن اعتادت فورات غضب زوجها لثلاثين سنة من الزمن: «الغضب يجعل عينيك تنتفخ أكثر بطريق غير مستحبة. هناك حرب مستعرة، ويتعين علينا القيام بدورنا، ويجب أن يبدو لمعظم الناس أننا نقوم بما هو أكثر من نصيبنا العادل».

«إذن، من المفترض أن يكون لدينا طفل فقير يصل ويجول في منزلنا؟ راکضاً ومشغولاً للغاية بالقيام بالكثير من الأشياء المختلفة، حتى بالصناعة اليدوية للفضة، يجب ألا أستغرب. الأمر ليس كذلك، يا إيسم. إنه ببساطة غير مفكن. كيف يمكنني الاستمتاع بشراب الجن والمنشط في مكتبي، وأنا لا أعرف أبداً ما إذا كنت سأقاطع من قبل طفل فاسد؟ أخبري تلك المرأة القبيحة، أننا لن نفعل ذلك، وهذا كل شيء».

قالت الليدى ويسترهام بلطف: «يجب على المخلوق الصغير المسكين أن يجد مكاناً للإقامة، يا رودى. لا يمكننا إعادته إلى الشوارع التي تعرضت للقصف. ربما يكون والداه قد ماتا. كيف سيكون شعورك إذا سلخت من كل الناس الذين تعرفهم».

«ماذا عن المزارعين المستأجرين؟ لقد قاموا بتوفير المأوى للأطفال. ثم ماذا عن الوسائل خارج المنشأة؟ أليس هناك أي من البيوت الاحتياطية؟».

قالت: «لا يمكنك وضع طفل في كوخ فارغ». لقد توقفت مؤقتاً، ونظرة متعبة واضحة تظهر على وجهها.

«وجدتها! يجب أن يكون لدى عائلة روبنز غرفة نوم احتياطية بعد استدعاء ابنيهما للالتحاق بالجيش. وروبنز ليس من الأفراد اللطفاء، خذ ذلك مني، بيد أن السيدة روبنز طبّاحة جيّدة. هذا المسكين الفقير الصغير يحتاج إلى تسمين».

كان ألفي يسمع هذه المحادثة وهو يقف وحيداً يرتجف في البهو. لم يدركوا أن أخشى ما يخشاه أنه سيتعين عليه البقاء في مكان مثل هذا، حيث يشعر بالزّعب في كل لحظة من لقاء شبح أو كسر شيء ما. بدت فكرة كوخ مع طبّاخ فكرة أفضل بكثير.

قالت فوبي: «هنا. امسك اللجام لحظة حتّى أترجل»، حيث أعادته مرّة أخرى إلى الوقت الحاضر. أدرك ألفي أنّها اعتادت إعطاء الأوامر. لقد فعل ما قيل له، على الزّغم من أنّه لم يلمس الحصان من قبل. وقف المهر ساكناً، هادئاً ومسالماً، في حين أن فوبي كانت تخرج قدميها من ركابها لتنزل على الأرض. ثم انطلقت إلى الإسطبلات، تاركة ألفي للسير خلفها، وهو لا يزال يقود المهر. ولما كانا قد اقتربا جاء السّانس يركض نحوها، محمّز الوجه وملوّخاً بذراعيه.

«كان عليك عدم إخراج سنوبول لوحداك من دوني، يا صاحبة السّعادة. أنت تعرفين ما قاله صاحب السّيادة».

أومات فوبي برأسها بتحدّ قائلة: «هذا كلام سخيف يا جاكسون. أنت تعرف أنّي أجيد ركوب الخيل بمهارة ممتازة»، وبدا المهر يعكس سلوكها،

وكاد يفلت زمامه من قبضة ألفي.

قال: «أعرف أنك فارسة صغيرة رائعة، يا سيدتي. اعتقد أن والدك أكثر قلقًا بشأن جميع الجنود الذين يتسكعون هنا. لم نعد أمنين، حتى في ديارنا».

كانت حدود فوبي وردية إلى حد ما، لكنها قالت: «يفكنك أن تأخذ سنوبول الآن. يجب أن أخبر والدي بشيء مهم».

أخذ السائس المهر، وتبع ألفي فوبي، الذي كان يخطو خطوات واسعة نحو المنزل الكبير. كان عليه أن يركض للحاق بها وهي تتجه نحو الدرج الأمامي. للحظة كان يميل إلى تركها تدخل بمفردها حيث يستطيع التسلل إلى منزل صائد الطرائد، وهو يعلم أن الإفطار ينتظر. ولكن في الثانية الأخيرة، استدارت إلى الوراء، ممسكة الباب. قائلة وصبرها ينفذ: «تعال يا ألفي. هيا تحرك».

كانت قاعة المدخل مخيفة كما كانت تعهدا؛ الآن كان رجوع صدى أقدامهم يتردد على أرضية من البلاط الرخامي إلى قبو السقف المرسوم بالأعلى. كانت مجموعة من الضباط تنزل على الدرج الرئيسي.

همس ألفي إلى فوبي: «يفكننا أن نقول لهم».

«قلت لك إنها أرض أبي. يجب أن يعرف أولاً».

مرّت بالضباط الذين أومأوا لها برؤوسهم بالتحية، وهم يعبرون البهو، ثم استدارت إلى اليسار. المعرض الطويل الذي يمتد على طول المبنى قد تمت تغطيته بالخشب الزقائقي، مع باب شديد حديثًا

كتب عليه علامة «جناح الأسرة: خاص». فتحت فوبي الباب، ووجد ألفي نفسه في المعرض. لقد جرى تنظيمه على شكل خطوط مع تليسة البلوط. كان السقف العالي محفورًا بورود تيودور الفضية، وعلى طوله كانت هناك نصب تذكارية لرؤوس حيوانات، فضلًا عن نسيج مزدان بالرسوم والصور لمشاهد الصيد. بالنسبة إلى ألفي، كان الأمر مزعجًا للغاية، لكن فوبي تابعت التحرك بخطوات واسعة من دون أن تلاحظ ذلك.

في نهاية القاعة، وصلا إلى بهو آخر مع درج على جانب واحد، وليس مترفًا مثل الجانب المركزي. نظرت فوبي حولها قائلة: «أتمنى أن يكون قد استيقظ. أنا متأكدة أنه مستيقظ».

لدى سماع صوتها، ظهر كبير الخدم وقال: «لقد عدت من جولة ركوب الخيل لتوك، سيدتي؟ صباح جميل».

قطعت فوبي كلماته متسائلة: «هل رأيت أبيبا سوامز؟». يجب أن أجده. إن الأمر مهم».

«رأيته ينزل على الدرج قبل بضع دقائق يا سيدتي، لكنني لست متأكدًا أين ذهب. هل تريدين مني تحديد مكانه لك؟».

«كل شيء على ما يرام. سنجده. هيا، يا ألفي»، قالت هذا فوبي وانطلقت مرة أخرى أسفل ممر مركزي تصطف عليه صور العائلة. نادى: «بابا، بابا أين أنت؟».

كان اللورد ويسترهام جالسًا على طاولة الإفطار

على وشك الهجوم على تُل من الكيدجريه (19). وكان يفكر قائلاً: الحمد لله على السمك المدخن. إنه واحدة من الأشياء القليلة التي لا تزال تستحق الأكل. لا يبدو أنه ظهر في كثير من الأحيان في محل السمك المحلي، لأن الصيد في بحر الشمال أصبح مهنة خطيرة. ولكن حين كان السمك المدخن متوافراً كان تاجر السمك يبعث برسالة إلى فارلي، وكان يحتفظ بزوجين من الأسماك تحت الطاولة. قالت زوجة تاجر الأسماك: «أعرف كم كان سيادته مولعاً بالسمك». في الأيام الخوالي، كان يمكن أن يكون كل زوج من هذه الأسماك وجبة لطعام الفطور. لكن الآن كان على السيدة مورتلوك الاستفادة إلى أقصى حد من خلال استخدامها في الكيدجريه بدلاً من سمك الحدوق التقليدي المدخن.

كان قد تناول للتو لقمة حين سمع أحدهم يصرخ. لم يكذب يعرف أن الصوت كان صوت ابنته الصغرى، حين اندفعت إلى الغرفة.

«هل صنعتم هذا النزاع غير اللائق». نظر اللورد ويسترهام نظرة تجهّم، وغضب، وتهديد إليها وهو يلوح بشوكته. «ألم تعلمك مربيته أساسيات السلوك الجيد؟»

«لا يا بابا، لقد أخبرتني دائماً أن الليدي لا ترفع صوتها أبداً، لكنها حالة طارئة. كان علي ببساطة أن أجدك على الفور. لقد وجدنا جثة. على الأقل وجدها ألفي، ومنعني من المرور فوقها وأنا على المهر».

ألقي اللورد ويسترهام الشوكة قائلاً: «ماذا؟ ما هذا؟»، ملقياً نظرة على ألفي، محاولاً أن يتذكر من كان ولماذا كان طفل غريب في غرفة إفطاره.

«جثة يا أبتني في الحقل البعيد سقط من السماء. إنه لأمر فظيع إلى حد ما، ولكن عليك أن تأتي».

وأضاف ألفي قائلاً: «لم تفتح مظلمته»، ثم تمنى لو أنه ظل صامتاً حين استدار اللورد ويسترهام ليحذق به. كانت نظرة اللورد ويسترهام التي تحذق فيه بثبات، تحت تلك الحواجب الكثيفة، مزعجة بشكل كبير، وابتلع ألفي لعابه بعصبية، ملقياً نظرة سريعة على الباب متسائلاً ما إذا كان الهروب مُفكناً. قال اللورد ويسترهام: «ماذا كنت تفعل على أرضي؟ لن أستغرب الصيد غير المشروع».

أجاب ألفي: «لا سيدي. أنا أبقى مع صائد الطرائد. هل تتذكر؟».

«نعم بالتأكيد. هذا هو أنت».

قال ألفي: «لقد أرسلني لأتفحص الفخاخ في الصباح الباكر». «وعندها رأيت هذا الشيء ملقياً هناك، ولم أكن أعرف ما كان، لذلك ذهبت لأرى ماذا هناك، وكان ذلك رجلاً محظوظاً بالكامل. كانت الفوضى تعمه. ثم جاءت ابنتك تعدو بسرعة على مهرها نحوه، لذلك أوقفته، وقالت إنها يجب أن نخبرك أولاً».

وضع اللورد ويسترهام منديله ووقف قائلاً: «هذا صحيح. صحيح تماماً. حسناً، افترض أنك من

الأفضل أن تأخذني لأرى، أليس كذلك؟» لقد حدّق بعينيه بانزعاج عندما أسرع اثنان من كلاب الصيد باتجاه الباب لشعورهما بأن سيدهما على وشك الخروج. وأكّد عدم خروج هذين الكلبين البغيضين. «لا أريدهما أن يتفخّصا جثّة».

نظر إليهما بينما كانا يحزّكان ذيليهما بشعرهما الطويل بحماس شديد، وأعينهما مثبتتان عليه، وقد خفّت نبرته بطريقة لم يخاطب بها حتى أولاده.

«أسف يا سانت جون. أسف يا ميسي، أيتها الفتاة العجوز. لا يمكنني أن اصطحبكما، هذه المرّة. لكننا سنقوم بتعويض ذلك لاحقًا»، مرتبًا بسرعة على رأسيهما. ثم أمرهما: «إبقيا الآن!» جلس الكلبان، وعلامات القلق تبدو عليهما. لقا وصل تجمعهم الصّغير إلى نهاية المعرض الطويل، استدارت فوبي لترى الكلبين لا يزالان جالسين في ظل شعاع من أشعة الشّمس.

الفصل الثالث

فارلي، المطبخ، شهر أيار 1941

نظرت السيدة مورتلوك إلى أعلى من طاولة المطبخ، وكان مرفقًا ذراعيها منغمسين بعمق في الدقيق بينما كان الخادم الشّخصي يدخل من الباب الأخضر الفاصل بين الخدم والعائلة، وسألت: «ما سبب تلك الجلبة كلها يا سيد سوامز؟». أجابت إلسي الشابة بأنها سمعت الصراخ لقا كانت تحمل الماء الساخن للأنسة ليفي.

قال السيد سوامز بطريقة هادئة ومنضبطة: «بدا أن الليدي فوبي متحمسة للغاية بخصوص شيء ما. لم أسمع القصة بأكملها، لكنني سمعت شيئًا ما عن جثة».

«جثة؟ حسنًا، أنا أبدًا. ما الخطوة التالية؟». قامت السيدة مورتلوك بنفض يديها حتى ارتفعت سحابة من الدقيق حولها. «الليدي فوبي المسكينة. لا تقولوا لي إنها مزت فوق جثة. إن صدمة من هذا القبيل يمكن أن تحدث خللاً في عقل فتاة شابة حساسة مثل الليدي فوبي».

ابتسم السيد سوامز قائلاً: «أشك في أن الليدي فوبي قوية مثل أي واحدة منكن، يا سيّدة مورتلوك. ولكن كما تقولين، من المقلق للغاية التفكير في جثة هنا في فارلي».

مبتعدة عن وعاء الخلط حيث إنها كانت مهتمة حقًا، تساءلت مورتلوك: «أين تم العثور عليها؟ هل

عثر عليها شخص من معارفنا؟».

«ليس هذا ما سمعت. فقط إنها وجدت جثة. وحيث إنها جاءت لتوها وهي ترتدي ملابس ركوب الخيل، يجب على المرء أن يفترض أنها وجدتتها على الأرض.».

علقت خادمة المطبخ روبي من عند بالوعة المطبخ قائلةً: «إنهم الجنود. إنهم جميعًا متعطشون للجنس.».

كان هناك لهاث صادر عن السيدة مورتلوك.

سأل السيد سوامز بنبرة قوية: «أين سمعت هذه اللغة يا روبي؟ ليس هذا ما أتوقعه من الخدم في منزل مثل هذا.».

قالت روبي: «لقد سمعت ذلك من إلسي. كانت تقول ذلك لجيني. وهي تحصل عليها من أوراق الصور الفوتوغرافية. إنهم يتحدثون دائمًا عن الجنس في هوليوود. في أي حال، قالت إلسي إن الجنود جميعهم متعطشون للجنس. لقد دعاها بعضهم للذهاب إلى الحانة معهم حين كانت تقوم بتلميع مطرقة الباب.».

قالت السيدة مورتلوك: «أمل أن تكون قد أوقفتمهم عند حدودهم. تحدّث إليها يا سيد سوامز. لا يفكنا أن نتغاضى عن المعايير لمجرد وجود حرب مستعرة.».

«من المؤكد سأحدّث إليها، يا سيدة مورتلوك. يحدث هذا دائمًا عندما لا يكون هناك مدبرة منزل،

وعندما لا يوجد خدم كبار يشرفون على الأمور. الصغار لديهم أفكار».

سألت السيدة مورتلوك: «هل قالوا أي نوع من الجثث كانت تلك الجثة؟».

تابعت روبي قائلة: «أراهن أنهم قاموا بإغراء فتاة ما من القرية، وحصلوا على ما يريدون منها، وماتت من الصدمة».

ردّ السيد سوامز بحزم: «هذا يكفي يا روبي. لا أرغب في سماع مثل هذا الحديث مرّة أخرى».

وقالت السيدة مورتلوك وهي تنظر إلى روبي نظرة تحذير طويلة: «ولحسن الحظ، ستكون روبي منشغلة تمامًا بالغسيل وتقشير البطاطا بحيث لا يحتمل أن تواجه أيًا من الجنود. وإذا لم تسرع، فسوف نتأخر عن مأدبة الغداء. لا أعرف ما سيقوله صاحب السيادة عندما يكتشف أنها فطيرة الخضر مرّة أخرى، ولكن لم يعد لدينا كوبونات لحوم لبقية الشهر».

«لا يبدو من العدل ألا تستطيع الأسرة أكل اللحوم الخاصة بها عندما يكون لديها مزرعة وكلها حيوانات».

تنهد السيد سوامز قائلاً: «تلك الحيوانات، يا روبي. حقًا قواعد اللغة الخاصة بك تجعل الكثير من الأشياء مرغوبًا فيها!».

قالت السيدة مورتلوك: «أنا لا أشكو في الحقيقة. أنا أعلم أنّ وضعنا أفضل بكثير من معظم الناس،

ومن الصواب أن يتقاسم الطعام منتجوه مع من يعيشون في المدن. لكن من المؤكد أنه تحدٍ يتمثل في محاولة تناول وجبات شهية على حصة غذائية مقدارها ربع رطل من اللحم للشخص الواحد في الأسبوع".

تمت روبي بصوت عالٍ لكنها كانت تتحدث إلى نفسها قائلة: «لا يبدو من العدل أن أكون عالقة في المطبخ أغسل الأطباق بعد الأكل عندما أستطيع جني أموال جيدة في أحد المصانع».

تساءلت السيدة مورتلوك بقوة: «وأي مصنع سيوظفك؟ يجب أن تكوني ماهرة وذكية لتتمكني من العمل في مصنع. أنت خرقاء. لن تستمري في العمل ليوم واحد. لا، يا فتاتي أنت يجب أن تشعرىكم أنت محظوظة أن صاحبة السعادة وظفتك هنا. خلافًا لذلك، كان من المفكر أن تكوني امرأة تعمل في المزرعة لتحل محل الرجل المتغيب في الخدمة العسكرية، تحفرين الأرض لاستخراج البطاطا في المطر المتجمد».

قالت روبي: «أنا لا أمانع ذلك. على الأقل سيكون هناك أشخاص تتحدثين إليهم. لم يعد الأمر ممتعًا الآن، فقد ذهب جميع الرجال، واقتصر الأمر على إلسي، وجيني، وخادمة ومربية صاحبة السعادة».

قال السيد سوامز: «ليس الأمر ممتعًا بالنسبة إلينا أيضًا، يا روبي. أنا لست سعيدًا بالانتظار على الطاولة أقوم بعمل الخادم الذي يرتدي الزي الرسمي في عمري وبسني الكبيرة. لكنني أفعل ذلك بمرح،

مدرکًا أن الأسرة تعتمد عليّ. وقبل كل شيء، نحن لا نخذل الأسرة. إننا نحاول أن نجعل هذا المكان يبدو وكأنه كما كان دائمًا. هل هذا واضح؟»

ردت روبي بصوت مطيع: «نعم يا سيد سوامز».

تساءلت السيدة مورتلوك: «ألا تعتقد أننا يجب أن نرسل بعض الكاكاو الساخن مع البراندي إلى الليدي فوبي؟ يقولون إن البراندي هو الشيء الذي يفيد عند الصدمة، أليس كذلك؟»

ابتسم السيد سوامز وهو يمشي نحو الباب قائلاً: «من خلال معرفتي بالشباب، أظن أن الليدي فوبي تشعر بإثارة غامرة أكثر من شعورها بالصدمة لدى العثور على جثة، يا سيّدة مورتلوك، وسوف يبدأ الأكل بحماس الآن في مأدبة فطور كبيرة ومرضية».

كانت فوبي تخرج للتو من غرفة نومها عندما انفتح باب بعيد أسفل القاعة، برز رأس بعينين محمّرتين. سألت الليدي ديانا ستون بصوت يظهر تهيجًا مفاجئًا ونفاد صبر: «هل كنت تركضين صعودًا ونزولًا على الدرج موقظة كل واحد من نومه مع بزوغ الفجر؟». كانت ترتدي بيجاما من الحرير الأزرق، وكان قصة شعرها الأشعث الأشقر حول رأسها مباشرة.

قالت فوبي: «لقد بزغ الفجر منذ ساعات، يا ديدو. لقد خرجت بالفعل لركوب الخيل، ولن تخفني أبدًا ما الذي وجدته!».

«لا أستطيع الانتظار. يكاد التشويق يقتلني»، خرجت الليدي ديانا إلى القاعة واستندت إلى هيكل

الباب، كانت تأمل أن يكون أسلوبًا متطورًا وغير مبالٍ. «هل يمكن أن يكون الفطر؟ أو ربما ثعلب؟»
قال فوبي: «لقد كانت جثة، يا ديدو، جثة؟ لشخص ميت».

«الجثث عادة ما تكون ميتة. وكانت هذه واحدة ميتة بالفعل. سقطت من طائرة».
«كيف عرفت ذلك؟»

«لأنه كان يرتدي بقايا مظلمته التي لم تفتح بشكل صحيح».

نسيت ديدو فجأة لباقتها وقالت: «يا للعجب. هل أخبرت أبي؟»

«نعم، لقد ذهب للتحديث رجال الجيش».

قالت الليدي ديانا: «انتظري دقيقة. سأرتدي بعض الملابس، ويمكنك أن تريني إياها قبل أن ينقلوها بعيدًا».

قالت فوبي: «لا أظن أن ذلك سيروق لبابا. وخصوصًا عندما يكون مع رجال الجيش».

قالت ديانا: «لا تكوني مملة، يا فيبس. أنت تعلمين أنه يجب علي الاستفادة القصوى من الإثارة الوحيدة التي من المحتمل أن نجدها هنا. لا أعرف بماذا تشعرين، لكنني أكاد أموت من الملل. هذا ليس عدلاً. كان من الواجب أن يأتي موسمي وأخرج الان إلى المجتمع. كان من المفكر أن أكون مخطوبة لكونت فرنسي شهير مثل مارغوت. ولكن بدلاً من ذلك، لا يوجد سوى جنود فملين ومزارعين

مسيين، ولن يسمح بابا لي حتى بالذهاب إلى لندن. لن يسمح لي أن أكون فتاة فلاحه لأنه يقول إن لدى المزارعين شيئًا واحدًا فقط في أذهانهم. ألا يعرف أن لعابي يسيل بشكل إيجابي لهذا الشيء الوحيد؟”

سألت فوبي: «ما هذا الشيء؟ هل هو حبيب؟»

نظرت إليها فوبي نظرة جعلتها تشعر بالغباء والحرص قائلة: «إنه ممارسة الجنس، يا حبيبتي. أنت لا تفهمين الآن، لكنك ستفهمين في يوم من الأيام. أكره هذه الحرب الغبية. وسألقي نظرة على هذه الجثة سواء كنت ستريني إياها أم لا”. استدارت وعادت إلى غرفة نومها، مغلقة الباب بشدة إلى حد أن الصور المعلقة على الحائط اهتزت بشكل خطير على خطافاتهما.

الفصل الزابع

حقل في مزرعة فارلي شهر أيار 1941

نظر اللورد ويسترهام إلى الضابط الواقف إلى جانبه قائلاً: «حسناً؟ واحد من جنودك، أليس كذلك؟» لم يكن سعيداً على الإطلاق باستيلاء فوج مشاة رويال ويست كينت (20) على منزله، لكنه كان يتقبل قائدهم العقيد بريتشارد جيداً بشكل معقول. لقد كان رجلاً نبيلاً من النوع الصحيح، وقد واجه بعض المتاعب ليتأكد أن الجيش تسبب في حدوث أقل اضطرابات ممكنة.

بدا العقيد بريتشارد وكأنه سيصاب بمرض أو بدوار البحر وهو يحدق في الجثة. كان رجلاً صغيراً يرتدي ملابس أنيقة وله شارب صغير أنيق. ولولا الزي الرسمي الذي يرتديه، لما اعتقد أحد أنه جندي - ربما كان رجلاً نبيلاً من المدينة، أو مدير بنك. لقد نقل الآن حذاءه من منطقة العشب المبلل بالدم قائلاً: «لا يقفز شبابنا من الطائرات. نحن مشاة فقط».

«ولكن، ألا يرتدي الزي الخاص بكم؟»

قَطب العقيد حاجبيه، ثم قال: «من الصعب القول. يبدو قليلاً مثل ذلك. ولكن كما قلت، إذا كان أي شخص يخضع لقيادتي قد مُنح تصريحاً بالقفز من الطائرة، لكان قد تم إخباري بالأمر. بالإضافة إلى ذلك، كان ينبغي لي أن أسمع إذا لم يكونوا جميعهم

حاضرين وغيابهم مبرر بغيابهم».

تساءل اللورد ويسترهام: «إذن ما الإجراء الآن؟ لا يمكننا أن نتركه هنا في حقلي، مسبباً الخوف لغزلاني. وسيتعين على شخص ما إزالته من هنا. هل يجب علينا استدعاء الشرطة المحلية ونقله إلى أقرب مشرحة؟».

رد العقيد بريتشارد قائلاً: «لا أعتقد أن هذا مناسب. الشاب يرتدي الزي العسكري، بعد كل شيء. وسيكون الأمر متعلقاً بالجيش. شخص ما سيعرف من يكون، أو من كان بالأحرى. شخص ما قد طلب قفزة مظلة كانت فاشلة الليلة الماضية - لكنني لا أعرف لماذا تمّت هنا».

«ربما دفعته الرياح إلى هنا».

رد العقيد بريتشارد قائلاً: «لم يكديكون هناك أي نسيم الليلة الماضية. وفضلاً عن ذلك، وبالنظر إلى الشكل الذي تتوضع فيه المظلة، لم يتعرّض إلى الكثير من الانجراف. أفترض أنه يمكننا إلقاء نظرة على أقراص هوية الفقير المسكين. ثم، على الأقل، سنعرف من هو ومن أين جاء». ارتعش ارتعاشة لكرهه الشديد لهذه الفكرة.

انحنيا لقلب الجثة بينهما. لقد بدا الأمر وكأنهما يقومان بتحريك أجزاء صغيرة من شيء، وكأن كل عظمة كانت قد تحطمت، وحتى اللورد ويسترهام ارتجف هذه المرة. كان الجزء الأمامي من الجثة في فوضى عارمة، وكان من غير الممكن التعرف على وجهه. استدار العقيد بعيداً بينما كان يفتح الرُّر

الغلوي للذي الرسمي وسحب علامات الهوية. كان من الصعب القول إنَّ واحدة كانت حمراء وواحدة خضراء، لأنَّ الحبل الذي كان يحملها أصبح الآن لزجًا يغطيه العفن. وكان الذباب قد حدد موقع الجثة بالفعل، واستطاع أن يصل إليها بأعداد كبيرة، وكان الطنين يعكّر صفاء هدوء المرج. قام العقيد بريتشارد بإخراج سكين من جيبه وقطع الحبل الذي كان يحمل الأقراص.

«لا يمكن قراءة أي شيء في الوقت الحالي. لا بد من أن يغسلوا الدماء». ثم أخذ منديلًا أبيض من جيبه ووضع العلامات داخله بعناية.

قال اللورد ويسترهام: «أنظر. إنه واحد من جنودكم»، مشيرًا إلى الشارة الموجودة على كتفه. لقد استطاع فقط أن يقرأ من خلال الدم والأوساخ الكلمات رويال ويست كيتس.

حدّق العقيد بريتشارد قائلاً: «يا إلهي! ترى ماذا كان يفعل؟ من أجل المتعة أو نوع من المزحة؟ هل كان لديه صديق في سلاح الجو الملكي البريطاني وكان سيفاجئنا جميعًا بالهبوط في التفقد الصباحي؟ ألم يكن هناك أي شخص آخر يثنيه عن ارتكاب مثل هذا حماقة».

سارعت ديانا نازلة على الدرج حتى وصلت إلى الأرض. كانت تدرك جيدًا نظرات الذين مرت بهم الجنود السرية إليها، وسمحت لنفسها بابتسامة سرية. كانت ترتدي سروالاً من الكتان الأحمر، وقسما غلويًا على شكل رسن أبيض عارٍ بلا أكمام مرفوع

بحزام حول الرقبة - وكان هذا الزي باردًا نوعًا ما خلال هذا الوقت من اليوم، لكنه كان عصريًا للغاية. وكانت تنتعل صندلاً بنعلٍ على شكل إسفين كان قسمه الغلوي مصنوعٍ من حبال. وبحلول الوقت الذي عبرت فيه المروج الأولى، كان الصندل رطبًا بسبب الندى، وشعرت بالندم نوعًا ما لأنها لم تترد ستره. لكن هذه الأفكار اختفت مع اقترابها من مجموعة من الجنود الذين كانوا يقومون بعملية رفع الجثة على نقالة. وقد تَمَّت تغطيتها للتو بشرشف. وكانت سيارة إسعاف متوقفة في مكان قريب. نظر الرجال إلى الأعلى بينما جاءت ديانا نحوهم، ورأت الدهشة والتقدير في وجوههم.

قال أحدهم، وهو قادم لاعتراضها: «لا ينبغي لك أن تقتربي من هنا. هناك حادث كرهه للأسف يا أنسة».

«إنها ليست أنسة. هذه ابنة صاحب السعادة». قام رجل كبير السن يرتدي شارات الرقيب بتصحيحه مضيئًا: «عليك أن تقول يا أنستي».

قال الشاب: «أسف، أنا متأكد أنستي».

«لا تقلق بشأن ذلك. أنا حقًا لا أهتم بهذه القواعد السخيفة كلها. اسمي ديانا. وخرجت لرؤية الجثة».

قال الرجل الأكبر سنًا: «لا تترينها يا ليدي ديانا، ثقي بي. يا لهذه الفوضى. الشاب المسكين».

سألت ديانا: «هل تعتقد أنه كان جاسوسًا؟ ألا تسمع عن الجواسيس الألمان أنهم يقفزون بالمظلات، أليس كذلك؟».

هذا، ما جعلهم يضحكون ضحكة مكتومة.

قال الرجل الأكبر سنًا: «إذا كان كذلك فقد حصل على زي جيشنا، لا، أعتقد أنه كان في مهمة تدريب حدث فيها خطأ. مسكين الفتى». ثم تذكر إلى من كان يتحدث لوى قسماات وجهه لإضاهاها. «سامحيني على لغتي، يا صاحبة السعادة».

وافق جندي آخر قائلاً: «ربما كانوا يحاولون تجربة نموذج أولي جديد لمظلة عليه. هناك الكثير ممًا لم يخبرونا به، وهم يستخدموننا كخنازير غينيا». هز أصدقاؤه رؤوسهم بالموافقة.

قال الشاب باشمئزاز: «كان هذا المخنث اللعين يرتدي محبسا».

«حسنًا، لقد كان متزوجًا، أليس كذلك؟».

تابع الشاب قائلاً: «لقد كان غيبًا أحمق».

سألت ديانا: «لماذا؟ هل هو غبي لأنه تزوج».

«لا، يا صاحبة السعادة. غبي لأنه إذا علق خاتمه في أثناء القفزة، فسوف تُقتلَع إصبعة».

ارتجفت ديانا، لما لاحظت مدى سهولة تحدثهم عن مثل هذه الأشياء. إنهم قاتلوا في فرنسا وهربوا من دونكيرك، ورأوا أصدقاءهم كيف يفجرون إلى جانبهم. إن قفزة مظلة فاشلة أخرى كانت لا شيء بالنسبة إليهم. حُملت النقالة في سيارة الإسعاف ونُقلت بعيدًا. عاد الرجال إلى المنزل. وبدأت ديانا بالمشي على إيقاعهم.

«إلى متى تعتقد أنك ستبقى هنا؟ هل تعلم؟».

قال الأكبر سناً: «فيما يتعلق بي طوال المدة الزمنية».

قال الجندي الشاب الذي كان قد تحدث إليها أولاً: «لست أنا، يا سميتي. أريد رؤية بعض الأفعال. أنا لا أمانع التوجه إلى شمال إفريقيا غداً والاشتباك مع روميل».

«لقد التحقت للتو بالجيش، يا توم. لو كنت معنا في دونكيرك، لما كانت تراودك هذه المشاعر نفسها. لم يسبق لي من قبل أن شعرت بهذه السعادة بالعودة إلى الوطن. لقد قام هؤلاء الشبان في قواربهم الصغيرة بعمل رائع. عدت إلى الوطن على يخت شخص ما. لقد حشر هذا الشاب الأنيق نحو عشرين منا على متنه. وجرى تحميله وزناً زائداً بشكل فظيع. اعتقدت أننا سننقلب، لكن ذلك لم يحدث. ولما أنزلنا على الشاطئ، استدار وعاد مرة أخرى. وهذا يتطلب شجاعة، إنه يتطلب شجاعة».

تساءلت ديانا: «إذن، ماذا تفعلون طوال اليوم عندما تكونون هنا؟».

«تدريب، وتمارين واستعداد للغزو».

«هل تعتقد أن الألمان سيقومون بغزونا؟».

قال أحدهم: «أعتقد أن الأمر مجرد مسألة وقت. لديهم آلة حرب كبيرة لعينة. لكننا سنكون مستعدين لهم. لن يتخطونا من دون قتال».

قالت ديانا: «أعتقد أنكم جميعاً شجعان للغاية»،

وهي تراقبهم بمتعة حين كانوا يبدون محرجين.

قال الشجاع: «يجب عليك النزول إلى إحدى الرقصات في القرية، يا صاحبة السعادة. إنها متعة جيدة».

قالت ديانا: «ربما أفعل ذلك». من دون إضافة: «إذا سمح لي أبي».

كانت تشعر بالأسف إلى حد ما لأنها وصلت إلى المنزل، وكانت تشاهد الرجال وهم يتقدمون باتجاه مقراتهم.

بالعودة إلى المنزل، ذهبت فوبي إلى غرفة نومها لتغيير ملابسها. لم يكن مسموحًا بارتداء سراويل ركوب الخيل في غرفة الطعام، حتى مع وجود قواعد مريحة في زمن الحرب. والآن بعد أن أضحت لوحدها، وجدت أنها كانت تشعر بالمرض، لكنها غرّت ذلك إلى عدم تناول وجبة الإفطار بعد.

دخلت مربيته الأتيسة غامبل إلى الغرفة وسألته: «هل كنت في الخارج يا فوبي؟». كانت طويلة ونحيلة وتعتني بنفسها من الداخل والخارج بشكل جيد. لكن وجهها الآن أصبح شاحبًا إلى حد ما، ولكن هذا لا يمنع أنها كانت جميلة المظهر من قبل. والواقع، أنها كانت تتحدّر من أسرة جيدة، وكان من المفكّن أن تتزوج زواجًا جيدًا، لكن الحرب العظمى سلبتها فرصة العثور على زوج.

كانت قد غيّنت في منصب المربية لفوبي وحين أرسلت ديدو إلى المدرسة النهائية (21) في

سويسرا. لقد سارت الأمور بينهما بشكل جيد. كانت فوبي فتاة صغيرة مشرقة، وكان من الممتع تدريسها، على الرغم من أن ضمير الأنسة غامبل كان يلح عليها لتتخلى عن وظيفتها وتذهب للعمل التطوعي الخاص بأعمال الحرب. كان لديها عقل جيد. من المؤكد أنها يفكن أن تكون مفيدة بطرائق عدة.

نظرت فوبي إلى الأعلى وقالت: «أوه، مرحبًا يا غامبي. لم أنتبه لقدومك. لن تخمني أبدًا ما حدث: لقد وجدت جثة في الميدان البعيد حين كنت أمتطي سهوة المهر هذا الصباح».

«جثة؟ يا رحمة الله! هل أخبرت والدك؟».

«نعم، وذهب هو ورجال الجيش لإلقاء نظرة عليها. كان رجلًا لم تفتح مظلته، وربما لم يكن قد سقط من الطائرة. لقد تحظّم وتشوّه بفضاعة».

قال غامبي: «كم هذا بشع بالنسبة إليك».

قالت فوبي: «نعم، كان كذلك إلى حدّ ما. لكنك كنت ستفتخرين بي لأنني لم أسمح لأيّ شخص أن يلاحظ انزعاجي. أسوأ ما في الأمر أنني كدت أمزّ فوقها. هل يمكنك أن تتخيلي ذلك؟ لحسن الحظ، أن الصبي اللندني الذي يعيش مع صائد الطرائد ركض وأوقفني. لقد كان شجاعًا جدًا بالفعل».

«هذا جيد بالنسبة إليه». جاءت غامبي وراء فوبي لتثبت الأزرار الموجودة على فستانها القطني. ولأن فوبي أعلنت الآن أنها أصبحت أكبر من أن تحصل على مربية، كانت تتولى مثل هذه المهام.

لقد كانت ذكية بما يكفي لتدرك أن فتاة تبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة تحتاج إلى بعض الاهتمام بها، حتى لو ادعت أنها لا تحتاج ذلك. لقد كانت والدة الطفلة الليدي إيسمي من النوع اللطيف إلى حد كافٍ، ولكن لم يكن لديها أدنى فكرة عن رعاية أطفالها، وتركتهم في الأساس يعتمدون على أنفسهم. كانت الانسة غامبل مندهشة لأنهن قد ظهرن جميعهن بشكل جيد. لقد ابتسمت لفوبي.

“لو كنت مكانك، لكنت نزلت وتناولت وجبة فطور جيدة قبل بدء العمل. أجد دائمًا أن الطعام هو أفضل شيء إذا تعرضت لصدمة. الطعام والشاي الساخن، الحلو. إنهما يتركان نتائج إيجابية رائعة.”

حلت فوبي ضفيرة شعرها وبدأت في تمشيط شعرها قائلة: «أتساءل من كان هذا المسكين».

قالت الانسة غامبل: «أتوقع أن يكون تمرينًا تدريبيًا ليليًا خاطئًا. أنت تعرفين أمور القوّات الخاصة».

قالت فوبي وهي تحاول أن تفك تشابكًا معقدًا في شعرها الذي كان بلون الدرة: «يبدو أن الكثير من الأشياء الفظيعة تحدث هذه الأيام، أليس كذلك؟».

«قال ألفي إنه كان قد رأى طفلًا ميتًا ملقى في الشارع، ورأى امرأة نُزعت ملابسها عنها بسبب تفجير».

فقالت الانسة غامبل: «المسكين ألفي. لقد أرسل إلى هنا للابتعاد عن المشاهد المحزنة للحرب، والان تبعته الحرب إلى هنا».

أخذت الفرشاة من فوبي قائلة: «أعطني شريطة شعرك. لا يمكنك الذهاب إلى الطابق السفلي وأنت تبدين مثل مثل أليس في بلاد العجائب».

استدارت فوبي بطاعة، وسمحت لمربيتها بربط شعرها قائلة: «يا غامبي إلى متى تعتقدين أن الحرب ستستمر؟ هل ستستمر لفترة طويلة؟».

أجابت الانسة غامبل: «أمل ذلك».

استدارت فوبي مصدومة متسائلة: «هل تريدين استمرار الحرب؟».

«نعم أتمنى ذلك لأنه إذا انتهت سريعًا، فهذا يعني أن الألمان قد انتصروا».

«انتصروا؟ أخشى أن تكوني تقصدين أنهم سيدخلون إنكلترا؟».

«أخشى ذلك».

«هل تعتقدين أن هذا قد يحدث؟».

«أعتقد أن ذلك كله ممكن جدًا، يا فوبي. سنبذل قصارى جهدنا، طبعًا. قال السيد تشرشل إننا سنقاتلهم على الشواطئ، وفي حدائقنا الخلفية، لكنني أتساءل كم من الناس سيفعلون ذلك في الواقع عندما يتعلق الأمر بذلك؟».

قالت فوبي: «والدي سيفعل».

أجابت الانسة غامبل: «نعم، أتوقع ذلك، لكن هناك الكثير من الناس الذين لن يخوضوا معركة. لقد سئمنا الحرب بالفعل، وإذا استمرت فترة طويلة... حسنًا، سنرحب بأي شخص يمكنه إعادة الحياة إلى

طبيعتها».

ربطت شريط شعر الفتاة قائلة: «تابعني. انزلي قبل
أن يأكل والدك الأشياء الطيبة كلها».

الفصل الخامس

فارلي، غرفة الإفطار شهر أيار 1941

كانت فوبي تحبُّ غرفة الطعام هذه أكثر من غرفة الكهف المغطاة بأشجار البلوط حيث كانوا يتناولون وجباتهم قبل الحرب. كانت هذه غرفة موسيقى سابقة. كانت مطلية باللون الأزرق الفاتح مع زخرفة مذهبة، ونوافذ فرنسية طويلة تطلُّ على البحيرة. كان ضوء الشمس يتدفَّق إليها. فتعطي شعورًا بالدفع والأمان لأنَّ فوبي كانت لا تزال تشعر بالبرد. لقد بحثت عبثًا عن البيض المخفوق، وتناولت لتوها صفيحة من الكيدجي من الأسماك المطبوخة حين جاء والدها، وكان يمشي وراءه كلبان إنكليزيان كانا يقفزان حوله بحماس.

«أمل أن تكوني قد تركت شيئًا لي، أيها الليدي الشابة»، قال وهو يتجه إلى الخزانة الجانبية بخطى واسعة. «هل ستذهبان أيها الكلبان البغيضان بعيدًا وتتركانني في سلام؟ لن تحصلا على أي نوع من لحم الخنزير المقدد، كما تعلمان. هناك حرب مستعرة».

تناولت فوبي لقمة كبيرة من الأرز وقالت: «اعتقدت أنك تناولت وجبة فطورك». لقد أصبح باردًا تقريبًا الآن، لسوء الحظ، لكن أجزاء سمكة الزنجة جعلت مذاقها مقبولاً».

«لقد قطعتم فطوري في منتصفه، إذا كنت تتذكرين». ثم قال اللورد ويسترهام اخذًا الغطاء

الفُصِّي للطبق المحمول، قائلاً: «أه هذا جيد. لا يزال هناك الكثير. افترض ألا أحد آخر قد استيقظ حتى الآن، أليس كذلك؟».

«لقد استيقظت ديدو. وطلبت مني أن أريها الجئة».

«هذه الشابة ستواجه عواقب وخيمة إذا لم تكن حريصة». نظر إلى الأعلى لَمَّا دخلت الليدي إيسي ممسكةً بيدها مغلفًا. فخاطبها قائلاً: «هَلَا قرأت ذلك يا إيسي؟ أرادت ابنتك البلهاء أن ترى جئة رجل سقط في حقلنا». ثم جلس مكانه على رأس الطاولة، وجلست الكلاب إلى جانبه مترقبة.

بدت الليدي إيسي مندهشة بشكل غامض. قالت: «أعتقد أنني سمعت شيئًا من هذا القبيل حين كنت أتناول الشاي الصباحي. حسنًا، أعتقد أنها فضولية. وأنا كنت فضولية في سنّها. لمن كانت الجئة؟».

«شابٌ لعين من الجيش، على الرّغم من أنّ العقيد لا يفهم كيف يفكن أن يكون واحدًا من رجاله. هناك أمر مريب قليلًا إذا أردت رأيي».

قالت فوبي: «ماما، أنا وجدت الجئة».

أخذت الليدي ويسترهام الآن قطعة من الخبز المحمص، وجلست إلى جانب زوجها، وقالت: «هل ذهبت إلى هناك يا عزيزتي؟ لا بد من أن يكون هذا أمرًا مثيرًا بالنسبة إليك».

نظرت فوبي نظرة سريعة إليها. كانت غامبي مدركة بما يكفي لتعلم أنها كانت قد صدمت فوبي،

وليس والدتها التي كانت تفتح الظرف الان بهدوء. ثم قالت وهي تظهر الحماس لأول مرة: «أوه، إنها رسالة من كليم تشرشل. كنت أتوقع أن أسمع منها عن حفلة الحديقة في تشارتويل الشهر المقبل».

صاح اللورد ويسترهام بصوت عالٍ: «حفلة الحديقة. ألم تعلم كليم تشرشل بوجود حرب مستعرة؟».

أجابت: «بالطبع إنها تعلم، لكن وينستون يفتقد تشارتويل ويحتاج إلى التشجيع، لذا رتبت حفل الحديقة الصغير هذا في المنزل الذي يفتقده كثيرًا. كن هادئًا ودعني أقرأ يا رودي».

قالت وعيناها تتفحصان الصفحة: «المسكينة».

تمتم اللورد ويسترهام بين قضبات الإفطار قائلاً: «لا أكاد أظن أن من الممكن وصفها بالمسكينة كونها زوجة رئيس الوزراء».

«تقول إن وينستون مرهق للغاية، ولا يكاد ينام، وبالتالي هو دائمًا ما يكون بمزاج سيء».

شخر اللورد ويسترهام معبرًا عن غضبه وسخطه قائلاً: «لقد كان وينستون دائمًا سيء المزاج، منذ أن عرفتته. في اللحظة التي لا يسير فيها شيء ما كما يريد ينفجر غاضبًا. يجب أن أتخيل أن خسارة الحرب لن تكون لطيفة لمزاج أي شخص كان».

كانت الليدي إيسمي لا تزال تقرأ. «أنت تعرفين كم هو مغرم بتشارتويل. سادعوهم للبقاء معنا، ولكن».

قال اللورد ويسترهام: «نحن، مضغوطون مثل

السردين يا إسمي. لا يمكنك دعوة رئيس وزراء إنكلترا للإقامة في جناح الخدم». كانت مجرد فكرة الدعوة قد كتمت ضحكة.

قالت الليدي ويسترهام بهدوء مندون أن ترفع نظرها عن الرسالة: «لا تكن سخيًا يا عزيزي». ثم صاحت وهي تقرأ: «أه لا. يا لخيبة الأمل».

رفع اللورد ويسترهام حاجبه.

«أخبرتك أنه يجب أن يأتي إلى هنا في كل الأحوال لحضور هذا الحفل في مطار بيجين هيل الشهر المقبل، لتكريم هؤلاء الفتيان الشجعان الذين قُتلوا في معركة بريطانيا. لقد أرادت كليمي أن أساعدها في حفلة الحديقة في تشارتويل، لكن وينستون علم بالأمر ووضع ختمه مؤكدًا أنه لا توجد حفلات في زمن الحرب، كما يقول. في هذه الظروف الاقتصادية الصعبة، علينا أن نضرب مثالًا يَحْتَذَى به بدلًا من فتح المنزل لعطلة نهاية أسبوع واحدة. أليس قوله هذا مثل ما قلت تمامًا؟».

علق اللورد ويسترهام قائلاً: «اللهجة الأميركية الكريهة، كلمة عطلة نهاية الأسبوع». على الرغم من معرفته بتشرشل لسنوات عدة، فإنه لم يغفر له كون والدته أميركية.

عبست الليدي ويسترهام في وجهه عبر الطاولة وقالت: «كن هادئًا وتوقف عن المقاطعة يا رودى. أه، هذه فكرة رائعة. اسمع يا رودى. إنها تتساءل ما إذا كان يمكنهم المجيء إلى هنا لتناول الشاي على العشب بعد الحفل. وتقول إنها ستكون مفاجأة رائعة

بالنسبة إلى وينستون ليكون مع الجيران القدامى». سأل اللورد ويسترهام بقوة وبطريقة تُظهر أنه لا يتوقع أن تتم معارضته قائلاً: «رئيس الوزراء، هنا لتناول الشاي؟ ماذا تخططين لإطعامهم؟ الهندياء؟ أم أنهم سيحضرون معهم بطاقات الحصص التموينية الخاصة بهم؟».

«لا تكن صعباً يا رودى. أنت تعرف أنك تحب رؤية عائلة تشرشل مرة أخرى. لدينا حدائق المطبخ. يجب أن تكون الفراولة ناضجة، وسيكون هناك الخيار والرشاد من أجل السندويشات. سوف نتدبر الأمر بطريقة ما. لذلك سأرُد عليها، وأقول لها إنها فكرة رائعة، أليس كذلك؟».

قبل أن يتمكن اللورد ويسترهام من الإجابة، فُتح الباب ودخلت أوليفيا، وهي الأخت الكبرى لعائلة ستون. وعلى الرغم من أنها كانت في السادسة والعشرين من عمرها، فإنها بدأت بالفعل تبدو في منتصف العمر.

كانت ترتدي ثوباً بحرياً مع قبة دائرية بيضاء وطيّات مثبتة في المقدمة، ما جعل تديها الكبيرين بارزين بشكل واضح. وقد سَرحت شعرها جدائل ملفوفة بلفة في مؤخرة رقبتها، وهذا ما لم يناسب وجهها المستدير قط.

قالت: «تشارلي يعاني من السعال قليلاً. أمل ألا يصيبه المرض. ألم يصل البريد حتى الآن يا بابا؟ هل هناك أي شيء من تيدي؟».

قال اللورد ويسترهام: «ليس هناك سوى فواتير

ورسالة لأمك من السيدة تشرشل. ربّما لا يكون لدى زوجك الوقت الكافي للتفكير في الكتابة!».

«لا تقل ذلك يا أبتى. إنه يؤدّي واجبه فقط. كان عليه أن يذهب إلى حيث يتم إرساله».

نظر اللورد ويسترهام إلى زوجته، التي ابتسمت بشكل غامض قائلاً: «ليست جزر البهاما بالضبط وظيفية المشقّة (22) حيث ظروف الحياة الصعبة».

«كم هذا لطيف بالنسبة إليه. أسمع أنّ لديهم شواطئ جميلة».

نظروا جميعاً إلى ديدو وهي تدخل. كانت هناك نتوءات على كتفيها وذراعيها العاريتين لكنّ وجهها كان يتوهج من الخارج. «غير ممكن! العشيرة كلّها هنا. ماذا تفعلين يا أمي؟ أعتقد أنّك أخبرتني أنّ واحدة من المتع والترف القليلة لزواج المرأة هي تناول الفطور في السرير».

«حبيبي، كنت أتطع في الماضي إلى بيض بني طازج، وشرائط رفيعة من الخبز المحمص الرفيعة من الخبز الطازج الجميل. إنّ تناول الخبز المحمص والسمن لا يجعل من البقاء في السرير أمراً يستحق الاهتمام».

قال والدها: «سمعت أنّك خرجت تبحثين عن الجثة يا ديدو». كان ينظر إليها بطريقة ناقدة. «لا تقولي إنّك ذهبت إلى الخارج بهذا المظهر؟ تحتاجين إلى فحص رأسك - كل هؤلاء الجنود الملعون الذين يتسكعون في وقت الفراغ ليس

لديهم أي شيء يفعلونه. يا فتاتي ستفشلين فشلاً ذريعاً».

قالت ديدو وهي تساعد نفسها على تناول آخر الكيدجري: «كان الجنود لطافاً للغاية معي يا بابا. وفضلاً عن ذلك، كنت متأخرة جداً على رؤية الجثة. أوه يا للروعة، يا للروعة للسيدة ستابنز. لقد عثرت لنا على سمكة الرنجة مرّة أخرى».

قال اللورد ويسترهام: «لم أعتقد قط أنه سيأتي يوم نفرح فيه جميعاً بسمكة الرنجة. أعتقد أن الحصول على القليل أفضل من الحرمان، لكنني أفتقد حقاً زوج سمكة الرنجة، كل ذلك لنفسني بالكامل». التفت لتوجيه إصبع تحذير إلى ابنته: «ولكن في المستقبل يا ديانا، لا أريدك أن تتجولي في جميع أنحاء الممتلكات وحدك، ولا سيما إن كنت ترتدين ملابس مثل هذه الملابس. إنها تبدو كما لو أنك كنت ترتدين البيجاما الخاصة بك».

«إنها آخر الموضة يا بابا. أو على الأقل كان حين كان لا يزال هناك رواج لها. في الحقيقة ليس هناك أي فائدة تذكر في محاولة أن يكون المرء عصرياً عندما يكون المرء عالماً في عمق الريف». وضعت طبقها إلى جانب طبق فوبي، ثم مدت يدها إلى رؤوس الكلاب لتربت عليها قبل أن تأخذ منديلها. أجابته بمرارة: «لو سمحت لي يا بابا أن أحصل على وظيفة في لندن، فسوف ترتاح من إزعاجي لك. لن يكون لدي أي وقت فراغ. أكاد أموت من الملل، كما تعلم هناك حرب مستعرة. وهناك الكثير من الإثارة».

أريد أن أكون جزءًا منها».

قال اللورد ويسترهام: «لقد تحدثنا عن هذا من قبل، يا ديدو. أنت أصغر من أن تذهبي وتعملي لوحدك في لندن. لا مانع من مساعدتك في تربية الحيوانات بمزرعة المنزل، أو حتى المساعدة على تعليم الأطفال في مدرسة القرية، هذا كل شيء. وهذا هو قراري الأخير حول هذا الموضوع. لا تتحدثي بهذا الأمر مرة أخرى».

تنهدت ديدو وأخذت مكانها في نهاية الطاولة. نظروا جميعًا إلى الأعلى على صوت وقع أقدام ثقيل موزون، ودخلت سوامز حاملة الصينية الفضية.

قالت: «رسالة لك يا سيدتي تُسلم باليد».

بدت الليدي إيسمي مذهولة وهي تأخذها.

قالت: «يا الله! يا له من صباح حافل! من يمكن أن يكتب لي الآن؟». انتظرت بقية أفراد الأسرة وهي تأخذ المغلف، ولاحظت خصلة ريش في الخلف، وابتسمت. «أه، إنها السيدة بريسكوت. أتساءل ماذا تريد؟ ظننت أننا متخلفون بطريقة مستحيلة وقديمة الطراز بالنسبة إليهم».

أجاب اللورد ويسترها مشاخرًا ومعبرًا عن الازدراء والغضب والسخط: «ربما تريد اقتراض كوب من السكر. الأوقات صعبة للجميع في الوقت الحالي، وحتى بالنسبة إلى عائلة بريسكوت».

قالت ليفي: «ليس عائلة بريسكوت على ما أعتقد».

في كل مزة أخرج فيها تشارلي في عربته، يبدو أنني أرى عربة تقف لفترة قصيرة أمام منزلهم».

سألت ديدو: «ماذا تقول الرسالة يا ماما؟».

رفعت الليدي إيستي رأسها وقد علت ابتسامة سعيدة على وجهها وبدأت تقرأ بصوت عالٍ:

عزيزتي الليدي ويسترهام،

أردت أن أشارككم أخبارنا السارة قبل سماعها عبر القيل والقال في القرية. لقد وصل ابننا جيرمي إلى المنزل بأمان على الرغم من كل الصعاب. إنه ضعيف بشكل طبيعي، ويتعافى من جرح بغيار ناري، ولكن لدينا الأسباب كلها لنأمل أن يتعافى بالكامل.

عندما يستعيد قوته، نتطلع إلى تقديم حفل عشاء صغير على شرفه ونأمل أن تتمكن عائلتك من الانضمام إلينا.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام، مادلين بريسكوت.

لقد طوت الرسالة ونظرت إلى عائلتها من حولها بابتهاج وفرح. «أليس هذا رائعًا؟ يجب أن أكتب إلى باميلا على الفور. ستكون سعيدة جدًا».

تساءلت ديدو: «لماذا باميلا أكثر من أم هي طفلتك المفضلة؟».

ابتسمت ابتسامة مبهمة قائلة: «ديدو، أنت تعرفين كم تناسب باما جيرمي. والواقع، أنه لولا اندلاع هذه الحرب الغبية، لربما كان هناك، بحسب اعتقادي، إعلان بحلول هذا الوقت».

«ماما، أنت حريصة جدًا على زواج بناتك، أليس

كذلك؟ جيرمي بريسكوت لم يجذبني قط كنوع مخلص».

قالت الليدي إيسي: «أنا متأكدة أنّ الكثير من الشباب يقومون بالكثير من الأشياء المثيرة، ويكون لديهم الكثير من العلاقات العاطفية، لكنهم يستقرون عندما يحين الوقت. في أي حال، الأمر الجوهري أنه عاد إلى وطنه الآن، وسيكون كل شيء على ما يرام. لقد نهضت على قدميها وقالت: «يجب أن أكتب لباما هذه اللحظة بالذات».

كانت ديدو تراقبها وهي تذهب. قالت: «لا أعرف أين يفترض أن أجد زوجها. أنا عالقة هنا في الريف، ويجب أن يكون مربّي خنازير على ما أظن».

قالت فوبي وهي تقهقه لسماع ذلك: «ستكون رائحته كريهة. بيد أنك ستحصلين على لحم خنزير مقعد جيد».

ردت ديدو قائلة: «من المفروض أن يكون هذا للسخرية يا فيبس. كنت أذكر الجميع بأنني لم أحصل على موسمي بعد مثل أخواتي».

قال اللورد ويسترهام: «لم أعط الأمر بشراً هذه الحرب. وأنت ما زلت شابة. ستكون هناك فرص كبيرة للحفلات والرقصات عندما تنتهي».

قالت فوبي: «إذا كنت تعرفين كيفية أداء الرقصات الشعبية الألمانية».

احمرّ وجه اللورد ويسترهام كاحمرار جذر الشمندر وقال: «ليس هذا مضحكاً يا فوبي. هذا ليس

مضحكًا أبدًا. لن يفوز الألمان، وهذا نهائي».

ألقى مندبل المائدة، وخطا خطى مسرعة خارج الغرفة.

في وقت لاحق من ذلك الصباح، بحث الكابتن هارتلي مساعد العقيد عن الضابط القائد لفترة طويلة حتى وجدته.

«لقد فحصنا العلامات في يا سيدي، وهي لا تتطابق مع أي شخص في غرب كنتس. وفضلا عن ذلك، فإنهم كانوا جميعًا موجودين في أثناء التفقد هذا الصباح باستثناء جونز الذي مُنح إجازة لمدة يومين لأن زوجته كانت قد وضعت، وباترسون الذي يرقد في المستشفى لإصابته بالتهاب الزائدة الدودية».

حك العقيد بريتشارد رأسه وهو في حيرة من أمره، ودفع قلنسوة رأسه بشكل مائل قائلاً: «إذن، ماذا يجب علينا أن نفعل الآن برأيك؟. إكتشف من هذا الجوكر ولماذا كان يرتدي زينا الرسمي».

«لا يمكن للمرء أن يستبعد احتمال أنه كان جاسوسًا يا سيدي. إن ارتداء زي غرب كنتس سيمنحه ذريعة جيدة للتجول في هذه المنطقة، أليس كذلك؟».

امتض العقيد بريتشارد الهواء من خلال أسنانه معبّرًا عن الاشمئزاز، والتحدّي، والإحباط، ونفاد الصبر، ثم قال: «يسمع المرء عن مثل هذه الأشياء، ولكن من المؤكد أنها كلها شائعات».

«أه، أنا أوكد من وجود الكثير من كتاب الطابور الخامس هنا في الجوار».

نظر إليه العقيد بريتشارد محققًا ومتسائلًا: «هل تعتقد ذلك؟ الإنكليز يريدون عمدًا العمل مع الألمان؟».

«أخشى أن تكون الأمور هكذا يا سيدي. إذا احتاج شخص ما للاتصال بهم، فما الطريقة الأفضل من إسقاط رجل بمظلة في ليلة حالكة السواد لا قمر ينير ظلامها؟».

أجال العقيد بريتشارد النظر من فوقه لفترة طويلة عبر المروج. لقد وجد أن من الصعب التصديق بأن هذه كانت إنكلترا، أرض بليك الخضراء التي تملأ النفس بالبهجة والمتعة، ومع ذلك فإنها لم تعد آمنة في أرض الوطن. كانت القنابل تسقط بشكل عشوائي. والآن، ربّما كان الجواسيس يعملون بينهم. قال: «أرسل العلامات إلى مخبرات الجيش. يُمكن أن يأتوا ويأخذوا الجثة. لقد خرج الأمر من نطاق سيطرتنا». ثم نظر إلى أعلى بينما كان مخبر خاص يمشي بسرعة كبيرة يقترب منهما. لقد توقف، ووقف باستعداد، وألقى التحية.

قال: «أستميحك عذرًا يا سيدي العقيد، لكنني كنت من الرجال الذين أرسلوا لأخذ تلك الجثة اليوم. وفي ذلك الوقت، اعتقدت أن هناك شيئًا لم يكن صحيحًا تمامًا. ثم أدركت ماهيته. كان لا يزال يضع قبعته في طية صدر السترة، وكانت الشارة خاطئة».

الجزء الثاني: بن

الفصل السادس

سجن وورموورد سكربس أكشن

غرب لندن، شهر أيار 1941

أغلقت بوابة سجن وورموورد سكربسوراء بن كريسويل مع نعمة نهائية. على الرغم من أنه كان يدخل ويخرج عبر هذه البوابة بعينها على مدار الأشهر الثلاثة الماضية، فإنه كان لا يزال يشعر برجفة مفاجئة من الإثارة والخوف لدى دخوله، وكان يساوره شعور سخييف بالارتياح عندما يكون في الخارج بأمان مرة أخرى كما لو أنه فر بعيدًا من دون اكتشاف أمره.

سأله الشرطي المناوب مبتسقا ابتسامة عريضة قائلاً: «أطلقوا سراحك في وقت مبكر لحسن السلوك، أليس كذلك؟». لقد أضحت النكتة قديمة، ولكن يبدو أن ضابط شرطة بريطاني لم يمل من قولها بعد.

أجاب بن وتعبير وجهه الجدي يخفي مشاعره الحقيقية ورغبته في الضحك: «أنا؟ بالطبع لا. هربت من فوق الجدار. ألم تلاحظ؟ التهزّب من العمل؟».

«أخرج من هنا!». ضحك الشرطي ودفعه برفق.

كان يفترض أن يكون تحرك المخابرات العسكرية-القسم الخامس إلى سجن وورموورد سكربس لدواعٍ أمنية أمرًا سرّيًا، ولكن يبدو أن كل شخص له علاقة بالسجن يدرك تمامًا ما كان

عليه الوافدون الجدد الذين استولوا على جناح واحد. حتى إنه كان من المعروف أن مرافق الحافلة كان يعلن عن التوقف من طريق الصراخ أسفل الحافلة، «كل شيء يتغير من أجل المخابرات العسكرية-القسم الخامس»، الكثير من أجل السرية، هذا ما كان يجول في خاطر بنفي أثناء عبوره الشارع إلى موقف الباص. وكونه مقرًا لقسم جهاز المخابرات السرية، كان السجن قد أثبت أنه يمثل فشلًا ذريعًا. وكانت الزنانات التي جرى تكليفهم بها باردة ورطبة، كما تفت إزالة بعض الأبواب بالفعل. لذلك أصبح من السهل سماع ما يجري في الغرفة المجاورة. وفضلاً عن ذلك، فإن الوصول إليه لم يكن مريحًا بالمقر السابق على طريق كرومويل.

في الآونة الأخيرة، كان قد نُقل جزء من القسم «باء»، المسؤول عن مكافحة التجسس إلى قصر بلينهايم في أوكسفورد شاير حيث كانت الشائعات تقول إنه على الرغم من كونه في منزل فخم، فإن أماكن الإقامة كانت بدائية أكثر مما كانت عليه الأوضاع في السجن. وعلى الرغم من ذلك، فإن بن تمنى لو أنه كان قد تم تكليفه هناك وأنه كان ليفعل شيئًا مفيدًا للمجهود الحربي. ومنذ أن تم تجنيده في المخابرات العسكرية-القسم الخامس قبل سنة، اقتصر اصطياده للتجسس على متابعة الشائعات والنصائح في منطقة لندن الكبرى. لقد كانت الشائعات دائمًا مضيعة للوقت لأنها كانت في معظمها إنذارات كاذبة، أو فرصة حتى لثأر قديم. فلقد كانت امرأة عجوز فضولية تختلس

النظر من خلال ستاريتها المعتمة ورأت شخصًا هاربًا يتدلى عبر حديققتها الخلفية. ومن المؤكد أنه كان يبدو وكأنه غازٍ نازي. ولكن تبين أنه عاشق للسيدة المجاورة، ويتسلل إليها حين يكون زوجها بعيدًا. أو امرأة تشبهه في أن جيرانها كانوا متعاطفين سرّيين مع الألمان لأنهم كانوا يستمعون دائمًا إلى موزارت على أجهزة الراديوغراف الخاصة بهم. ولما أشار بن إلى أن موزارت كان نمساويًا، كانت المرأة قد زفرت بقوة مصدرةً صوتًا وكانت قد قالت لا فرق حقًا. ألم يكن هتلر نمساويًا؟ وإلى جانب ذلك، كانوا دائمًا يطهون بالثوم. وكان من المفكّن شم رائحته على بعد ميل. إذا لم يكن ذلك يثير الريبة والشك، فماذا يمكن أن يثيرهما؟

التفت بن لإلقاء نظرة على أبراج الطوب الأحمر والأبيض المزخرفة التي تضم بوابة السجن. ثِق في أن الفيكتوريين يجعلون حتى السجن يبدو رائعًا! ثم سار في طريق دوكان إلى محطة مترو أنفاق إيست أكتون. كان يأمل أن يكون مترو الأنفاق أسرع إلى وسط لندن من الحافلة، ولكن لم يكن أحد يعرف قط ما قد يحدث. وفي حال جرى إلقاء قبلة واحدة على الخط سيتوقف كل شيء بين عشية وضحاها. كانت مشيته غير مستوية إلى حد ما، وذلك بسبب ركبته القصدير في ساقه اليسرى، لكنه كان لا يزال قادرًا على التحرك بسرعة كبيرة. فقط لم يكن قادرًا على لعب الركبي ولا على دفع الكرة باتجاه الويكييت في لعبة الكريكييت.

كان على وشك العبور إلى محطة الأنفاق حين

خرج رجل من محل بائع التبغ يضع جريدة تحت ذراعه، وحدث في بن يامعان، ثم قطب حاجبيه قائلاً: «أنت هنا يا بني؟»، وأشار بإصبعه إليه بطريقة عدوانية. «هل أنت ترفض العمل في القوات المسلحة؟».

واجه بن اتهامات مماثلة عدة مرات منذ بدء الحرب.

رد بن قائلاً: «حادث تحطم طائرة. تحطمت إحدى الساقين، ولا أستطيع تقديم فائدة لأحد».

احمرّ وجه الرجل من الخجل فقال: «أسف يا صديقي. لم أكن أعلم أنك كنت في سلاح الجو الملكي البريطاني. لا ينبغي لي أن أتحدث بهذه الطريقة إلى أحد أولادنا الشجعان. بارك الله فيك».

لم يعد بن يحاول تصحيح معلومات أي شخص كان. وتركهم يعتقدون أنه كان سلاح الجو الملكي البريطاني. كان من المفكر أن يكون الآن في فارلي لو لم يقع حادث التحطم الغبي للطائرة. ماذا لو كان هناك؟ رققت الفكرة في رأسه. تم إسقاطه فوق ألمانيا والآن يقبع في ستالاج لوقت مثل جيرمي؟ أي استخدام أحق كان ذلك لهذا المجهود الحربي؟ على الأقل كان يفعل شيئاً مفيداً بشكل غامض في وظيفته الحالية. أو سيكون كذلك، إذا أعطوه قضية يفكره الانخراط فيها بأقصى طاقاته وتصميمه وحماسه.

تنفس بن الصعداء. كانت المشكلة أن البلد بأكمله على أهبة الاستعداد خوفاً من التعرض للغزو في

أي لحظة. لقد اشترى تذكرته وحمل نفسه بجهد كبير على الدرجات، حتى وصل إلى المنصة، حيث إنَّ خط مترو الأنفاق كان يمتد فوق الأرض بعيدًا من المدينة. كانت المنصة مزدحمة، ما يشير إلى أنَّ القطار لم يأت لبعض الوقت. شقَّ طريقه بصعوبة ليصل قرب الخط وانتظر، على أمل أن يظهر القطار قريبًا وأن لا يكون مكتظًا جدًا. كان عليه أن يصل إلى وسط لندن على عجل. ولمرة واحدة، كان لديه ما قد يكون وظيفة مهمّة.

قال زميله في الزنزانة غاي هاركورت بمتعة كبيرة حين عاد من الغداء: «إنَّك مطلوب من قبل أصحاب القرار».

وتساءل بن: «أصحاب القرار؟».

«الزعيم راديسون الكبير بعينه!».

«لقد أخبرهم بأنك مستعد للذهاب إلى مأدبة غداء بدلًا من تناول شطيرة الجبن في مكتبك». لقد كان نوعًا من الشبان الصغار الأنيقين الذين يتوقّع المرء أن يجدهم في حفلة منزل ريفي، أو في أثناء لعب الكروكيه مع بيرتي ووستر. إنَّه يتمتع بحس كبير من الفكاهة وهو شخصية اجتماعية بشكل ملحوظ لكنه ليس ذلك الذكي. اعتقد بن سرًا أنه يستطيع أن يكون جاسوسًا ممتازًا. ولن يشك فيه أحد على الإطلاق. لقد كانا في أوكسفورد معًا، حيث إنَّ هاركورت لم يكن يرهق نفسه على ما يبدو بشكل مكثف بدراسته، لكنه كان يتدبّر أمر النجاح في اجتياز امتحاناته في أي حال. ولم يسبق لهما

أن كانا صديقين في يوم من الأيام. ولسبب واحد هو أن هاركورت كان ثريًا جدًا، وأرستقراطيًا جدًا إلى حد أنه لا يفكر لبن أن يكون جزءًا من دائرته، لذلك فوجئ بن حين بحث هاركورت عنه في بداية الحرب وقام بتجنيدِه لما تبين أنه المخابرات العسكرية البريطانية-القسم الخامس. ولقد جرى إعطاؤهما مقر الإقامة نفسه في فندق خاص كئيب على طريق كرومويل وقد تعايشا بشكل جيد.

قال بن: «لا أكاد أسقيها مادة غداء. هل تعرف أنهم يصنعون ريسوليس (23) من لحم الخيول في هذه الأيام؟ اضطررت للحصول على جبن القرنبيط منتظرًا في طابور لثلاثة أيام لأن البدائل كانت سيئة للغاية».

قال هاركورت: «لم يسبق لي أن أكلت هناك قط. أنا أذهب إلى كوينز هيد بالقرب من الزاوية. البيرة مغذية، أليس كذلك؟ أخطط للبقاء على قيد الحياة لمدة. أقصد لحم الخيل؟ من الواضح أن هؤلاء المنحطين لم يسبق لهم أن شاركوا في مطاردة الثعالب على ظهور الخيل في حياتهم. إنظر لترى أن الكلاب والقطط هي التالية. من الأفضل إبقاء كلاب الصيد الخاصة بك مقفولًا عليها».

سأل بن: «هل قال راديسون ما يريد؟».

رد هاركورت عليه مبتسماً: «عزيزي الشاب، من المفترض أن نكون منظمة للخدمة السرية، أليس كذلك؟ من غير المرجح أن يأتي إلى هنا ويخبرني ما يريده مع عميل آخر. يجب أن يكون هناك بعض

الغموض حول الأشياء».

«هل كان يبدو منزعجاً مني؟».

ابتسم هاركوت ابتسامة عريضة قائلاً: «لماذا، هل لظحت كتابك بالأوساخ؟».

«لا أعلم. كنت وقحاً بعض الشيء في التحدث إلى ذلك الشاب الذي أراد أن يحبس جيرانه اليهود كجواسيس نازيين».

«إذن من الأفضل أن تستعجل لتري ماذا يريد، أليس كذلك؟ وإذا لم تعد، فهل يمكنني الحصول على كرسيك؟ إنه أقل تذبذباً من كرسيي».

في محاولة منه ل يبدو أكثر طرافة مما كان يشعر به فعلاً، قال بن: «هذا مضحك للغاية». لم يستطع التفكير في أي ذنب قد ارتكب، لكن المرء لا يمكنه التنبؤ بما قد يمكن أن يحدث. كانت إدارات مثل هذه تدور حول شبكة المعارف والمصالح القديمة، ولم يكن لديه أي ارتباطات.

لقد كان السيد راديسون ينظر إليه بارتياب بعد أن طرق بن باب مكتبه ودخل.

سألني: «لقد تناولنا طعام الغداء، أليس كذلك؟».

أجاب بن: «أعتقد أنه سمح لي باستراحة الغداء يا سيدي. وذهبت فقط إلى المقصف. ريسوليس لحم الخيول».

أوما راديسون بتفهم عندئذ. «تلقيت رسالة من المقر الرئيسي. عليك الذهاب إلى هذا العنوان في دولفين سكوير».

«دولفين سكوير؟». كان قد سمع شائعات غامضة عن مكتب في دولفين سكوير. مزة أخرى، لم يكن من المفترض أن يعرف أحد أن القسم الخامس من المخابرات العسكرية يحتفظ بمكتب هناك أو مكتب من كان ذلك المكتب، لكنه كان متأكدًا تمامًا من أنه شخصية غامضة تُعرف باسم كابتن كينج أو السيد كي. لقد كان شخصًا خارج التسلسل الهرمي المعتاد لمختلف الأقسام. شعر بن إثارة مشوبة بالقلق. ماذا يمكن أن يريد هذا الشخص منه؟ ربما يكون لديه ساق لم تكن تعمل جيدًا دائمًا، لكن لم تكن أي مهمة من مهماته تتطلب سباقات عدو عبر البلاد حتى الآن. وبقدر ما كانت مهماته منخفضة المستوى ومملة، كان ينجزها بحذافيرها. لقد أظهر نفسه كحريص ومستعد دائمًا. لذلك ربما هذا بالفعل يبشر بالخير - ربما تكون هناك ترقية أو مهمة مربحة أو مثيرة للاهتمام أخيرًا.

الفصل السابع

لندن شهر أيار 1941

خرج بن من هذه الأفكار حين أعلنت مكبرات الصوت عن وصول القطار مع تحذيرات بالوقوف بشكل آمن، وتوحي الحذر في أثناء عبور الفجوة الأفقية والعمودية بين باب القطار ومنصة المحطة. انفتحت الأبواب واندفع الحشد إلى الأمام حاملاً معه بن. لقد تدبر أمر الإمساك بمسكة ليثبت نفسه حين أغلقت الأبواب، وانطلق القطار مجلجلاً. لقد شعر كم كان محظوظاً لأنه وجد شيئاً يتمسك به؛ لم يكن توازنه مستقرًا جدًا، وكان وادًا أن ساقه المصابة قد تخذله في لحظات غير لائقة. لكنه وصل إلى محطة بوابة نوتينغ هيل ثم غيرها إلى سيركل لاين المؤدي إلى فيكتوريا. كانت الرحلة بأكملها سلسلة بشكل ملحوظ، وكان يتنهد الصعداء شاعرًا بسعادة غامرة وهو ينطلق في شارع بلغريف باتجاه النهر. كان يومًا صيفيًا لطيفًا، ودفئًا بالنسبة إلى شهر أيار، وكان سكان لندن الذين استطاعوا الفرار من المكاتب لبضع دقائق يجلسون في أي مربع صغير من الخضر الذي كان في وسعهم العثور عليه، مستمتعين بأشعة الشمس. كان دولفين سكوير ينتصب أمامه، وهو عبارة عن كتلة مستطيلة عملاقة من الشقق الفاخرة. لم يسبق لبن أن راه من قبل، وتساءل الآن عن عدد هذه الشقق التي ما زالت مسكونة من قبل الأثرياء الذين يحتاجون إلى مسكن مؤقت في لندن. لقد كان يشك في أن أي

شخص يفككه تحمّل النفقات كان يقيم بعيدًا من الفارة الجوية.

كان هناك أربعة مبانٍ حديثة كبيرة حول منطقة مربعة مفتوحة تحيط بها مبانٍ على شكل رباعي الزوايا؛ وكان العنوان /٣٠٨/ الذي كان قد أُعطي له هو /٣٠٨/ هود هاوس. تفحص بنك أجراس الباب خارج الباب الأمامي وفوجئ حين وجد أنّ /٣٠٨/ مُدرج ضمن قائمة الأنسة كوبلستون. ثرى هل حصل على العنوان الخاطئ؟ هل كانت فكرة شخص ما عن مزحة لإرساله لمواجهة عانس غاضبة؟ كان هذا هو الشيء الذي قد يفعله هالستيد للفرح بعد ظهر ممل، لكنّ التوجيه كان قد جاء من راديسون، وكان راديسون مثلاً لموظف مدني تنعدم لديه روح الفكاهة. ومع تلك الهواجس التي كانت تنتابه، ضغط بن على جرس الباب.

قال صوت أرسقراطي: «هل يمكنني مساعدتك؟». انتابت بن مشاعر قويّة للهروب بعيدًا، لكنه قال: «لست متأكدًا ما إذا كان لدي العنوان الصحيح. اسمي كريسويل، وقيل لي..».

قال الصوت الذي أوصل الرسالة بشكل واضح: «سأسمح لك بالدخول يا سيد كريسويل. استخدم المصعد إلى الطابق الخامس، واستدر إلى اليمين».

على الأقل كان قدومه متوقّفًا. اختلطت مسحة من الخوف بالإثارة بينما كان يرتفع المصعد ببطء. خرج من المصعد إلى الطابق الخامس. كانت الردهة مغطاة بالسجاد، وكانت تنبعث منها رائحة

البوليش (24)، مع سحابة طويلة من تبغ الغليون العالقة في هواء الردهة. لقد وجد الشقة، ورأى أن الانسة كوبلستون أيضًا على لوحة الباب. أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يطرق الباب. الذي فُتح من قبل شابة جذابة، وبدلتها الرائعة وجوها الأرسقراطي يوضّحان أنه في أوقات وظروف أخرى كان من المفكر أن تكون امرأة شابة تخرج للمرة الأولى في المجتمع، وكان من الممكن أن تكون قد تزوّجت شابًا مملًا من نسب لا تشوبه شائبة. بالنسبة إلى الشابات من أمثالها، كانت الحرب قد أتاحت فرصة كبيرة لهنّ للهروب، لإثبات أنها كانت جيّدة في جميع أنواع الأشياء، وليس مجرد حوار صغير ومعرفة مكان مقعد الأسقف على طاولة العشاء.

قالت بطريقة سريعة وقصيرة أظهرت أنها من الطبقة العليا: «أنت السيد كريسويل؟ السيد نايت ينتظر قدومك. تفضّل بالدخول. سأخبره بأنك هنا».

انتظر بن، وسمع أصواتًا منخفضة، وأدخل على الفور إلى غرفة كبيرة مشرقة مع نوافذ تطلّ على نهر التايمز إلى مجلس البرلمان، وكانت المناطيد الكبيرة التي تُستخدم للدفاع ضد الهجمات المنخفضة للطائرات تتمايل فوق المباني لمنع الغارات ذات المستوى المنخفض. كان الرجل جالسًا على مكتب مصنوع من بلوط مصقول وقد أدار ظهره إلى المنظر. لقد كان نحيفًا وذا مظهر لائق، ومن الواضح أنه من النوع الخارجي الذي يستمتع بالأنشطة في الهواء الطلق، ولدهشة بن، كان يلعب

بما كان بن يعتقد في البداية أنه عبارة عن قطعة من حبل، والذي لم يلبس أن أفصح وكشف عن نفسه بأنه ثعبان صغير.

«أه يا كريسويل. إنه لطف منك أن تأتي إلى هنا». أعاد الأفعى إلى جيبه ومدّ يده إلى بن قائلاً: «أنا ماكسويل نايت. اجلس».

سحب بن كرسيًا جلدًا غير منجد.

سأل نايت: «هل أنت رجل كامبردج؟».

«أكسفورد؟».

«يا للشفقة. أجد أن كامبردج تنتج رجالًا يمكنهم التفكير بطريقة مختلفة جديدة وإبداعية».

قال بن: «أخشى أن أتراجع عن ذلك الآن. وفضلاً عن ذلك، فإن كلية هيرتفورد قد قدمت إليّ منحة دراسية. أما كامبردج فإنها لم تفعل».

«أنت فتى المنحة الدراسية، إذن، أليس كذلك؟».

«نعم يا سيدي».

«وقبل ذلك؟».

«تونبريدج. أيضًا في منحة دراسية».

«ومع ذلك، على ما يبدو، أنت تعاشر طبقة النبلاء.

أنت تعرف إيرل ويسترهام، أليس كذلك؟».

أخذ التصريح بن على حين غرة. «تقصد اللورد ويسترهام؟».

«نعم، لقد قيل لي إنك ترتبطه بعلاقة وثيقة

وودية. هل هذا صحيح؟».

«لن أقول يا سيدي تربطني به علاقة وثيقة وودية. لا أفترض أن أدعي صداقته، لكنه يعرفني جيدًا. والذي هو نائب كاهن كنيسة جميع القديسين في المسلي، وهي القرية المجاورة لفارلي. نشأت وكبرت وأنا أعب مع بنات اللورد ويسترهام».

كرر ماكس نايت مع تلميح بابتسامة خفيفة: «تلعب مع بنات اللورد ويسترهام».

لم يكشف وجه بن أي عاطفة. وسأله: «هل لي أن أسألك ما سبب هذا كله يا سيدي؟ هل لخلفيتي أي علاقة بنوعيّة عملي هنا؟».

ردّ عليه قائلاً: «من المؤكد، في هذه اللحظة. كما ترى، نحن في حاجة إلى بصيرة، نحتاج إلى شاب من الداخل عالم ببواطن الأمور».

نظر بن إلى أعلى، عابسًا وتساءل: «بصيرة من أجل ماذا؟».

كانت عينا ماكس نايت الزرقاوان الصفتيتان لا تزالان تحاكيان عيني بن. «منذ ثلاث ليال، سقط رجل على ما يبدو من طائرة على أحد حقول اللورد ويسترهام. لم تفتح مظلته. لقد كان في حالة من الفوضى العارمة، كما يمكنك أن تتخيل. كان وجهه تالفًا إلى حد أن من المستحيل الحصول على فكرة عن شكل وجهه. لكنه كان يرتدي الزي الملكي لغرب كنتس».

قال بن مقظبًا حاجبيه: «لقد استولوا على معظم فارلي، أليس كذلك؟».

«لكنهم فوج مشاة. من أين أتت المظلة؟ لم تأت من عندهم. لقد قال القائد إنَّ شبانه لا يقفزون من الطائرات، وكلهم كانوا حاضرين، وأماكن وجودهم معروفة. إنَّ قرص الهوية يعود إلى جندي قتل في دونكيرك، واتضح أنَّ شارة الرأس كانت الشارة التي كان يرتديها الفوج في الحرب العظمى».

قال بن وهو يشعر بازدياد دقائق قلبه المتسارعة: «إذن ربّما كان جاسوسًا، أليس كذلك؟».

«هذا مُمكن جدًا. لقد بلغني أيضًا أن أحد بناتنا اليقظات والفطينات كانت تقوم بتفتيش ملابسه، - وهي مهمة لا تُخسد عليها كما يُمكنك أن تتخيل جيّدًا - أن جواربه كانت مزيفة».

«جوارب؟ مزيفة؟».

نعم، إنَّها تعرف الحياكة، وتقول إنَّ الكعب لا يتماشى مع الشكّل في الجوارب الفُخّصة للجيش البريطاني. ولدى إجرائها المزيد من التحقيقات، كان في إمكانها فقط تحديد الرقم اثنين وأربعين عليها».

«اثنان وأربعون؟ متري الحجم؟».

قال بن مومئًا برأسه الآن: «أه، فهمت. إذن جاءت الجوارب من القازة».

قال ماكس نايت: «أنا سعيد لأننا نستخدم شباب أكسفورد. لذلك استعجل في فهم استخدام الأشياء المتاحة». لقد احمرّ وجه بن.

تابع ماكس نايت حديثه قائلاً: «لذلك أفترض أنَّ السؤال هو: ماذا كان يفعل في حقل اللورد

ويسترهاام؟ هل كان هناك عن قصد أم كان وجوده هناك من طريق الصدفة؟».

«هل كانت هناك رياح شديدة في تلك الليلة؟ جعلته ينحرف عن مساره؟ أو ربّما تسبب عطل المظلة في انجرافه؟».

«لقد حَقَّقنا في ذلك. كانت سرعة النسيم عقدتين اثنتين فقط. بالإضافة إلى ذلك، لا تنحرف إذا لم تفتح مظلتك بشكل صحيح. أنت تهبط مباشرة إلى الأسفل.».

ردّ بن قائلًا: «ربّما كان الأمر مُجرّد صدفة أن موقع الهبوط كان حقل اللورد ويسترهاام. قد يكون تلقى تعليماته للهبوط بمظلته بالقرب من لندن، أو بالقرب من محطة بيجين هيل لسلاح الجو الملكي البريطاني.».

«إذا كان الأمر هكذا، لم لم يرتدّ زي سلاح الجو الملكي البريطاني بدلًا من فوج كينت الغربي؟». ثم أخذ نفسًا عميقًا بدا وكأنه يتنفس الصعداء. ثم تابع: «يفكّنك أن ترى الوضع الصّعب الذي نجد أنفسنا فيه، ألا يمكنك ذلك يا كريسويل؟ إذا كان الهبوط مقصودًا، وإذا كان جاسوسًا ألمانيًا - وعلينا أن نفترض أنّ هذه هي الحال - فعندئذ تمّ إرساله لإجراء اتصالات بشخص قريب، في منطقة لا يثير فيها زي جماعة غرب كنتس الشكوك.».

سأله بن: «ماذا عن جيوبه يا سيدي؟ ألم يكن هناك شيء مفيد يفكّن استخلاصه من محتويات جيوبه؟».

«كانت جيوبه فارغة تمامًا، باستثناء صورة صغيرة في جيب الصدر».

سأل بن: «صورة صغيرة؟»، بينما كان الاهتمام ومشاعر الخوف تنتابه بنسب متساوية.

«كانت صورة البيئة الطبيعية. بالطبع كانت مغطاة بالدماء، لكنَّ المختبر تمكَّن من تنظيفها. بالمناسبة كان علينا أن نحصل على هذا بصعوبة من أيدي المخابرات العسكرية الذين لم يحرصوا على مشاركتنا المعلومات. لا أحد يرغب في ذلك هذه الأيام». ثم فتح درجًا وأخذ ملفًا رقيقًا، فتحه وأداره نحو بن. وقف بن ليرى الملف. لم تكن صورة جيدة جدًا كبداية. كان هذا النوع من الصور الصغيرة التي يمكن للسائح أخذها في العطلة الصيفية، والآن، بعد أن تبلَّت بالدم، وبعد أن جرى تنظيفها، كان الأمر أكثر غموضًا. كان المنظر بحسب استنتاج بن منظرًا عامًا للريف الإنكليزي الذي يحتوي على حقول مقسمة بوساطة صفوف من الشجيرات، وارتفاع في الخلفية، بالإضافة إلى تلٍّ شديد الانحدار، يعلوه تاج من الأشجار. كان وسط الأشجار مجرد معلم لقرية مع ما كان يبدو كبرج مربع للكنيسة بارزًا فوق الصنوبر الاسكتلندي. حدَّق بن فيه جيدًا، وقال: «هذا ليس في أي مكان رأيتَه، ولا يبدو أنه جزء من كينت. إنه يبدو أكثر كآبة، وانحدارًا، ومعرَّضًا لهبوب الرياح. إنه الصنوبر الاسكتلندي، أليس كذلك؟ أشبه بويست كنتري من تلك الكنيسة ذات الأبراج المربعة. قد تكون كورنويل؟».

أوما ماكس نايت بالموافقة قائلاً: «يُمكن أن يكون بالفعل. إذن ما سبب وجودها في جيبه؟ هل كان من المفترض أن يشق طريقه إلى هناك - وفي هذه الحالة، لماذا جرى إسقاطه في وسط منطقة كنت؟ هل كان من المفترض أن يسلمها إلى شخص من أجل تحديد موقع لموعد هدف غير معروف؟».

قدّم بن اقتراحه قائلاً: «أو أنّ اسم القرية مهم إلى حدّ ما؟».

تنهّد نايت مرّة أخرى قائلاً: «مرّة أخرى، هذا مُمكن. ستلاحظ وجود أرقام مكتوبة عليها. لقد تمّ مسحها تقريباً». ثمّ رفع نظره إلى بن قائلاً: «لكنّ القلم كان قد ترك أثراً على ورق الصور. لا بأس إن أخذتها بيدك».

التقط بن الصورة بحذر شديد ورفعها باتجاه الضوء قائلاً: «/١٤٦١/. هل وقعت أي معارك كبيرة في هذا التاريخ؟».

نظر نايت إلى بن نظرة فاحصة طويلة وقال: «هذا ما يجب عليك اكتشافه يا بني. أنا ألقى على عاتقك مهمة اكتشاف ذلك. تقول التقارير التي تحدثت عنها إنك سريع وحريص، ولا تحب أن تبقى من دون أي شيء تفعله في انتظار حدوث شيء ما. في العادة، أعطي مهمة من هذا النوع لرجل ذي مرتبة عالية، لكنك أنت تملك ما لا يمتلكه أي شخص آخر في هذه الدائرة، فأنت واحد منهم».

الفصل الثامن

دولفين سكوير، لندن شهر أيار 1941

تحرك بن بشكل غير مريح في مقعده. «عفوًا يا سيدي، ولكن ماذا تريد مني أن أفعل؟ هل تريدني أن أعرف مكان التقاط الصورة؟».

«لسنا في عجلة من أمرنا من أجل ذلك. الآن أود منك العودة إلى المنزل لبضعة أيام».

«لكّني أقول يا سيدي، أليس هناك حاجة ملحة للعمل السريع؟ لم يكن الألمان ليسقطوا شخصًا ما في ريف كينت ما لم يكن من أجل مهمة عاجلة».

«الرسول ميت يا كريسويل، ومن المفروض أن الرسالة التي كان يحملها ماتت معه. سيتعين عليهم إعادة تجميع صفوفهم والمحاولة مرة أخرى، ومن المرجح بطريقة مختلفة هذه المرة، لأنهم يفترضون أننا سنبحث عن المظليين. إن ما يتعين علينا معرفته هو لمن كانت الرسالة موجهة. هذا هو المكان الذي تبدأ منه. اذهب إلى المنزل. ولا تجعل الأمر واضحًا، ولكن اطرح أسئلة».

«أي نوع من الأسئلة؟».

نظر ماكسويل نايت إلى بن كما لو أنه كان متبلدًا بعض الشيء قائلاً: «أنا متأكد أن الحي سيظل يعج بأخبار الجثة. سيكون هناك شخص ما ليشير إلى أنه جاسوس ألماني. عليك مراقبة ردود أفعالهم».

سأل بن بحذر: «ماذا تقترح بالتحديد؟».

«يجب أن نفترض أن الرجل لم يقفز بالمظلة في هذا الحقل بالصدفة. إذا كان جاسوسًا ألمانيًا، وعلينا أن نفترض ذلك في الوضع الحالي، لماذا جرى اختيار ممتلكات اللورد ويسترهام؟».

«ربما كانت مساحة مفتوحة مريحة قريبة إلى حد ما من لندن».

«إذن كان الأمر هكذا، لماذا لا يوجد مال في جيوبه؟ ولم يكن قادرًا على الذهاب بعيدًا. فهو لم يكن يحمل أوراقًا، لذلك يبدو الأمر كما لو أنه كان يخطط لتوصيل رسالة بشكلٍ شخصي لشخص قريب. أو الذهاب إلى منزل آمن في مكان قريب. ولم يكن هناك أي أثر لأجهزة اللاسلكي أو أي وسيلة للتواصل مع قاعدته. أعتقد أنه كان يخطط لتسليم تلك الصورة. وبالتالي فإن السؤال هو لمن كان يريد إيصالها؟».

ضحك بن ضحكة مكتومة غير مخنوقة وتساءل: «هل تشير إلى أن اللورد ويسترهام أو أحد جيرانه يعمل لصالح الألمان؟».

حدق ماكس نايت به طويلًا وقال: «من المؤكد أنك تدرك أن هناك مشاعر مؤيدة لألمانيا بين بعض أعضاء الأرستقراطية. إن دوق وندسور مثال ساطع على هذا. لم يستطع الانتظار لزيارة هتلر في عرينه. لماذا تعتقد أنه تم نقله في سفينة ليكون حاكم جزر البهاما؟ حتى يتمكن الأميركيون من مراقبته، وإحباط أي مؤامرة لوضعه في السلطة هنا كملك دمية».

قال بن: «يا إلهي. لكن وجود روابط بألمانيا، أو حتى تعاطف معها من المؤكد أنه لا يعني أن أي رجل إنكليزي سيعمل بنشاط لمساعدة ألمانيا؟ حتى دوق وندسور سيفعل الشيء الصحيح إذا اقترب من مبعوثي هتلر. لن يوافق أبدًا على خلع شقيقه».

حدّق ماكس نايت بنظرة إلى بن الذي كان ينظر إليه بثبات قائلاً: «هل سيفعل الشيء الصحيح؟ يأمل المرء أن يفعل، لكنه أظهر بالفعل ضعفه وقابليته للانقياد، أليس كذلك؟ لقد تخلّى عن واجبه من أجل امرأة - من أجل امرأة ذات أخلاق مشكوك فيها أيضًا. قد لا يتمتع ملكنا الحالي بسحر أخيه، لكنه على الأقل قوي الشخصية، وليس لديه الرغبة في استخدامها أو أخذها كأمر مسلم به، كما أن لديه التزامًا راسخًا بدعم قرارات ومشاعر الفرد، وسوف يدعمنا في الأوقات العصيبة إذا استطاع وذلك الأمر متاح».

«إذن أنت تريد مني النزول إلى فارلي ومحاولة استنباط المشاعر المؤيدة لألمانيا؟».

«اذهب إلى المنزل وافتح عينيك وأذنيك، هذا كل شيء. اللورد ويسترهام وجيرانه. لنقل أرسم نصف قطر بطول خمسة أميال لدائرة. من سيقع ضمنها؟».

«بما في ذلك القربتان أو الثلاث؟».

«ربما. على الرغم من أنني متأكد أن جميع القرويين سيقولون لك بسرعة كافية عن أي شخص جديد في المنطقة يتصرّف بشكل غريب، أو شخص ذهب ذات مرة لقضاء عطلة في ألمانيا، أو سويسرا،

أو النمسا، أو حتى من يحب بيتهوفن. لا، يا بني أنا مهتم بالأسماك الكبيرة. أهتم بشخص قد يكون قادرًا على إحداث أضرار حقيقية. من الذي يعيش بالضبط في فارلي هذه الأيام؟».

ضحك بن قائلاً: «لواء كامل من فوج غرب كينت الملكي أولاً».

ابتسم ماكس نايت أيضًا قائلاً: «لدينا استخبارات الجيش تعمل عليهم. لم يتوصلوا حتى الآن إلى أي خيوط على الإطلاق. كان فوج غرب كينت بأكمله نائفاً، وكان أفراده محشورين في أسرتهم حين سقط رجلنا من السماء. واستنادًا إلى قائدهم، بدا أنهم جميعًا يعيشون حياة بسيطة ومملة بشكل ملحوظ قبل الحرب. إنهم أشخاص جيدون ونزيهون وأشرف. إنهم العمود الفقري للبلاد: الجزار والخباز وصانع الشموع. قصدت العائلة».

أطرق بن مليًا، ثم قال: «هناك في الوقت الحالي؟ حسنًا اللورد والليدي ويسترهام، ابنتهما الكبرى، أوليفيا، وابنتان صغيرتان، ديانا وفوبي. أوليفيا متزوجة، لكنها عادت إلى فارلي مع طفلها في حين أن زوجها في الجيش عبر البحار».

«هل عند اللورد ويسترهام أطفال آخرون؟».

«ابنتان أخريان. مارغوت كانت في باريس في آخر مرة سمعت أخبارها. إنها عالقة هناك طوال المدة لأنها لم ترغب في ترك صديقها الفرنسي».

«ماذا كانت تفعل في باريس؟».

«في المدرسة النهائية (25)».

«أه لا. كانت بالفعل قد خرجت إلى المجتمع. كانت ترغب في دراسة تصميم الأزياء وتلقت تدريبها على يد جيغي أرماند. يُقال بأن أداءها جيد بحسب ما كنت أسمع».

خربش ماكس نايت شيئًا على لوحة للكتابة متسائلًا: «والابنة الأخرى؟».

«باميلا. إنها تقوم بعمل من نوع ما في لندن. تعمل في مجال السكرتارية، على ما أعتقد».

كان بن يدرك أن ماكس نايت يحدق به تحديقًا مطوّلًا وعميقًا. إنه يتمتع بنظرٍ حادّ، كما لو أنه يقرأ الأفكار، ولاحظ بن أن احمرًا كان يزحف على خديه. ولكن بعد ذلك نظر ماكس نايت بعيدًا.

«كلّ الأصوات رائعة، أليس كذلك؟ الأسرة الإنكليزية المثالية وخدمهم. لا الخادمت القاريّات الجديّدات أو الخدم السويسريّين، كما أعتقد؟».

ابتسم بن ابتسامة عريضة. «إنهم يعودون إلى طاقم في حده الأدنى، كما أخبرني والدي. لقد ذهب الخدم جميعًا للقتال. وبالطبع، سمح للعائلة بإشغال جناح واحد فقط، لذلك فهم لا يحتاجون إلى عدد كبير من الخدم. كان الطاهي وسوامز، وكبير الخدم معهم منذ فترة طويلة».

«وماذا عن الجيران؟».

أظهر ماكس نايت شبح ابتسامة قائلًا: «أظنك تعني جيران الطبقة العليا، لا المزارعين

المحليين؟» .

«دعنا نقل إنني أكثر اهتماما بجيران الطبقة العليا».

أجاب بن: «أقرب جار هو أبي. حدود كنيسته مزرعة فارلي. ويمكنني أن أوكد لكم أن أبي لم يكن له أي اهتمامات خارج التاريخ والطيور».

«الطيور؟».

«مشاهد عاطفي للطيور. إنه كاهن ريفي نموذجي - مملٌ جدًا، على الرّغم من أنه شخص قديم طيب القلب. توفيت والدي حين كنت طفلًا. لقد أصيبت بالأنفلونزا الإسبانية عام ١٩٢٠، لذلك والدي بمفرده منذ ذلك الحين».

«وغيرهم من الجيران؟». لقد رفض ماكس نايت بوضوح والد بن كونه غير مهم.

«هناك العقيد والسيدة هنتلي في غرانج. لقد عادوا من الهند في منتصف الثلاثينيات. وكان لدى قدومه مخلصًا وصادقًا ويمكن الاعتماد عليه. وهناك عانس مسنة، وهي هاملتون. ثم هناك عائلة بريسكوت. وهناك السير وليام وزوجته ويمتلكون العقارات القريبة. نيزركوت. إنه شخص قوي في المدينة، كما تعلم».

«ولديهم ابن».

هز بن رأسه بالموافقة. «جيرمي. كنا في أكسفورد معًا. وكان في سلاح الجو الملكي البريطاني. جرى إسقاطه فوق فرنسا، وهو الآن في معسكر ألماني

لأسرى الحرب».

قال ماكس نايت: «حظٌ عاثر». كان هناك شيءٌ في تعبيره لم يستطع بن فهمه. قد يكون مزحة خاصة كان يستمتع بها.

لقد احمرَّ وجهه حين سأله نايت فجأة: «ألم يكن سلاح الجو الملكي البريطاني جدًّا باً لتنضم إليه أنت بنفسك، إذن؟».

«كنت أتمنى الانضمام إليه بالفعل يا سيدي. ولكن لسوء الحظ، تعرّضت للإصابة في حادث تحطم طائرة قبل الحرب، وقد أصيبت ساقَي اليسرى بأضرار بالغة، وهي لا تنحني بالقدر الكافي للصعود أو النزول من الطائرات بسهولة».

«هذا حظ سيء»، أوما ماكس نايت متعاطفًا معه. ثم أضاف: «ولكن على الأقل تقوم بعمل مفيد هنا، أليس كذلك؟ عملك هذا هو بالقدر نفسه من الأهمية».

«كما ترى يا سيدي». كان وجه بن خاليًا من أي تعابير عاطفية.

سأل ماكس نايت، مع تلميح ابتسامة: «حتى الآن لم يكن الأمر يبدو مهمًّا؟».

تساءل بن كيف وصلت هذه المعلومات إلى ملفّاته وماذا قالوا عنه. ثم نظر إليه متسائلًا: «هل سيكون هذا كل شيء يا سيدي؟».

«في الوقت الحالي، نعم. سأرسل مذكرةً إلى مايك راديسون أخبره فيها بأنني استعرتك لفترة من

الوقت. ومن الان فصاعدًا، عليك تقديم تقاريرك إلي فقط. هل هذا واضح؟ ولست في حاجة إلى تذكيرك بأن لا شيء مما قيل هنا يذهب أبعد من حدود هذه الغرفة".

«بالطبع يا سيدي».

«ومن الأهمية بمكان ألا يكون لدى جيرانك في مدينة كينت أي إشارة أو تلميح إلى سبب وجودك هناك أو ما تفعله».

«أنا متأكد أنهم لا يعرفون يا سيدي. إنهم يعتقدون أن لدي ساقا عرجاء وأنا عالق في وظيفة مكتبية في وزارة».

«إذن دعنا نُبهم يعتقدون ذلك، أليس كذلك؟ كما يمكنك أن تلمح أمامهم بأن العمل قد أصبح كثيرًا بالنسبة إليك، وأنت تلقيت نصيحة بأخذ قسط من الراحة».

«هل تريدني أن أبدو غير مستقر عقليًا ومعويًا جسديًا؟». كان صوت بن يتسم بنبرة حادة ومفاجئة. ابتسم ماكس نايت قائلاً: «لا بأس بذلك إذا كان يناسب تحقيق أهدافنا. ستصاب بالذهول لمعرفة وسائل التخفي التي كان يستخدمها بعض من قمت بتجنيدهم».

تذكر بن عندئذ أنه كانت هناك شائعات عن نقيب معين أو السيد «ك»، وهو سيد التجسس الذي كان يعيش في دولفين سكوير، فعمت نفسه موجة سحر من الإثارة لأنه قد جرى تجنيده للتو ليكون

جاسوسًا، وإن كان على الجبهة الداخلية.

وقف بن على قدميه. مد ماكس نايت يده إليه قائلا: «سررت لمقابلتك يا كريسويل. أعتقد أنك الرجل المناسب لهذه المهمة».

تصافحا، وتذكر بن الثعبان في جيب نايت فقال: «أنا أقول يا سيدي. هذا الثعبان. هل هو نوع من الحيوانات الأليفة؟ هل هو تعويذة سحرية تجلب لك الحظ السعيد؟».

أنا عاشق للطبيعة يا كريسويل. وعاشق للحيوانات. لقد وجدت هذا الحيوان المسكين على وشك أن يُقتل على أيدي بعض أطفال القرية، لذلك قمت بإنقاذه. يبدو أنه تأقلم مع الحياة بشكل جيد جدًا في مكتبي».

«ألم تشعر بالقلق في أي وقت من إنّه قد يهرب من جيبك؟».

«إذا فعل ذلك، حظًا سعيدًا له. لكنني أعتقد أنّه يعرف أين تكمن فيه أفضل مصالحة. أقترح عليك أن تفعل الشيء نفسه».

«تردد بن قائلا: «عفوًا يا سيدي، ولكن كيف أتصل بك؟».

« تعال إلى هنا، أو ارسل إليّ برقية تحتوي على رقم حيث يمكن الوصول إليك. نحن لا نستخدم نظام الهاتف أبدًا لأسباب واضحة».

بينما كان بن يسير إلى الباب، قال ماكس نايت من خلفه: «تحظم تلك الطائرة. كان جيرمي بريسكوت

الطيار، أليس كذلك؟ لقد نجا من دون أن يصاب بأي خدش. أمل ألا يكون هناك مشاعر سيئة هناك».

التفت بن إلى الخلف قائلاً: «أفضل أن أكون هنا بدلاً من أن أكون في معسكر ألماني حيث يقيم أسرى الحرب لدى الألمان يا سيدي. ومن يدري كيف تخبط بعد أن خرج من الطائرة». توقّف مؤقتاً، ثم تابع قائلاً: «لقد كانت حادثة. مجرد حادثة بسيطة. لا مشاعر سيئة. كنا دائماً واحداً من أفضل الأصدقاء».

ذهب بعد ذلك. لقد أدرك فقط لقا كان ينزل في المصعد أنّ ماكسويل نایت كان يعرف كل التفاصيل عن أصدقائه، وجيرانه قبل بدء المقابلة. كان هو الذي جرى التحقيق معه ووضعه على المحك، وهو من جرى اختباره.

لدى عودته إلى سجن وورم ود سكربس، كان بن قد عاد لتوّه إلى مكانه المعتاد حين دخل هاركورت بشكل مفاجئ. «أنت هنا. ألم تُظرد على الفور مع تعليق وجيز، إياك أن تقرب عتبات أبواب بيوتنا مرّة أخرى».

أجاب بن: «يبدو الأمر كذلك».

«اللجنة. لن أستطيع أخذ كرسيك؟ لقد بدأ الكرسي الذي أجلس عليه بالصرير بطريقة مزعجة للغاية، كما بدأ بالاهتزاز جيئةً وذهاباً، من جانب إلى آخر».

«يمكنك استخدامه للأسبوع المقبل أو نحو ذلك إذا أردت. قيل لي أن اخذ إجازة من أجل الراحة».

«إجازة؟ لماذا؟».

«من الواضح أنني كنت أفرط في العمل». كانت الكأبة تسيطر على بن، وكان يجد صعوبة في نطق الكلمات.

قال هاركورت: «يا رب! يا الله! لم ألاحظ أي تلميح لأي شخص قادر على الضحك». لقد ذهب إلى مكتب بن، وجلس عليه، ثم حدق بين متفحصًا وقال: «أسف بشدة يا صديقي القديم».

أجاب بن قائلاً: «أنا لست على وشك أن أعاني من العزلة أو أي شيء». أراد أن يقول إن كل شيء على ما يرام عنده. ثم أضاف: «إن ما حصل هو أن الطبيب الدجال اعتقد أنني يجب أن أستريح لمدة أسبوعين، هذا كل شيء».

قال هاركورت: «أتمنى لو أن طبيبي يصف الشيء نفسه لي. تتوق نفسي لتناول شاي الكريمة (26) والفراولة، ولعب الكريكيت المفتع في القرية».

قال بن: «لا أعتقد أنك ستجد ما يكفي من الرجال في المنزل لتشكيل فريق الكريكيت».

«على الأغلب لا».

قال بن: «لم أطلب ذلك قط»، مقرراً أن الهجوم كان أفضل شكل من أشكال الدفاع، ثم تابع قائلاً: «ولكن لماذا لا ترتدي الزي العسكري؟».

«ليكن هذا الأمر بيننا، إنها رياضة الأقدام المسطحة القديمة. وأنا أعلم أن هذا محرج بشكل رهيب. عادةً ما أخبر الناس أن لدي قلبًا ضعيفًا يعاني من اضطرابات. أشعر بأنني بصحة جيدة

وقوية جدًا، لكن الطبيب المحلي لم يوقع على نهاية علاجي. بصراحة، أفضل أن أكون في الخارج أقاتل في مكان غريب وأجنبي، بحيث يكون من واجبي أن أشرح حالتي لكل من توم، وديك، وهاري الذين ممن أمر بهم في الشارع”.

وافقه بن قائلاً: «أنا أعلم أن ذلك سيء للغاية، أليس كذلك؟».

قال هاركورت: «على الأقل يمكنك رفع سروالك وإظهار ساقتك لهم. أستطيع أن أقول إنهم لا يصدقونني من القلب، ومن المؤكد أنهم لن يقتنعوا بما أقول».

ساد الصمت المحرج. قال هاركورت: «هل ستذهب إلى المنزل قليلاً؟».

«فقط لوقت قصير».

«يا للروعة والجمال. ما أجمل كينت في أواخر الربيع. أزهار التفاح. أزهار الجريس. كم أنت محظوظ. هل تمنع إذا قمت بزيارتك؟ أصدقائي كلهم في يوركشاير. وهي بعيد جدًا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع».

لقد أصيب بن بالذهول. «بالطبع لا. أهلاً وسهلاً بك في أي وقت. والدي طبّاح جيد. ويمكنني أن أضمن أنه لن يقدم لحم حصان في قائمة الطعام».

نظر هاركورت إليه مرة أخرى وقال: «إذن أنت اليوم في إجازة؟ أنا ذاهب لتنظيف مكتبك؟».

«ليست نهاية الفصل الدراسي في المدرسة. وأنا

لا أترك أي شيء سري. فقط أقلام رصاص قليلة وما شابه ذلك».

«سمعت أننا ربّما نتجه إلى قصر بلينهايم قريبًا للانضمام إلى بقية القسم «ب». في هذه الحالة...». ردّ بن قائلاً: «في هذه الحالة من المحتمل أن تحصل على كرسيّ جديد». وقف هاركورت مرة أخرى لهذه النعمة السهلة وهمّ في المغادرة، ولكنه بعد ذلك استدار قائلاً: «إذن، لم يكن الأمر متعلّقًا بدولفين سكوير؟».

التفت بن للنظر إليه في ذهول مردّدًا: «دولفين سكوير؟».

«نعم رحلتك القصيرة اليوم».

«أليست هذه هي الكتلة القبيحة الكبيرة من الشقق التي يحتفظ فيها الأثرياء بشقة في لندن؟». «هذا صحيح. لكن المرء يسمع أيضًا»، رفع كتفيه تعبيرًا عن اللامبالاة أو عدم اليقين، «آه، لا يهم. ربّما أسأت فهم الموقف أو الأمور مرّة أخرى».

سأل بن: «ترى ما الذي جعلك تعتقد أنني قد أذهب إلى دولفين سكوير؟».

«لقد كان الأمر كذلك، حسنًا، لقد كنت مازًا بالصدفة - وأنت تعرف كيف يُفكّنك أن تسمع من خلال الجدران الملعونة لهذه الأقسام - وسمعت راديسون يقول: هل تريده في دولفين سكوير الآن؟ ثم خرج إلى القاعة وبدأ يبحث عنك. لذلك بطبيعة الحال، كوني شابًا سريع الاستيعاب، فقد توصلت

إلى تلك النتيجة باستخدام المعلومات المتاحة».

قال بن: «أخشى أن تفهم الموقف بشكل خاطئ. إذن، ما الذي يحدث في دولفين سكوير؟ هل هو غطاء لنوع من العمليات الخاصة؟».

قال هاركورت: «كيف لي أن أعرف؟ أنا من الرتب الدنيا مثلك. إن الأمر هو . . .» - مشى إلى الباب وأغلقه - «يسمع المرء ع نشابٍ معينٍ بأسماء مختلفة يعمل خارج المكتب هناك. وهو ليس مسؤولاً أمام أي شخص، باستثناء تشرشل والملك كما يفترض».

قال بن: «يا للعجب! هل هو إلى جانبنا؟».

«يأمل الواحد ذلك. يبدو أنه يمكن أن يحدث الكثير من الضرر إذا لم يكن كذلك».

قال بن: «إذن، من حسن الحظ أننا عالقون مع متناقل قديم جيد كراديسون، لكنه جدير بالثقة، ليس كذلك؟». قام بإزالة الكثير من أقلام الرصاص ودفتر مدرسي مسطر من مكتبه، بالإضافة إلى بعض من حلويات دائرية من نوع راونتريز فروت والتي أضحت قاسية الآن، وخريطة لمترو الأنفاق، وأسقطها في حقيبته قائلاً: «أمل أن أراك في غضون أسبوعين. اعتن بنفسك».

«أنت أيضًا، الشاب الكبير. استمتع بوقتك». أما أكثر ما أثار دهشة بن أن هاركورت، قام بمصافحته.

الفصل التاسع

بليتشلي بارك شهر أيار 1941

سألت تريكسي: «هل أنت ذاهبة في إجازة؟ متى ستذهبين؟».

كانت بامبلا قد وجدتھا في غرفتهم، بينما كانت تضع اللمسات الأخيرة على مكياجھا قبل أن تتجه إلى نوبة العمل المتأخرة في الساعة الرابعة مساءً. بينما كانت فتيات أخريات يرتدين بدلات معقولة من قطعتين أو ثيابًا قطنية للعمل، يبدو أن تريكسي كانت تبدو وكأنھا على وشك حضور غداء فاخر. اليوم كانت ترتدي ثوب الشاي الحريري المنمق (27).

قالت بامبلا: «في نهاية هذه المناوبة الحالية».

هزت تريكسي رأسھا في انزعاج حتى إن تجعيدات شعرھا بدأت بالارتداد وقالت: «لكن هذا ليس عدلاً». لقد سزحت شعرھا البني الداكن وجعدته بإحكام بأسلوب شيرلي تمبل خلفاً لتسريحة الشعر الأشقر القصير الرمادي الفاتح الصبانيّة لبامبلا. «لقد تقدّمت بطلب للحصول على إجازة الأسبوع الماضي وتمّ رفض طلبي. قيل لي إنني أمضيت أسبوعًا كاملًا في عيد الميلاد، وسيتعين علي الانتظار حتى شهر تموز كأقرب وقت ممكن حتى أتمكن من الذهاب في إجازة أخرى».

قالت بامبلا: «من الواضح أنك أكثر قيمة مني».

سألت تريكسي: «هل هناك سبب لهذا المغادرة المفاجئة؟ أمل ألا يكون ذلك أخبارًا سيئة وإجازة شخصية أو خاصة».

قالت بامبلا: «حسنًا، إنه الموضوع بطريقة ما. لقد سمعت للتو أن صديقًا لي قد نجح في شق طريقه إلى إنكلترا بعد فراره من معسكر ألماني لأسرى الحرب. لم يكن لدينا أخبار عنه منذ زمنٍ طويلٍ. لم نكن نعرف ما إذا كان حيًا أو ميتًا. ولما اكتشفت ذلك، شعرت بالصدمة إلى حد أنني انهرت خارج محطة القطار. لم أفعل أي شيء غبي في حياتي قط - حسنًا، لقد أغمي علي مرة واحدة أو مرتين فقط حين ذهبت إلى حفل ذكرى موت المسيح المبكر في الكنيسة دون تناول أي فطور. لقد مررت بمرحلة دينية إلى حد ما في سن المراهقة».

قالت تريكسي: «غير معقول، من المؤكد أنني لم أفعل ذلك. لكن الإغماء أمر مفهوم تمامًا. أشعر بالإرهاق الشديد عندما أكون في نوبة ليلية. لا يحصل المرء على نوم مناسب فيها. وفضلًا عن ذلك، فإن محاولة القراءة في هذا الضوء الباهت تسبب للمرء دائمًا صداغًا، أليس كذلك؟». ثم اقتربت منها، ووضعت ذراعها حول كتف بامبلا وقالت: «ولكن أنت أيتها الكبيرة الذكية. أنت تفقدين وعيك وتجعلينهم يعتقدون أنك تنهارين وتحتاجين إلى استراحة، وبالتالي تحققين ما تريدونه بالضبط من أجل العودة مباشرة إلى المنزل لرؤية فتاك».

أجابت بامبلا، وقد تحوّل لون وجهها إلى اللون

الوردى قائلة: «لا أعرف ما إذا كان هو بالضبط الفتى الخاص بي. لقد نشأنا معاً، وذهبنا للرقص والأشياء الأخرى عدة مرات، لكنه لم يكن جاداً. لم يطلب مني قط في يوم من الأيام أن أكون فتاته قبل أن يذهب إلى سلاح الجو الملكي البريطاني. فهو لم يكن يكتب لي إلا قليلاً. وأنا متأكدة أنني لم أكن الوحيدة في حياته. إنه ذو مظهر رائع وغني».

قالت تريكسي مبتسمة ابتسامة شريرة: «عزيزتي، ربما اضطرُّ للنزول إلى أعماق ريف كينت لزيارتك. حسن المظهر وغني! من تستطيع المقاومة؟!».

قال بامبلا وهي تضحك: «أخرجني منها. هذا لي. على الأقل أمل أن يكون لي. سنرى في بضعة أيام». ثم وضعت يديها على وجهها قائلة: «يا للهول، كم هو مثير. لا أستطيع الانتظار».

قالت تريكسي بهدوء: «يجب أن تكوني مستعدة لصدمة أيتها الراشدة. أعني أنه إذا تحطمت طائرته وقفز بالمظلة، فقد يكون مصاباً بجروح بالغة. قد يكون مشوهاً، أنتِ تعرفين».

من الواضح أن بامبلا لم تفكر في هذا الأمر. لقد توقفت بشكل مؤقت، ثم قالت بحزم: «لقد كان قوياً بما يكفي للهروب من معسكر السجن وشق طريقه بشكل آمن إلى الوطن طوال الطريق في جميع أنحاء فرنسا. أعتقد أن ذلك كان يكشف شجاعته الكبيرة».

قالت تريكسي: «أو أحق. لو كنت في معسكر أسرى حرب لائق إلى حد ما، فأنا أعتقد أنني سأبقى

مستلقية وأجلس ألعب الورق بدلًا من إعادتي للقتال».

قالت بامبلا: «الأمر مختلف بالنسبة إلى الطيار المقاتل. إنها لعبة ضخمة بالنسبة إليهم، مثل لعبة الشطرنج في الهواء. لقد أحبها جيرمي».

«جيرمي؟ هل نتحدث عن جيرمي بريسكوت؟».

«نعم. هل تعرفينه؟».

لمع بريق في عيني تريكسي وقالت: «يا عزيزتي، كان حديث الفتيات خلال موسمنا. بكالوريوس مؤهل رقم واحد. ستكونين محظوظة أيتها الشابة إذا تمكنت من القبض عليه».

قالت بامبلا: «أنا أتمنى ذلك من أعماق نفسي». ثم انحنت لتناول حقيبتها من تحت السرير وفتحتها، وأضحت جاهزة لبدء حزم أمتعتها.

بدأ أن القطار من بليتشلي يأخذ وقتًا طويلًا جدًا. لقد جرى تحويله من الخط الرئيسي إلى الخطوط الجانبية عدة مرات للسماح لقطارات البضائع وقطارات نقل الجنود بالمرور. لقا دخل القطار لندن، بأن الضرر الذي أحدثته القنابل واضحًا. لا تزال الأغلفة الخارجية للمباني سوداء، ولا يزال هناك منزل بجدار واحد مفقود يكشف عن غرفة نوم كاملة مع سرير نحاسي ولحاف بأزهار وردية، وحوض غسيل صيني في الزاوية. وفي الشارع التالي، جرى هدم صف كامل، ومع ذلك فقد وقف أحد متاجر السمك والرقائق الذي يبيع الأطعمة الساخنة مثل السمك، والبطاطا، والدجاج المقلي،

والنفاق، وفطائر اللحم، سالقا في خضم الدمار مع إشعار موجه إلى الباب، كُتب عليه: «لا يزال مفتوحا للعمل». لقد أغلقت بامبلا عينيها، متمنية زوال تلك الصور. كانت تعباً جداً، حيث خرجت من العمل مباشرة، ولكن حتى الترحُّج الإيقاعي للقطار لم يكن يهددها لتخلد للنوم. كانت على حافة الهاوية، بعد سماعها من طريق الصدفة محادثة كوخها الليلة السابقة.

جرى تقسيم الكوخ الطويل الذي تعمل فيه إلى غرف صغيرة على جانبي الممر المركزي. في منتصف نوبتها، كانت في حاجة إلى تلبية نداء الطبيعة. إذ كان عليها أن تسير على طول الكوخ للذهاب إلى مرحاض السيدات في النهاية البعيدة. كانت قد وصلت تقريبا إلى الباب البعيد حين تذكرت أنها تركت شعلتها. في أوقات انقطاع التيار الكهربائي المفاجئ، لم تكن لتجد المراحيض من دون شعلتها. وبينما كانت تعود، سمعت صوت رجلين يتحدثان بصوت ناعم.

«هل ستخبرها قبل أن تأخذ إجازتها؟»

«من المؤكد لا. إذا كنت تريد أن تعرف، فما زلت أعتقد أن هذا خطأ. سأحاول منع الرجل الكبير من فعل ذلك من خلال الحديث عن الأسباب الجيدة لعدم القيام بذلك».

«لكئها ملهمة جداً. أنت تعرف ذلك بقدر ما أعرف. إنها الشخص المناسب لهذا العمل».

«هل هي كذلك؟ إنها واحدة منهم».

«يفكنها أن تثبت أنها مفيدة في منصبها».

«هذا يعتمد على ولائها - لنا أو لهم. لا اعتقد أننا يجب أن نخاطر أيها الصديق العزيز».

ثم سار أحدهم وأغلق الباب. وكانت بامبلا متأكدة تماما أن المحادثة لم تكن مخصصة لكي تسمعها وأنهم كانوا يتحدثون عنها.

سألت نفسها: إذن ماذا يفكن أن يعني هذا الكلام؟ هل لديهم أي سبب للتشكيك في ولائها؟ ولمن اعتقدوا أنها قد تكون موالية؟ من المؤكد أنهم لا يفكن أن يشكوا في أنها جاسوسة ألمانية؟ انتظرت بفارغ الصبر أن يتحرك القطار إلى محطة يوستون ويتوقف هناك.

كانت محطة تشارنج كروس في حالة من الفوضى المعتادة حين جاءت بامبلا من مترو الأنفاق الذي كان قد نقلها عبر لندن من يوستن: لقد كان الجنود من مختلف الفروع يتجولون في الماضي بمهمة جديدة، أو للعودة إلى الوطن في إجازة قبل شحنهم إلى إفريقيا أو الشرق الأقصى. كان هناك أطفال صغار يحملون ملصقات حول أعناقهم ينتظرون في مجموعة مستعدين للإجلاء، في حين أن أمهاتهم كن يراقبن وراء الحاجز ويحدقن بهم بأعين قلقة. كان القطار على المنصة المجاورة على وشك المغادرة. في كل نافذة تقريبا كان هناك جندي يتكى عليها، ويقول وداغا لحبيبتة أو لأمه. وقفت فتاة واحدة على رؤوس أصابعها لتقبيل حبيبها.

قالت له: «اعتن بنفسك يا جو».

أجابها قائلاً: «لا تقلقي علي. سأكون بخير. أنا مثل القظ بتسعة أرواح، أنا كذلك».

نظرت بامبلا إليهما بشفقة وشوق. كم من الشباب كانوا قد قالوا الكلام نفسه ولم يعودوا قظ؟ ومع ذلك، فإنها كانت تحسد الطريقة التي حدقا بها في أعين بعضهما بعضاً، وكأنه لا يوجد هناك أحد آخر في العالم قاطبة. كان قطارها لتوه واقفاً على المنصة، وناضلت للصعود على متنه مع بقية الحشد المنتظر. كانت قد اختارت عربة مع ممر ومزّت بصعوبة محشورة بين الجنود بأكياس الحقائب الخاصة بهم وكانوا قد أخذوا بالفعل مواقعهم هناك، ويدردشون، ويدخنون كما لو كانوا ذاهبين في رحلة يوم الأحد.

قال بعض منهم أشياء غزلية بشكل غير ضار حين كانت تمر. «اجلسي هنا يا حبيبتي». ربت واحد آخر على حقيبة عدة. «سنبقيك مستمتعةً خلال الرحلة. رعاية خاصة لشهر العسل».

لقد تجاهلتهم بطريقة لطيفة، مع العلم أن التظاهر بالشجاعة كان ضرورياً، وكانت الابتسامة من فتاة جميلة هي ما يحتاجونه الآن. ولما وجدت حجرة فيها مقعد فارغ، جلست فيه بامتنان. كان يشغل العربة لتوها أم مع طفل صغير كان يرضع إبهامه بسعادة في حجرها، وشابة من خدمة البحرية الملكية للمرأة بزيها الرسمي، وسيدتان شجاعتان في منتصف العمر كانتا تشكوان بمرارة من أن السكك الحديدية لم تعد توفر مقصورات للسيدات

فقط. قالت الأكثر بدانة: «إن الانحشار بين هؤلاء الرجال أمر مخزٍ». هل تعلمين أن أحدهم قال لي: «خذي الأمور بسهولة يا أمي. أنت لا تثيرين لدي أي شعور بالإثارة أو المتعة على الإطلاق».

«هذا أمر مروّع. لقد جن جنون العالم».

نظرت الاثنتين إلى بامبلا للتعاطف وقالت: «أمل ألا يكونوا قد أسأؤوا الأدب معك يا عزيزتي؟».

ابتسمت بامبلا قائلة: «لا شيء لم أستطع التعامل معهم».

تم إطلاق صافرة. كانت هناك أقدام جارية وأبواب تُغلق بينما كان القطار يندفع فجأة إلى الأمام مغادراً المحطة. بدأ هؤلاء الذين وصلوا حديثاً بالانتقال عبر الممر. استدارت بعيداً بامبلا وحدقت من النافذة بينما عبر القطار جسر السكك الحديدية فوق نهر التايمز، وظهر منظر بانورامي لمدينة لندن، مع ارتفاع قبة سانت بول بشجاعة بين الأنقاض. ولما دخلوا محطة واترلو على الضفة الجنوبية، رأت أن شخصاً ما كان يتكئ على باب مقصورتها - شاباً يرتدي سترة مننسيج صوفي قايس، ذي قوام ناعم، ومفتوح، ومرن. ومن المؤكد أنه كان هناك شيء مألوف حول طريقة تجعيد الشعر الداكن حول قبتته. لقد سحبت باب المقصورة بقوة لينفتح ما جعل الرجل يخطو بعيداً ويستدير.

قالت ووجهها يضيء: «بن؟ يا إلهي! اعتقدت أنني ميزت مؤخرة رأسك».

نظر إليها غير مصدق ما راه قائلاً: «بامبلا؟ ماذا

تفعلين هنا؟».

«الشيء نفسه مثلك على ما أعتقد. أنا ذاهبة إلى المنزل لبضعة أيام. تعال هنا. هناك مجال لشخص آخر».

«هل هناك مجال لشخص آخر؟ اعتقدت أنه قد يكون للسيدات فقط. إذا كانت السيدات الأخريات لا يمانعن».

«بالطبع لا يمانعن ذلك». ربتت بامبلا على المقعد المقابل لها مشيرة إليه بالجلوس، ووضع حقيبته على الرف.

قالت وهي لا تزال تبتسم له: «يا لها من مصادفة إننا ذاهبون إلى المنزل في الوقت عينه. كم تسعدني رؤيتك. لم أرك منذ زمن طويل».

قال لها: «لقد لمحتك لمحة سريعة في الكنيسة خلال عيد الميلاد الماضي. أنت تبدين بحالة جيدة». «وأنت أيضًا. إذن فهم لا يجهدونك بالعمل الشاق أيضًا؟».

أجاب بابتسامة ناكرة للذات قائلاً: «الكثير من الأشياء المملة. إنها أعمال مكررة لكنها ضرورية على ما أظن».

«أنت تعمل في إحدى الوزارات، أليس كذلك؟».

«أنا تابع لواحدة من الوزارات. أبحاث. البحث عن الكثير من المعلومات العديمة الفائدة. ألا تفعلين الشيء نفسه؟».

«أقوم بأعمال مماثلة. أعمال مكتبية. إنها مملة».

بشكل رهيب الأرشفة وأشياء مماثلة. ولكن يجب على شخص ما القيام بذلك".

سألها: «هل أنت في لندن نفسها؟».

«لا، لقد تم إخلاء فرعي خارج بيركشاير. كما تعلم، يجب أن نحتفظ بسجلات أمانة من القنابل. ماذا عنك؟».

«لقد كنت في لندن، لكنني لست متأكدًا أن المكان الذي قد يجري إرساله إليه بعد ذلك. يبدو أنهم سيرسلون الجميع إلى البلد هذه الأيام».

ساد الصمت. لقد تبادلوا ابتسامة. تنحنح بن وقال: «هل توجد أي أخبار عن جيرمي؟».

لمع وجهه بامبلا وقالت: «ألم تسمع؟ من الواضح أنك لم تقرأ الصحف مؤخرًا».

«لا أقرأها أبدًا. فهي دائمًا تعجُّ بالأخبار السيئة».

انحنت بالقرب منه عبر الممر وقالت: «إنه في المنزل يا بن. هرب من المعسكر ونجح في شق طريقه عبر فرنسا. أليس هذا رائعًا؟».

قال بن: «هذا مذهل. حسنًا، إذا تمكّن أي شخص من الفرار من سجن المعسكر وقطع نصف الطريق عبر أنحاء أوروبا من دون أن يُقبض عليه، سيكون جيرمي».

تنهدت وقالت: «أعرف ذلك. لم أكد كنت أصدق ذلك لما قرأت الخبر في الصحيفة، لكنني اتصلت هاتفياً بعائلتي، وقد عاد فعلاً إلى نيزركوت، وهو يتعافى من محنته. يجب أن تأتي معي لرؤيته».

«هل أنت متأكدة أنك تريدين مئي الذهاب معك؟»
«من المؤكد. يريد جيرمي أن يراك بقدر ما يريد
أن يراني. وإذا كان... أنت تعلم... مصابًا أو ما شابه
ذلك... حسنًا، إذن، أفضل وجودك معي هناك».

قال: «حسنًا. ساتي معك».

«يجب أن تأتي إلى المنزل بمجرد أن تلقي التحية
على والدك. أنا متأكدة أنهم جميعًا يريدون رؤيتك».
«كيف أحوالهم جميعًا؟».

«لم أذهب إلى المنزل منذ عيد الميلاد، ولكن ما
أستطيع أن أقوله من خلال رسائل ماما، إن بابا
منزعج دائمًا من الاضطرار للعيش في مثل هذه
الظروف المزدحمة - كما لو كان أحد أجنحة فارلي
مكتنًا بالفعل». ضحكت قائلة: «لقد أزعجه أيضًا أنه
أكبر من أن يقوم بعمله، على حد تعبيره. لقد جرى
تجنيدته في حراسة المنازل المحلية لكنني أشك
في أنه فقط مجرد مصدر إزعاج لهم، ويريد إعطاء
الأوامر. أما ماما فهي تتابع في طريقها المعتاد الحل
وغافلة عن كل شيء. استحوذت ليفي على الطابق
العلوي في حضانة تشارلز الصغيرة. لقد أصبحت
أمومية جدًا وقديمة الطراز».

«هل هناك أي خبر عن أختك مارغوت؟».

غمر وجه باميلا بالنعاسة: «ليس لوقت طويل. إنه
أمر مقلق للغاية. يأمل المرء أن تكون مختبئة في
مكان ما مع كونتها الفرنسي، لكن المرء يسمع أشياء
فظيعة حول ما يجري في فرنسا هذه الأيام».

«وما زالت البنتان الشابتان في المنزل؟ أو هل وجدت ديدو لنفسها وظيفة؟».

«كم تتمنى ذلك، لكن بابا يقول إن فتاة في التاسعة عشرة من العمر أصغر من أن تكون بعيدة من المنزل. إنها تكاد تنفجر من شدة الإحباط الذي تشعر به. أنت تعرف ديدو، إنها ليست من النوع الذي يجلس في المنزل لتعزف على البيانو. أفترض أنني أستطيع أن أفهم. إنه أمر غير عادل بالنسبة إليها أنها لن تحصل على موسمها وفرصتها مثل بقية أخواتها. لا توجد حفلات رقص. ولا توجد فرصة لها للقاء رجال مؤهلين. في آخر مرة رأيتها فيها، كانت تتحدث عن الهرب والذهاب للعمل في مصنع».

قال بن: «أنا متأكد أنها يفكن أن تجد وظيفة أقل درامية من وظيفة في مصنع، ألا يفكنك العثور على شخص ما يأخذها إلى مكان عملك؟ يبدو أنهم دائمًا في حاجة إلى فتيات إضافيات للعمل في المكتب، أليس كذلك؟ تستطيع أن تقيم معك».

قالت: «لسوء الحظ، أنا بالفعل أشارك صديقة غرفتي. ماذا عن وزارتك؟ هل يفكن أن تفعل شيئًا من أجلها؟ ربما يمكنها أن تأخذ القطار إلى لندن كل يوم إذا كانت لديها وظيفة. قد لا يعترض بابا على ذلك».

«نحن نعمل نوبات، هذه هي المشكلة. لن تكون قادرة على العثور على قطار يصل إلى لندن في منتصف الليل، وأنا متأكد أن والدك لا يريد أن تنجول في الشوارع خلال فترة انقطاع الكهرباء. أنا

أجد صعوبة في ذلك، وببساطة يجب علي الوصول إلى أقرب محطة لقطار الأنفاق».

قامت باميليا بتحريك فمها، وأنفها، وعينيها بطرائق غريبة مظهرة مشاعرهما وقالت: «أنا أعلم. أنا أعلم. أنا أعلم. لم بنظام النوبات أيضًا. إنه أمر بغيض، أليس كذلك؟ لم يعتد جسدي على نظام النوبات الليلية قط، وأشعر بالإرهاك الشديد بسبب عدم النوم».

قال بن: «أتفق تمامًا معك. والواقع، أنني لهذا كنت محظوظًا بما يكفي للحصول على إجازة. قالوا إنني كنت أفرط في العمل».

شخرت إحدى النساء المسنات عند النافذة، وقالت: «لقد أفرطت في العمل»، وقد استدارت للتحديق في بن وقالت له: «تريد أن تجرّب أن تكون في الصحراء مثل حفيدي. إنه يقا تل روميل، هذا ما يفعله. إنه لا يجلس بشكل مريح في مكتب في لندن».

«هذا يكفي يا تيسي»، مدت المرأة الأخرى يدها لتريحها على يد صديقتها. نظرت إلى بن وباميليا وقالت: «إنها مصدومة. لقد جرى استدعاء ابنها للتو إلى الخدمة العسكرية - وهو في التاسعة والثلاثين من العمر. إنه ابنها الوحيد».

ردّ بن عليها قائلاً: «أنا أسف، لكن...».

ردّت باميليا قائلة: «لقد نجا السيد كريسويل من حادث تحطم طائرة خطير للغاية. أرهّن ساقل يا بن».

أحمر وجه المرأة الأولى من شدة الإحراج وقالت: «أنا اسفة. لقد تصرّفت بحماقة ووقاحة في وقت غير مناسب. أنا منزعجة، كما ترى. هذه الحرب تجعلنا جميعًا في حالة من الإثارة الشديدة والتوتر طوال الوقت».

كان هناك صمت يشوبه الإحراج في المقصورة. تمتت بامبلا إلى بن قائلة: «الشباب حيث أعمل يعانون من الشيء نفسه. هذا ليس عدلاً. ليس من الضروري أن يحمل الجميع السلاح. لا يفكن كسب الحروب من دون الدعم المناسب».

قال: «في بعض الأحيان أميل إلى التفكير في الخروج وشراء الزي الرسمي. هذا من المؤكد سيجعل الأمور أسهل».

«حتى يطلبوا رؤية أقراص هويتك وأنت لا تحملها».

فكر بن: أقراص الهوية. كان من الممكن فضح أمر ذلك المظلي بمجرد أن توقفه أي دورية شرطة عسكرية وتطلب رقمه. لذلك فهو من المؤكد لم يكن يخطط للذهاب بعيدًا. لقد كان ماكس نايت محققًا. لا بد من أن اتصالاته كانت تقتصر على الجوار المباشر. غيرا القطارات في سيفن أوكس وانتظرا القطار المحلي للذهاب في محطة واحدة إلى هيلدنبره.

قال بن: «إنها رحلة طويلة من المحطة هذه الأيام. إنه لأمر سيء جدًا أن القطارات لم تعد تتوقف في محطة فارلي هولت».

ضحكت بامبلا قائلة: «لا يمكن أن نتوقع أن تتوقف القطارات من أجلنا في أثناء الحرب يا بن. في هذه اللحظة كونك أرسقراطي لا يعني شيئاً على الإطلاق، وهذا صحيح تماماً أيضاً. فجأة، نحن جميعاً متساوون».

نظر بن حوله في انتظار سيارة، وسألها: «هل سيأتي شخص ما لاصطحابك إلى البيت؟».

هزت بامبلا رأسها بالنفي وقالت: «لم أخبرهم بأنني قادمة. فكرت أن أفاجنهم. الجميع في حاجة إلى مفاجأة لطيفة في بعض الأحيان هذه الأيام، أليس كذلك؟».

«أنا أيضاً لم أخبر والدي بأنني قادم. هل ستقومين بحمل حقيبتك لمسافة ميلين؟ يفكنني حملها لك إذا أردت».

ردت عليه قائلة: «لديك حقيبتك الخاصة. أنا قادرة بما فيه الكفاية للقيام بذلك. نقوم بالكثير من ركوب الدراجات للذهاب من مكاننا إلى حيث أعمل. إنه يوم مجيد رائع، أليس كذلك؟ المشي في الريف هو ما طلبه الطبيب».

«من المؤكد أنه جميل استنشاق الهواء النقي النظيف مرة أخرى»، قال بن عندما انطلقا نزولاً إلى الطريق. «الهواء في لندن مليء دائقا بالدخان والغبار الناجم عن القنابل».

«كم أنا محظوظة. أنا في الخارج في الريف وتحيط بي الحقول والأشجار».

سألها بن: «أين قلت إنك تعملين بالضبط؟».

أجابت: «نحو ساعة شمال لندن. لقد أخذنا منزلًا كبيرًا. ومن المؤكد أنه ليس جميلًا مثل فارلي».

«يتم إرسال بعض شبابنا إلى قصر بلينهايم».

«حقًا. هذه خطوة كبيرة بالنسبة إلى معظم الناس، أليس كذلك؟».

ضحك بنقائلاً: «أستنتج من التقارير بأن الأمر ليس مريحًا بشكل خاص. لقد قاموا بتقسيمها مقصورات من الخشب الرقائقي الرهيب، ولا توجد فيها تدفئة، وتعيش الخفافيش في الطابق العلوي».

«كم تبدو جميلة». نظرت إليه، وعيناه تتغلغل في عينيها للحظة من الزمن. كان لديه عينين جميلتين وساحرتين، راودتها تلك الفكرة فجأة. إنَّ النظر إلى هذا اللون الأخضر الداكن العميق يشبه النظر إلى المحيط. الغريب أنها لم تلاحظ ذلك من قبل. قالت في النهاية: «أنا سعيدة جدًا لرؤيتك مرة أخرى. أنت لا تتغير أبدًا. أشعر بأنك بن العزيز، لا تتغير أبدًا، ويفكن الاعتماد عليك ولا تتزحزح كالصخرة. أنت دائمًا إلى جانبي».

قال: «هذا أنا بن الصديق القديم الجيد»، وندم بعد ذلك على السخرية. وأضاف قائلاً: «ولكن نعم، أنا دائمًا إلى جانبك كلما كنت في حاجة إلي».

مدت يدها وأمسكت بيده. وسارا جنبًا إلى جنب في صمت في حين أن القبرات ارتفعت من حقول القش الجديدة تغني فوق رؤوسهم ورائحة زهر

التفاح كانت حلوة في الهواء.

تساءلت في نهاية المطاف، لإنهاء الوضع الخاص الذي كان سائدًا: «هل ستأتي معي لترى جيرمي بعد ظهر هذا اليوم؟».

«قلت لك سأفعل. لم لا نتوقف أنا وأنت عند والدي لنشرب شيئًا، ثم سأحمل حقيبتك بقية الطريق حتى نصل إلى فارلي».

قالت: «هذا رائع»، وهي تبتسم في وجهة ابتسامة مبهرة مرّة أخرى.

الفصل العاشر

مقر إقامة القس في كنيسة جميع القديسين،

إمسلي، كينت شهر أيار 1941

كان مقر إقامة القس مبنى كبيرًا من الطوب الأحمر على الطراز الفيكتوري على حافة ساحة الكنيسة. لقد مرّا على شواهد القبور البالية التي أتت العوامل الجوية عليها، ودخل بن من الباب الأمامي الذي لم يكن مغلقًا قط في أي وقت من الأوقات.

«حسنًا، أنا أبدًا. يا سيد بن!» لقد رفعت السيدة فينش يديها معبرة عن غضبها باندهاش، وخرجت من المطبخ على صوت إغلاق الباب. ثم تحوّلت نظرة الدهشة إلى نظرة ذهول. «والليدي بامبلا، أيضًا. من الجيد أن نراك يا صاحبة السعادة».

سألت بامبلا: «كيف حالك يا سيدة فينش؟».

«لا أستطيع أن أشتكي يا صاحبة السعادة. نحن نسير كما هو متوقع. نحن أفضل بكثير من المساكين الفقراء في لندن الذين يتعرّضون للقصف كل ليلة. ونحن لا نعاني بشكل سيء للغاية بالنسبة إلى الطعام، أيضًا. لدي حديقة المطبخ الصغيرة الجيدة خارج المنزل، في الفناء الخلفي. وتزودنا الدجاجتان بالبيض عندما لا تحصل عليه الفرنان أو الثعالب قبلنا. يضاف إلى ذلك، أن الجميع مولعون بالكاهن هنا، وغالبًا ما نجد قطعًا من اللحم أو

السّمك متروكة على عتبة الباب. لا ينبغي أن أصاب بالدهشة إذا لم تكن سوقًا غير قانونية أو حتى سوقًا سوداء، ولكن بالطبع لا أخبر النائب. ما لا يعرفه لا يؤذيه».

ثم ضحكت، وقالت: «أنت محظوظة اليوم، كما يحدث اليوم بالصدفة أننا تلقينا زوجين من الحمام أمس، وقد صنعت منهما فطيرة الحمام. أنا فقط على وشك تحضير عشاء الكاهن، فلم لا تنضمين إلينا يا صاحبة السعادة؟».

كانت لا تزال تدعو ذلك غداءً على الرغم من أنّ الكاهن حاول أن يعلمها لسنوات أنّ الطبقات العاملة تتناول أكبر وجبة طعام، الغداء، في منتصف النهار أمّا بالنسبة إلى الطبقات العليا فقد كانت مأدبة غداء يتم تقديمها في منتصف النهار.

قالت باميليا: «أنا حقًا يجب أن أعود إلى المنزل. ستنتظر العائلة رؤيتي».

من دون تفكير، غطى بن يدها بيده قائلاً: «إبقي هنا. إذا كانت الأشياء التي كنت تتناولينها تشبه أي شيء آخر في مطعمنا والذي يخلو من أي غداء حقيقي، فيمكنني أن أوكد لك أنّ فطيرة الحمام التي تصنعها السيدة فينش ستبدو وكأنها نعمة من السماء».

لم تسحب باميليا يدها. بل ابتسمت بدلاً من ذلك. «بعد تراكم كهذا، كيف يفكّني المقاومة؟ شكرًا لك يا سيدة فينش». نظرت حولها إلى أثاث البلوط البالي، المصقول بشكل جيد لسنوات من قبل

السيدة فينش، ومن قبل مدبرات المنازل اللواتي كنّ قد جنن قبلها. ثم انتقلت بنظرها من المنظر من النافذة إلى الحقول حيث لمحت شكل فارلي وهو يرتفع فوق الأشجار. وفكرت هذا هو المكان الذي أشعر فيه بالأمان.

صعد القس كريسويل إلى الممر من الكنيسة بينما كانت السيدة فينش تضع المائدة. ارتسمت ابتسامة على وجهه المتعب ثم قال: «حسنًا، هذه مفاجأة لطيفة يا ولدي. لم تكن لدينا فكرة بأنك قادم».

قال بن وهو ذاهب إلى مصافحة والده: «كان الأمر كله في اللحظة الأخيرة. لقد قرر شخص ما أنني كنت أستحقّ إجازة لبضعة أيام، لذلك أنا هنا».

«وباميلا، أيضًا». التفت لبيتسم لها، ثم فحصها بشكل نقدي، وقال لها: «تبدين شاحبة قليلًا يا عزيزتي».

«إنها النوبات الليلية. ولا يفكّني النوم في أثناء النهار».

«بالطبع لا يفكّك ذلك. ولكن بعد أن تقضي بضعة أيام هنا سوف تتعافين مرّة أخرى. الطعام هنا جيد. هواء البلد النقي. يفكّك وضع الحرب جانبًا لبضعة أيام. إنّ الحال مثلما كانت دائمًا هنا».

ذكرته باميلا قائلة: «إذا غضضنا النظر عن فوج الجيش الذي يعيش في منزلي».

قالت السيدة فينش وهي تضع الفطيرة على طاولة الطعام: «وهذه الجثة في حقلك».

سألت بامبلا: «جئة؟ في حقلي؟».

أجابت السيدة فينش بمتعة كبيرة: «المظلي الذي لم تفتح مظلته. يقولون إنه كان في حالة فظيعة».

«كم هذا فظيع بالنسبة إليه. من كان هذا؟».

انحنت السيدة فينش عن قرب. كان يرتدي زيًا عسكريًا، لكنني أعتقد أنه كان أحد الجواسيس الألمان. يقولون إنهم في كل مكان هذه الأيام. حتى إنهم يرتدون ملابس الرهبان، إذا كنت تستطيع تصديق ذلك».

قال القس كريسويل: «ياسيدة فينش، ماذا أخبرتك عن القيل والقال؟ تذكر المصقات: الحديث غير المسؤول قد يكون ثمه فقدان حياة الناس. ليس لدينا أي سبب للاعتقاد بأن هذا الرجل المسكين لم يكن سوى ضحية تمرين خاطئ. لقد احتججت عندما أخذوه. كنت أود أن أدفنه دفنًا لائقًا».

كان يرفض الأمر بوضوح بينما كان ينحني لقطع قشرة الفطيرة. انبعثت رائحة الأعشاب الغنية، وأوما برأسه تعبيرًا عن الرضا وقال: «الآن هذا ما أسميه وجبة مناسبة. أعطني صحنك، أيتها الليدي الشابة، وسيكون لديك بعض الطعام الحقيقي لأول مرة منذ زمن بعيد».

أكلوا حتى انتفخت بطونهم. غطت القشرة الخارجية النضرة جزءًا شهيا من الطير الصغير في مرق الأعشاب الغنية وكان يرافقه قرنبيط مع صلصة بيضاء، ثم تبعها التفاح المطهو بالكاسترد.

وقفت بامبلا وقالت: «أنا حقًا يجب أن أذهب إلى المنزل. لكنني أموت لرؤية جيرمي. لا أظن أن العائلة سوف تمنع كثيرًا إذا ذهبنا إلى نيزركوت أولاً». نظرت إليه بجاذبية وقالت: «لم أخبرهم بالضبط متى سأصل. وقلت إنك ستأتي معي يا بن». «إذا كنت تريدني أن أفعل». وقف بن أيضًا، ووضع منديه على الطاولة قائلاً: «حسنًا، أبي، سأرافق بامبلا إلى نيزركوت؟».

«ليس عليك أن تطلب إذني، يا ولدي. أنت رجل كبير الآن. إذا كانت بامبلا تريدك أن تذهب معها عندما تريد زيارة شابهة الصغير، فقم بذلك بكل سرور».

كان رد فعل بن على كلمة شابهة؛ ضربة قاسية أقضت مضجعه. كان يعلم أنها كانت صحيحة، بالطبع. لقد كانت دائمًا صحيحة. وكان لديه أمل دائمًا، وخصوصًا حين عندما تم الإبلاغ عن فقدان جيرمي. والآن كانت وظيفته إعادة بامبلا إلى منافسه. تساءل عما إذا كانت لديها أدنى فكرة بما كان يشعر نحوها؟

لقد انطلقا عبر القرية. كان هناك شارع واحد خالٍ من الحياة تقريبًا. رن جرس بصوت رقيق عندما خرجت امرأة من متجر ماركهام العام، ومكتب البريد ومعها سلة على ذراعها. لقد استقبلتهم بإيماءة مهذبة وقالت: «ليدي بامبلا، سيد بن، طقس لطيف لهذا الوقت من السنة، أليس كذلك؟». ومضت في طريقها، كما لو أن عودتهم المفاجئة لم تكن شيئًا

غير عادي. كانت لندن ونقاط أبعد من سيفين أو كس خارج نطاق خبرتها وبالتالي لم تكن موضع اهتمامها. جاء صوت الأطفال من المدرسة وهم يغنون جدول الضرب. كما جاءت عربة المزرعة باتجاههم مع حمولة من السماد. لم يتحدثا بعضهما إلى بعض منذ مغادرتهما سكن الكاهن. استدارت الآن بامبلا إليه وقالت: «لا شيء تغيّر هنا، أليس كذلك؟ إن كل شيء لا يزال كما كان».

ردّ عليها قائلاً: «باستثناء عدم وجود شباب».
هزّت رأسها بالموافقة.

لقد تركا القرية خلفهما، وضاق الطريق إلى ممر مع مزيج من الزهور تنمو على الجانبين. لقا وصلا إلى بوابات من الحديد المطاوع المثيرة للإعجاب عند مدخل منزل بريسكوت، في نيزركوت، تجمّدت بامبلا بشكلٍ مفاجئ.

«أفترض أن من الصواب القدوم من دون دعوة؟ هل كان يتعين علينا الاتصال هاتفياً أولاً لإعلامهم بأننا قادمون؟».

«متى كنا في حاجة إلى انتظار دعوة إلى منزل جيرمي؟». كان على بن أن يضحك.

قالت: «لكن الأمور مختلفة الآن»، وجبهتها قد أضحت مجعّدة في تجهم يشوبه القلق. منزل جيرمي من سجن المعسكر. «قد لا يريد... رؤيتنا».

أخذ بن نفساً عميقاً وقال: «أعتقد أنه كان يحلم برؤيتك مرة أخرى منذ يوم إقلاعه في الطائرة».

ابتسمت له ابتسامة سريعة عصبية.

قالت: «وإذا قيل لنا إنه غير مستعد لاستقبال الزوار، فعندها نذهب بعيدًا. بن، أنا سعيدة لأنك هنا. لولاك لكنت سأخفق في ذلك ولهربت مثل أرنب خائف».

«أنت لا تحبين أرنبًا خائفًا، يا باما. أنت الأقوى منا. هيا. دعينا نذهب ونفاجئ جيرمي».

مزا عبر البوابة وسارا في طريق الحصى العريض. كان المنزل الجورجي الأنيق يقف أمامهم، وهو مبني من الطوب الأحمر ذي اللون الأبيض المتناسب تمامًا مع الحدائق الرسمية على جانبي الممر. كانت الأزرة كتلة من زهور الأقحوان. كانت زهرة الوستارية معلقة من تعريشة. وكانت المروج مشدبة بشكل رائع، وكان واضحًا أن البستانيين لا يزالون يعملون هنا، في زمن الحرب وزمن السلم. ومع اقترابهم من المنزل، رأوا دراجة قديمة مركونة إلى جانب الدرجات الأمامية، وكانت تبدو في غير مكانها في المشهد المثالي في حال غيابها. كان بن على وشك التعليق عليها عندما فُتح الباب الأمامي وخرجت الليدي ديانا ستون.

«طبعًا سأفعل. شكرًا جزيلاً. وداغًا»، قالت ملوحة لشخص غير مرئي وهي تنزل على الدرجات. ثم رأت بامبلا وبن فقالت: «مرحبًا بكما أنتما الاثنين. يا لها من مفاجأة!».

سألت بامبلا بصوت سريع: «ماذا تفعلين هنا يا ديدو؟».

ردت عليها ديدو قائلة: «حسنا، هذا ما أسميه ترحيبًا حازًا، ماذا عن «من الجميل أن أراك مجددًا بعد وقت طويل يا أختي العزيزة؟».

«حسنا، بالطبع أنا سعيدة برؤيتك»، قالت بامبلا ذلك وهي لا تزال تبدو مرتبكة. تابعت قائلة: «إن الموضوع هو فقط كذلك . . .».

«إذا كان عليك أن تعرفي، فقد كنت أمثل العائلة وأزور جيرمي لأفرحه». ثم أخذت الدراجة، وقالت: «كان على شخص ما القيام بذلك».

استقلت الدراجة بعد ذلك من دون أن تتفوه بكلمة أخرى، وكانت إطارات دراجتها ترفرف على الحصى.

الجزء الثالث
مارغوت

الفصل الحادي عشر

باريس - شهر أيار 1941

لم يسبق لها أن عرفت أن للخوف رائحة قبل ذلك. كانت دائمًا ما أخبرت به أن الكلاب يمكن أن تشم رائحة الخوف، لكنها لم تسمعها قط ثقلاً عن البشر. ومع ذلك، فإنها تعرفت عليها الآن - شيء ما رهيب وملموس - بينما كانت تجلس على الكرسي في غرفة مظلمة. لم تكن متأكدة ما إذا كان الخوف قادمًا من مساماتها، أم كان جزءًا من المبنى، إذ كان ينزلق من الجدران حيث شعر الكثير من الناس بالرعب واليأس. كانت معصوبة العينين في السيارة التي أحضرتها إلى هنا، لكنها لم تكن في حاجة إلى إبلاغها بمكان وجودها. كانت في مقر من مقرات الشرطة السرية الألمانية المعروفة بالجستابو (28)، وكانوا يتركونها وحيدة في الظلام لكسر إرادتها.

جلست الليدي مارغوت ستون على كرسي خشبي منتصب في وضع عمودي لا تتحرك محدقة في الظلام. لم يكن لديها أي فكرة كم من الوقت مضى وهي جالسة هناك، أو ما إذا كان خارج الغرفة نهارًا أم أن النهار لم يبدأ بعد. من الواضح أن الغرفة لم تكن تحتوي على نافذة لأنه حتى مع ستائر التعقيم، كان هناك دائمًا أشعة ضوئية. كان رجلان قد جاءا للتحقيق معها في منتصف الليل - لم يقولا شيئًا أكثر من «يجب أن تأتي معنا من فضلك» باللغة الإنكليزية.

انعكست خلفية تربيتها هنا فقالت: «ماذا تقصدان؟ لماذا يجب أن أتي معكما؟ لن أفعل شيئاً كهذا. الوقت الآن منتصف الليل، وكنت نائمة».

ثم قال أحدهما: «سوف تأتي معنا الآن، أيتها الشابة مستخدماً الكلمة الألمانية (Fräulein). سنمنحك دقيقة واحدة لترتدي ملابسك». كان ينظر إلى ثوب نومها المزين بالدانتيل بامتعاض.

كانت كلمة (Fräulein)) هي التي فعلت فعلها موضحة الأمر. لم يرتديا الزي العسكري، لكنهما كانا من الألمان. هذا يفكن أن يعني أمراً واحداً فقط، الشرطة السرية الألمانية أو «الجستابو». والمرء لا يقاوم الجستابو. ومع ذلك، فإنها لم تسمح لهم بملاحظة حقيقة أنها كانت خائفة. كانت خلفيتها الإنكليزية الأرستقراطية ورقتها الرابعة الوحيدة في تلك اللحظة. كان الألمان يحترمون الأرستقراطية الإنكليزية بعد أن تخلت عن بلدها.

قالت: «هذا الأمر غير نظامي». وأصبح صوتها تقليداً لصوت الملكة فيكتوريا عندما تكون منزعجة. «من أعطاكم الأمر لتأتيا إلى هنا؟ ماذا تريدان مني؟».

ردّ عليها قائلاً: «نحن فقط نطيع الأوامر أيتها الشابة. (Fräulein) سوف تكتشفين قريباً جداً من يرغب في التحدث إليك».

قالت: «أنا لست فريولين. أنا الليدي مارغريت ستون، ابنة اللورد ويسترهام».

كان وجه الرجل بلا تعبير عندما قال لها: «نحن

نعرف جيدًا من تكوينين. لديك دقيقة واحدة يا ليدي مارغوت لترتدي ثيابك، أو سنضطر لأخذك بملابس النوم".

لقد هربت مرّة أخرى إلى غرفة نومها، سباق العقل، حيث كانت تفكر بسرعة شديدة من شدة الهلع. ماذا يجب أن تأخذ معها؟ هل المسدس الذي أعطها إياه غاستون؟ لا، كانت أفضل فرصة لها هي إظهار البراءة والسخط. قالت لنفسها وبعد كل شيء، أنا بريئة لا أعرف شيئًا. لا أستطيع أن أقول لهما شيئًا.

بعد هذا الشعور بالطمأنينة، أمسكت بدلة سوداء كانت قد اشترتها من «بيت أرماند» وارتدت بلوزة بيضاء اللون ولألن. لم تكن لتدع هذين الوغدين يريانها خائفة منهما في أي حال من الأحوال. ثم خطرت في بالها فكرة: ماذا لو عاد غاستون إلى الشقة ولم يجدني هنا؟ كيف يفكن أن تخبره عن مكان وجودها؟

ناداها صوت من خارج بابها: «ليدي مارغريت؟».

ردت عليه قائلة: «أنا فقط أسرّخ شعري. هل أحتاج إلى أخذ فرشاة أسناني معي، أم سأعود إلى المنزل على الفور؟».

قال الصوت: «أظنّ أنّ هذا الأمر متروك لك».

لما كانت تضع أحمر الشفاه، لاحظت بطاقة المدام أرماند ملقاة على طاولة ملابسها. أخذت أحمر الشفاه، وطبعت: «اتصل بها» على ظهرها وتركتها ملقاة هناك. كان غاستون سريع الفهم، وكانت أرماند تعرف الجميع في باريس. إنها تعرف كيفية العثور

على امرأة إنكليزية مفقودة. فكرت مارغريت في هذا إذا كنت ما زلت على قيد الحياة بحلول ذلك الوقت.

كان الجو باردًا ورطبًا في تلك المساحة المظلمة حيث وضعوها، وشعرت بأنها في حاجة ملحة إلى التبؤل. لكنها أرادت ألا تفعل ذلك. كانت الشائعات تتناقل أن بعض أفراد العائلة المالكة دزبوا أجسادهم على البقاء من دون قضاء حاجاتهم بالذهاب إلى المرحاض طوال اليوم، حين كانوا يقومون بجولات في الخارج. ظنت أنها اكتشفت صرخًا على بعد مسافة. أم أنها كانت صرخة؟ لم تستطع تحديد ما إذا كانت الصرخة قد جاءت من خارج المبنى أم من داخله. لقد تماسكت وأظهرت رباطة جأش حين سمعت حُطى تقترب منها، كانت وقفًا ثقيلًا لأقدام ترتدي البوط. اقتربوا منها كثيرًا جدًا، ثم مزوا بعيدًا، فأطلقت تنهيدة صغيرة تعبيرًا عن الارتياح عندما أصبح الصوت أقل وضوحًا إلى مكان بعيد. قامت بتوجيه انتباهها إلى أشياء أخرى: فارلي في الصيف، والتنس على العشب، والفراولة والقشدة، وبابا، أحمر الوجه ويرتدي تلك القبعة البيضاء المضحكة المرنة، وماما التي كانت دائمًا تبدو باردة رابطة الجأش وهادئة، بغض النظر عما كان صغارها يفعلون لها. ثم همست في خلدتها قائلة: «فارلي، أريد الذهاب إلى موطني».

رجفت عندما فُتح الباب تاركًا شعاعًا من الضوء ليدخل. دخل رجل - كان رجلًا طويل القامة يرتدي زي ضابط ألماني. قام بتشغيل مفتاح بنقرة واحدة،

رمشت مارغوت في الضوء المفاجئ. وللمرة الأولى، رأت أنها كانت في غرفة رتيبة، بمساحة قدرها نحو عشرة أقدام مضروبة بثمانية. في الزاوية كان هناك دلو كان يُفكن أن تستخدمه، لو عرفت أنه كان هناك. سحب الضابط كرسيًا ثانيًا وجلس قبالتها وجهاً لوجه.

«ليدي مارغريت، يجب أن أعتذر لك عن الطريقة القاسية وغير المؤدبة التي جرى إحضارك بها إلى هنا. أخشى أن يساء فهم طلبي لجلب شخص ما للاستجواب أحيانًا. هل ترغبين في بعض القهوة؟».

كانت القهوة من الأشياء التي نادرًا ما تظهر هذه الأيام في باريس. سمعت نفسها تقول: «نعم، من فضلك، سيكون ذلك لطفًا منك» قبل أن يكون لديها الوقت الكافي للنظر فيما إذا كان ينبغي لها أن تظل في حالة من العزلة والتحدّي. فكّرت أنها ربّما كانت تفكّر في ذلك بمعنى أو أهمية لا تبدو محتملة أو معقولة. ربّما كانوا يريدون فقط طرح بعض الأسئلة الصغيرة حول سبب بقائي هنا حتى ذلك الوقت. لقد أحضرت القهوة مع الكريمة والسكر. بدا وكأنها لم تتذوق أي شيء لذيذ هكذا من قبل. قالت: «شكرًا لك. أنت لطيف جدًا».

أوما إليها الضابط. اسمي دينكسلاجر، البارون فون دينكسلاجر. «هكذا ترين أننا متساوون اجتماعيًا. نحتاج فقط إلى طرح بعض الأسئلة عليك، ثم يُفكنك العودة إلى المنزل بعد ذلك». كانت لغته الإنكليزية ممتازة، مع أقل أثر للكنة الألمانية.

لقد كان وسيقًا للغاية، حد امتلاكه لبنية عظيمة مثالية تقريبًا، وعجرفة ضابط ألماني. «أنت الليدي مارغريت ستون ابنة اللورد ويسترهام، هل هذا صحيح؟»

«هذا صحيح».

«وهل يمكنك أن تخبرينا لم أنت هنا في باريس حتى الآن؟ ولم لم تذهبي إلى الوطن قبل الاحتلال حين كنت تستطيعين ذلك؟».

قالت: «كنت أدرس تصميم الأزياء لدى السيدة أرماند. أظن أنني كنت ساذجة، لأنني اعتقدت أن الحياة في باريس سوف يُسمح لها بالاستمرار كالمعتاد».

أجابها: «لكنها كذلك».

«لا تكاد. لا أحد لديه ما يكفي لتناول الطعام. لم نر قهوة مثل هذه منذ شهور».

«عليك إلقاء اللوم على القاذفات الإنكليزية المسؤولة عن ذلك. و عليك إلقاء اللوم على المقاومة أيضًا. إذا دمروا خطوط الإمداد، فليس غلطتنا ألا يكون لدى الباريسيين ما يكفي من الطعام».

جلس ووضع ساقه على ركبته الأخرى. كان يرتدي حذاء أسود بكعب عالٍ تم تلميعه بشكل جيد. «إن كان تصميم الأزياء السبب الوحيد الذي جعلك تتخذين القرار بالبقاء هنا».

لقد اعترفت معتقدة أن لا سبب هناك يدعوها للكذب. قالت: «لا، لقد وقعت في حب رجل

فرنسي».

سألها: «هل الكونت دي فارين زميل
أرستقراطي؟».

اومات برأسها بالموافقة وقالت: «هذا صحيح».

«وأين هو الكونت دي فارين الآن؟».

«لا أعرف. أنا لم أره منذ أشهر».

«متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟».

«بعد عيد الميلاد مباشرة. أخبرني أنه يجب عليه

مغادرة باريس».

«هل قال لماذا؟».

لقد فهمت أنه يمتلك عقارات في جنوب فرنسا
تحتاج إلى الاهتمام بها. وفضلاً عن ذلك، فقد كانت
جدته في القصر تزداد هشاشة، وأراد أن يرى ما إذا
كان يفكره فعل أي شيء لمساعدتها».

عبرت ابتسامة شفّتيه، وقال: «جدته! أنت إما
ساذجة جدًا أو كاذبة بارعة يا ليدي مارغريت. لقد
توفيت جدته منذ خمس سنوات».

أجابت: «من الواضح أنني ساذجة للغاية. لقد كانت
مريبتنا تغسل أفواهنا بالصابون إذا قلنا كذبة في أي
وقت من الأوقات. وتهديد غسل فمي بالصابون لا
يزال عالقًا في ذهني».

«ألم يخطر في بالك أن حبيبك قد يعمل لصالح
المقاومة؟».

قالت بتحد: «نعم، لقد خطر ذلك في بالي، لكن

غاستون لم يخبرني بشيء. قال إنه كان أفضل بهذه الطريقة. ثم، إذا تم استجوابي في أي وقت من الأوقات، يفكّني القول بصدق أنني لا أعرف شيئاً.»

«وأنت لم تزيه منذ عيد الميلاد؟»

«لا.»

«هل ستفاجئين إذا علمت أنه زار باريس عدة مرات منذ ذلك الحين؟»

بذلت مارغوت جهداً كبيراً للحفاظ على تعبيرها محايداً. قالت: «نعم، سوف يفاجئني ذلك. ربّما لم يرغب في تعريضي للخطر. إنه رجل محترم للغاية.»

قال دينكسلاجر وابتسامة متكلفة بسيطة تعلو شفّتيه: «أو ربّما وجد حبّاً جديداً؟»

«ربّما يكون لديه حبٌّ جديد. إنه رجل جَدّاب للغاية أيضاً.»

«وإذا وجد حبّاً جديداً؟»

«إذن، أفترض أنه يجب عليّ المضي قُدماً في حياتي، والعودة إلى تصميمي للأزياء، وتعلّم العيش من دونه.»

لقد ضحك الآن وقال: «أنا معجب بالبريطانيات يا ليدي مارغريت. الفتاة الفرنسية التي تفقد حبيبها تبكي وتلطم ثديها.»

«إذن يجب أن نكون سعداء لأنني لست فرنسية. التعامل معي أسهل بكثير من التعامل معها.»

كان لا يزال يبتسم، ثم قال لها: «أنت تعجبيني يا

ليدي مارغريت. تعجبني روحك. أنا أيضًا من عائلة نبيلة. نحن نفهم بعضنا بعضًا جيدًا».

«إذن، ستفهم أنني أقول الحقيقة عندما أقول إنني لا أملك شيئًا لأخبرك به. أعيش حياة بسيطة في باريس. أذهب إلى الورشة. أفعل ما تطلبه مني السيدة أرماند. ثم أعود إلى شقتي الصغيرة في الدائرة التاسعة لباريس. أتناول عشاءً بسيطًا وأخلد إلى النوم».

«لا شك في أنك ترغبين في العودة إلى إنكلترا الآن إذا حصلت على الفرصة».

لقد ترددت. كانت تريد أن تصرخ وتقول له: بالطبع أرغب في العودة إلى الوطن، يا غبي. لكنها بدلًا من ذلك قالت: «إنني أفهم أن الحياة في إنكلترا ليست أكثر متعة من الحياة في باريس حاليًا بسبب ما يحدث مع التفجيرات المستمرة والتهديد بغزو وشيك».

قام برفع ساقه عن الأخرى، وحرك الكرسي الخشبي للخلف وهو ينظر إليها قائلاً: «لم تسمعي أي أخبار عن غاستون دي فارين منذ أشهر. هذا صحيح؟».

«نعم، هذا صحيح؟».

«لذا، سيكون من المفاجئ أن تعلمي أننا نحتجزه عندنا في هذه اللحظة؟».

لقد نال ذلك حقًا من رباطة جأشها. رأى ذلك في عينيها، وفي وميض الخوف المفاجئ قبل أن تقول،

«نعم. هذا يفاجئني حقًا».

«ويزعجك ذلك، أليس كذلك؟».

«بالطبع هذا يزعجني». أخذ صوتها حافة حادة مفاجئة. «هير بارون، أنا أحب غاستون دي فارين، سواء كان لا يزال يحبني أو لا».

«وأنت توافقين على عمله مع المقاومة؟».

«كما قلت لك، لم يكن لدي أي فكرة عن أنه كان مع المقاومة حتى الآن. لكنه فرنسي. أستطيع أن أفهم رغبته في طرد الغزاة من بلده. وإذا قام الألمان بغزو بريطانيا، فأنا أتوقع أن تفعل عائلتي الشيء نفسه».

لقد ترك أرجل الكرسي تسقط لضرب الأرض بشكل مفاجئ وهو ينحني نحوها قائلاً: «يثبت غاستون دي فارين أنه عنيد للغاية يا ليدي مارغريت».

يفكنك أن تفهمي أن حياته لا تساوي ذلك». ثم قام بفرك أصابعه بسرعة ضد إبهامه ليصدر صوت طقطقة الأصابع الذي تردّد صداه عاليًا بشكل مدهش في المساحة الضيقة والمغلقة «ما لم يخبرنا بما يعرفه».

«هل تريد مني أن أقنعه بالتحدّث؟ هذا سخيف، أيها البارون. أنا سعيدة لأنك تعتقد أن لدي القدرة للتأثير فيه باستخدام معرفتي بسلوكه الماضي أو أفعاله كوسيلة للضغط عليه ولكن يفكنني أن أوكد لكم أنني لست قادرة على ذلك».

«أنت تدركين يا ليدي أنني إذا قمت بطقطقة أصابعي في الوقت الحالي، فسوف يتمّ جزك إلى

أسفل الدرج إلى غرفة أقل متعة من هذه الغرفة، وهناك في الأسفل، ستجبرين على قول التفاصيل الصغيرة كافة عن حياتك".

مرة أخرى، تمكنت من إبقاء وجهها هادئًا، وقالت: «لقد سمعت عن مثل هذه الأشياء، لكنني أؤكد لك حقًا يا بارون فون دينكسلاجر أن ليس لدي ما أخبرك به مما قد تجده مثيرًا لاهتمامك كثيرًا».

«ثقي بي يا ليدي مارغريت إذا جرى نقلك إلى تلك الغرفة، فستتمين لو كان لديك شيئًا لتقوليه. سوف تخترعين أشياء لتخبرينا بها. وستخونين حبيبك، وأمك، وأي شيء للخروج منها على قيد الحياة».

حدقت مارغوت به ببرود وقالت: «إذا كنت ستقتلني، من فضلك، إفعل ذلك الآن وانته من هذا الأمر. أراك تحمل مسدسًا. أطلق علي النار الآن».

«ليس لدي أي رغبة في إطلاق النار عليك. أنت أكثر قيمة بالنسبة إلي وأنت على قيد الحياة من فائدتك وأنت ميتة. لكنني مندهش. هل ستتركين حبيبك يلقي حتفه من دون أن تناضلي من أجله؟ حقًا أنتم البريطانيون باردون للغاية».

«أؤكد لك أنني لست باردة، ولا أريد أن يموت غاستون. لكنني أشك في أن أي شيء يفكني قوله سيجعلك تغير رأيك». ثم فجأة أدركت حقيقة ما كان يحدث للمرة الأولى فقالت: «أنا أفهم الآن. لا تعتقد أنني أستطيع أن أقول لك أي شيء مهم. أنا الطعم، أليس كذلك؟ سوف تستخدمني لجعله يتحدث».

«أفترض أن هذا يعتمد على مدى قيمتك عنده، وما إذا كان يراك أكثر أهمية من بلاده. يجب أن ننتظر ونرى، أليس كذلك؟». توقّف عن الكلام فجأة، ونظر إلى الأعلى بدهشة. ثم جاءت أصوات مرتفعة من خارج الباب أحدها صوت أنثى. لقد وقف دينكسلاجر للتو عندما انفتح الباب بقوة واقتحمته جيحي أرماند. كانت ترتدي فراء أسود ملفوفًا بشكل عشوائي حول كتفيها، وكانت تغطي مستحضرات التجميل وجهها. حتى لو لم تعرفها مارغوت، فلن يكون هناك من يخطئ في معرفة من تكون.

تساءل الضابط الألماني باللغة الفرنسية: «ما هذا؟ من الذي سمح لك بالدخول إلى هنا؟».

قالت: «يا صغيرتي المسكينة»، متجاهلة إياه تمامًا وذهبت لإعطاء مارغوت قبلةً على الخدين. وتابعت قائلة: «ما الذي كانوا يفكرون فيه، أحضروك إلى مكان كهذا؟ يجب أن تخجل من نفسك أيها البارون لتخويف طفلة بريئة مثل هذه الطفلة. إنها أرستقراطية بريطانية شابة، ليست أقل من ذلك، وهي تعيش حياة خالية من أي شائبة تمامًا. إنها تعمل بجدّ وجهد لتصنع الثياب. أنا مدام أرماند، إذا كنت الشخص الوحيد في باريس الذي لا يعرفني. أؤكد لكم أن كبار الضباط في جيشكم الألماني يعرفونني جيدًا ويسمحون لي بالعيش في فندق الـريتنز».

خاطبها قائلاً: «سيدة أرماند أنا مدرك تمامًا من تكونين. هذه الشابة البريئة هي عشيقه قائد في

المقاومة. لقد ألقينا القبض عليه، لكنه يرفض التعاون. نأمل أن تتمكن هذه الشابة من جعله يدرك أنه مخطئ ويبدأ في التصرف بشكل معقول».

قالت أرماند وهي تضع ذراعًا واقية حول كتف مارغوت: «أستطيع أن أفهم وجهة نظرها. إذا تحدث، فستقتله في أي حال، أليس كذلك؟ وإذا تحدث ولم تقتله، فسيقوم زملاؤه في المقاومة بقتله من أجلك».

«يمكن أن نتوصل إلى نوع من الاتفاق يا سيدتي. كما ترين، قد تثبت هذه الشابة أنها أكثر قيمة لنا من مقاتل المقاومة الذي تم أسره».

«كيف ذلك؟»

التفت إلى مارغوت وقال: «إنها تتحرك في أعلى الدوائر في إنكلترا. عائلتك تعرف عائلة تشرشل، على ما أعتقد؟ ودوق ويستمنستر؟ وأي عضو من أعضاء مجلس اللوردات».

«نعم، عائلتي تفعل. لكنني لا أرى...»

«سأقدم لك عرضًا. سأحذر الكونت دي فارين إذا وافقت على عمل معروف صغير».

كانت تحديق إليه بارتياب وقالت: «أي معروف هذا؟ وما الضمانة التي سأحصل عليها بأنه سيجري إطلاق سراحه إن لم يكن ميتًا الآن بالفعل؟».

«ليس لديك أي ضمان» - لقد توقّف مؤقتًا، وقام بنشر يديه في لفتة إلى العبثية، ثم أضاف - «لكن لديك فرصة لإنقاذه. أفضل من معرفة منة في المنة

أنه سيموت موثًا مؤلمًا وقد تلقين المصير نفسه». قالت السيدة أرماند: «لا تتحدث إليها بهذه الطريقة. سأخذها معي الآن. ستبقى معي في فندق الريتز وفي حمايتي، وسأذهب مباشرة إلى الجنرالات الرفيعي المستوى للاحتجاج على الطريقة التي غؤملت بها».

رفع دينكسلاجر كتفيه قليلاً تعبيرًا عن اللامبالاة، وقال: «أنت براغماتية يا سيدتي. لقد سمعنا عن هذا. خذها معك إذن. أنا أحملك المسؤولية عنها». ولكن اجعلها تدرك أنها مخطئة وتبدأ في التصرف بشكل معقول. إذا وافقت على تقديم خدمة صغيرة لنا، سأضمن لك شخصيًا أنها ستعود إلى إنكلترا». ثم التفت إلى مارغوت، وقال لها: «يامكانك الذهاب في الوقت الحالي، لكننا سنردش دردشة صغيرة أخرى خلال يوم واحد أو نحو ذلك. فكّري فيما اقترحتة. ولكن لا تفكري لفترة طويلة. لا أستطيع أن أبقى فارين على قيد الحياة إلى أجل غير مُسقى. ولا يمكنني أن أبقىك طليقة حرة. من فضلك لا تفكري في القيام بأي شيء أحقق مثل محاولة مغادرة باريس. سوف تكونين خاضعة للمراقبة. واشكري السيدة على التدخل لصالحك».

وقفت مارغوت التي فقد جسمها المرونة بسبب الجلوس لفترة طويلة، وقد تم إرشادها من قبل ربة عملها للخروج من الغرفة. لقا وصلت إلى الباب، استدارت السيدة أرماند إلى الورا لتلقي نظرة على الضابط الألماني وتبادلا الابتسامة.

الفصل الثاني عشر

نيزركوت، إمسلي، كينت شهر أيار

1941

كان جيرمي جالسًا على كرسي في غرفة الموسيقى الشتوية، مسنودًا بالوسائد، وسجادة الشنيل البيضاء فوق ركبتيه. كانت غرفة الموسيقى الشتوية في الجزء الخلفي من المنزل، بالإضافة إلى قبة زجاجية تابعة إلى غرفة الصباح مع أثاث من الخوص الأبيض والنباتات الاستوائية. وكانت بساتين الفاخرة في كل مكان، ورائحة الياسمين الحلوة عالقة في الهواء، والنوافذ تطل على العشب مع ملعب التنس الواقع بعدها، والسحب البيضاء تتحرك عبر السماء مرسلات الظلال فوق العشب المشذب. كانت عريشة مقووسة قد غطيت بالورود المبكرة، كما تسلقت الورود أيضًا جدارًا من الطوب الذي أخفى حديقة المطبخ. استدار جيرمي على صوت وقع أقدام. أضاء وجهه وهم يأتون نحوه.

«يا إلهي. أعز اثنين من الناس على قلبي. كم هذا رائع.»

قالت بامبلا: «أنت تبدو رائعا يا جيرمي». في الحقيقة كان يبدو شاحبًا ونحيلًا، وكان يرتدي قميصًا أبيض اللون مفتوح العنق أو سترة بيجامة. ومع خديه المجوفين وتجعيد الشعر الداكن على ذلك البحر من البياض، بدا كما لو أنه كان شاعرًا رومانسيًا - ربما كان اللورد بايرون على فراش

الموت. عبرت بامبلا الأرضية المبلطة باتجاهه.

«لم أصدق ذلك حين قالوا لي إنك ستعود إلى المنزل. إن عودتك مثل المعجزة».

قال: «لا تضيعي كل طاقتك في الإثارة والحماس، يا باما. تعالي واعطني قبلة».

ظل بن خلفها بينما كانت تنحني نحو جيرمي وتقبل جبهته. قال جيرمي وهو يضحك: «أتوقع شيئاً أقل عفةً من ذلك ولكن ليس بحضور بن. كيف حالك أيها الرجل العجوز؟ من الجيد أن أراك».

مدّ يده، وصافحه بن. كانت عينا جيرمي تتألقان مع الدفاء الحقيقي وهو يمسك يد صديقه.

قال بن: «مرحباً بك في البيت، أيها الشاب الكبير. يجب أن أوافق باما. إن وجودك هنا معجزة».

ردّ جيرمي قائلاً: «في الواقع، أن الأمر كان معجزة حقيقية، عندما تفكر في ذلك. من المؤكد أنك تغلّبت على المصاعب كافة».

قالت باما: «أخبرنا بكل التفاصيل. أنا أعرف فقط ما قرأته في الصحيفة».

قال جيرمي الذي كان يبدو محرّجاً قليلاً: «ليس هناك الكثير لأخبركم به، حقاً. لقد خططنا للهروب من سجن أسرى الحرب الألماني اللعين. لا بدّ من أن يكون شخص ما قد أبلغ السلطات عنّا لأنهم كانوا ينتظروننا في الغابة في نهاية النفق. لقد فتحوا النار وحصدونا جميعاً بوابل من الرصاص».

«غير معقول!» تبادلت بامبلا نظرة مع بن وسألت:

«هل تم إطلاق النار عليك أيضًا؟».

«كنت محظوظًا». واخترفت الرصاصة كتفي. فالقيت نفسي في النهر، واستلقيت هناك كما لو كنت ميتًا. وتركت التيار يأخذني معه، ثم اختبأت تحت بعض النباتات على الضفة. لقد سمعتهم يرحلون بعيدًا وهم يضحكون. ثم سبحت وطفوت لأطول فترة ممكنة. لقد وجدت قطعة من الأخشاب الطافية وتركتها تحملي لفترة من الزمن. ثم انضم مجرى النهر الذي كنت أطفو عليه إلى نهر في منطقة كانت ترسو فيها القوارب. وتمكنت من نقل نفسي على متن زورق بخاري منخفض - وهو واحد من سلسلة من المراكب التي كانت تتجه نحو أعلى النهر - في بهيم الليل. هل تصدقون حظي؟ كان الزورق يحمل الخضر. اختبأت بين الكرنب. كان الوضع رائعًا لولا تلوث الجرح في كتفي. أعتقد أنني كنت مصابًا بالهذيان معظم الوقت».

لمست باميلًا كتفه بلطف وقالت: «أنت أيها المسكين».

«يفكّني أن أخبرك أنّ الأمر لم يكن يحمل الكثير من المرح. ذهبنا في أعلى النهر لبضعة أيام، ثم سمعت شخصًا يتحدث الفرنسية. وتوصلت إلى نتيجة مفادها أنني إما في فرنسا أو بلجيكا. وفي كلتا الحالتين، كان ذلك أفضل من ألمانيا. لذا خرجت في منتصف الليل واتجهت غربًا. كان هناك ممزان ضيقان للهروب، ولكن في النهاية جاءت ضربة حظ يا لسعيد. التقيت بالصدفة شابًا كان مع المقاومة».

لقد أرسل رسائل، ونقلوني عبر فرنسا إلى قارب انتظار».

نظر جيرمي في وجه بامبلا ووجه بن.

قال بن: «إنها مغامرة لا بأس بها».

قال جيرمي: «ليست مغامرة من النوع الذي يهمني أن أكررها. لكنّ الخوف هو الدافع الكبير. كنت أعرف لو كانوا قد أمسكوا بي، كانوا سيطلقون النار علي». سأل بن: «إذن، ماذا ستفعل الآن؟ هل ستعود إلى الطيران؟».

ردّ عليه جيرمي قائلاً: «تم إعطائي وظيفة مكتبية حتى أصبح لائقًا للطيران مرّة أخرى». لقد ألحقت الرصاصة أضرارًا بالعضلات في ذراعي اليمنى، وأنا هزيل إلى حدّ أنّ عظامي يُفكّن رؤيتها وهي تبرز من الجلد. أحتاج إلى بناء جسمي أولاً، وهذا سيحدث بسرعة هنا. إنّ أمي تفسدني، كما يمكنك أن تتخيّل، والسيدة تريدويل طبّاحة رائعة. يا إلهي! كيف كنت أحلم بوجبات مثل هذه حين كنّا نحصل على شريحة من الخبز الأسود والحساء الممتلئ بالماء».

حدّق من خلالهما عبر النوافذ. «لا أظن أنني قادر على الانتظار بصبر أو تحمل التأخير للعودة إلى العمل. سوف يأخذ ذلك بعض الوقت. ولا يُفكّني التوقف عن التفكير في أولئك الزملاء الآخرين، أولئك الذين هربوا من السجن الألماني لأسرى الحرب الذين تمّ حصدهم جميعًا بوابل من الرصاص، وعائلاتهم، يتساءلون عن أحوالهم فهم لا يعرفون أنهم ماتوا جميعًا».

التفت مع محاولة للحصول على ابتسامة مشرقة قائلاً: «لكن أنا هنا. بالضبط حيث حلمت أن أكون دائماً. وأنظر إليك يا باما. يا الله، أنت أجمل بكثير مما أتذكر، وقد نضجت أكثر.»

ردت باما قائلة: «أنا أكبر بسنتين. لقد بلغت الحادية والعشرين من عمري، لذلك أنا رسميًا بالغة الآن.»

حوّل بن نظره بشكل قلق عن النظرة الطويلة التي كانا يتبادلانها. وقال: «يجب أن أذهب وأترككما في سلام.»

قال جيرمي: «هل ستتركنا في سلام أيها الشاب الكبير؟ أنا أموت لتقبيلها، كما تعلم.»

أجاب بن في محاولة للحفاظ على نعومة صوته: «بالطبع، سوف آتي لزيارتك مرة أخرى قريبًا.»

«افعل. سيكون ذلك رائعًا. أنا حريص على سماع ما كنت تفعله، وحريص على العودة إلى الحياة الطبيعية. لقد كان العام الماضي بمنزلة حلم سيء، وقد استيقظت منه الآن.»

قال بن: «أخشى ألا أفعل شيئًا مثيرًا. من الجيد أن تكون في المنزل مرة أخرى.»

نادت باميلا من خلفه: «بن، ليس عليك القيام بذلك.» لكنه كان يثجه بالفعل إلى ظلام الغرفة بعيدًا منهما. لقد رحل.

نظر جيرمي إلى باما وخُفّف من استرخائه من أجل إفساح المجال لها بجواره على كرسي

الاسترخاء. قال لها: «تعالى إلى هنا. أنت مخلوق لذيذ».

سألت بامبلا وهي تجلس إلى جانبه: «أي كنف من كتفيك مصابة؟ لا أريد المجازفة بإيذائك».

قال: «كلها مرممة وتشفى جيّدًا، شكرًا لك. تعالى هنا». مدّ ذراعه حول عنقها وسحبها نحوه. قال: «يا الله، لقد حلمت بهذه اللحظة». كانت قبلته لها قاسية وصعبة، وكانت شفتيه تعتصر شفتيها بشدّة حتى كادت تصرخ من الألم. اندفع لسانه بعمق في فمها، وتخبّطت يده بأزرار قميصها وهو يتحسّس صدرها ويداعبه إلى حدّ أن واحدًا منها انفصل عنها بسبب سحبه وشده بقوة وبشكل مستمر وراح يرتدّ عبر الأرضية المبلّطة. كانت أصابعه تشقّ طريقها داخل حمالة ثدييها، وأصابعه تتلوى داخلها لقياس حجمها. ولقا شعرت بأصابعه تتلمّس جسدها الدافئ بحثًا عن حلمة ثديها، سحبت وجهها بعيدًا منه.

ضحكت بعصبية وقالت: «جيرمي، ليس هنا! أي شخص يمكن أن يرانا».

«أنا قلق لأنك بدأت مرّة أخرى من النقطة الأخيرة حيث توقّفنا سابقًا ولكن..».

كان لا يزال ينظر إليها بتعطش وجوع، وقال لها: «الأشخاص الوحيدون الذين قد يرون يعملون عند والدي، ويتقاضون رواتب جيدة لإغلاق أفواههم».

نهضت على رجليها وقالت: «أنا أسفة يا جيرمي. هذا يتجاوز الحد المعقول وقبل الوقت المناسب. أنا

مسرورة لرؤيتك مزة أخرى، لكننا لم نذهب إلى هذا الحد من قبل، أليس كذلك؟ لقد مضى وقت طويل." قال لها: «اللعنة، يا باما. أنا بشر، كما تعلمين. هل تعرفين عدد المرات التي حلمت فيها بهذا حين كنت في ذلك الجحيم البائس؟»

«أنا أسفة. لقد فاجأتني، هذا كل شيء.»

«يجب علي أن أتعلّم السيطرة على نفسي، أليس كذلك؟ يجب علي أن أحسن التصرف مثل الشاب الجيد مزة أخرى." ابتسم لها ابتسامة شريرة وقال: «بمجرد التحرر من هذا الكرسي، سوف أخذك بسرعة بعيدًا. سنهرب معًا.»

سألت بامبلا، وهي غير متأكدة ما إذا كانت تريد أن تكون متحمسة أم خائفة: «هل تقصد أنك ستخطفني إلى غريتنا غرين؟»

كان جيرمي يبدو مسرورًا. قال لها: «حبيبتي الحلوة، أنت ما زلت حقًا بريئة رومانسية، أليس كذلك؟ من يستطيع التفكير في الزواج مع حرب لا تزال مستعرة؟ أريد أن أخطفك إلى فندق سري في لندن. أريد أن أمارس الجنس معك.»

«أه». شعرت بامبلا أن وجنتيها تحترقان.

«كما قلت للتو يا حبيبتي أنت الآن بالغة». كانت عيناه تعذبان عينيها بإثارة الرغبة لديها. «أم أن هناك شخصًا آخر لا أعرف عنه شيئًا؟ كنت سأفهم الأمر إذا كان هناك شخص آخر. لقد ذهبت بعيدًا، ولا أظن أنك كنت تعرفين ما إذا كنت حيًا أم ميتًا.»

قالت: «لا يوجد أحد آخر يا جيرمي. أنت وحدك. لم يكن هناك سوى أنت دائمًا».

بدا سعيدًا. قال: «حسنًا، هذا جيد، إذن».

أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تسأل: «أظن أن أختي الصغيرة تأتي لزيارتك».

«نعم تأتي لزيارتي. إنها تسلية طفلة صغيرة ممتعة، أليس كذلك؟ نعم إنها مسلية للغاية». شعرت باميلًا بموجة من الارتياح.

لما خرج بن من الباب الأمامي، كانت سيارة رولز رويس تتوقف. فُتح باب السائق، وخرج السير ويليام بريسكوت منها بنفسه، وقام بتصويب ملابسه الشخصية وترتيب مظهره في حال كان قد التقط أي تجاعيد في أثناء القيادة. كان دائمًا يبدو أنيقًا ومرتبًا. غُذ مظهر بعناية، وشعره مسرح بشكل رائع مع الكمية المطلوبة من اللون الرمادي، وبدلة مصممة من قبل سافيل رو. كانت هناك شائعة في وقت من الأوقات قبل بدء الحرب بأنه كان يفكر في الترشح للبرلمان. لكن الحرب وضعت حدًا لمثل هذه التطلعات إذا كان ذلك في الواقع أكثر من مجرد شائعة. مشى حول السيارة وفتح باب الركاب الجانبي.

وبينما كان بن يفكر في أنه قبل الأيام التي سبقت الحرب، كان هناك خادم يخرج للقيام بذلك، خرجت الليدي بريسكوت من السيارة. كانت دائمًا أنيقة، ولكن بطريقة ريفية. حيث قالت صورة السير وليام بوضوح، المدينة، والتمويل العالي، والخدمات

المصرفية، تحدثت زوجته أكثر عن الورد المتزايدة لجوائز الزهور، وعن أسواق الكنيسة والفاعليات الخيرية. كانت هي التي لاحظت بن أولاً. عفت وجهها ابتسامة جميلة. «بن، كم جميل للغاية أن أراك. لم نكن نعرف أنك ستأتي إلى هنا. لقد سمعت عن جيرمي، إذن. أليس هذا رائعاً؟ كانت هناك أوقات لم أفكر فيها مطلقاً في رؤيته مرة أخرى. ثم حصلنا على البرقية. مثل معجزة». مد السير وليام يده قائلاً: «من الجيد أن أراك يا كريسويل الشاب. كيف حالك؟ هل يجعلونك تعمل بشكلٍ دائم؟».

«مشغول بما فيه الكفاية يا سيدي. كيف حالكم؟». قال: «أيها الشاب الصغير أنا مشغول جداً جداً محاولاً عقد صفقة مع اليانكيز (Yanks). ربّما يريدون الابتعاد عن الحرب هذه المرة، لكننا نحتاج إلى مساعدتهم ماليًا. وتشرشل الشخص الوحيد الذي يمكنه إقناعهم. وإذا لم نحصل على أموالهم، فسنفرق».

«الأميريكيون سيقدمون إلينا المال؟».

ضحك السيد وليام ضحكة قصيرة وهشة. وقال: «اقترض يا ولدي اقترض. وبسعر مناسب جداً لهم، أيضًا لكننا في حاجة ماسة إلى المساعدة. الأموال والمعدات، جميعها سيجري سدادها إذا فزنا في هذه الحرب اللعينة».

كانت الليدي بريسكوت أقل اهتمامًا بصفقة الإيجار الأميركية، فقالت: «لقد زرت جيرمي، أليس كذلك؟ إنه نحيل للغاية. لا أستطيع أن أتخيل كيف نجا

طوال تلك الأسابيع، وهو يشق طريقه عبر أرض معادية. في بعض الأحيان كان يبقى بلا طعام لعدة أيام كما قال، وفضلاً عن ذلك الجرح الرهيب. كيف يبدو لك؟».

قال بن متذكراً نظرتة المثيرة والشهوانية التي كان ينظرها إلى بامبلا لإغوائها: «من الواضح أنه في حالة تحسن». لقد كان قد أغري بعدم ذكر وجود بامبلا، وبالتالي تركهم يُقبض عليهم بالجرم المشهود، لكنه بدلاً من ذلك تنحى عوضاً عن ذلك. «بامبلا معه في الداخل الآن، أليس كذلك؟».

ابتسمت السيدة بريسكوت وقالت: «بامبلا؟ كم أنت رائعة. أعتقد أن أمها قالت لها الأخبار من خلال اتصال هاتفي وجاءت مباشرة بعد ذلك. كيف حالها؟ لقد افتقدناها».

قال بن: «إنها بخير. لكنها تبدو تعباً بعض الشيء، فنحن جميعاً نعمل لساعات طويلة مع نوبات ليلية ومراقبة الحرائق التي كانت تسببها القنابل التي تسقط من السماء».

قال السيد وليام بحرارة: «أهم شيء أن تقوم بواجبك».

سألت السيدة بريسكوت: «هل أنت هنا لفترة طويلة يا بن؟».

«لست متأكداً. ربما سأبقى لأسبوع واحد؟».

يجب أن تتناول العشاء معنا قبل أن تعود. لقد مر وقت طويل منذ آخر مرة أقمنا فيها حفل عشاء.

وعدت عائلة اللورد ويسترهايم ووالدك بالطبع».

أوما بن برأسه بالموافقة بكل احترام وقال: «أنت لطيفة جدًا. يجب أن أعود».

كرر السير ويليام وأخذ ذراع الزوجة وهما يذهبان إلى المنزل قائلاً: «من الجيد أن أراك يا فتى».

مشى بن بشدة وصخبٍ تعبيرًا عن غضبه وهو يتجه إلى مقر إقامة القس في الكنيسة في هجوم مضاد على غضبه المتزايد. كان عليه ألا يذهب في المقام الأول. ومن الواضح أن جيرمي وبامبلا لم يكونا يريدانه هناك، ولم يستطيعا الانتظار للتخلص منه. ورؤية الطريقة التي كانا ينظران بها بعضهما إلى بعض. رمش بن لاستبعاد تلك الذكرى.

قال لنفسه أنت أحمق. إذا كنت تريدها، كان يجب عليك أن تتحرك حين كان في عداد المفقودين ويفترض أنه ميت. كان من الممكن أن تطمئنهما وتريحهما، وكان من الممكن أن تعتمد الاعتماد عليك، وربما بعد ذلك. . .

لقد استبعد هذه الفكرة لأنه كان يعلم أنه لن يخون جيرمي. وكان من الممكن أن تتوق بامبلا بشوق شديد إليه، لكن جيرمي كان صديقه. والآن يفترض أنهما سيتزوجان ويعيشان في سعادة دائمة. لقد اتخذ القرار بإخراج بامبلا من أفكاره مرة واحدة وإلى الأبد والاستمرار في حياته.

الفصل الثالث عشر

مقر إقامة القس، كنيسة جميع

القديسين، إمسلي، شهر أيار 1941

كان القس كريسويل جالسًا في مكان دراسته يحذق بانشداه على نحو خالٍ من التعبير خارج النافذة حيث كان طائرًا أسود اللون يغني على سياج من الأغصان المجدولة. لقد أوقظ من غيبته حين طرق بن الباب بأدب ودخل الغرفة.

قال: «أسف لإزعاجك يا أبي».

تنهد قائلاً: «ما هذا الكلام يا بني؟ أه لا على الإطلاق، على الإطلاق. كنت أحاول التوصل إلى موضوع لعظة يوم الأحد. إن هذا الأمر صعب للغاية هذه الأيام. لم يعد في إمكانك الوعظ عن الجحيم. إنهم جميعًا يعرفون عن الجحيم بشكل جيد جدًا. لذلك يجب بأن تكون العظة مشجعة وملهمة معنويًا وروحياً. ولكن كيف يفكرك أن تخبرهم بأن الله يقف إلى جانبنا عندما يتم إخبار الألمان بالشيء نفسه؟ أنا أفكر في دانيال في عرين الأسد (29). الثقة بالله ضد الصعاب كافة. ما رأيك؟».

هز بن رأسه بالموافقة. منذ ذهابه إلى أكسفورد، وجد أن من الصعب أكثر فأكثر الإيمان بنسخة والده من الله. بالطبع، لم يخبر الرجل المسن مطلقًا بذلك، ولكن منذ وقوع الحادث ثم اندلاع الحرب، بدأ يتساءل ما إذا كان الله موجودًا على الإطلاق.

«هل لا يزال لديك خريطة مسح الذخائر في المنطقة؟».

«يجب أن تكون موجودة في مكان ما. جَرَّب الدرج الثاني في ذلك المكتب». كان يراقب بن حين كان يفتح الدرج ووجده مكتظًا بالأوراق. «هل تخطط للقيام ببعض المشي على طول ممرات المشاة وأنت هنا؟».

ألقى بن الفوضى المتشابكة للأوراق على الطاولة وقال: «من الممكن. حقًا، يا أبي، هذه الفوضى العارمة تحتاج إلى ترتيب. هل تريد أن أرثبها من أجلك في أثناء وجودي في المنزل؟».

ردَّ القس كريسويل عليه قائلاً: «شكرًا، أقدر لك ذلك. لا يبدو أن لدي وقتًا للتعامل معها في الوقت المناسب. بالطبع، تحب السيدة فينش أن تضع يدها على مكتب دراستي، لكنَّ هذا الأمر خارج على الحدود بشكل حازم، بيد أنني أسمح لها بتشغيل مكنسة السجاد على الأرض. أما إذا تركتها تشقُّ طريقها، فسيكون كلُّ شيء في الغرفة مرثبًا بحسب الحروف الأبجدية، ولن أتمكن من العثور على شيء».

ابتسم بن. لقد وضع جانبًا كتيبًا عن التحضير لطقس التأكيد(30)، وكان ذلك واحدًا من احتفالات الكنيسة العام الماضي، وهو برنامج لغيلبرت وسوليفان فيديلي كارت، ورسائل متنوعة ليوم الأحد قبل أن يكتشف خريطة لفرنسا، وواحدة لسويسرا، ثم تلك التي كان يبحث عنها. قال: «إه

هذه جيدة. ها هي». سأفرز هذه الأشياء من أجلك لاحقًا، لكنني في حاجة إلى استعارة هذه الآن إذا لم يكن لديك مانع».

«إذا كنت تفكر في المشي، تحقق معي أولاً. قد تجد بعض التغييرات. لقد اشترى أشخاص جدد فرن التجفيف القديم وراء مزرعة برودبنت. هم من النوع الذي يهتم جدًا بكل ما يتعلق بالفن والفنانين وهم من لندن كما يمكن أن يخفن المرء. وغني عن القول أنهم لم يقتربوا من الكنيسة قط». ثم ابتسم وقال: «لكنني سمعت أنهم حاولوا منع ممر المشاة من المرور عبر أراضيهم. لقد أخبرهم الناس بأنهم لا يستطيعون القيام بذلك. بأنه محقوق الطريق القديم من القرية إلى هيلدنبرو. لكنني لا أعتقد أنه كان له تأثير كبير. وفي زمن الحرب، لن يهتم أحد بقضية المحكمة».

قال بن: «أنا لست قلقًا يا أبي. هناك الكثير من الأماكن الأخرى للمشي. هل قابلت الأشخاص الجدد بعد؟».

«لا أستطيع أن أقول قابلتهم. إنهم يترددون على الحانة في بعض الأحيان. هما رجلان من لندن. واحد منهما فنان مشهور. قال الدكتور سنكلير إنه كان قد تناول الخمر معهما، وكانت اللوحات مخيفة. وقال إن اللوحات كافة مطلية بالأحمر والأسود. وواحد منهما دنماركي الجنسية واسمه هانسن. لكنه ليس الشخص الشهير. اسمه سترافينسكي نوغا ما روسي؟ أو شيء مثل هذا».

وبينما كان والده يتكلم، فتح بن الخريطة على طاولة. أخذ مسطرة ورسم دائرة نصف قطرها خمسة أميال. كانت هناك مساحة واسعة من الأرض المسطحة باتجاه تونبريدج. هناك الكثير من الحقول التي يجب النزول إليها. والواقع أنه إذا كان المظلي قد اختار حقًا مزرعة اللورد ويسترهام، كان على اتصاله أن يكون على مسافة قريبة بما يكفي للوصول إليها سيرًا على الأقدام. كان هذا يعني عقار فارلي، ومنازل ريفية في القرية، ومنازل أكبر في المنطقة الخضراء: مقر إقامة والده، الدكتور سنكلير، والأنسة هاملتون، والعقيد هنتلي. دخلت اثنتان من المزارع نصف قطر الدائرة: عائلة هايكروفتس وعائلة وبرودبنت. ثم بعدئذ نيزركوت وعقارات عائلة بريسكوت على بعد نصف ميل من القرية. كان هذا كل شيء.

تنهد بن. كان يعرف الناس في القرية طوال حياته، إلا إذا كان هناك أي الوافدين حديثًا بغض النظر عن رجال منزل فرن التجفيف والعقيد نيزركوت وفارلي. كانوا جميعًا يتصفون بالالتزام المطلق وإنكليزيين حقيقيين لا يعترهم الشك. لا أحد يريد مساعدة الألمان. لقد توصل إلى استنتاج مفاده أنهم فهموا الأمر بشكل خاطئ. لم يكن الرجل الذي سقط جاسوسًا يحاول تمرير رسالة إلى جهة اتصال. لا بد من أن ذلك كان حادثًا: رجل سقط من طائرة بطريق الخطأ، في المكان الخطأ.

ولكن تم تكليفه بالتحقيق من قبل رجل قوي وكبير. لذلك كان عليه القيام بالمهمة وإنجازها

بشكل جيد. لقد طوى الخريطة مرة أخرى. وقال لوالده: «سأحتفظ بهذا في الوقت الحالي، إذا لم يكن لديك مانع».

رفع القس كريسويل نظره إلى الأعلى وهزّ ورأسه بالرفض. «ماذا؟ لا، لا بكل سرور، احتفظ بها». ونظر إلى ابنه وسأله: «إذن لم أنت في المنزل؟». «لم؟ ألسنت سعيدًا برؤيتي؟».

«من المؤكد أنا سعيد برؤيتك. لكنني فقط تساءلت ما إذا كانت ساقك قد أضحت عائقًا كبيرًا، وأنت لست قادرًا حقًا على...».

«أنت تسأل لتعرف ما إذا كانوا قد طردوني من وظيفة مكتبيّة في زمن الحرب؟». كان صوت بن حادًا. «حقًا، يا أبي. على الرغم مما قد يفكر فيه أي شخص كان، فإنني لست من المعوقين الفقراء. يُفكّني المشي بشكل جيّد تمامًا. مشينا أنا وباميلا من المحطة حاملين حقائب سفرنا. لدي ركلة ملعونة لا تنحني، هذا كل شيء. لذلك لا تسجّلني كحارس الويكيت إذا كانت لدينا مباراة في لعبة الكريكيت في القرية».

بدا والده مصدومًا بسبب تعبيره العنيف عن شعور بالغضب فقال: «أنا أسف يا بنيامين. أنا حقًا لا أقصد إغضابك. لقد تساءلت فقط حين وصلت إلى المنزل بشكل غير متوقع، يسمع المرء أن لا أحد يحصل على أي إجازة هذه الأيام».

لقد أخذ بن نفسًا عميقًا، وكان استياؤه مما كان عليه قوله يظهر بالفعل على وجهه. «في الحقيقة،

قيل لي إنني كنت أفرط في العمل واحتاج إلى عطلة لبضعة أيام. تلك المناوبات الليلية كلها وواجب مراقبة الحرائق عندما لا يعمل المرء يفكّن أن يكون لها تبعاتها كما تعلم".

«أما زلت في وسط لندن؟ هل شاهدت الكثير من القصف؟».

«الكثير منه».

«أنت في إحدى الوزارات، أليس كذلك؟».

«هذا صحيح».

«عمل مثير للاهتمام؟».

ابتسم بن الآن وقال: «أبي، هناك حرب مستعرة. حتى لو كنت أعمل في أكثر الأعمال المملة في العالم، فلا يُسمح لي بإخبارك عنها».

قال والده: «أفهم. حسنًا، من الجيد أن تكون في المنزل يا ولدي. عليك بالاستفادة القصوى من وقتك هنا. استمتع بطهو السيدة فينش، واستنشق بعض الهواء النقي».

«أنا أنوي ذلك. شكرًا».

وبينما كان على وشك الخروج من الغرفة، قال والده: «والليدي بامبلا، ماذا تفعل في المنزل؟».

قال: «إنّ حالها مثل حالي على ما أعتقد. تعمل في نوبات ليلية طويلة».

«لا يتوقعون من الفتيات العمل طوال الليل، أليس كذلك؟».

قال بن: «على الجميع العمل طوال الوقت».

«ولكن، من المؤكد، لا يحتاجون إلى أشياء مثل حفظ الملفات في الليل؟ أين قلت إنها تعمل؟».

«لم أقل. لكنها تعمل في دائرة حكومية، وقد تم نقلها من لندن».

قال القس كريسويل: «تمتلك الفتاة المتألقة الليدي بامبلا عقلاً من الدرجة الأولى. كانت ستصبح جيدة في أكسفورد. حاولت أن أقنع والدها، لكنه لم يسمع نصيحتي. إنه يؤمن بتزويج المرء لابنته في أول فرصة ثم يصبح خاليًا من جميع الالتزامات تجاهها. هذه هي طريقة تفكير العصور الوسطى».

لقد ذكر بن بمجال التحقيق الآخر. «لقد ذكرتني يا أبي. أنت من محبي التاريخ الثقافي. الرقم ١٤٦١. ماذا حدث في تلك السنة؟ أي شيء مهم؟».

نظر القس كريسويل عبر بن خارج النافذة، حيث كان هناك حصان كبير يجز وراءه عربة مليئة بالسماذ، وقال: «تقول عام ١٤٦١؟ حروب الورود (31)، أليس كذلك؟».

«حروب الورود؟»، حاول بن أن يتذكر دروس التاريخ في مدرسة تونبريدج.

كان هناك تكرار لا نهاية له من التواريخ والمعارك التي احتفظ بها في ذاكرته حتى اجتياز الامتحان، ثم نسيها بسعادة. «بيت لانكستر مقابل بيت يورك. وفاز بيت يورك، في النهاية؟».

«جرى خلع هنري السادس بنوبات الجنون من

قبل إدوارد الرابع عام ١٤٦١، إذا كنت أتذكر بشكل صحيح. نعم هذا صحيح. لقد كانت هناك معركتان دمويتان، واحدة على الحدود الويلزية عند مورتيمر كروس والأخرى في يوركشاير. ومعركة توتون. لقد كانت واحدة من أكثر المعارك دموية على الإطلاق. قُتل فيها عشرات الرجال، وخرج منها إدوارد منتصراً.

كان بن يأخذ هذه المعلومات خطوة واحدة إلى الأمام. «هل تعرف ما إذا كان قد حدث قتال في أيٍ منهما وكان وراءها أرضاً جبلية شديدة الانحدار؟».

بدا القس كريسويل مندهشاً وقال: «ليس لدي أي فكرة. لم أكن أعرف أنك مهتم بالمعارك، على الأقل القديمة منها».

قال: «كان هذا سؤال ظرخ علي في العمل. تُظرخ علي الكثير من الأسئلة الغريبة في قسم المراجع».

«حسناً، الحدود الويلزية جبلية للغاية، أليس كذلك؟ ويوركشاير؟ لديك دالس والمور، ولكن كلاهما منحدرات لطيفة إذا كنت أتذكر بشكل صحيح من المشي هناك حين كنت طالباً».

ابتسم بن لوالده وقال له: «شكراً. لقد كنت مفيداً جداً. من الجيد أن يكون لديك أب بمنزلة ينبوع للمعرفة».

سعل الكاهن بطريقة مُخرجة وقال: «أه، لن أقول ذلك. لقد استمتعت دائماً بقراءة التاريخ، كما تعلم. وأنا أحب أن أقرأ. ليس كثيراً بالنسبة إلى اللاسلكي، وقد تبدو أمسيات الشتاء طويلة جداً وتجلب

الشعور بالوحدة. لذك يقرأ المرء».

نظر بن بحنو إلى أبيه. كان كل تلك السنوات وحيدًا منذ وفاة والدته، ومع ذلك فقد أرسل ابنه بسعادة إلى المدرسة الداخلية مُذركًا أنه سيكون قد عمل الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله إذا أراد ابنه المضي قدمًا.

سأله: «لا يبدو أن لديك خريطة لاستطلاع الذخائر في بريطانيا كلها، أليس كذلك؟».

نظر إلى بن باهتمام وقال: «لا، للأسف. أتوقع أن يكون لديهم مكتبة في سيفن أوكس أوتونبريدج أنا سعيد لأنك حريص على ممارسة الرياضة، بناء العضلات. هذا هو المطلوب بالضبط».

«في الحقيقة، كنت أفكر أكثر في تلك المعارك. مورتيمر كروس، توتون».

قال القس كريسويل: « يفاجئني أن المعارك القديمة تهتك في منتصف الحرب الحديثة، لكنني أتوقع أن يكون لديك أسبابك. من الجيد أن يكون لديك شيء تعمل عليه لتبقي عقلك مشغولًا. يجب أن أعود إلى خطبتي».

عاد مرة أخرى إلى إنجيله المفتوح.

أخذ بن الخريطة وذهب إلى غرفة الرسم. نشر الخريطة على طاولة منخفضة ونظر إليها مرة أخرى. ثم فتح دفتر الملاحظات الصغير الذي حمله في جيب صدره، وأخرج منها قلم الحبر. كتب: الناسفي منزل التجفيف؟ تحقق من الوافدين

الجدد في القرية. ثم ارسم خريطة لمورتيمر كروس وتوتون. وعلى الزغم من أن إمكانية ربط معركتين قديمتين بحرب حديثة كان أمراً من الصعوبة بمكان تخيله. فإن شيئاً ما آخر ربما حدث عام ١٤٦١ - معركة أصغر غيرت مسار الحوادث بشكل جذري في حروب الورود. سيضطرّ للذهاب إلى المكتبة أو إلى مدرسته القديمة في تونبريدج ومعرفة ما إذا كان لديهم أي كتب حول هذا الموضوع. لقد أدرك أنه يتطلع إلى الجانب البحثي. كانت الأمور تبدو وكأنها مثل لغز.

الفصل الزّابع عشر

فارلي بليس، كينت شهر أيار 1941

كانت سيارة الرولز رويس تسير وأصوات سحق
ناجمة عن مرورها فوق ممر الطريق المغطى
بالحصى حين اقتربت من فارلي بليس. كانت بامبلا
سعيدة لأنها قبلت عرض السير ويليام بتوصيلها إلى
منزلها. لقد أدركت أنها كانت خارج نطاق الممارسة
للمشي لمسافات طويلة التي كان يفرضها العيش
في ذلك البلد. وكان عليها أن تعترف أيضًا بأنها
كانت سعيدة حين جاء والدا جيرمي لمقاطعتهما.
كان شغفه العنيف المفاجئ قد أثار مخاوفها. من
المؤكد أنها يفكّن أن تفهم ذلك بعد حبسها طوال
ذلك الوقت، لكنها وجدت أنّ اندفاعاته كانت
ساحقة. لم تكن ساذجة تمامًا. لقد صدّت محاولات
الشباب للتقرّب منها في جلسات المبتدئين (32).
وكان عليها أن تقاتل زوجين في سيارات الأجرة.
لكنها كانت تدرك دائمًا أنها كانت تنتظر جيرمي،
حيث كانت تحافظ على نفسها من أجله. إنّ اعترافه
الصريح الآن بأنه يريد أن يأخذها إلى السرير قد
أدخلتها حالة من الاضطراب. بالطبع، أرادت أن
يمارس الجنس معها. لكن خيالها كان دائمًا يصوّر
الفرسان الأبيض الطويل، والطرحة المنسدلة على
وجهها، ثم شهر العسل في فيلا جميلة في إيطاليا،
حيث سيأخذها بين ذراعيه ويهمس: «نحن لوحدنا
أخيرًا يا حبيبتي».

كان السيد وليام قد سأل حيناً نطلقاً من ممر نيزركوت إلى ممر الريف: «كيف وصلت إلى هنا؟».

قالت: «لقد مشيت مع بن. هل يُفكّنك تصديق ذلك؟ نزلنا من لندن في القطار نفسه. كان الأمر محض صدفة».

قال السير وليام: «إنه شاب جيّد، الفتى كريسويل. لا يُفكّنني التوقّف عن الشعور بالأسف قليلاً من أجله. فهو عالق في وظيفة مكتبية مملة ولا يتخذ أي قرارات مهمّة، ويفتقد كل المتعة».

سألت بامبلا: «هل تعتقد حقاً أنّ الأمر ممتع بالنسبة إلى أولئك الذين يقاتلون فعلياً؟».

«على الأقل يعرفون أنهم يفعلون شيئاً يستحقّ العناء. إنهم يدافعون عن بلادهم. ماذا يُفكّن أن يكون أكثر قيمة من ذلك؟ فرصة لإثبات حصولك على المؤهلات المطلوبة. لقد سرق ولدي منه تلك الفرصة بسبب رغبته في الاستعراض والمجازفة كعادته. أخشى أن يكون ذلك متأسلاً في طبيعته. دعينا نأمل أن يؤدي هذا الهروب الأخير إلى التوقّف عن التفكير أو التصرف بحماقة».

لقد وصلا إلى الجدار الطويل من الطوب الذي يحيط بمزرعة فارلي؛ استدارا عند البوابة بين الأعمدة الحجرية التي تعلوها الأسود. نظرت بامبلا من النافذة إلى محيط عزيز ومألوف. كانت الكستناء مكتملة الزهور بشموعتها البيضاء. وكانت أحواض الزهور قد ثرّكت لتنمو بشكل كبير في أي حال. من المؤكد أنّ العشب لم يكن مشدّباً كما هي

الحال في نيزركوت. انحنت إلى الأمام في مقعدها وهي حريصة على الحصول على أول نظرة لها للمنزل. ولكن حين اقتربا، قُوبلا بموكب من شاحنات الجيش التي كانت تتقدّم نحوهم، وكان الموكب يحجب نظرها عن فارلي لتذكّرها بشكل مفاجئ بأنها لم تكن تنتمي حقًا إلى عائلة ستون في تلك اللحظة.

قال السير وليام بينما كانت تمر الشاحنة الأولى بهما: «أمل ألا يحوّل هؤلاء الأولاد المزعجون المكان إلى فوضى عارمة».

ردّت عليه قائلة: «لم يشتك بابا حتى الآن، لذلك أعتقد أنه يجب أن يكون كل شيء على ما يرام حتى الآن».

قال السير وليام: «يسمع المرء قصصًا تثير الرعب كاستخدام صور الأجداد للتدرّب على الرمي، والتبول على المفروشات، والتخريب المتعمّد للممتلكات كما تعلمين».

قالت باما: «غير معقول! أمل ألا يحدث ذلك. سيقتل بابا بيديه العاريتين أي شخص قد يخزّب أي شيء في فارلي. ولكن لحسن الحظ، كانت الأشياء الجيدة كلّها قد تمّ حزمها ووضعها جانبًا حين سمعنا أنّ فوج غرب كنتس قادمون إلى فارلي».

كانت الساحة الأمامية مليئة بخطوط من عربات الجيش، وكان على السير ويليام المناورة من حولهم. وقال: «أخشى ألا أتمكن من الاقتراب من الباب الأمامي».

قالت: «أه، من فضلك، فقط أنزلني هنا. أستطيع المشي».

أوقف السيد وليام السيارة إلى جانب البحيرة وقال لها: «ستكونين على ما يرام، أليس كذلك؟».

«من المؤكد. شكراً لك على التوصيلة. أنا فعلاً أقدر لك ذلك. يجب أن أبحث وأعثر على درّاجتي القديمة إذا أردت التجول. أنا متأكّدة من عدم توافر البنزين من أجل استخدام السيارة».

أعطى السير وليام ابتسامة متواضعة تعبيراً عن الرضى عن النفس وقال: «فقط لأناس مثلي».

خرج من السيارة وتقدم لفتح باب بامبلا، وقال: «أنا سعيد لأنك هنا يا عزيزتي. إذا كان من الممكن لأيّ شخص من تسريع طريق جيرمي للتعافي، فهو أنت. كان يحمل صورتك طوال الوقت في معسكر السجن، كما تعلمين. وكان منزعجاً جداً حين فقدتها في مكان ما في النهر أثناء الهروب».

هزت بامبلا رأسها بالموافقة وهي لا تعرف ماذا يقول.

قال بصوت منخفض: «بيني وبينك، والدته تأمل في ألا يسمحوا له بالطيران مرّة أخرى. بالطبع، يموت شوقاً من أجل العودة إلى الطيران، لكنك تعرفين جيرمي. سيقوم بمطاردة طائرات مسيرشميتس ويونكرز إلى ألمانيا في اللحظة التي يعود فيها إلى تلك الطائرة الملعونة».

كان على بامبلا أن تبتسم. قالت: «أتوقع ذلك. إنه

يحب الطيران فعلاً».

أمسك بيد بامبلا وقال: «يحب العيش حالة من الإثارة الشديدة. كان دائماً يحب ذلك. تفضلي بزيارتنا دائماً عندما تكونين في المنزل، هل ستزوريننا؟».

«من المؤكد. شكراً لك مرة أخرى على التوصيلة».
أطلق يدها، وأسرعت في الصعود على الدرج ثم إلى المنزل.

سمعت أصواتاً مما كان من قبل غرفة الصباح ولكنها أصبحت الآن غرفة الرسم. كانت الغرفة في واجهة المنزل، وكان لها إطلالة جيدة على البحيرة والممر. دخلت لتجد جميع أفراد الأسرة يتناولون الشاي. كانوا يجلسون على شكل نصف دائرة، وكانت الطاولة المنخفضة تحمل الآن صينية شاي مع أواني خدمة فضية عليها طبق من السندويشات الصغيرة، وطبق من البسكويت، وقطعة كبيرة من كيك الفاكهة، وبعض أنواع الطعام الأخرى المخبأة تحت قبة فضية. كانت ليفي تحمل طفلها، وتقفه على ركبتيها وكانت المزببة تتجول بعصبية في المدخل جيئة وذهاباً. وكان الكلبان يرقدان على قدمي اللورد ويسترهام. والكلبة ميسي في حالة تأهب دائم، وقد انتصبت أذناها عندما سمعت وقع خطى بامبلا، ثم وقفت، وهي تهز ذيلها.

لاحظت فوبي حضورها أولاً وابتسمت لأختها ابتسامة مبهجة بعثت السعادة والدفء في قلب بامبلا: «باما هنا».

ابتسم اللورد ويسترهايم ابتسامة كبيرة ارتسمت على وجهه. كان سعيدًا لرؤية ابنته، وهو يمد يديه إليها وقائلًا: «أهلا يا عزيزتي. مرحبًا بك في بيتك». ذهبت باميلا وقبلت خده وقالت: «مرحبًا يا بابا». ثم نظرت حولها إلى التجمع وقالت: «مرحبًا يا فيبس، ماما، ليفي. لقد سلّمت عليك للتو يا ديدو».

ردّت عليها ديانا قائلة: «لقد استقبلتني بحرارة، كما أتذكر بشكل صحيح». كانت ترتدي البنطلون مزّة أخرى، باللون الأزرق الملكي هذه المرة، قميصًا من القطن الأبيض معقودًا على الخصر ما جعلها تبدو وكأنها فتاة أرض متطورة إلى حدّ ما.

«أنا أسفة. لقد فُوجئت برؤيتك في منزل جيرمي. لم أدرك حتّى أنّك تعرفين جيرمي».

قالت ديانا مبتسمة ابتسامة متكلفة: «كنت أفعل الشيء الخيري وأزور جازًا في محنة».

قالت باميلا بلطف: «إنه ممتنّ لك للغاية. لقد قال يا لها من طفلة لطيفة».

ذهبت إلى الطاولة المنخفضة وسكبت لنفسها كوبًا من الشاي.

قالت فوبي: «يا بابا، خفني ماذا لدينا، هناك الفطيرة الصغيرة (33). السيدة مورتلوك ملاك بالمطلق».

ابتسمت باميلا لأختها. لقد كبرت فوبي كثيرًا منذ أن رأتها آخر مرة. كانت بوضوح في تلك المرحلة الحرجة بين الطفولة والنضج، لكنّ باميلا كانت

تري أنها قد تتحوّل إلى فتاة جميلة بكل المقاييس. وكان وجهها مشتعلًا ومضاءً بحماس منعش. أدارت بامبلا نظرها إلى الطبق الذي لم يبق عليه إلا فطيرة صغيرة واحدة.

قالت السيدة إيسمي: «ليست هي تمامًا مع السمن النباتي، ولكن لحسن الحظ، كانت السيدة مورتلوك قد تسببت بتخزين كمية جيدة من المربى قبل تقنين السكر في مخزن المؤن. وإذا استخدمناها بشكل معتدل، فقد تدوم عندنا لعام آخر، ومن ثم دعونا نأمل أن تكون الحرب قد انتهت».

تدخلت فوبي في ملاحظة لها فقالت: «غامبي تأمل في ألا تنتهي الحرب قريبًا».

وقف اللورد ويسترهام على كرسيه قائلاً: «ماذا؟ لا تقولي لي إنك استأجرت مربية نازبة يا إيسمي».

بدت السيدة ويسترهام في حيرة من أمرها، فقالت: «نازية؟ آه لا، عزيزي. أنا متأكدة أنها ليست كذلك. إنها من شلتنهايم».

قالت فوبي: «لا يا بابا، ما قصدته هو أنه إذا انتهت الحرب قريبًا، فهذا يعني أن ألمانيا ستربح. وقالت إن الأمر سيستغرق وقتًا طويلًا إذا كنا سنهزم ألمانيا ونطردها من أوروبا».

قالت بامبلا: «هذا صحيح. هذا الفطيرة الصغيرة رائعة، أليس كذلك؟ يجب أن تشاهدوا شرائح الخبز الكبيرة والسمن التي يجب عليّ أكلها في غرفتي في مقر الإقامة ذي المرافق المشتركة. إن صاحبة الفندق هي حقًا الطاهية الأسوأ على الإطلاق».

علق اللورد ويسترهام وهو ذاهب ليحضر لنفسه بسكويته قائلاً: «يجب أن أقول إن طباخنا يتدبر الأمور بشكل جيد مع الأخذ في الاعتبار أنه يساعد نفسه على صناعة البسكويت. لم أتناول مفصلاً من لحم البقر منذ فترة طويلة جدًا بالطبع. ولكن لا يمكن للمرء أن يتوقع تناول وجبات ما قبل الحرب في الوقت الراهن. كيف حالك يا بامبلا؟ كيف تسير أمور عملك؟».

«أنا بخير، شكرًا لك يا بابا. العمل متعب، أعمل لساعات طويلة، ولدي مناوبات ليلية. لكنني على الأقل أشعر بأنني أفعل شيئًا ما. إنه أمر ممتع تمامًا في أيام العطلة لدينا، الرياضة والحفلات الموسيقية، والأندية المختلفة».

سألت ديانا: «إذن ماذا تفعلين بالضبط يا بامبا؟ ألا يمكنك الحصول على وظيفة لي هناك؟».

«مجرد عمل سكرتارية، حفظ الملفات، وهذا النوع من الأشياء. لا، أنا متأكدة أن بابا لا يريدك أن تعيشي في نزل بعيدًا من المنزل».

قال اللورد ويسترهام: «صحيح تمامًا. لقد أوضحت لك مرارًا يا ديدو أنك لست ناضجة بالقدر الكافي للابتعاد عن المنزل».

قالت ديانا: «هناك الكثير من الأولاد الذين انضموا إلى الجيش وهم في الثامنة عشرة من العمر. وهناك الكثير من الأولاد في سن الثامنة عشرة ممن قُتلوا في الحرب العظمى».

قال اللورد ويسترهام وهو ذاهب يهزأ بإصبعه الموجهة إليها تعبيرًا عن انزعاجه منها: «هذا باعتقادي يثبت وجهة نظري. هل تعتقدين أنني أريد أن تتعرض ابنتي الصغيرة للخطر؟ أريد أن أحملك. أريد أن أحمي عائلتي».

قالت ليفي بصوت مفعم بالحيوية: «لم تقولي مرحبًا لتشارلز الصغير، يستطيع أن يسحب نفسه للوقوف الآن، وأنا متأكدة أنه قال فعلاً «دادا» في اليوم الآخر. لقد سمعته، أليس كذلك يا ماما؟».

قالت الليدي إيسمي: «لقد نطق حقًا نوعًا من الصوت». كانت بامبلا مسرورة لتلاحظ أنها كانت لا تزال ترتدي ما كان يفكر أن يكون ثوب الشاي قبل الحرب، وهو نوع من شيفون الباستيل مع منديل ذي خطوط تشكل حافته السفلية. «أما بخصوص ما إذا كان يدرك ما يقوله فهذه قضية أخرى».

«أنا متأكد من أنه يدرك ما يقول. إنه يفتقد تيدي بشكل رهيب، وأنا أفتقده أيضًا. لم أسمع شيئًا عنه منذ أسابيع. أتمنى أن يكون على ما يرام».

سألت بامبلا: «ولكن أليس هو في جزر البهاما مع دوق وندسور؟».

«نعم، لكن هناك غواصات ألمانية. وهناك المؤامرات، كما تعلمين. الجواسيس والقتلة».

قال اللورد ويسترهام: «لدى الحديث عن ذلك، كان لدينا بعض الإثارة هنا في اليوم الآخر. سقط الشاب الملعون في أحد حقولنا».

سألت بامبلا: «سقط؟».

« لم تفتح مظلته. يجب أن يكون قد سقط من طائرة».

قالت بامبلا: «غير معقول كم هو مرّوع».

قالت فوبي بفخر: «لن تخفني يا باما أبداً. أنا وجدته. أو على الأقل الصبي الذي تمّ إجلاؤه والذي يعيش مع حارس الطرائد، ووجدناه نحن الاثنين. لقد كان محظوظاً ومدمّراً تماماً. إنه مثير للاشمئزاز».

قالت بامبلا: «كم هذا مرّوع يا فيبس». ثم استدارت بامبلا إلى والدها وسألته: «هل اكتشفت من كان؟».

«لا، ولكن من المؤكد أنه كان هناك شيء مريب حول الشاب. كنا نظنّ أنه كان أحد سكان غرب كنتس المحليين، لكنّ العقيد يقول إنه لم يكن من عناصره. وهذا يجعل المرء يتساءل من كان إذن بحق الجحيم؟ ربّما كان جاسوساً ألمانيا ملعوناً، لا أستغرب ذلك أبداً. ومع ذلك، لم يكلف أحد نفسه عناء القدوم إلى هنا لمعرفة ذلك».

قالت الليدي إيسمي: «لا تستخدم لغة مسيئة أمام الأطفال يا رودي».

«لم يعودوا أطفالاً، وإذا كان سماع كلمة «ملعون» هو أسوأ شيء يحدث لهم، فيمكنهم عندئذٍ عدّ أنفسهم محظوظين جداً بشكل ملعون».

قهقهت فوبي، وتبادلت بامبلا ابتسامة مع ليفي، لكنها كانت تفكر في سرّها بالفعل في الجاسوس

الألماني. كانت تعرف من المحادثات في كوخها أن الألمان كانوا يرسلون رسائل مشفرة إلى بريطانيا، والتي يُفترض أنها كانت موجهة إلى المتعاطفين معهم أو إلى الجواسيس الذين تم زرعهم في المجتمعات. ولكن يبدو أن من المستحيل تقريبًا التصديق بأن أي جاسوس سيجد أن من المجدي العمل في هذه المنطقة الريفية مثل كنت بعيدًا من المدن والمصانع وأي شيء يستحق القصف.

راقبت فوبي بامبلا باهتمام. كان عقلها يفكر بسرعة وصعوبة، وكانت الإثارة تشتعل داخلها. كانت تتلوى على مقعدها. لم تستطع الانتظار حتى ينتهي الشاي.

لاحظ اللورد ويسترهام فتساءل: «ما الأمر يا طفلي؟ لم أنت قلقة ومضطربة هكذا؟».

«لا شيء يا بابا. لكنني انتهيت ولدي أشياء أحتاج إلى القيام بها».

قال اللورد ويسترهام: «أنت لا تريدين أي كعكة؟ ليست هذه عادتك».

قالت فوبي: «أنا منتفخة بالفطائر»، جاعلة ديانا تضحك ضحكة ساخرة مكبوتة. «لذلك أستاذكم».

قال اللورد ويسترهام: «لا أرى أي مانع لهذا ما دام ما خطت له ليس متعارضًا مع القانون أو غير أخلاقي أو مجرد عمل غبي يتصف بالحمافة».

قالت فوبي ببراءة: «أه، لا، يا بابا. سأخرج في الهواء الطلق. إنه يوم جميل، أليس كذلك؟ سوف

أخذ الكلبين إذا أردت”.

قال اللورد ويسترهايم: «يا لها من فكرة جيدة، ولكن لا تدعيهما يزعجان شباب الجيش. لقد تلقيت شكوى الأسبوع الماضي تفيد أنهما أفسدا أحد تدريباتهم بالركض والخروج لفا كانوا يسرون».

قالت فوبي: «لن أقرب من أي تدريبات».

“ولكن لا ركوب خيل لوحدك، هل هذا مفهوم؟». ثم هز بإصبعه الموجهة نحوها مهدداً وقال: «سمعت أنك تخرجين المهرة سنوبول من دون إخبار أحد».

فتحت الباب وقالت: «أنا لا أركب الخيل يا أبتى. هيا أيها الكلبان، لنذهب ونمشي».

لم يحتج الكلبان إلى التشجيع واندفعا وراءها، وذيلاهما الحريريان الطويلان يتموجان خلفهما.

قامت فوبي بإخراجهما من خلال الأبواب الفرنسية في غرفة الطعام الجديدة بدلاً من المجازفة بإغضاب الجنود في المدخل الرئيسي. اندفع الكلبان أمامها عبر الحصى، وهما ينبحان على زوج من البط كان قد خرج للتو من البحيرة. طارت البطتان مع رفرقة عظيمة من أجنحتهما، وانتظر الكلبان ولساناهما يبرزان من فميهما بانتظار فوبي للحاق بهما. لقد حاصرا البحيرة، وعبرا الحشيش، ودخلا المجموعة الأولى من الأشجار. بعدها كان الحقل البعيد حيث كانت الجثة قد افترشت الأرض. كانت فوبي تنظر بعصبية، متسائلة ما إذا كانت لا تزال تستطيع رؤية الدم على العشب. كانت قد أمطرت مرة واحدة في الليل، وكان من المفروض أن تغسلها

بشكل جيد.

على الجانب الآخر من الأشجار، اختارت مسازًا
يستخدم لركوب الخيل يمرّ من خلال الغابات.
لمحت غزالة أوراسية بين الأشجار. وانتصبت أذان
الكلبان مرّة أخرى، ونظرا إليها بشكل متوقّع.
قالت بحزم: «لا. سيدكما لا يريدكما أن تطاردا
الغزلان».

وراء الغابة ارتفع الجدار الذي يحيط بالعقار وكان
يتوضع مقابلها كوخ صغير من الطوب بطريقة
لطيفة. قامت فوبي بطرق الباب، ففتحت لها امرأة
ترتدي منزرا منمقا. وكان رد فعلها مفاجئا حين رأت
الليدي فوبي.

قالت فوبي بتألّق: «مرحبًا يا سيدة روبنز».

«لماذا يا صاحبة السعادة. يا للمفاجأة! إن السيد
روبنز ليس هنا في الوقت الحالي».

«ليس السيد روبنز من أريد رؤيته. إنّه ألفي الصبي
المقيم عندك هو من جئت لرؤيته. هل هو في
البيت؟».

«نعم، يا صاحبة السعادة. لقد عاد للتوّ من المدرسة
إلى المنزل، حقيقة لقد أعطيته للتوّ الشاي. إذا كنت
ترغبين في الدخول». وفتحت الباب على نطاق
أوسع.

قالت فوبي: «اجلسا»، مشيرة بقوة إلى الكلبين.
ابقيا هنا.

دخلت الكوخ. كان المطبخ خارج قاعة أمامية

صغيرة تواجه جدار العقار، وكانت مظلمة تمامًا، لكن الأواني النحاسية كانت تلمع فوق موقد قديم الطراز، وكانت تنبعث منها رائحة خبز طازج. كان في إمكان فوبي رؤية رغيف في منتصف الطاولة. وكان ألفي جالسًا هناك، وشريحة من الخبز، محملة بالمربى في فمه. ولما رأى فوبي، خفض الخبز لكن آثار المربى رسمت ابتسامة على خديه. مسح المربى بإصبعه.

قالت فوبي: «مرحبًا يا ألفي».

«مرحبًا». بدا غير مرتاح أبدًا.

قالت فوبي: «جئت لرؤيتك. لدي أمر أريد أن أخبرك به».

سألت السيدة روبنز: «هل ترغبين يا صاحبة السعادة في تناول كوب من الشاي أيضًا؟ وربما شريحة من الخبز؟ إنها طازجة من الفرن».

لم تستطع فوبي المقاومة على الرغم من تناولها اثنتين من الفطائر، والكثير من السندويشات، قالت: «سيكون ذلك جميلًا، شكرًا لك». وسحبت كرسيًا إلى جانب ألفي.

قامت السيدة روبنز بقطع شريحة، وهي تمسك الرغيف وتقطع باتجاه معدتها. كانت فوبي تتوقع أن تقسمها باتجاه جسمها الواسع، لكنها وضعت شريحة مقطعة بالتساوي على طبقها وسلمتها إلى فوبي، ثم سلمتها طبق الزبدة. تذوقته فوبي وهتفت: «هذه هي الزبدة».

ضحكت السيدة روبنز وقالت: «حسنًا، بالطبع إنها الزبدة. لا يفكن أن يلتزم السيد روبنز بهذا السمن، لذا فأنا أتعامل مع زوجة المزارع في هايكروفت. فقط لن تأتي على ذكر هذا لأي شخص كان، أليس كذلك؟».

«بالطبع لا». نشرت فوبي الزبدة على الخبز، ثم نشرت مربى الفراولة.

وقالت لألفي: «أنت محظوظ جدًا لأنك تحصل على مثل هذا الطعام الجيد».

لقد وافق على ذلك قائلًا: «أنا أعلم. إنه رائع، أليس كذلك؟ لماذا تريدان أن ترينيني؟».

قالت وهي تنظر بينما كانت السيدة روبنز تضع فنجانًا كبيرًا من السيراميك إلى جانبها: «سأخبرك في دقيقة واحدة». لقد أضافت بالفعل الحليب والسكر، وكان الشاي ثقيلًا للغاية.

قالت السيدة روبنز: «سأترككما أيها الشاب والشابة لتستمرا في حديثكما إذن، ما رأيكما بذلك؟ فقط أصرخا إذا كنتما في حاجة إلى أي شيء. سأعود إلى الخارج لوضع نباتات الفاصولياء على الخيوط». نظر ألفي إلى فوبي بترقب.

قالت بصوت أعلى من الهمس وكانت السيدة روبنز لا تزال تستمع: «لقد علمت شيئًا مثيرًا للاهتمام». «عن جئتنا؟».

«هذا صحيح. يقول والدي إنه كان هناك شيء خاطئ في زيّه. هو يعتقد أنه ربما يكون جاسوسًا».

قال ألفي وهو سعيد لأنه سمع المعلومات أولاً: «هذا ما يقولونه في القرية. والجميع يتحدثون عنها في المدرسة. حتى الأولاد الكبار يشعرون بالغيرة لأنني وجدت الرجل».

«هل لديهم أي فكرة في القرية حول ما كان يفعله هذا الجاسوس؟ من المفترض أنه أرسل لإجراء اتصالات بشخص هنا، ألا تعتقد ذلك؟».

هز ألفي رأسه: «يقولون إن الألمان يسقطون المظليين في كل مكان».

قالت فوبي: «حسناً، أعتقد أنه كان يفترض أن يلتقي شخصاً ما. لذلك أعتقد أن الأمر متروك لنا. علينا أن نعرف ما كان يفعله هنا».

«يا ويلي! أنا وأنت؟ هل سنبحث عن جواسيس محتملين؟».

«بم لا؟ لا أحد يشك في طفلين، أليس كذلك؟ في أي وقت ينتهي دوامك في المدرسة؟».

«الساعة الرابعة».

قالت: «إذن دعنا نلتق غداً، وسنضع قائمة بأسماء المشتبه بهم المحتملين».

«أنا لن أتي إلى المنزل الكبير».

«بالطبع لا. لا أريد أن تتطفل عائلتي على ما أفعله. سألتقيك بك في القرية. بالقرب من نصب الحرب التذكاري على العشب الأخضر».

ابتسمت له ابتسامة عريضة. «سيكون ذلك ممتعاً. الواقع أننا سنفعل شيئاً مفيداً».

نظر كلاهما إلى الأعلى حين بدأ الكلبان ينبحان،
ثم سمعا صوت طقطقة لدراجة نارية تقترب.

قال فوبي: «أتساءل من القادم؟» ذهبت إلى
النافذة ورات شابًا يرتدي زيًا رسميًا وهو ينزل من
على دراجة ويقترب من السيدة روبنز بينما قفز
الكلبان للتحية وللتحذير بالقدر نفسه. خرجت فوبي
ودعتهما للقدوم إليها، وزجرتهما. قام سائق الدراجة
النارية بتسليم السيدة روبنز شيئًا ما، ثم ركب
الدراجة وانطلق بعيدًا.

انتظرت فوبي لبعض الوقت بينما كانت السيدة
روبنز تقف بلا حراك محدقة بالقصاصة الورقية التي
كانت بين يديها. في النهاية، لم تستطع فوبي أن
تتحمل الانتظار أكثر، وسألتها:

«هل هناك مشكلة ما يا سيدة روبنز؟».

نظرت المرأة وتعبيرات النكبة تعلو وجهها وقالت:
«إنه ابننا جورج. تقول البرقية إن سفينته قد
تعرضت للقصف، وإنه مفقود، ويفترض أنه مات».
نظرت حولها وهي في حيرة من أمرها وقالت:
«يجب أن أجد زوجي. يجب أن يعرف بالأمر».

قال ألفي: «سأذهب وأجده يا سيدة روبنز. لا
تقلقي». لقد ركض تاركًا فوبي واقفة إلى جانب
زوجة حارس الطراند.

التفتت إلى فوبي قائلة: «لا ينبغي أن أفاجا إذا لم
يقتله هذا الخبر. فهو يرى العالم كله من خلال هذا
الصبي. إنه يعتقد أنه مميز جدًا. كان جورج

يستحق الخير كله. وهو لم يكن يريد أن يذهب ويتطوع. لم يكن مضطراً للقيام بذلك. كان يعمل في مهنة معفية من الخدمة العسكرية. لكن الفتى الغبي أراد أن يقوم بدوره، وقال إنه يريد الانضمام إلى البحرية ورؤية شيء من العالم". بدأت تبكي في تلك اللحظة، والدموع الحارة تتدفق على خديها. أضافت: «كان في الثامنة عشرة فقط». ثم بدت تدرك أنها تتحدث إلى الليدي فوبي فقالت: «أنا أسفة يا صاحبة السعادة. لا يحق لي قول ذلك».

قالت فوبي: «لك الحق كله».

لكن المرأة هزت رأسها وقالت: «لا يمكنني الاستمرار في إثارة الجلبة، أليس كذلك؟ أنا لا أختلف عن جميع الأمهات الأخريات اللاتي تلقين أخباراً سيئة اليوم. علينا فقط أن نتعلم كيف نتأقلم مع ذلك. علينا أن نتعلم كيف نستمر في الحياة من دونه».

لقد قالت ذلك، ثم، وضعت يدها على فمها وعادت راكضة إلى المنزل. وقفت فوبي هناك، وهي في حيرة من أمرها ولا تعرف ماذا تفعل بعد ذلك. هل من الأفضل أن تدخل وتحاول أن تخفف من آلام السيدة روبنز أم أن الأفضل ترك المرأة لوحدها؟ قبل أن تتمكن من اتخاذ قرارها، جاء السيد روبنز راكضاً، محمراً الوجه والعرق يتصبب منه، وكان ألفي خلفه. سألت: «أين هي؟».

أشارت فوبي الباب بانشداه على نحو خالٍ من التعبير. تخبط السيد روبنز بطريقة خرقاء وهو

يدخل البيت. تردد ألفي، وهو ينظر إلى فوبي.
قالت: «أعتقد أن من الأفضل أن أذهب إلى المنزل.
سأكون في الطريق الآن».
هز ألفي رأسه بالموافقة.

«نلتقي غداً إذن؟». هز رأسه بالموافقة مرة أخرى.
مشت فوبي إلى المنزل. كانت تسمع الآخرين
الذين كانوا لا يزالون يتحدثون، لكنها تسللت الدرج
إلى غرفتها. نظرت الأنسة غامبل إلى الأعلى وهي
قادمة.

سألته الأنسة غامبل: «مهما كان الأمر يا فوبي؟».
«إنه جورج روبنز، ابن حارس الطرائد. إنه مفقود،
ويُفترض أنه مات». ثم التفتت بعيداً وقالت: «أنا
أكره هذه الحرب البشعة. أكرهها. أكرهها. يُقتل
الناس فيها، ولن أذهب إلى المدرسة الآن، ولن
يحدث شيء لطيف مرة أخرى على الإطلاق».
التقطت الأرنب المحنط الذي كان يرقد على سريرها
وقذفته على الحائط. ثم ألقت بنفسها على السرير
بقوة وهي تبكي بكاءً صاخباً بصيحات متشنجة
وصوت عالٍ.

ذهبت الأنسة غامبل إلى الفتاة، وجلست إلى
جانبها، ووضعت يدها بحنو على كتفها وقالت: «كل
شيء على ما يرام يا حبيبي. ستشعرين بالتحسن
بعد البكاء».

قالت فوبي وهي تبتلع لعابها في محاولة للسيطرة
على الدموع: «يقول بابا إن علينا أن نكون أقوياء

ونكون قدوة حسنة للآخرين».

قالت الانسة غامبل: «يسمح لك بالبكاء كما تشائين معي. هذا سرنا الصغير. هنا. ابكي لتستريحى بقدر ما تحتاجين». ثم أعطت فوبي منديلاً. لقد تدبرت فوبي أمر ابتسامة ضعيفة تفتقر إلى الشعور.

قالت: «هل تعرفين ماذا يا غامبي؟ أتمنى أحياناً أن نسمح للألمان بالفوز في الحرب الغبية، والسماح لهم بدخول إنكلترا ووقف القتال. لن يكون ذلك سيئاً جداً، أليس كذلك؟ لقد ذهبت بامبلا إلى ألمانيا قبل الحرب، وذهبت للتزلج واستمتعت هناك. وكان لملكنا أسلاف ألمان، أليس كذلك؟».

كانت الانسة غامبل تحدق في وجهها، وكان وجهها يفتقر إلى إظهار أي انفعال أو عاطفة.

وقالت في لهجة لم يسبق لفوبي أن سمعتها تستخدمها من قبل على الإطلاق: «يا فوبي ستون، إياك أن أسمعك تقولين ذلك مرة أخرى. إذا جاء الألمان إلى إنكلترا، فستكون نهاية الحياة التي نعرفها. أه، من المحتمل أن يكون نوع الأشخاص مثلك على ما يرام، في حال تعلم والدك تحية العلم النازي وقول «النصر لهتلر». ولكن ليس بقية الناس. وليس أنا. كانت والدتي يهودية. لقد فزت عائلتها من ألمانيا قبل الحرب الأخيرة لأنهم لم يحبوا المشاعر المعادية لليهود. ومنذ ذلك الحين، الأمر أسوأ بكثير. أولاً جرى تحطيم الأعمال اليهودية. وبعد ذلك أجبروا على ارتداء نجمة صفراء الأمر الذي منعهم من الذهاب إلى المدرسة والجامعة، تلا ذلك ضرب

اليهود في الشوارع. وإيماني الشخصي هو أن هتلر لن يتوقف حتى تتم إبادة جميع اليهود».

لما رشت فوبي الماء البارد على وجهها حتى لا يعرف أحد أنها كانت تبكي، ذهبت إلى الطابق السفلي مرة أخرى لتجد العائلة في غرفة الرسم. نظر اللورد ويسترهام إلى الأعلى وهي قادمة، وسألها: «هل كان مشوارًا جيدًا؟ عندئذٍ تأذبت الكلاب».

لكنّ بامبلا لاحظت وجه فوبي فسألته: «ما الأمر يا حبيبتي؟ أنت تبدين شاحبة تمامًا».

قالت فوبي: «إنها عائلة روبنز. لقد تلقوا للتو برقية تقول إن سفينة ابنهم قد تعرّضت للقصف، وإنه مفقود، ويفترض أنه مات».

قالت الليدي ويسترهام: «آه، كم هذا فظيع بالنسبة إليهم. إنه ابنهما الوحيد وكانا فخورين به».

قالت فوبي: «يجب علينا أن نفعل شيئًا يا ماما. يجب علينا أن نقيم صلاة أو نصبًا تذكاريًا ليعرفوا أننا نهتمّ لأمرهم».

قالت السيدة ويسترهام: «لقد جرى الإبلاغ عن فقدته في الوقت الحالي. ربّما لا يزال هناك أمل ببقائه على قيد الحياة».

قالت ديدو وهي ترفع رأسها من عن مجلتها: «ماما، إذا تعرّضت سفينته للقصف، وهو مفقود في وسط محيط كبير هائل، فليس هناك فرصة كبيرة للعثور عليه مرة أخرى حتى لو نجا».

«تظل هناك فرصة ما، على الرغم من ذلك. قد يكون في قارب نجاة وقد جنح بعيدًا. لقد نجا البحارة لفترات طويلة من قبل».

قالت فوبي بإصرار: «ولكن يجب أن نفعل شيئًا، ألا تظنين ذلك؟».

قال اللورد ويسترهام بلطف مدهش: «أود أن أنتظريا حبي. ليواصلوا الأمل أطول فترة ممكنة».

جلست بامبلا تحدق من النافذة في محاولة منها للتخلص من القلق الملح والمزعج الذي هدهدها بإغراقها. لا بد من أن شخصًا ما قد كسر الرمز السري للغواصة الألمانية لهذا اليوم. لا بد من أن شخصًا ما قد تمكن من التحذير، وأرسل الطائرات لحمايتها. حتى الآن، كان عملها في بليتشلي بارك يبدو وكأنه لغز أكاديمي لا علاقة له بالأحداث الحقيقية. ولكن في هذه اللحظة، كانت أهمية ما يجري هناك في الكواخ تضربها بقوة كبيرة. قفزت واقفة على قدميها.

وقالت: «يجب أن أعود إلى العمل. لا يفكني البقاء هنا لأشرب الشاي وأمتع نفسي عندما تُغرق السفن ويقتل الناس الذين نعرفهم».

وقفت الليدي إيسي ووضعت يدها على كتف بامبلا وقالت لها: «أنت مستاءة يا عزيزتي. نحن جميعًا مستأؤون. كان جورج روبنز شابًا رصينًا وخلقًا. لكن عملك الصغير في مكتب لن يحدث فرقًا في إنقاذ الأرواح، أليس كذلك؟ ليس كما لو كنت في الخطوط الأمامية. لذلك أقترح أن تجلسي

وتتناولي كوبًا آخر من الشاي".

وبطبيعة الحال، لم تكن بأميلا قادرة على قول أي شيء. جلست وسمحت لأمها بوضع فنجان شاي آخر في يدها.

الفصل الخامس عشر

باريس شهر أيار 1941

كان شاغلو شارع قصر الفنون الجميلة يحدقون بفضول عبر مصاريع نوافذهم المغلقة إلى سيارة مرسيديس سوداء كبيرة كانت قد انطلقت إلى خارج المنزل رقم أربعة وثلاثين في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم من شهر أيار. كانت خيوط الضباب قد بدأت تأخذ شكلاً حلزونيًا من منطقة نهر السين. أما أولئك الذين كانوا عاندين إلى منازلهم مع أرغفة الخبز الفرنسي الصباحي فقد كانوا يعبرون الشارع على الجانب الآخر فقط تحسبًا لأمر ما. سارع أولئك الذين غادروا للعمل أو الطلاب الذين كانوا في طريقهم إلى فصل مبكر في مدرسة الفنون الجميلة، بالمرور إلى جانبها وأعينهم في الأرض. إذ لم يكن من الحكمة أن ينظروا. كان واضحًا أن السيارة كانت ألمانية، وقد تم تأكيد ذلك حين خرج السائق مرتديًا الزي العسكري. كانوا جميعًا يتنفسون الصعداء حين لم يتوجه أي ألماني نحو شققهم. وبدلاً من ذلك، خرجت سيدة شابة نحيفة من السيارة، تبعها شخص بدا مثل مصممة الأزياء السيدة أرماند.

كانغاستون دي فارين قد اشترى هذه الشقة لمارغوت عندما أصبحت عاشقين لأول مرة. وكان هو نفسه يعيش في قصر العائلة بشارع بواسير في الحي السادس عشر الفاخر الواقع بين الشانزليزيه ونهر السين، لكنه في تلك الأيام كان محافظًا بطرائق عدة. لم يكن من الصواب إحضار مارغوت

للعيش معه، وخصوصاً حين كانت والدته تصل أحياناً من القصر من دون سابق إنذار. لقد كان الزواج غير وارد في ذلك الوقت. كانت مارغوت بروتستانتية. وكانت جدته تكره الإنكليز، وهو لن يعارض رغبات عائلته عندما يتعلق الأمر بالزوجة. لذا فقد أقامت مارغوت في شقة صغيرة بشارع الفنون الجميلة، على مقربة من شارع سان جيرمان في الشارع السادس. وكانت إذا انحنت من نافذتها، فإنها يُفكن أن تلمح السين ونوتردام. لقد كانت الشقة مريحة إلى حدّ كافٍ وملائمة بشكلٍ جيد على الرغم من أنّ الحشد المفعم بالحيوية للطلاب كان قد اختفى مع وجود بعض الآثار المتبقية.

لما غزا هتلر فرنسا، استولى على قصر العائلة وأيضاً على قصر في الريف الفرنسي. عندها انضم غاستون إلى المقاومة على الفور تقريباً، ووجد الشقة في ربع البوهيميين المنخرطين في الفنون والطلاب، أنها مناسبة لهما على حد سواء ويفكنه أن يأتي ويذهب مع القليل من خطر الملاحظة.

مدّت خادمة الاستقبال والإرشاد رأسها من مقصورة مغلقة عند الباب الأمامي حين دخلت مارغوت.

قالت: «صباح الخير يا أنسة. هل يعد هذا بأن هذا يكون يوماً جيّداً، أليس كذلك؟».

أجابت مارغوت: «يأمل المرء بذلك أيها السيدة». لقد فتحت الباب المعدني الموجود في المصعد، وذهبت أرماند وراءها. قالت مارغوت: «حقاً،

سيدتي، ليست هناك حاجة لتأتي معي. كل ما أحتاج إليه وضع بعض الملابس ومستلزمات المراحيض في حقيبتني. سأحتاج بضع دقائق فقط».

قالت جيغي أرماند: «لقد أعطيت هذا الألماني البغيض كلمتي بأنني لن أسمح لك بالغياب عن نظري. ولن يكون لائقًا أو مناسبًا كسر كلمتي التي أعطيتها لأحد الضباط الألمان». وأضافت قائلة: «بالإضافة إلى ذلك، علي أن أتأكد أنك لن ترمي نفسك من النافذة في نوبة يأس».

«أعدك بالألقي بنفسي من أي نافذة».

«أو محاولة الهرب عبر أسطح المنازل». دفعت أرماند مارغوت إلى المصعد ودخلت أيضًا. كان المصعد كبيرًا بما يكفي لتتمكن الاثنتان من الوقوف داخله، وكانت مارغوت على دراية بالعطر القوي المبهج للمرأة الأخرى. صعد القفص ببطء مؤلم مصدرًا صريخًا وأنيابًا. كان عقل مارغوت يفكر بسرعة وصعوبة بسبب الخوف. وصلت إلى الطابق الثالث. ذهبت أمام أرماند وأدارت المفتاح في القفل. كانت الشقة تعطي شعورًا باردًا وأنها غير مشغولة. لقد كانت شقة من ثلاث غرف، غرفة معيشة، وغرفة نوم جيدة الحجم، لكن مطبخها صغير، مع حمام، ومرحاض قبالة الساحة الصغيرة في الردهة الأمامية. ترددت مارغوت في الرواق.

وتساءلت: «هل تمانعين في تناول بعض القهوة قبل أن نغادر؟ لقد استيقظت معظم الليل، وأعاني من صداع شديد ومؤلم».

«عزيزتي، ألقى بضعة أشياء في كيس، وسنتناول الإفطار في فندق الريتز، حيث يفكني أن أوكد لك أن القهوة حقيقية وليست هذه الأشياء التي هي استعاضة عن النوعية الأصلية بنوعية أقل جودة». ثم دخلت أرماند إلى غرفة المعيشة وجلست على الأريكة وهي تبدو مرتاحة وجميلة.

كانت مارغوت تدرك أن المكان لم يكن مرثبًا، وكانت الملابس التي ترتديها في اليوم السابق ملقاة على الأرض. لقد قامت برفعها عن الأرض، وشعرت بالحرج.

رفعت أرماند نظرها وقالت بفارغ الصبر: «لا تهتمي للترتيب. لا أعتقد أنك تدركين ذلك حتى الآن، لكنك في مازق خطير يا عزيزتي. أنت رسميًا قيد الاعتقال من قبل الألمان. في أي لحظة يفكّنهم جزك مرة أخرى إلى ذلك المبنى وصولاً إلى القبو حيث يسمع المرء عن أشياء لا توصف تحدث هناك».

خفت حدة تعبيرها وأضافت: «عليك أن تتعلمي اللعب معهم يا حبيبتي. لقد أقمت، وما زلت أعيش في فندق الريتز. تظاهري بالقيام بما يريدون. تظاهري بالتعاطف معهم. إنهم بعيدون من الوطن، والأذن المتعاطفة لامرأة جميلة محل تقدير كبير. إذا أرادوا منك أن تفعلي شيئاً لهم في إنكلترا، تظاهري بأنك مهتمة، واطهري أنك تفكرين فيه».

قال مارغوت: «لكنني لا أستطع القيام بذلك».

«ألا تريدان إنقاذ حياة حبيبك؟».

ترددت مارغوت وقالت: «أنا لا أرى كيف يمكنني

وضع غاستون في المرتبة الأولى قبل بلدي. فضلا عن ذلك، كيف يمكنني أن أثق بكلامهم؟ يمكن أن أقوم بأي عمل حقير يرغبون في فعله، ثم يطلقون النار على غاستون في أي حال. لم يظهروا أنفسهم كجديرين بالثقة».

«أعتقد أنني أستطيع الوصول إلى بعض الضباط الأقوياء الذين يمكنهم نقل غاستون إلى بلد محايد».

قالت مارغوت بمرارة: «إن لم يكن قد مات بالفعل».

لوّحت أرماند بيد ترتدي قفازًا وقالت: «بالطبع. ولكن على المرء أن يفعل ما في وسعه. أنت تريدين إنقاذ حياته، أليس كذلك؟ لم يكن مملاً بالنسبة إليك مؤخرًا؟».

قالت مارغوت بحرارة: «بالطبع أريد أن أنقذ حياته، ولكن لا يمكنني وضع حبيبي في المرتبة الأولى قبل بلدي».

تنهدت أرماند وقالت: «أنت نبيلة جدًا وساذجة جدًا. تعلمي أن تكوني براغماتية يا عزيزتي إذا كنت تريدين البقاء على قيد الحياة. لقد كان ذلك نافعا دائما بالنسبة إليّ". تحركت بانزعاج من أخطائها، وهي تعيد وضع ساقها على الساق الأخرى مرتدية جوارب حريرية حقيقية. «هيا اسرعي الآن، تحركي. أنت فتاة جيدة».

قالت مارغوت: «هناك مواد غذائية في المطبخ. ماذا علي أن أفعل بها؟ توجد الخضر والجبن. سوف

تفسد. ولا يمكن للمرء أن يضيع الطعام في الوضع الحالي».

«أعطها لتلك المرأة العجوز الرهيبة في الطابق السفلي. سوف تحبك إلى الأبد». ولوحت أرماند بيدها مزة أخرى.

ذهبت مارغوت إلى المطبخ وكانت تعاني من الاكتئاب بسبب كمية الطعام القليلة الموجودة هناك. ربع ملفوفة وبصلتان وحبّة واحدة من البطاطا ومربع من الجبن الصلب. لقد أصبحت حصص الإعاشة في باريس الآن في حدّها الأدنى، وكان المرء يسرع بسرعة وشبق لشراء كل شيء كان يذهب إلى السوق. ومع ذلك، فإن موظفة الفندق ستكون سعيدة بها، وقد تحصل على فرصة لتمرير رسالة سريعة لها. وضعتها في سلة شبكية ذات أوتار ثقيلة ومقبضين في الجزء العلوي، ثم أضافت زجاجة من النبيذ الرخيص وبقايا خبز الأمس. وبالنظر إلى عدم قدرتها على حمل بقية الحليب في الإبريق، التقطته وشربته، وشطفته في المغسلة. إذا لم يكن هناك طعام في المنزل، فإن غاستون أو أحد أصدقائه سيدرك أنها ليست هناك. كانت تحاول جاهدة التفكير في طريقة لإخباره إلى أين كانت ذاهبة، حيث يُفكن أن يجدها شخص ما. لا يمكن أن تفكر في أي شخص قد يساعدها في هذه اللحظة. وإذا كان غاستون في قبضتهم، فسيكون كل شيء قد ضاع. لم يسبق لها أن سمحت لنفسها بالتفكير في ذلك الأمر من قبل بيد أن دموعها الآن بدأت بالتدفق غير أنها فتحت وأغمضت عينيها بسرعة

للتخلص منها.

لقد ذهبت إلى غرفة النوم.

نادت على أرماند قائلة: «صندوقتي في العلية».

قالت أرماند: «أنت لست في رحلة بحرية يا حبيبتي. أنت في حاجة إلى بعض القطع فقط. ربما تستطيعين العودة إلى هنا إذا لزم الأمر في مرحلة ما».

لذا أحضرت مارغوت بدلاً من ذلك الحقيبة الصغيرة الموجودة أعلى خزانة الملابس. كانت تلك التي أعطاها إياها والدها في عيد ميلادها الحادي والعشرين. كانت لا تزال تنبعث منها رائحة الجلد الإنكليزي الجيد حين فتحتها مذكرة مارغوت بالسروج، وغرفة المعدات الاحتفاظ بالسروج واللجام في فارلي. ألقى فيها بعض الملابس الداخلية، وسترة من الكشمير، وزوج من البنطلونات، وغيار جوارب، وبلوزة أخرى، وفتاناً قطنياً. كانت ترتدي حذاءها المناسب. لن يكون هناك حاجة إلى الكعب. وكان عليها أن توفر مساحة كافية لمستلزمات النظافة.

لما اقتربت من طاولة ملابسها، رأت بطاقة أرماند مكتوب عليها عبارة «اتصل بها» مكتوبة في أحمر الشفاه. لم تكن في المكان الذي تركتها فيه، وأدركت أن الشقة قد تم تفتيشها بالفعل. يا لحسن الحظ أن تلك الرسالة كانت بريئة جداً. بالطبع، تريد من الأصدقاء الاتصال بصاحبة عملها. لقد تركتها حيث كانت ملقاة على الطاولة.

سألته أرماند: «ألم تجهزي بعد؟».

«أحتاج إلى وضع بعض أدوات النظافة معًا».

«عزيزتي. ألا تعتقدين أن لدي كل أنواع من الصابون وملح الاستحمام في بيتي لاستخدامه؟ ضعي مكياجك وفرشاة أسنانك ومنشفة للوجه في الحقيبة وسيكون ذلك كل شيء تقريبا».

قال مارغوت: «أنا مضطرة للذهاب إلى الحمام. لم يسمح لي باستخدام الحمام منذ أن جريث من سريري في منتصف الليل».

قالت أرماند: «حسنًا، ولكن اسرعي. سيشك فينا ذلك السائق الألماني إذا بقينا فترة أطول». دخلت مارغوت الحمام، وحشرت الأشياء على عجل في حقيبة أدوات النظافة الخاصة بها - فرشاة أسنانها ومعجون الأسنان، وعقاقير صداعها، ومنشفة نظيفة للوجه، بالإضافة إلى مرهم لا يترك أي أثر مرئي عندما يوضع على الجلد. لقد صدمتها عبثية ذلك - إنها تريد أن يبدو وجهها كاملاً حتى لو كانت على وشك التعرض للتعذيب أو القتل. لقد لبّت نداء الطبيعة بالذهاب إلى الحمام. ولما انتهت، فتحت الصنبور وتركته مفتوحًا بينما كانت تمسك بالبيديت وسحبت بلاطةً من تحته. كان من حسن الحظ أنها قد تم تزويدها باثنين من أصغر أجهزة الراديو. كان مدى هذه الأجهزة فقط خمسمئة ميل، لكنها كانت صغيرة بما يكفي لتستوعبها حقيبة، أو ليتم وضعها تحت بيديت.

حدقت فيه، وهي تتساءل ماذا تفعل بعد ذلك.

لم يكن هناك مكان أفضل من ذلك المكان لإخفائه. إذا جردوا من الشقة حقًا، فسيجدونه. ولم يكن لديها أي طريقة لاستخدامه لوجود أرماند في الغرفة المجاورة. يجب أن تكون صبورة. إذا بدا لهم أنها متعاونة وراغبة، فربما يتركونها تعود إلى هنا لإحضار شيء نسيته. لقد قامت بإزالة عقاقير الصداع من كيس المرحاض، وتركتها على الرف. ثم قلبت البيديت إلى موضعه الصحيح وأوقفت الصنبور.

علقت أرماندي بضحكة صاحبة قائلة: «ياإلهي، أنت في حاجة فعلاً إلى الذهاب».

جالت فكرة في خاطرها: «أخيراً قضيت حاجتي. ظننت أنني سأنفجر حين كنت جالسة على ذلك الكرسي لساعات في انتظار وصولهم لاستجوابي». ثم خطرت فكرة ببالها. قالت: «لا أظن أنه يمكنني الاستحمام بسرعة؟». لقد كان صوت الاغتسال بالدش صاخبًا للغاية، لكنها لم تكن متأكدة من أنه كان عاليًا بما فيه الكفاية لإخفاء صوت شفرة مورس المرسلة عبر الراديو. «عزبتي، يُفككك الاستمتاع بالحمام في فندق الريتز بمجرد وصولنا إلى هناك. يوجد هناك شلالات من الماء الساخن. يا إلهي ما أروعها».

حاولت مارغوت إظهار وجه سعيد ومتحمس. لقد وضعت كيس الإسفنج في حقيبتها وأغلقتها.

قالت: «يجب أن يكون هذا كافيًا لبضعة أيام».

قالت أرماند: «ربما تكون بضعة أيام هي كل ما

ستحتاج إليه».

لم ترغب مارغوت في التساؤل عما إذا كان هذا يعني أنها سيفرج عنها بحلول ذلك الوقت، أم ستكون في السجن أم ميتة. التقطت حقيبتها وتوجهت نحو باب نصف مفتوح.

قالت: «أنا جاهزة عندما تكونين أنت جاهزة للانطلاق».

الفصل السادس عشر

دولفين سكوير، لندن

طرقت جوان ميلر سكرتيرة ماكسويل نايت وذراعه الأيمن باب حرمه الداخلي ودخلت وكانت تعلق وجهها نظرة حزن وحيرة.

«تلقينا للتو رسالة يا سيدي. إنها من دوق وستمنستر».

«أه نعم؟ ماذا يريد؟».

«لقد تلقى اتصالاً للتو من قبل السيدة أرماند».

«مصممة الأزياء الباريسية؟ أه، بالطبع، كانت عشيقته ذات مرة، أليس كذلك؟ منذ زمن بعيد. وعدد كبير من العشاق من قبل، كما يفهم المرء. ماذا تريد بحق الجحيم؟ هل تريد تصميم زي جديد لجيشنا؟».

«لقد أرادت أن تبلغنا بأن الألمان كانوا قد أقوا القبض على واحدة من عملائنا».

«ماذا، من تكون؟».

«إنها الليدي مارغريت ستون ابنة دوق ويسترهام».

«اللعة، اللعة». حتى ماكس نايت بدا غير مرتاح لسماع هذا الخبر. «إنه لتوقيت مثير للاهتمام على أقل تقدير. أو هل تعتقدان أن هذا من قبيل الصدفة؟».

قالت الانسة ميلر: «أنا لا أثق بالصدفة، يا سيدي».

كانت قد قالت ذلك ووجهها لا يظهر أي مشاعر.
«ولا أنا أيضًا».

«هل تعتقدين أنها تعرف؟ أقصد أرماند؟».

قالت الأنسة ميلر: «لقد عرضت المساعدة. إذا أردنا إخراجها، فسوف تفعل ما في وسعها للمساعدة».
قال ماكس نايت: «هذا لطف منها. أتساءل ماذا يعني ذلك لها؟».

الفصل السابع عشر

مزرعة فارلي

في النهاية، وقفت باما في غرفة نومها لوحدها أخيرًا، وألقت سترتها على السرير، وتنفست الضعداء. لقد كانت رؤية العائلة كلها مزة واحدة، بعد أن بقيت لشهور من دونها قضية كبيرة للغاية حيث جاءت مباشرة بعد لقائها الجريء بجيرمي. كانت أشعة الشمس الدافئة بعد ظهر اليوم تتسلل من خلال نوافذها المواجهة للغرب، ووراء الساحة الأمامية، اندفع زوج من البط بشكل عفوي إلى البحيرة. ذكرها مركبة الجيش التي كانت تتدحرج على الحصى فقط لم يعد كل شيء في فارلي كما كان في سابق عهده. نظرت حولها، وهي ترنو إلى الأشياء الغالية والمألوفة بالنسبة إليها: الكتب الأكثر قراءة على خزانة الكتب البيضاء مثل: **الجمال الأسود**، **وأن الجمالونات الخضراء**؛ جرس البقر والدمى التي حصلت عليها حين كانت في المدرسة النهائية في سويسرا؛ الصورة المؤطرة لعرضها على أصحاب الجلالة. كانت رائحة المنزل تبعث من الغرفة - رائحة الأجيال الطويلة من تلميع الأثاث والتلميح الخفيف لمواقف الشتاء.

فكرت في المنزل. لقد كان بالضبط ما كانت تحلم به في تلك الليالي كلها القاتمة والموحشة في الكوخ الثالث. ومع ذلك، والآن بعد أن وصلت إلى هنا، فإنها لم تستطع التخلص من شعورها بعدم الارتياح. همست فكرة مزعجة داخل رأسها بأنهم

كانوا يحتاجون إليها في بليتسلي. إذا كان هنا نقص لشخص في نوبتها، فربما يتم تفويت شيء مهم. ثرى هل كان ابن حارس الطراند سيبقى على قيد الحياة لو تم اعتراض رسالة الغواصة وجرى فك تشفيرها؟ لم تكن جزءًا من القسم البحري، ولكن ربما قد يكون ابن شخص آخر قد نجا بسبب رسالة كانت قد قامت بترجمتها. أخبرت نفسها بأنها كانت تعطي نفسها أهمية كبيرة، لكنها كانت تعرف أيضًا أن كل ترس صغير في آلة الحرب الكبرى كان ضروريًا لجعلها تسير بسلاسة.

وقع نظر عينيها المحدقتين على كلب صغير صيني على رفقها. كان جالسًا يتسؤل وأذناه الطويلتان تبعثان على السخرية وكان وجهه حزينًا. أعطاه إياه جيرمي لقا ذهب إلى سلاح الجو الملكي البريطاني لأنها شاهدته في متجر للتحف في تونبريدج وجعلها تضحك. كان قد طلب منها أن تنظر إلى الكلب مرة واحدة يوميًا حتى تتذكر كيف تبتسم. كان الابتسام صعبًا حين وردت أنباء عن إسقاطه، ثم كان في معسكر لأسرى الحرب. والآن، على الرغم من الصعاب كافة، كان في منزل آمن، على بعد نصف ميل منها، وينبغي أن تنفجر فرحًا وغبطة وسرورًا. إذن، لم تكن كذلك؟

قالت بصوت عالٍ: «أنا كذلك. أنا فقط أحتاج إلى القليل من الوقت لأعتاد الأشياء».

غاصت في سريرها، وذهبت يدها بلا وعي إلى مقدمة بلوزتها، وهي تتحسس مكان وجود الزر

المفقود. وعم هذا المزيج من الخوف والإثارة نفسها
مزة أخرى. بالطبع، أراد أن يمارس الحب معها. لقد
كان، بعد كل شيء، رجلاً من ذوي الدم الأحمر، وكان
محروماً من الرفقة النسائية لوقت طويل جداً. لا بد
من أنه كان يحلم بهذه اللحظة طوال تلك الأشهر
التي تم سجنه فيها في زنزانة السجن. لا عجب
أنه فقد السيطرة، ولم يتمكن من التحكم بنفسه.
قالت لنفسها: هذا هو السلوك الطبيعي المتوقع. في
الوقت الذي غادر فيه، تحوّل كلاهما من مراهقين
إلى بالغين، والكبار يمارسون الجنس كأمر مسلم به
- على الأقل طبقتهما من البالغين - تبين مما كانت
قد سمعته أن ممارسة الجنس مع غير من شريك
واحد كان رياضة مقبولة بين أبناء جيلها. وبغض
النظر عن والديها الحذرين، وهذا هو الوضع السائد،
فمن الواضح أن والدتها لم يكن لديها سوى الفكرة
الأكثر غموضاً حول حقائق الحياة، وكان والدها
يبدو أحمر الوجه مشرقاً، وكان يبدأ في الحديث
عن الطقس إذا ذكر أي شخص الحمل غير المرغوب
فيه. من المؤكد أن زميلتها في الغرفة تريكسي
لم تكن عذراء، ولم تمنع في مشاركة تفاصيل
الكثير من ممارساتها الجنسية. لم تعتقد بأميلا أنها
ستكرهها. والواقع، أنها بعد أن أصبح لديها وقت
لفحص مشاعرها، فوجئت بالأحرى حين وجدت أنها
كانت متحمسة وخائفة بالقدر نفسه. لكنها كانت غير
مرتاحة أيضاً، لقد كانت مجرد صدمة سماع اعتراف
جيرمي الصريح بأنه لا يستطيع التفكير في الزواج
من أي امرأة مع استمرار الحرب. مما جعل

بأما تتساءل ما إذا كانت مجرد واحدة من الكثير من الفتيات إذا كان جيرمي يهتم بها حقًا بالطريقة نفسها التي كانت تحبها بها دائمًا.

بالعودة إلى القس، وقف بن ينظر حول الحديقة الخلفية. كان هناك ملجأ أندرسون (34) في وسط الفناء الخلفي، وبعدها أعمدة الفاصوليا تظهر الوعد بمحصول جيد من المحصول. دفع بن شعره إلى الخلف من جبهته، كما لو كانت هذه الإيماءة ستزيل الصورة التي ما زالت تطارده: وجه جيرمي الذي كان يضيء لرؤية بأما، وإضاءة وجهها بالقدر نفسه من المرح. صحيح، لقد كانت مسرورة لرؤيته حين استقل القطار، لكن عينيها لم تكن تلمعان بالشكل نفسه الذي أضاءت به عندما نظرت إلى جيرمي. تتم بصوت عالٍ قائلاً: «جيرمي الملعون». ثق به ليكون هو الشخص الذي يهرب من معسكر اعتقال ألماني. وشعر بالذنب لأنه تمنى عدم عودة جيرمي إلى المنزل. كان جيرمي، في نهاية المطاف، أقرب صديق إلى بن. لقد عاشا طفولة مشتركة. ولم تكن غلطته أن بامبلا وقعت في حبه.

أخبر بن نفسه بضرورة الانتهاء من هذه القصة. كانت هناك حرب، وكان لديه وظيفة للقيام بها. مشى على طريق الحديقة بخطوات ثقيلة وبقوة إلى السقيفة حيث أنقذ دراجته القديمة من بين أواني الزهور والكراسي القابلة للطي. تنهد وهو يتفحصها في ضوء الشمس الساطع. كان الأمر أبعد ما يكون من الجديد حين تم التبرع بها من

قبل أحد أبناء الأبرشية، والآن بدت بلا ريب الأسوأ للركوب. كانت صدنة في بعض الأماكن، والجلود متشققة في مكان الجلوس. قام بتنظيفها بقدر المستطاع، وزيتها، وقام بجولة مبدئية حول الفناء بين الكنيسة وبيت القس، متذبذبًا قليلًا حين كان عليه التعامل بمهارة مع ركوب الدراجة من خلال الممارسة والاجتهاد وهذا يفكن أن يؤدي إلى أداء جيد مرة أخرى. كانت الدراجة لا تزال تعمل، على الرغم من أنه كان مدركًا أن ركوب الدراجة لن يكون سهلًا مع وجود ركبة لا تريد الانحناء. لقد شعر بالغضب للحظة من أنه يجب على شخص مثل ماكسويل نايت أن يتوقع منه أن يجوب الحي من دون أن يمنحه الوسائل اللازمة للقيام بذلك. ربما ظنَّ أشخاص مثل نايت أن الجميع يملكون سيارات. وعلى الرغم من أنه أدرك أن في هذه الأيام، قد يكون لدى الكثير من الناس سيارات فإنه لا يوجد لديهم أي بنزين لقيادتها.

لقد ترك الدراجة لاستكشافات أطول وانطلق مشيًا على الأقدام حول القرية. لم يكن يعرف عما كان يبحث تمامًا. مرَّ بمنزل العقيد هنتلي الذي كان يُسمى «سيملا» بعد الوقت الذي قضاه العقيد في الهند. توقف مؤقتًا للتعبير عن إعجابه بشجيراته المشذبة بدقة، ورصد زوجة العقيد في الحديقة النقية تشذب الورود. رفعت نظرها إلى أعلى عندما سمعت وقع أقدام بن تقترب نحوها ولوحت بيدها له قائلة: «مرحبًا بن. مرحبًا بك في البيت. هل أنت هنا لفترة طويلة؟ أحب زوجي الحصول على فريق

كريكيت مغًا. فهو يشتكى من أن ليس لديه سوى تلاميذ المدارس والأشخاص المحافظين الممليين هذه الأيام".

مشت نحوه، ومسحت يديها بمنزر البستنة، وكان لديها مقص في يدها.

قال: «لقد أخذت إجازة لبضعة أيام فقط»، ولم يكن على وشك أن يخبرها أنه قد أمر بأخذ الأمور بسهولة لفترة من الوقت. ولم يكن يريد انتشار الخبر في جميع أنحاء القرية أن بن كرسويل قد انهار على الرغم من أنه لم يقاتل ليوم واحد. لقد نظروا إليه بالفعل باحتقار لعدم ارتدائه الزي العسكري.

هزت السيدة هنتلي رأسها وابتسمت. وقالت: «أتوقع أن تكون العودة إلى الوطن بعد الذهاب إلى لندن أمرًا جيدًا». ثم أردفت: «هل الوضع مرّوع هناك مع كل القصف؟».

قال: «يعتاد المرء ذلك».

قالت: «أشعر أحيانًا بأننا نعيش في عالما الصغير هنا. لدينا ما يكفي من الطعام، ولا أحد يُسقط القنابل علينا، وعندما ننظر من نوافذنا، ما زلنا نرى ذلك - قطعة صغيرة من الجنة، ألا ترى ذلك؟».

هز رأسه بالموافقة. وقال لها بأدب: «تبدو حديقتك جميلة».

وقالت: «لقد قال لنا أحد الشباب إنه ينبغي لنا أن نحولها إلى زراعة الكرنب أو البطاطا. يفكّنك أن

تتخيل كيف ردّ زوجي عليه. لقد أجابه بأن إحدى مزايا كونك بريطانيًا بدلاً من كونك ألمانيًا هي أننا كلنا أحرار في القيام بما نريد من خلال قطع الأرض الصغيرة الخاصة بنا. لقد كان لدينا للتو حديقة مطبخ كانت تنتج ما يكفي لتلبية احتياجاتنا، وإذا كانت زوجته قد اكتسبت العزاء من زراعة الزهور، فإنه لن يحرمها من هذا السرور". ابتسمت الآن وهي تتذكر ذلك.

نظر بن حوله. وقال: «من الصعب تصديق أننا على بعد ساعة فقط من لندن. إنها لصدمة كبيرة للحواس العودة إلى مكان تسير فيه الحياة كما هي دائمًا».

قطبت حاجبيها وقالت: «أفترض أننا لا نستطيع الهروب تمامًا من هنا. لدينا جميع هؤلاء الجنود في فارلي. شاحنات كبيرة متهالكة تمرّ بهم وهي تصدر أصوات قعقعة ثقيلة مكتومة إلى حد ما في كل ساعة، ورجال يخرجون من الحانة في حالة سكر يبحثون عن مشاكل مع الأولاد المحليين. وقد حصلنا على حصتنا من الإثارة مؤخرًا. هل سمعت أنه تمّ العثور على جثة في مزرعة فارلي؟».

قال: «لقد سمعت شيئًا من السيدة فينش. كان مظلّيًا، أليس كذلك؟ حادثة مظلّي لم تفتح مظلته؟».

اقتربت منه قائلة: «ليس حادًّا إذا كنت تسألني عن رأيي. جاؤوا وأخذوا الجثة في سيارة تابعة للجيش. لم تؤخذ إلى المشرحة المحلية. أنت تعرف ماذا يعني ذلك، أليس كذلك؟ كان هناك شيء مريب

حول هذا الموضوع. زوجي يعتقد أنه يفكن أن يكون أحد هؤلاء الجواسيس الألمان الذين يسمع المرء عنهم. ربما أرسل للقيام ببعض أعمال التخريب في محطة سلاح الجو الملكي البريطاني، كتخريب طائرات سبتفايرز». توقفت مؤقتًا، ونظرت حولها وكأنها خائفة من أن يُسمع صوتها. تابعت قائلة: «ولكن أين أدابي الاجتماعية؟ هل ترغب في البقاء لأخذ فنجان من الشاي؟ كنت على وشك أخذ قسط من الراحة».

قال: «إنّ هذا لطف منك، ولكن يجب أن أتابع قذمًا إلى وجهتي. لم تتح لي فرصة لممارسة الكثير من التمارين، وأنا عالق في مكتب طوال اليوم، كما أنني مهتمّ بمعرفة ما إذا كان أي شيء قد تغير في القرية».

ردت قائلة: «لم يحدث الكثير من التغيير، هل سمعت عن الرجال الغرباء الذين انتقلوا إلى منزل التقطير؟ ويبدو أنّ عائلة باكسترز كانوا يجنون أرباحًا كثيرة من الحرب. تبدو أمورهم مزدهرة جدًا في هذه الأيام. وهناك الكثير من الأعمال غير الملحوظة تجري في الفناء، لكنّ أحدًا لا يعرف أي نوع من الأعمال تلك».

قال بن: «يبدو ذلك غامضًا. حسنًا، لقد كان من الجيد التحدث إليك يا سيدة هنتلي. أرجو أن تبلغني أطيب تحياتي للعقيد».

عندما بدأ بن يمشي بعيدًا، نادته قائلة: «أوه، وقد استضاف الدكتور سنكلير ألمانيًا».

استدار بن مرة أخرى وقال: «ماذا؟».

أجابته قائلة: «نعتقد أنه يبدو وكأنه ألماني. يزعم أنه لاجئ، لكنك لا تعرف الحقيقة أبدًا، أليس كذلك؟ كان يُفكّنهم بسهولة إرسال رجال قبل الغزو ليكونوا على استعداد لإعطاء توجيهات من المواقع».

بدأ بن قائلاً: «لكن الدكتور سنكلير لن يأوي أبدًا.»

هزت زوجة العقيد رأسها، وقالت: «إنه ودود وطيب القلب. فهو وحيد منذ وفاة زوجته. وأتساءل كم شخص منا قد تعرّض للخداع. نحن أمة شعبها طيب القلب».

عادت إلى منزلها، متوقفة لقصّ ورده كبيرة صفراء. كانت البتلات الصفراء تطفو على العشب. واصل بن حول محيط القرية الأخضر، وكان يوازن ما كان قد سمع للتوّ. لم يشك بن في أنّ عائلة باكسترز كانت تكسب أموالاً إضافية. لم يسبق له النظر إلى بيلى باكسترز على أنّه جدير بالثقة حتّى لقا كان صبيًا. لقد تذكر أنّ هناك محفظة كانت مفقودة في الكنيسة مرة واحدة حين كان كلاهما في الجوقات، وكان والده يشك في أنّ بيلى باكستر هو الذي سرقها. إنهم لم يعثروا قط على المال أو الحقيقة.

على الأقل يفكّنه أن يستبعد العقيد والسيدة هنتلي من قائمته. وهم ليسوا عليها أصلًا. لكنهما كانا مهتمين بكلّ وضوح بالمظليّ الغامض الذي يتوقان إلى الحديث عنه. كما أنّ العقيد قد خدم

بلاده لسنوات في حرارة وعرق الهند. كان ينظر إلى منزله الآن على أنه عودة إلى الجنة. لكن الطبيب استقبل لاجئًا ألمانيًا. الآن كان هذا يستحق المتابعة.

لقد مرّ بيت الأنسة هاملتون المبني على الطراز الفيكتوري المحافظ. كان والدها قد جمع أمواله في التصنيع في الشمال، ثم أحضر أسرته إلى مقاطعات الطبقة الراقية المترفة بعيدًا من الدخان ومداخن المدن الشمالية. كانت الأنسة هاملتون الكبيرة في السن هي الوحيدة من العائلة التي لا تزال على قيد الحياة. نظر بن إلى المنزل الكبير وتساءل ما إذا كانت قد أجبرت على قبول الأشخاص الذين تمّ إجلاؤهم من لندن أو ما إذا كانت لا تزال تعيش هناك بمفردها، باستثناء خادمة مسنة مثلها تدعى إلين. لقد توقّف مؤقتًا عند بوابة الحديد المطاوع لكنه لم يفكر في سبب وجيه للقيام بزيارتها في تلك اللحظة.

لقد توقّف مؤقتًا عند النصب التذكاري للحرب، وهو ينظر إلى قائمة أسماء الفتيان المحليين الذين سقطوا في الحرب العظمى. ستة عشر من قرية واحدة صغيرة. ثلاثة أشقاء من العائلة نفسها. هل ستكون القائمة أطول هذه المرة؟ تنهد ومشى في طريقه.

يقع كوخ عائلة باكسترز الجديد إلى جانب ساحة البناء الخاصة بهم. كانت البوابات الطويلة المؤدية إلى الفناء مغلقة، ومن الداخل جاءت أصوات الطرق. تساءل بن عن يريد البناء في وقت الحرب،

ثم أدرك أنه سيكون هناك عمل لإصلاح أضرار القنابل في البلدات. حسناً، لم يكن مفاجئاً أن أوضاع عائلة باكسترز كانت تزدهر. لقد انتهى اليوم المدرسي للتو. كان الأطفال يتدفقون خارج مبنى المدرسة القديم، ويتدافعون للخروج من البوابة. لقد رأى اثنين من الصبية الكبار يدفعون طفلاً صغيراً لم يعرفه وذهب إليهما.

قال لهما: «توقفاً عن هذا. وفراً الطاقة الخاصة بكما للوقت الذي يتعين عليكما فيه محاربة الألمان».

قام الصبي الأكبر بتحريك زاوية شفته في تعبير عن الاشمئزاز والرفض وقال: «أنت تجيد الكلام لكنني ألاحظ أنك لا تقا تل الألمان مثلما يقاتلهم أخي».

قال له: «إن مجرد إصابة إحدى ساقي بأضرار لا يعني أنه لا يمكنني القتال يا توم هاسليت. لمعلوماتك، اعتدت أن أكون بطل المبتدئين في الملاكمة في تونبريدج، وسأراهن على أنني ما زلت قادراً على طرحك أرضاً فاقداً الوعي بلكمة واحدة. لكنني لا أؤمن بقتال شخص أضعف مني، ويجب عليك أنت ألا تفعل ذلك. هيا اذهب إلى المنزل».

نظر الولد نظرة سريعة، وانطلق بعيداً. ابتسم بن ابتسامة عريضة للصبي الصغير. وقال له: «لم أرك هنا من قبل».

«أنا ألفي. جئت إلى هنا من لندن».

قال: «أه، أنت الشخص الذي عثر على جثة الرجل».

«هذا صحيح».

«لا بد من أن ذلك كان بمنزلة صدمة كبيرة لك».
هز ألقى رأسه بالنفي وقال: «لا. رأيت أسوأ من ذلك بكثير في لندن».

«أنت طفل شجاع. يجب عليك الدفاع عن نفسك أكثر. لا تدعهم يضايقونك».

تنهد ألقى ثم قال: «إنهم يتكاثرون علي، ألم تر ذلك؟ وهم أكبر مني».

«يمكنني أن أعطيك بعض أساسيات الملاكمة في أثناء وجودي بالمنزل إذا أردت. هل تريد؟». بدأ ألقى متفانلاً.

قال غامزاً: «أنا لا أوافق على القتال كابن كاهن، أنت تفهمني؟».

ابتسم ألقى ابتسامة عريضة.

سأل عندما بدأ المشي مغاً: «إذن ماذا يقولون في المدرسة عن ذلك المظلي الذي وجدته؟».

«لا أحد يعلم، أليس كذلك؟ يعتقد بعض الناس أنه كان جاسوساً ألمانياً. ويقولون إن الألمان يقومون بإنزالات بالمظلات في كل مكان حتى إذا بدأ الغزو سيكونون قادرين على قطع الأسلاك الهاتفية وهذا النوع من الأشياء».

«الناس هنا يعتقدون أن الألمان سوف يقومون بالغزو، أليس كذلك؟».

قال: «نعم، هذا السيد الذي في فارلي يجري بالفعل

تدريبات، ويعلمنا كيفية القتال باستخدام الشوك
والمعاول. ولا أعتقد أننا سنفعل الكثير ضد الدبابات
والقاذفات، أليس كذلك؟».

قال بن: «دعنا نأمل ألا تصل الأمور إلى هذا الحد،
ولكن إذا حدث ذلك. . .» . ظل باقي الجملة غير
مكتمل.

لما غادر ألفي ومشى عبر القرية، فكّر فيما قاله
الصبي. إنّ الرجل قد أُرسل للتخريب قبل الغزو.
لكنه لم يحمل أي أدوات معه، ولا شيء لقطع أسلاك
الهاتف. هذا يعني أنّ شخصاً محلياً سوف يزوده
بالأدوات، وربما سيوفر له مأوى للإقامة. توقّف
مؤقتاً عند عيادة الطبيب، ثم هز رأسه بالنفي. لقد
عرف الطبيب طوال حياته. لم يكن من النوع الذي
يتصرّف بشكل سيء ليقوم بإيواء خائن.

تناول بن عشاءً خفيفاً من البيض المسلوق
والسلطة مع والده، ثم قرّر أنه لا يستطيع الجلوس
طوال المساء مجرّياً محادثة مهذّبة في حين أنه
أرسل إلى هناك للقيام بواجبه. قال: «كنت أفكّر في
الذهاب إلى الحانة يا أبي لمعرفة ما إذا كان أيّ من
زملائي القدامى لا يزال هنا».

أوما القس كريسويل بالموافقة وقال: «يا لها من
فكرة جيّدة».

سأله بن: «هل تريد أن تأتي معي؟».

بدا الرجل المسرّ مسروراً. قال: «أنا؟ أه، شكراً لك
على الدعوة، لكنني لا أعتقد أنني من النوع الذي
يذهب إلى الحانات. إنّ كأس الوحيدة من النبيذ

لن تكون مقبولة بسعادة بين جمهور الشاربين. ولكن لتذهب أنت يا بني. اذهب ومتع نفسك».

هز رأسه ليقول شيئاً إيجابياً لكنه لم يستطع التفكير في أي شيء. لم يكن هناك الكثير من التفاؤل بشأن هذه الأيام. هل سيشربون الجعة الألمانية هذه المرة في العام المقبل؟ أم هل سيكونون جميعاً يتضورون جوعاً أم سيكونون عبيداً أم سيزجون في معسكرات السجن؟ كان ذلك مزعجاً وصادقاً إلى حد أنه كان يفضل عدم التفكير فيه.

كانت الخفافيش تنقضُّ عبر شفق وريءٍ، وكانت الغربان تنعق مستقرّة في الأشجار الكبيرة وراء مقرّ إقامة الكاهن بينما كان بن يشقّ طريقه حول المنطقة الخضراء إلى قرية ثري بلز. كان هناك صوت مختلط لطيف لمحادثة حين فتح بن باب الحانة. كان عدد كبير من الرجال يقفون حول البار والبيرة في أيديهم، أداروا نظرهم حين جاء بن.

قال النادل: «مساء سعيد، سيد كريسويل. من الجيد أن أراك في المنزل مرة أخرى».

صعد بن إلى البار وطلب كأساً.

سأل أحد الرجال: «أنت هنا لفترة طويلة، إذن؟ أمجنت بسرعة لرؤية والدك الكبير؟».

ردّ بن قائلاً: «لقد كان لدي إجازة لبضعة أيام قادمة. من الجيد الخروج من لندن لقضاء عطلة».

سأل أحد الرجال: «شاهدت الكثير من القصف،

إذن؟».

ردّ بن قائلًا: «لقد أخذنا نصيبنا من القصف. لكنك تتعود عليه. لا أحد حتى ينظر إلى الأعلى في أثناء العمل عندما تنطلق صفارات الإنذار للغارات الجوية».

سأل رجل آخر: «ما نوع العمل الذي تقوم به إذن؟».
قال: «أعمل في إحدى الوزارات».
«ماذا تفعل؟».

ابتسم بن ابتسامة عريضة وقال: «أنت تعرف أنه لا يُسمح لنا بمناقشة عملنا».

قال صوت وراءهم: «لا يُسمح بمناقشته». واستدار بن ليرى الشاب النحيف ذا الشعر الأحمر المشرق قادمًا نحوهم.

بيلي باكستر، ابن البئاء. شعر بن يده تنغلق لتصبح على شكل قبضة. كان بيلي يستمتع دائمًا بتعذيبه حين كانا صغارًا. كان يبتسم ابتسامة عريضة. قال: «عمل سري إذن يا بن؟».

قال أحد كبار السن: «قال إنه لا يستطيع مناقشة الأمر».

حوّل بن نظرتَه إلى الرأس الأحمر، وقال: «أرى أنك لست مرتديًا الزي الرسمي يا بيلي باكستر».

قال بيلي: «أه، حسنًا، أنا أعمل في مهنة محمية، أليس كذلك؟».

سأل بن: «هل تصنع النوافذ المقوسة لبريطانيا؟».

كان مسرورًا لإثارته الضحك العام على بيلى.

احمر بيلى باكستر. قال: «إذا انفجر سقفك في أثناء الغارة التالية للقصف، فمن تعتقد أنه سيخرج ويقوم بتلقيه لك قبل هطول الأمطار؟».

خاطبه بن قائلاً: «يبدو أنك تجني المال الكثير منها. لقد لاحظت البيت الجديد الذي بناه والدك. يبدو خيالًا للغاية».

قال بيلى: «العمل الشاق يؤتي ثماره، أليس كذلك؟».

راقب بن بيلى باكستر وهو يطلب شرابه. لقد كان من النوع الذي يبيع جدته إذا كان السعر جيدًا. ولكن هل يعمل لصالح الألمان؟ لم يكن بن يعتقد أنه كان لديه المزاج لفعل ذلك. في قلبه، كان جبانًا، كما أثبت ذلك الوقت الذي قام بن بضربه وجعل أنفه ينزف وراح يركض إلى البيت باكيتا. كان والد بن قد أعطاه محاضرة حول العنف وضبط النفس، لكنه في الواقع كان يبدو سعيدًا جدًا.

في منتصف شرابه، انفتح باب الحانة وجاءت مجموعة من الجنود يتحدثون ويضحكون بصوت عالٍ. لقد شقوا طريقهم إلى البار، ولاحظ بن أن الرجال المحليين ابتعدوا. كان القلق سيد الموقف. ثم قال أحد الجنود: «ماذا تشربين يا أنسة؟». ولاحظ بن أن الليدي ديانا كانت معهم. كانت ترتدي سروالًا أحمر وكان شعرها مربوطًا بمنديل أحمر مثل فتاة الأرض. وكانت تضع أحمر شفاه مشرق.

قال أحد الجنود هامسًا لصديقه: «لا تناديهَا أنسة».

إنها ليدي. إنها ابنة إيرل».

سمعت ديدو وضحكت، ثم قالت: «أه، بالله عليكم نادوني ديانا أو ديدو. لا أستطيع احتمال هذه الألقاب المملة. أتناول نصف مقدار من البيرة مع عصير الليمون من فضلك يا روني».

بينما نظرت حول الغرفة، رصدت بن في الوقت عينه ومنحته ابتسامة كبيرة. وقالت: «مرحبًا يا بن. لقد عرض هؤلاء الأولاد اللطفاء أن يأخذوني معهم إلى الحانة. ألم يكن هذا لطف منهم؟ هذا هروب لفترة قصيرة من الأسر، كما تعلم». وضحكت، لكن عينيها كانتا تقولان: «لا تخبر أحدًا بأنك رأيتني هنا».

بدا النادل غير مرتاح. قال: «عفوًا يا صاحبة السعادة، لكن هذه هي الحانة العامة. ألا تعتقدين أنك ستكونين مرتاحة أكثر في البار الخاص المجاور؟ هناك كراسي بذراعين، وهي ليست تالفة تمامًا».

قالت ديدو: «هذا كلام سخيف»، وقد نظرت إلى بن نظرة خاطفة من أجل الدعم. «أقضي حياتي في النفي وبعيدًا من الناس. أريد أن أعيش قليلًا. أريد أن أسمع الضحك والتحدث إلى الناس العاديين». ثم نظرت إلى الجندي الذي قدّم إليها شرابًا، وقالت: «جهّز لي معيارًا كاملًا يا روني». مشيت إلى بن بينما كان يجري تحضير شرابها.

سألها بن: «إذن، ماذا تفعلين هذه الأيام يا ديدو؟ أما زلت في البيت؟».

أعطت تنهًا دراماتيكيًا، وقالت: "لا أزال عالقة في المنزل. لن يسمح لي أبي بأن أفعل أي شيء مفيد. أنا أموت لأودي دوري، كما تعلمون. لا أظن أنك يُمكن أن تجد لي وظيفة في لندن، هل يُمكنك ذلك في المكان الذي تعمل فيه؟".

«ربما أتمكن من ذلك، ولكن لا يُمكنني مخالفة رغبات والدك ولا سيما أنك ما زلت قاصرًا. يجب أن يكون هناك أشياء مفيدة يجب القيام بها في سيفن أوكس أوتونبريدج».

«أن تكون فتاة الأرض أساعد في تربية الخنازير؟ لا يوجد شيء آخر متاح. أريد أن أفعل شيئًا مثيرًا. سوف أسأل السيد تشرشل في المرة القادمة التي نراه فيها. بابا يعرفه جيدًا، كما تعلم. وإذا قال السيد تشرشل إنه يريد توظيفي، فمن المؤكد أن بابا لا يستطيع أن يقول له لا، أليس كذلك؟».

سألها بن: «هل لديك أي مهارات مفيدة؟ هل يُمكنك الكتابة والاختزال؟».

«ليس حقًا». عضت شفتها، مما جعله يدرك مدى صغرها.

قال: «هذا هو الشيء الذي يتم توظيف النساء للقيام به بشكل عام. عمل مكتبي. أو أشياء كتابية».

«هذا ممل، ممل، ممل. أفضل قيادة سيارة إسعاف، أو تعلم أن أكون مشغلة راديو، أو حتى أن انضم إلى الجيش».

«لا يدعون النساء يقاتلن. أتصور أنك ستقومين

بمهمات كتابية بالزي الرسمي".

صرخت قائلة: «هذا ليس عدلاً. أنا أمتلك تلك التي يمتلكها هؤلاء الأولاد. وأنا شجاعة بقدر شجاعتهم».

قال أحد الجنود: «لا لا يا أنسة. لقد كان التحاقنا بالجيش لحماية صاحبات السعادة من أمثالك. يجب أن نصدق أنك ستكون في أمان بالمنزل، تنتظروننا عندما يتم نقلنا في السفن عبر البحار».

سأل بن: «هل ستذهب عبر البحار قريباً؟».

قطب الجندي الشاب حاجبيه قائلاً: «لم نسمع أي شيء. كان لدينا الكثير من شبابنا في دونكيرك. لقد فقدنا الرجال هناك، لكنني أعتقد أنه سيكون دورنا للشحن مرة أخرى قريباً بما فيه الكفاية. في غضون ذلك، الحياة في كينت ليست سيئة للغاية، خصوصاً عندما يكون هناك شابات مثلك في المكان». ابتسم ابتسامة عريضة لديدو.

لقد قرّر بن للتوّ أنه لم يعد هناك فائدة من البقاء في الحانة لفترة أطول عندما دخل الدكتور سنكلير وإلى جانبه رجل في منتصف العمر. كان هناك شيء أجنبي واضح في ملامح وجهه وقطع سترته. فكر بن، الألماني الغامض، وذهب لاستقبالهما. استقبل الطبيب بن بحرارة وقدم رفيقه إليه. «هذا هو الدكتور روزنبرغ. إنه يساعدني على ممارستي الطب. إنه شاب رائع».

انحنى الرجل الآخر قليلاً وبشكل لائق ومدّ يده، وقال بصوت قصير وقليل من الكلمات باللغة الإنكليزية: «كيف حالك؟».

سأله بن بلطف: «أنت من ألمانيا؟».

قال الدكتور روزنبرغ: «أنا من النمسا. كنت في كلية الطب بجامعة فيينا قبل الحرب».

أضاف الدكتور سنكلير: «إنه أحد أكثر الأساتذة تميزًا. لقد تمكن من الخروج في الوقت المناسب».

نظر الرجل إلى بن بتعبير قاتم يفتقر إلى الدفء والحياة واللفظ قائلاً: «لم يخطر ببالي قط أنني لم أكن آمنًا، على الرغم من أن جدي كان يهوديًا. أقصد، أنا لا أبدو يهوديًا، أليس كذلك؟ وكنت رجلًا محترمًا. ثم زحف الألمان إلينا، وظردت من منصبي، وأخبروني أن علي ارتداء نجمة صفراء. وكان ذلك كافيًا بالنسبة إلي. تركت كل شيء وأخذت القطار التالي إلى إيطاليا، ثم إلى فرنسا، ثم إلى هنا». توقف مؤقتًا لتناول كأس الجعة الذي قدمه إليه الطبيب. ثم أضاف: «كنت محظوظًا بالخروج في الوقت المناسب. أسمع أن أصدقائي وأقاربي لم يحالفهم الحظ. لقد جعلوا زملائي الأساتذة يتجولون في الشوارع وكان الناس يبصقون عليهم. وهناك آخرون اختفوا للتو. لا أحد يعلم إلى أين ذهبوا، ولكن كانت هناك شائعات عن المخيمات..». هز رأسه قائلاً: «في بعض الأحيان أشعر بالذنب لأنني هنا، في هذا المكان الجميل، وقادر على ممارسة الطب».

قال الدكتور سنكلير: «لقد اتخذت القرار الصحيح أيها الشاب الكبير. لقد تصرفت بالشكل الصحيح. الناس الآخرون لم يفعلوا ذلك. معظم الناس لا

يعتقدون أن مثل هذه الأشياء يفكن أن تحدث لهم
إلا بعد فوات الأوان".

غادر بن قرية ثري بلز وهو يفكر في الدكتور
روزنبرغ. كما قال، لم يكن يبدو يهوديًا، بشعره
الأشقر وعينيه الخضراوين الفاتحتين. كان بن يفكر
في احتمال أنه يحتمل أن يكون جاسوسًا أرسل
ليصبح جزءًا لا يتجزأ من المجتمع. كان الدكتور
سنكلير رجلًا لطيف القلب، وحيذاً، يتصف بالسذاجة
والموثوقية. ربّما كان المظلي يتوقع أن يجد ملاذًا
أمنًا في منزل الطبيب.

الفصل الثامن عشر

فارلي مزة أخرى

في صباح اليوم التالي كان هناك الكثير من الإثارة لدى عدد كبير من الأسر مع وصول بريد الصباح. نظرت الليدي إيسمي إلى الأعلى بدهشة وهي تلوح بورقة إلى الجالسين على طاولة الإفطار. قالت: «حسنًا، أليس هذا لطيفًا؟ لقد تمت دعوتنا لحضور حفل عشاء عند عائلة بريسكوت للاحتفال بعودة جيرمي إلى وطنه بأمان».

سألت ديدو: «فقط أنت وبابا أم كلنا مدعوون؟».

قالت الليدي إيسمي: «تقول لك أنت وعائلتك. ليس فوبي، بالطبع. إنها صغيرة جدًا لحضور حفلات العشاء».

نظرت فوبي وهي ترفع نظرها من عصيدها وقالت: «ماذا؟ هذا ليس عدلًا. ألا يذكرونني في أي شيء».

قالت الليدي إيسمي: «أنت لست راشدة يا فوبي. لم تخرجي بعد أمام الناس».

قالت فوبي: «ديدو لم تخرج أيضًا. ولم تخرج أي واحدة هذه الأيام».

قالت ديدو بغضب: «لا تذكريني! إذا كنت تتحدثين عن شيء غير عادل، يكون فقد موسمي هو أكبر ظلم على الإطلاق. لا يوجد ذكور. لا حفلات. لا شيء على الإطلاق. لن أقابل رجلًا أبدًا، وساموت عانسًا

قاطع اللورد ويسترهام هذا الخطبة قائلاً: «لا أعرف كيف يمكنهم الحصول على ما يكفي من الطعام لحفل عشاء عندما نأكل نقانق نشارة الخشب وفطيرة الراعي التي تمثل البطاطا تسعين في المئة منها. ولكن بعد ذلك يبدو أن هذا الالفة بريسكوت يحصل على أشياء لا يستطيع الأشخاص الآخرون الحصول عليها. إنه يقود سيارة رولز هنا وهناك كما لو لم يكن هناك تقنين للبنزين».

قالت الليدي إيسي: «إنه في لجان مهمة يا عزيزي. ومن الواضح أنه يتعين عليه الذهاب إلى لندن».

قال اللورد ويسترهام مقاطعاً: «ما المشكلة بالسفر بالقطار، كما هي الحال بالنسبة إلى بقيتنا؟ أنا أكثر حذراً بشأن كمية البنزين التي أستخدمها».

ردت الليدي إيسي: «لا أعتقد أنك خرجت بالسيارة مرة واحدة منذ استدعاء السائق للخدمة العسكرية. لكن بعد ذلك كنت دائماً سائقاً يائساً».

رد اللورد ويسترهام: «أنا مستاء من ذلك. أنا متأكد أنني قد أكون سائقاً رائعاً إذا وضعت ذلك في ذهني. ولكن كان هناك سائق دائماً، لذلك لم يبذ أن هناك فائدة كبيرة في تعلم القيادة. فضلاً عن ذلك، من المفترض أن تكون قدوة حسنة بعدم استخدام أي بنزين غير ضروري. وبما أنه لا يبدو لي أي فائدة لأي شخص في المجهود الحربي، بغض النظر عن قيادة الحرس المحلي، ليس لدي أي مبرر لاستهلاك

البنزين".

قالت ديدو: «إذا علّمتني أن أقود السيارة، يمكنني أن أقوم بقيادة السيارة لكل مشاويرنا. هل ستعلمني قيادة السيارة يا بابا؟».

«أنت؟ تقودين السيارة بنا؟ حتى من دون كوبونات البنزين، فإنّ الإجابة عن ذلك ستكون لا، لا، ألف مرّة. ستكونين أكثر خطورة على الشعب البريطاني من الألمان. ستقتلينا جميعًا».

قالت ديدو وقد تحوّل خذاها الآن إلى اللون الوردي المشرق: «لن أفعل ذلك. أراهن على أنني سأكون سائقة رائعة. الكثير من الفتيات من عائلات جيّدة يقدن سيارات الإسعاف والشاحنات هذه الأيام. إنهن يقمن بواجبهن من أجل المجهود الحربي، بخلاف ما أفعل أنا. أنا عالقة هنا، أكاد أبكي من شدة الملل».

قالت السيدة إيسي: «في أي حال، يا رودى، سيتعين عليك إخراج السيارة لتوصلنا إلى منزل عائلة بريسكوت. لا يُفكنا الوصول باستخدام الدراجات».

قال اللورد ويسترهام: «لا أعرف ما إذا كنت أريد الذهاب. هناك شيء ما عن ذلك الافة بريسكوت. أنا لا أثق به. إنه ليس واحدًا منّا».

«كيف يُفكك أن تقول ذلك، يا بابا؟». جلست باما بهدوء حتى الآن، وهي تنهي شريحة من الخبز المحمص ومرّبى البرتقال.

«لأنه ليس كذلك. أه، قد يكون لديه منزل راقٍ وكل الأجواء والنعمة هذه الأيام، لكنه نشأ في طبقة متوسطة مميزة».

قالت باما: «حسنًا، هو واحد منا الآن. لديه لقب، مثلك تمامًا».

قال اللورد ويسترهام بجفاف: «إما أن ترثي لقبًا أو تشتريه. في حالته هذه، اشتراه. وأتساءل كيف جمع هذه الأموال كلها. هناك شيء أكثر سلاسة حول هذه الأفة».

قالت ديدو مبتسمة قليلًا «أنت غيور فقط يا بابا. إذن هل تعلمني القيادة؟ أنا يمكن أن أقود السيارة إلى بيت عائلة برسكوت غدا. لا يُفككني دهس أي شخص يسير على دربنا، هل هذا ممكن؟».

ردّ عليها اللورد ويسترهام بغضب: «قد لا يحدث هذا مطلقًا».

«إذن ماذا أستطيع أن أفعل؟».

«إبقي في المنزل وساعدي أمك حتى تكبري بما يكفي. هذا ما يُفككنك فعله. انسجي جوارب وخوذات للجنود».

«أنسج؟ أنت تمزح. لو كنت ذكراً وكنت في الثامنة عشرة من العمر، أراهن على أنك ستكون فخورًا إذا انضممت إلى الجيش».

عبر تشنّج من الألم وجهه. قال: «لكنك لست كذلك، أليس كذلك؟ أنا فقط لدي فتيات، ومن مهمتي حمايتهن».

«إذا لم تكن حريضا، فسوف أهرب وأتزوج من غجري، عندئذ ستكون أسفا». وقفت ديدو، وألقت منديلها، وانتفضت لتخرج من الغرفة.

صاح اللورد ويسترهام وراءها ضاحكا: «سوف أتطلع لشراء خظافات لتعليق الثياب عليها».

نظرت الليدي إيسمي إلى زوجها وقالت: «يجب أن تتوقف عن كبحتها في وقت ما يا رودى. أنا أفهم شعورها. لا يفكنها الجلوس في المنزل من دون أن تفعل شيئا عندما يساعد الجميع في المجهود الحربي».

قال غاضبا: «عندما تبلغ الحادية والعشرين يفكنها أن تفعل أي شيء تريده. حتى ذلك الحين، تبقى برعايتي، وأنا أفعل ما أعتقد أنه الأفضل لها. أنت تعرفين وضعها يا إيسمي. إذا تركناها تنطلق إلى لندن، فسوف تعود مع طفل غير شرعي في غضون عشر دقائق».

تحولت السيدة إيسمي إلى اللون الوردى: «حقا يا رودى. في بعض الأحيان تذهب بعيدا جدا. يجب أن أتأكد أننا جميعا لدينا شيء لائق لارتدائه لزيارة عائلة بريسكوت. لم يكن لدي أي ثياب جيدة لوقت طويل جدا، والسيدة بريسكوت هي دائما أنيقة للغاية». نظرت إلى بامبلا التي نهضت من على الطاولة وسألتها: «هل أحضرت فستان سهرة معك يا حبيبتي؟».

قالت: «لقد تركت معظم أشيائي هنا. ليست هناك فرصة كبيرة لارتداء فساتين السهرة عندما أكون في

نوبة ليلية".

«إذن انقلي الخبر إلى ليفي، هل ستفعل ذلك؟ أنا متأكدة أنها تريد أن تأتي».

لما غادرت بامبلا الغرفة، سمعت والدها يقول: «لقد كنت أفكر في هذا الأمر يا إيسمي، وكلما فكرت فيه أكثر، تقل رغبتني في الذهاب. سوف يكون بريسكوت مفرطاً في ضيافته وشهما ويقوم بتقديم ويسكي الشعير المنفرد لإزعاجي وإغضابي والتعالي علي».

خففت الليدي إيسمي صوتها قائلة: «ولكن علينا أن نذهب من أجل ابنتك».

توقفت بامبلا في الممر خارج غرفة الطعام لتسمعه يتساءل: «ابنتي؟ أي واحدة؟».

«باما، بالطبع. إنه للاحتفال بعودة جيرمي بخير. جيرمي وبامبلا، أنت تعلم؟».

«لا، لم أعرف. هل طلب يدها أو أي شيء من هذا القبيل؟».

«لا، لكنني متأكدة أنه سيفعل ذلك في الوقت المناسب».

لم تنتظر باما بعد ذلك واستمرت بالصعود على الدرج. لقد احمر وجهها لما كانت قد سمعته. يبدو أن الجميع يفترضون أنها ستتزوج جيرمي باستثناء جيرمي نفسه. والآن تسلسل شك آخر مزعج إلى ذهنها. شقيقتها يبدو. يبدو أنها كانت تزور جيرمي، ثم الليلة الماضية...

كانت ديدو تنتظر في أعلى الدرج. سألتها: «هل أنت متأكدة أنه لا يفكني القدوم والعيش معك يا باما؟ سأصاب بالجنون إذا بقيت هنا لفترة أطول. لا بد من أنهم قادرون على العثور على وظيفة لي في مكان عملك. أنا على استعداد لعمل أي شيء في هذه المرحلة لو كان العمل في الملفات القديمة المملة».

«ديدو، لا يمكنك أن تعارضي رغبات بابا. أنت تعرفين ذلك. وفضلاً عن ذلك، أشارك فتاة أخرى الغرفة في مبنى داخلي فظيع للغاية، ونحن بعيدون من لندن كما نحن بعيدون هنا. إننا عالقون في وسط الريف مع عدم حدوث أي شيء. سوف تشعرين هناك تمامًا كما تشعرين بالملل هنا تمامًا».

«ولكن لا بد من أنك تعملين مع الرجال».

«هذا صحيح. على الرغم من أنني لن أقول عن أي منهم بأنه مثير أيضًا. إنهم أكبر من اللازم أو هم أولاد مشاكسون يعانون من البثور. لا شيء مثير، أؤكد لك». التفتت إلى أختها وقالت: «أنا أعلم. لماذا لا تطلبي من بابا معرفة ما إذا كان عقيد وست كينتس يفكن أن يستخدمك في مهمات المكتب؟ ستكون هذه بداية وتجلب لك بعض الخبرة».

انفجرت أسارير وجه ديدو وقالت: «نعم، ستكون هذه بداية، أليس كذلك. تفكيرك جيد يا باما. أنت لا حدود لطاقتك وسريعة البديهة».

قالت بامبلا بصوت منخفض بينما كانت تمر بالقرب منها: «أعلم أنك خرجت الليلة الماضية

يا ديدو. سمعت صراخ ألواح الأرضية ورأيتك تذهبين إلى غرفتك. إلى أين ذهبت؟» كانت فكرة مقلقة تدور في ذهنها أن ديدو كانت قد ذهبت لرؤية جيرمي. ويبدو أن ديدو لم يكن لديها أي عائق في ممارسة الجنس كانت حريصة على ذلك بشكل إيجابي. هل كانت تعطي جيرمي ما بخلت به بامبيلا؟

ابتسمت ديدو وقالت: «إلى ثري بلز مع بعض الجنود الذين قابلتهم».

سمعت بامبيلا نفسها تتنهد الصعداء. قالت: «ديدو، أحلف بالله أن تكوني حذرة. لو كان سمع بابا بهذا الخبر لكان جن جنونه ويصرخ عليك بشدة. ومع الجنود؟ هذا ليس من الحكمة بالضبط».

«كان ذلك رائعا. كانوا لطفاء جدًا معي. لقد عاملوني بشكل رائع».

«حسنًا، أعتقد أنهم فعلوا ذلك بالنظر إلى أنك ابنة صاحب المنزل الذي يقيمون فيه. وأنت ليدي».

«ولكن لم يكن الأمر كذلك على الإطلاق. لقد تحدثنا، وضحكنا. كان من الرائع أن أكون مثل شخص عادي، واحدة من العصابة. هل هذا يشبه مكان عملك؟ هل يجب عليهم مناداتك يا ليدي وكلام سخيف من هذا القبيل؟».

ضحكت بامبيلا الآن وقالت: «بالطبع لا. ومن المؤكد أنهم لا يعاملونني بشكل مختلف لأنني ابنة إيرل».

«هذا ما أريد. أريد أن أكون في مكان لا يهتم فيه

أحد بمن أكون. وضعت باميلاً يدها بحنوً على ذراع اختها، وقالت: «سيأتي دورك، أعدك. وإذا استمرت هذه الحرب لفترة أطول، فأنا كذلك أخشى أن يتم جميعاً سيتم استدعاؤنا جميعاً للقيام بنصيبنا».

قال ديدو: «غير معقول، أتمنى ذلك. شكراً يا باما. ولن تقولي شيئاً لبابا، أليس كذلك؟».

«أنا لن أفعل ذلك، لكنك ستكونين محظوظة إذا لم يكن هناك شخص ما من القرية لا يثرثر. أنت تعرفين كم هم ثرثارون من دون استثناء».

كزرت ديدو قائلة: «أنت بالفعل لا حدود لطاقتك، وسريعة البديهة».

«شكراً لك على المجاملة». ابتسمت باما وهي تذهب إلى غرفة نومها.

صعدت فوبي إلى غرفتها، ما جعل مربيتها تنظر من الكتاب الذي كانت تقرأه.

سألتها: «لماذا يا فوبي، ما الأمر؟».

«لقد تمت دعوتهم جميعاً لحضور حفل عشاء عند عائلة برسكوت، وأنا لست مدرجة على قائمة الدعوة».

قالت الأنسة غامبل وابتسامة ترتسم على وجهها في وجه الفتاة الغاضبة المتجهم: «حسناً، لن أشعر بشعور سيء حيال ذلك. أنا لست مدعوة أيضاً».

قالت فوبي وهي ترى تشنجاً من الألم يعبر وجه المرأة: «حسناً، بالطبع لن تكوني مدعوة. فأنت مجرد مربية لا أكثر ولا أقل».

«لمعلوماتك يا فوبي ستون، نشأت في وضع لا يختلف عن وضعك. أه، لم يكن منزلنا كبيرًا تمامًا مثل هذا المنزل، ولم يكن لوالدي لقب، لكنه كان ملكية جيدة بمساحة معقولة. ثم مات أبي حين كنت في أكسفورد، وورث أخي كل شيء. وأخبرتني زوجته بعبارات لا لبس فيها أنني لم أعد مرحبًا بي في منزلي القديم».

سألت فوبي: «غير معقول، كيف، ما معنى ذلك».

هزت الأنسة غامبل رأسها وأضافت: «لذلك لم يكن لدي أي خيار. مع عدم وجود نقود أو أي مكان أذهب إليه، اضطررت إلى ترك الجامعة والحصول على وظيفة لتعليم أطفال آخرين لأن ذلك وفّر لي مكانًا أعيش فيه».

سألت فوبي: «لماذا لم تتزوجي؟ لا بدّ من أنك كنت جميلة حقًا في يوم من الأيام».

ابتسمت الأنسة غامبل ابتسامة حزينة وقالت: «أعتقد أنك تقولين ذلك من باب المجاملة. كان هناك شاب. لكنه توفي في خنادق الحرب العظمى، مثل كثيرين آخرين. لقد قضى جيل كامل من الشباب نحبه يا فوبي. بالنسبة إلى النساء مَن هنّ في عمري، لم يكن هناك رجال ليتزوجن».

قالت فوبي مرة أخرى: «غير معقول! هل تعتقدين أنّ هذا سيحدث هذه المرّة؟ هل تعتقدين أنه بنهاية هذه الحرب لن يكون هناك رجال لي لكي أتزوج؟».

قالت الأنسة غامبل: «أمل ألا يحدث ذلك من أجلك أنت. على الأقلّ لما انتهت الحرب الأخيرة،

كنا لا نزال أحرارًا. وفزنا، بغض النظر عن التكلفة
الباهظة.»

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل التاسع عشر

مقر القس في كنيسة جميع القديسين

عند القس، فتح القس كريسويل بريد الصباح وبدا مستغربًا، فقال: «حسنًا، حسنًا. لقد تلقينا دعوة لحفل عشاء مساء غد عند عائلة برسكوت. يا له من حدث غير متوقع أبدًا، أليس كذلك يا بن؟».

توقف بن قائلاً: «في منزل عائلة برسكوتس؟ أفترض أنهم لم يدعونا إلا من باب المجاملة».

قال القس: «هذا هراء يا ولدي. لقد دعوك كأقدم صديق لجيرمي. دعوتي أنا هي المجاملة».

قال بن: «لا يتعين علينا الذهاب».

«نذهب؟ أنا شخصيًا يجب أن أتطلع إلى وجبة جيدة يملأ المرء بها بطنه في أوقات الاقتصاد السيئة هذه. يسمع المرء أشياء حول طاولة عائلة برسكوتس».

تمنى بن أن يتوصل لسبب وجيه لعدم الذهاب. من المؤكد أنه سيتم دعوة عائلة اللورد ويسترهام، وعليه أن يشاهد جيرمي وبامبلا وهما يحدقان بعضهما ببعض بنظرات خاصة. عود نفسك على ذلك، تتمم لنفسه، مع شعور قوي بالاشمئزاز من ضعفه. لقد كان هنا للعمل، وحفل العشاء سيشهد أكثر الناس نشاطًا وحماسًا ونجاحًا في المجتمع المحلي تتجمع في مكان واحد. وهذه فرصة مثالية للمراقبة.

نهض بن وقال: «إذن لا يفكنا حرمانك من وجبة جيدة. سأكتب مذكرة «يزجى الرد» إلى الليدي بريسكوت».

بعد الإفطار أخرج الدراجة. لقد كان يومًا عاصفًا ومنعشًا مع احتمال هطول المطر. ثم عاد إلى الداخل مرة أخرى للبحث عن سترته الدافئة.

قال لأبيه: «أنا ذاهب في مشوار على الدراجة».

نظر القس إليه نظرة انتقاد وقال: «لا تتماذى بهذه اللياقة البدنية يا بنيامين. ليس لديك ما تثبته. لقد تعافيت بشكل ملحوظ من حادثك».

كبح بن انزعاجه قائلاً: «بالكاد أسقي ركوب الدراجة حول القرية تماذيًا في اللياقة البدنية. قلت لنفسي إنني سوف أذهب إلى بيت التجفيف القديم لأرى ما إذا كان الفنانون الذين يعيشون هناك الآن سيسمحون لي برؤية أعمالهم».

ابتسم القس قائلاً: «أتمنى لك حظًا سعيدًا. مما سمعت، لن أقول إنَّ وضع حصيرة الترحيب كان من فضائلهم. والواقع، أنهم هددوا بإطلاق النار على شخص كان يستخدم ممر المشاة العام. كان علينا أن نجعل الشرطة المحلية تتحدث إليهم وتشرح لهم حقوق المرور».

قال بن وهو يتوجه إلى الباب الأمامي: «بعد ذلك قد يكون لقاءً مثيرًا للاهتمام».

على بعد نصف ميل من القرية، أعرب عن أسفه لشجاعته. كانت الرياح تخرج من مصب نهر التايمز

وتضربه في الجانب بشدة وتهذب بإسقاطه حول كل منحني. كان الأمر جيدًا عندما انخفض الممر بين السياج المرتفع، ولكن حين كان يلتف حول حقل الشعير المفتوح، كانت الرياح شديدة جدًا. على الرغم من ذلك فإنه لم يكن على وشك النزول والمشي. ذهب أولاً إلى مزرعة برودبنت. كان السيد برودبنت المسن يقوم بتنظيف روث الخنازير لفا وصل بن إليه راكبًا الدراجة مع كلب نابح على يمينه ويساره.

قال وهو يمسح يديه ويثجه نحو الدراجة: «حسنًا، هل يعقل أنه الشاب بن!». دعا بن لفنجان من الشاي، وتحديثًا عن نقص العاملين في المزارع وكيف استولت الفتيات على الأرض من الشباب.

قال السيد برودبنت: «بعض منهنّ عاملات جيدات. وبعضهن الآخر يائسات وقلقات حول شعرهنّ وزينتهنّ أكثر من قلقهنّ على إنجاز العمل. لقد شاهدت اثنتين منهن بالجرم المشهود وقد ذهبتا وراء كومة قش للتدخين. كومة قش، ضع هذا في حساباتك! أخبرتهما إذا استمر ذلك الأمر، فإنّ حيواناتي لن يكون عندها علف لفصل الشتاء، وكلنا سنتضوّر جوعًا». لقد هز رأسه.

«هل لديك فكرة كافية عن فتيات المدينة؟».

لم يكن بن يعتقد أنّ وسيلة التّواصل مع المظلي الساقط قد تكون امرأة.

تساءل: «هل أيّ منهنّ أجنبيّة؟».

هناك ترودي من النمسا. إنها واحدة من العاملات

المجددات عندي. لقد جاءت من مزرعة في وطنها. وأوكلت إليها المسؤولية عن اليانسات، وهي تعمل على إبقائهن في حالة تأهب وجاهزية دائمة».

قام بن بإحضار الرجل العاصي إلى المحادثة، لكن المزارع لم يسمع به إلا بشكل غامض ولم يبذ مهتفاً به. قال وهو يعرض على بن شريحة من فطيرة لحم الخنزير: «أفترض أنه لا بد من حصول بعض الحوادث في الحروب، أليس كذلك؟».

في طريقه للخارج، توقف بن للدرشة مع بعض الفتيات، وعلم أن ترودي لم تكن محبوبه. لقد جعلت الفتيات يعملن بجهد كبير، والأكثر من ذلك، أنها كانت تواعد أحد الجنود المتمركزين في فارلي. كان شاباً حسن المظهر أيضاً. كانت تتسلل ليلاً لرؤيته. بدت النساء سعيدات باستغابتها وذكر عيوبها وأفعالها السيئة. ركب بن دراجته مرة أخرى وبطنه ممتلئ، وكان لديه اسم ترودي النمساوية فقط لإضافته إلى قائمته. ترودي التي كانت تتواعد بشكل مريح مع واحد من الجنود. ثم ذهب إلى منزل التجفيف الشهير، وتساءل كيف يفككه أن يقترب من المالكين العدائين اللذين أطلقا النار على من دخلوا ملكيتهما من دون إذن. كانا فنانيين، كان يعرف ذلك. لقد حان الوقت لتوجيه غاي هاركورت، الذي كان يجلس إلى جواره. كان غاي حريصاً جداً على الفن والتصميم العصري وحاول، من دون جدوى، تحويل بن إلى ذوقه. لكن اليوم قد تكون معرفته القليلة مفيدة.

لا يزال منزل التجفيف واقفاً بين صفين طويلين من نبات القفس ولكن يوجد الآن سياج زخرفي وبوابة تفصل حقول القفس عن الحديقة الأمامية المليئة بالزهور. كانت عريشة من الزهور تنحني فوق الباب الأمامي. وكان علي بن أن يعترف بأنها خلقت صورة جميلة للصفاء الريفى، باستثناء اللافتة الموجودة على البوابة قائلة «ابتعد: ممنوع دخول مندوبي المبيعات».

فتح بن البوابة بحذر وعجل وأوقف دراجته بإسنادها إلى الباب الأمامي. كان هناك مطرقة نحاسية لطرق الباب كانت تبدو كوجه الشيطان؛ تردد بن قبل أن يطرق الباب. ثم فُتح الباب من قبل رجل سمين يرتدي ملابس سوداء - قميص صياد أسود، على الرغم من الطقس الدافئ، وسروالاً أسود فضفاضاً. كان لديه وجه مبتذل، وكومة من الشعر بلون القش، وسيجارة سوداء معلقة من زاوية في فمه. استنشق بن رائحة التبغ الأجنبي.

«حسناً، ماذا تريد؟ إذا كنت تعتقد أننا نتبرع بأي تبرعات معدنية أو ورقية، فيفكك التفكير مرة أخرى». لقد كانت لهجته أجنبية بشكل طفيف لم يستطع بن التعرف عليها.

قال بن: «الواقع، أنا ابن القس»، لكن الرجل قاطعه. «أنت لن تأخذنا إلى الكنيسة أيضاً. نحن لا نؤمن بهذا الهراء».

قال بن: «أنا لست هنا لهدايتكما. لقد قيل لي إنكما فئانان، وأنا نفسي معجب بالفن الحديث، لذلك

تساءلت...».

«هل أنت نفسك من الهواة؟ أعمال من تعجبك؟»
عصر بن دماغه لتذكر الفنانين الذين كان غاي قد
تحدث عنهم. كان قد جزه إلى صالات العرض لفا
كانت لا تزال هناك مثل هذه الأشياء. «حسنا، أنا
معجب بكارل شميدت - روتلوف، وبالطبع بول كلي،
على الرغم من أنه لم يعد يُسمح لنا بالإعجاب بفنان
ألماني».

قال الرجل: «من الأفضل أن تأتي. تفت مقارنة عمل
سيرج بعمل شميت-روتلف».

ذهب قبل بن ودعا في نغمات تشبه صوت المزمارة:
«أه، سيرج. أخرج أينما كنت. لدينا زائر متحضر
أخيذا».

خرج رجل آخر من الغرفة الخلفية. لقد كان طويل
القامة. قاتما، وهزيلا بملامح حادة، وكان يرتدي
منزرا ملطحا بالطلاء.

«سيرج، هذا الشاب معجب بشميدت روتلوف.
أخبرته أن عملك قد تفت مقارنته بعمله».

كان ينظر إلى بن بارتياح، وقال: «حقا؟ أنت
معجب بالتعبيرية الألمانية؟».

قال بن، أملا ألا تتعمق المناقشة: «من المؤكد».
نظر في جميع أنحاء الغرفة. كان هناك عدد كبير من
اللوحات الفظيعة على الجدران - براعم زاهية من
الألوان الأولية وأشكال مشوهة. اعتقد بن أن غاي
قد يعجب بها بالفعل. قال بن: «هل هذا عملك يا

سيرج؟».

أوما الرجل القاتم مؤكدا: «هل تعجبك؟».

«قوية».

أوما الرجل مرة أخرى قائلا: «أنت لطيف للغاية».

بقيت نظرة بن على امرأة أرجوانية طويلة. كان على يقين من أنه قد شاهد الصورة من قبل - ألم يعلق غاي بطاقة بريدية عليها؟.

سأله: «هل عرضت الكثير في المعارض؟».

رفع سيرج كتفيه تعبيرًا عن اللامبالاة وقال: «قليلاً».

سأله بن: «هل أنت من روسيا؟». اللكنة كانت لا تزال قوية.

«نعم أنا روسي. جئت إلى هنا عندما لم يعد يُسمح لي برسم أي شيء سوى النساء الفلاحات الأصحاء اللاتي يدرن آلات الحصاد. لم يعد هناك فنٌ في روسيا».

سأل بن الرجل الآخر: «هل أتيت أيضًا إلى هنا عندما لم يعد في إمكانك ممارسة فنك؟».

ابتسم قائلا: «أنا من الدنمارك، يا عزيزي، حيث عادة ما يكون أي شيء يقوله أو يفعله الناس يُعدّ مقبولاً». لكنني خرجت على عجلة من أمري لما كان الألمان على وشك القيام بالغزو. وأشكر نجوم حظي أنني فعلت ذلك. لن أكون نازيًا جيدًا». ثم ابتسم ابتسامة عريضة قائلا: «أنا لا أحيي جيدًا، من ناحية. وأنا يانس في تلقى الأوامر. أنت أول شخص

متحضر التقيناه به منتصف الطريق منذ أن انتقلنا إلى هنا. كان معظمهم من الأشخاص الذي يرفضون رؤية الجمال أو قيمة الفن أو الثقافة، أليس كذلك ياسيرج؟».

هز سيرج رأسه موافقًا: «الأشخاص الذي يرفضون رؤية الجمال أو قيمة الفن أو الثقافة». قطب حاجبيه وهو ينظر إلى بن وقال: «إذن ماذا تفعل في هذه الأجزاء؟».

«والدي هو الكاهن المحلي. أنا هنا في إجازة لبضعة أيام».

«هل أنت جندي؟ أم بحار؟».

«أخشى ألا أكون مدينا. كنت قد تعرضت للإصابة في حادث تحطم طائرة».

«لا تعتذر. كن ممتنًا لأنك لست جزءًا من المذبحة. من المؤكد نحن ممتنون لأنهم لم يستدعوا حتى الآن الرجال الذين تجاوزوا الأربعين من العمر، أليس كذلك يا هانسي؟».

أوما الرجل السمين بالموافقة: «هل ترغب في تجربة نبيذ الجزر الأبيض المحلي الصنع الموجودة لدينا؟ إنه قوي جدًا، أحذرك».

هز بن رأسه بالموافقة وقدم إليه كأسًا. أخذ بن رشفة، وتنفس بسرعة بينما كان السائل يحرق حلقة، ثم سأل: «هل أتيتم إلى هنا من لندن؟».

كلاهما أوما برأسه بالموافقة. قال هانسي السمين: «لقد عشنا في تشيلسي، بطبيعة الحال. ثم قُصف

المنزل الذي يبعد عنّا ثلاثة أبواب، شعرنا بالتوتر والقلق والانزعاج وهربنا إلى هنا. لقد أخذنا بسحر جمال المبنى على الفور. إنه مكان يتمتّع بجميع الصفات التي تجعله متميّزًا من الأماكن الأخرى، ألا تعتقد ذلك؟».

قال بن: «من المؤكد على الرغم من أنني لا أزال أتذكر لقا كانت تُعلّق نباتات القفس لتجفّ في البرج. هل أنت أيضًا رسام؟».

قال هانسي: «أنا نحّات. أنا أعمل مع المعدن. أو بالأحرى كنت أعمل بالمعادن لقا كان هناك معادن. اعتدت صنع قطع كبيرة للهواء الطلق. بالطبع الآن كلّ قطعة من الخرّدة المعدنية تتجه نحو بناء قنبلة أو طائرة أخرى. لذلك أنا أتحوّل على مضض إلى الطين، وهو متوافر».

نظر بن إليهما. إنّ سيرج الكنيب والقليل الكلام والعدواني من روسيا - يفكّن لبن تصويره وهو يعمل مع النازيين. ولكن ماذا عن هانسي اللطيف والدمث الأخلاق؟ ومع ذلك فإنه كان يعمل مع المعدن. سيكون لديه أي أدوات يحتاجها المظلي الألماني الزائر.

لقا غادرهم، بعد نصف ساعة، افترقوا بأصدق المصطلحات بدعوة مفتوحة لبن لزيارتهم كلّما عاد إلى المنطقة. ركب بن دراجته وانطلق بعيدًا متذبذبًا قليلًا على طول الطريق حيث أصبحت الرياح أقوى، وبدأ يشعر بأثار نبيذ الجزر الأبيض القوي.

وبينما كان يركب الدراجة في طريق العودة إلى

المنزل وكان مرهقًا بشكل كبير، أدرك أنه لم يكن يفهم الأمر بالشكل الصحيح، أو أنه لم يكن مدركًا تمامًا لما حدث. يبدو أن الفنانين هربا إلى إنكلترا خوفاً من الطغيان وأرادا فقط السلام والهدوء لخلق فئهما. ومع ذلك، فقد اختارا موقعا بعيدا، ولم يكن هانسي أول ألماني يدعي أنه دانماركي. كان المزارعون المحليون رجالاً محليين صلبين كما قد عرفهم طوال حياته. كانت فتيات أرضهم فوق الشبهات باستثناء نمساوية اسمها ترودي وكانت تواعد جنديًا. لكن الرجل الميت كان قد هبط في حقل اللورد ويسترهام لسبب وجيه. كان يأمل بن أن يعطيه حفل العشاء دليلاً لحل اللغز.

الفصل العشرون

في نيزركوت - حفل العشاء

كان بن سعيدًا لقضاء أمسيات الصيف الطويلة بينما كان هو ووالده يسيران صعودًا في الممر إلى مقر إقامة عائلة بريسكوت في نيزركوت. كان سعيدًا أيضًا لأن الممر كان مستقيمًا. لن يكون من السهل العودة إلى البيت في الظلام باستخدام مصباح يدوي مغطى بقطعة قماش سوداء لتوجيه خطواتهم. ولم يُسمح لأي ضوء بالتألق من نوافذ أي منزل، وسيكون الطريق إلى البيت بأكمله في ظلام دامس. حاول بن أن يتذكر ما إذا كان القمر سيطلع. استدار ليسأل والده.

قال القس كريسويل: «في الربع الثالث، لن يكون ذلك مفيدًا لنا ما لم نبق متأخرين جدًا، وهو ما لن نفعله. يجب أن أعترف بأنني أتطلع إلى الطعام، لكنني بدأت أجد مشهد المساء مخيفًا بعض الشيء. ومع ذلك، فإذا كنا نحن وعائلة ستون فقط فلن يكون الأمر سيئًا للغاية، أليس كذلك؟ فقط مثل الأيام الخوالي».

هز بن رأسه موافقًا. وفكر في نفسه تمامًا مثل الأيام الخوالي. دفعا الباب حتى انفتح، البوابات الطويلة المصنوعة من الحديد المطاوع التي لم يتم الاستيلاء عليها بعد من أجل الخردة المعدنية، وقد شقا طريقهما مع صوت سحق لأقدامهما فوق أنماط

الحصى المدببة في أثناء السير في الممر. كانت قد أصابته الدهشة من الحالة الجميلة المحفوظة حين قال والده: «أرى أنهم لم يحاولوا تحويل مروجهم إلى بقع البطاطا. المكان يبدو خاطئًا بشكل إيجابي. لا بد من أنهم ما زالوا يحتفظون بالبستانيين».

قال بن: «إنهم يفعلون. رأيتهم يعملون عندما أتيت إلى هنا مع بامبلا في اليوم الآخر».

«هل أتيت إلى هنا مع بامبلا؟».

هز رأسه بالإيجاب وقال: « كانت قلقة من رؤية جيرمي بنفسها. أعتقد أنها كانت خائفة من أنه ربما يكون مشوهاً أو شيئاً من هذا. لكنه بدا كما كان هو نفسه بغض النظر عن فقدانه الكثير من الوزن وكونه شاحباً إلى حد ما».

قال الأب: «يجب أن يكون هذا الشاب هزاً في وجود سابق له. إنه قَطُّ بتسع أرواح».

هز بن رأسه بالموافقة مرة أخرى.

«ومما لا شك فيه أنه سيعود إلى المجازفة مرة أخرى في طائرة مقاتلة بمجرد السماح له بذلك».

وافقه بن قائلاً: «لا شك في ذلك».

لقد وصلا للتو إلى الباب الأمامي حين كان هناك صوت محرك سيارة وراءهم، وصعدت سيارة الرولز القديمة للورد ويسترهام الممر. إنه اللورد ويسترهام نفسه، وليس سائق السيارة، خرج من مقعد السائق وذهب لفتح أبواب الركاب. نزلت زوجته وبناته واحدة تلو الأخرى بثياب سهرة مكسرة. راقب بن

بامبلا وهي تنزل من السيارة عن كئيب. كانت ترتدي ثوبًا يونانيًا أزرق فاتح اللون، الظل المثالي لشعرها الرمادي الأشقر والبشرة الإنكليزية.

نادت السيدة إيسمي: «مساء الخير أيها القس. كم كان لطيفًا جدًا أن أراك يا بن. مساء جميل، أليس كذلك؟ كان الطقس مثاليًا مؤخرًا، كما لو أنه كان يسخر منّا، ألا تظن ذلك؟».

انحنى والد بن مومنا بالموافقة وقال: «مساء الخير يا سيدة ويسترها. نعم، نحن نواجه موجة من الطقس المجيد. هذا ضروري جدًا للمحاصيل».

قال اللورد ويسترها: «سيء للغاية أن سيارتنا ممتلئة بالكامل، لولا ذلك كان يُفكر أن نوصلكم معنا».

ردت ديدو قائلة: «بالسرعة التي تقود السيارة بها، سيكون في إمكانهم المشي إلى هنا بشكل أسرع يا بابا»، وقد ظهرت أخيرًا من سيارة الرولز باللون الوردى الفاتح، ما جعلها تبدو شابة وضعيفة. أدرك بن أن أيًا من الفتيات لم تكن ترتدي فساتين جديدة منذ بدء الحرب وتقنين الملابس. ربّما كانت ديانا تأخذ الثياب من بامبلا بعد أن انتهت حاجتها إليها أو لم تعد تريدها.

ابتسمت بامبلا لبن ابتسامة كبيرة حيث لحقت الفتيات بوالديهنّ صعودًا إلى الدرجات الأمامية. اصطفّ بن ووالده في الطابور خلفهم بعد أن فُتح الباب من قبل خادمة، ثم تم إرشادهم ليدخلوا غرفة رسم أنيقة. لاحظ بن أنه كان هناك بالفعل عدد كبير

من الأشخاص في الغرفة في الوقت الذي تمتم فيه اللورد ويسترهاام لزوجته قائلاً: «أعتقد أنك قلت إنه حفل عشاء صغير. هذا هو عيد الفاصولياء الملعون الكبير. ليتنا لم نأت.»

أخذت الليدي ويسترهاام ذراعه وسحبته بقوة إلى الأمام بحيث لم تتح له فرصة للهرب قبل أن يتقدم السيد وليام والليدي بريسكوت لتحيتهما. كانت السيدة بريسكوت ترتدي ثوب غولد لامي ذهبي اللون، وكان السير ويليام يرتدي بدلة أنيقة بديل.

مدت يديها لليدي إيسي وهي تقول: «كم هو جيد منك أن تأتي». سمحت الليدي إيسي للأخرى أن تمسك بيديها وهي تقول: «لقد كان من الجيد منكم أن تدعونا. لا يمكنني أن أخبركم من الوقت مضى منذ أن كنا ذعينا لتناول وجبة. أشعر كما لو أنني أهرب من القفص.»

قالت: «كان علينا ببساطة الاحتفال بهروب جيرمي ووصوله الآمن، أليس كذلك؟ ما زلت أعتقد أنها معجزة مطلقة». مدت ذراعها إلى شاغلي الغرفة الآخرين. وقالت: «لست متأكدة ما إذا كنت قد قابلت الجميع. من الواضح أنك تعرفين العقيد والسيدة هنتليو الأنسة هاملتون. وأنا متأكدة أنك تعرفين العقيد بريتشارد معرفة جيدة لأنه يعيش الآن في بيتك.»

«بالطبع». كانت هناك إيماءات مهذبة وتحيات من القادمين الجدد إلى أولئك المذكورين. «ولكن هل تعرّفت بالفعل إلى اللورد والليدي موسغروف؟ لقد

ورث اللورد موسغروف للتو هايكروفت هول".

قام بن بإدخال الزوجين اللذين كانا يرتديان ملابس أنيقة. وحاول أن يتذكر مكان هايكروفت هول.

التفت اللورد ويسترهام إلى زوجته للتأكد: «هل هذا صحيح؟ سمعنا أن اللورد موسغروف قد مات منذ بعض الوقت، أليس كذلك، يا إيسمي؟».

«نحن سمعنا فعلاً. نحن سعداء للغاية لأن المكان سيُشغل مرة أخرى».

ألقى الشاب نظرة على زوجته قبل أن يبتسم ومدّ يده إلى اللورد ويسترهام، وقال: «كيف حالك؟ أنا فريدريك موسغروف وهذه زوجتي سيسيل. كنا نعيش في كندا، لذلك استغرق الأمر بعض الوقت لمعرفة مكاننا. أستطيع أن أقول لك إنها كانت صدمة كبيرة لنا وصلت رسالة المحامي لتخبرني بأنني قد ورثت هايكروفت هول واللقب. لقد اجتاحني انطباع إيجابي للغاية، لأنني ابن لابن أصغر، لم أتوقع أن أرث أي شيء، ولهذا السبب كنت قد ذهبت إلى كندا. لكن الحرب العظمى قضت على الورثة الآخرين، لذلك أنا هنا». ابتسم ابتسامة صبيانية وأضاف: «لقد كنت أكسب رزقي من عرق جبينني مثل أي شخص آخر».

قالت زوجته: «لا يكاد جبينك تعرق فريدي». وابتسمت ابتسامة ونظرت عبر الصحبة وقالت: «كان يعمل في بنك بتورنتو».

قال اللورد ويسترهام: «في بنك؟ حقاً؟ كم هذا

رائع». وتلقى زجرة في الجانب من زوجته.

تابعت الليدي بريسكوت قائلة: «لذلك اسمحوا لي أن أكمل التعريف بالآخرين. هؤلاء هم جيراننا اللورد والليدي ويسترهام وبناتهما أوليفيا، وبامبلا، وديانا، وهذا هو قسنا المحلي المحبوب القس كريسويل وهذا ابنه بن. كان بن دانفا أعز صديق لابننا منذ أن تمكنا من مشي الخطوة الأولى. وبالحدث عن ابنا ما الذي يفكني قوله». نظرت إلى أعلى وانتشرت ابتسامة مبهرة على وجهها. «آه، ها هو الرجل المعجزة نفسه».

كان هناك جولة من التصفيق. وقف جيرمي الذي كان يبدو نحيلًا أكثر وشاحبًا أكثر مقارنة بستره العشاء، في المدخل وابتسم ابتسامة خجولة ومحرجة بينما سارعت والدته للإمساك بذراعه وسحبه نحو الضيوف المجتمعين. قالت الليدي بريسكوت: «أليس هذا رائعًا؟ لا أستطيع أن أخبركم ماذا تعني عودته إلينا على الرغم من كل الصعاب».

ابتسم جيرمي ابتسامة محرجة وقال: «أمي، من فضلك».

قال العقيد هنتلي: «لقد تبذرت شجاعتك أيها الزميل الشاب. تطلب منك الكثير من الشجاعة للقيام بما قمت به. هذا يظهر فقط أننا نحن البريطانيون لدينا ألياف أقوى من الهون(35). لا يمكنك رؤية ألماني يفعل ما قمت به. إنهم ينتظرون طاعة الأوامر».

رد عليه جيرمي قائلاً: «ليس هذا صحيحًا تمامًا

أيها العقيد. هناك بعض الطيارين الألمان المقاتلين حقًا. إنه لشرف كبير الدخول في قتال معهم".

قاطع السير وليام الحديث قائلاً: «كفى الحديث عن الحرب. دعونا نكتب على المزيد من الأمور العملية. ما الذي نشره جميعًا؟ سكوتش بالنسبة إليك، أيها الصديق القديم؟». سأل اللورد ويسترهام: «هل تهتم بشراب الشعير؟».

قال اللورد ويسترهام: «لن أقول لا. هذا لطف منك يا بريسكوت. لم أتناول ويسكي لائقًا منذ زمن طويل جدًا».

أشار السيد وليام بإصبع لخادم يقف أمام طاولة مشروبات وسأل: «وأنتن يا صاحبات السعادة الجميلات؟ ربّما ترغبن في تناول الكوكتيل؟ أم هل تفضّلن الخمر؟».

قالت الليدي إيسي وقد بدا وجهها باللون الوردي: «لا أعتقد أنني أعرف الكثير عن الكوكتيلات. ربّما كنت أفضل التمسك بالخمر».

قالت ديدو: «حسنًا. إذا كنت ستقدّم إلينا مشروبًا فأنا أحبّ كوكتيل عصير الليمون مع البراندي. أليس كذلك يا باما؟».

تردّدت بامبلا لشعورها بعيني جيرمي تحدّق بها، وقالت بعد ذلك: «لما لا. سيكون ذلك رائعًا».

وبينما كان الخادم يقوم بتقديم الشراب تقدّم جيرمي نحو بامبلا التي كانت تقف الآن مع بن.

قالت بامبلا: «أرى أنك مستيقظ وتمشي».

ردّ عليها قائلاً: «في الحقيقة أنا أتحسن إلى حدّ ما. أمل أن يشهد الطبيب مؤكّداً كفاءتي للعودة إلى العمل».

نظرت بامبلا إلى بن نظرة مرتعبة وهي تقول: «بالطبع لا».

«حسناً. لن يسمحوا لي بالطيران لفترة من الزمن. ولكن على الأقل سأكون مفيداً في عمل مكتبي مثل بن الكبير هنا. لقد أخبروني بأنه يُمكنهم توظيفي في وزارة الطيران ويقول أبي إنه يُمكنني البقاء في شقة لندن».

سأل بن: «ما زال لديك شقة في لندن؟».

«نعم، نعم يحتفظ أبي بشقة شارع كورزون. اعتاد البقاء هناك خلال الأسبوع حين كان يعمل في المدينة أكثر مما يفعل الآن. هذا مناسب جداً. يجب عليكم جميعاً القدوم لزيارتي». ، ونقل نظره من بن إلى ديدو وهو يحدّق بامبلا مركزاً عينيه فيها. «أعلم. عندما تستقر الأمور سوف نحتفل، ما رأيكم بذلك؟».

اشتعل وجه ديدو من شدة الإثارة وقالت: «حفلة في لندن؟».

قالت لها بامبلا بصوت منخفض: «لا ترفعي كثيرًا مستوى آمالك إلى حدّ كبير. أنا متأكّدة أنّ أبي لن يسمح لك بالذهاب».

«لكّني إذا قلت إنك أنت وبن سترافقاني لن يستطيع أبي أن يعارض، اليس كذلك؟».

قالت بامبلا: «لن تكون هناك قطارات عائدة من لندن إلى البيت في وقت متأخر من الليل».

قال جيرمي: «سنجعلها تستمر طوال الليل. وسننهي الليلة بلحم الخنزير بالبيض. سنفعل ذلك مثل الأيام الخوالي التي كنا نقضيها في الماضي خلال المواسم. أنتم جميعًا مدعوون، وأنت أيضًا يا ليفي».

كانت ليفي تقف صامتة خلف المجموعة. هزت رأسها بالنفي وقالت: «أه، شكراً، ولكن لا. لن يكون ذلك جيداً في غياب زوجي الذي ذهب لخدمة بلده».

ضحك جيرمي قائلاً: «كأنني سمعت بأنه ذهب في مهمة جيدة وهي حماية دوق وندسور في جزر الباهاما؟».

قالت ليفي بحرارة: «إنه لعمل خطير جداً مهمة حماية أحد أفراد العائلة المالكة. أنت تعرف أن الألمان يرغبون في خطفه وتعيينه مكان الملك».

سألها اللورد موسغروف وهو قادم للانضمام إلى المجموعة: «هل زوجك مع دوق وندسور؟».

هزت ليفي رأسها بالموافقة قائلة: «الواقع أن تيدي كان منزعجاً عندما تم فصله عن الفوج قبل تحرك الفوج إلى إفريقيا، بيد أن الدوق طالب به شخصياً. لقد كانا عضوين في فريق البولو كما تعلم».

تناول اللورد موسغروف رشفة من الويسكي وقال: «لا بد من أن أقول إنني أشعر بأن دوق وندسور

المسكين قد غُومل بشكلٍ غير منصف. لقد تم إرساله إلى المنفى مثل نابليون".

قالت ليفي: «من أجل الحفاظ على سلامته».

قال السير وليام: «كان ذلك لمنعه من التدخل فيما يحدث في أوروبا. لقد أبدت زوجته على الرغم من كل شيء هوسًا قويًا بهتلر».

قال اللورد موسغروف: «ما زلت أعتقد بأن ذلك أمر معيب. كنت دائمًا أرى أنه شخص دمث الأخلاق. وفضلًا عن ذلك، أعتقد أنه قد يثبت بأنه وسيط جيد في حال احتجنا إلى التفاوض من أجل تسوية مع الألمان في أي وقت من الأوقات».

استدار اللورد ويسترهام باتجاه اللورد موسغروف محدقًا به وقال: «تسوية مع الألمان؟ هذا الأمر غير وارد أبدًا».

ابتسم اللورد موسغروف قائلاً: «هذا مُمكن تمامًا».

كان المشروب يلسع بينما كانت بامبلا تحتسيه. لم تكن معتادة شرب أي شيء عدا البيرة وعصير التفاح، وكأنا عرضية من الخمر قبل الحرب. ولكن لن تتفوق ديدو عليها التي بدت مرتاحة بالكوكتيل. وبينما كانت والدة بامبلا تقود النقاش إلى شواطئ أمانة اقترب جيرمي من بامبلا أكثر. وقال هامسا: «ستحضرين حفلتي، أليس كذلك؟».

قالت بحذر: «لا أعلم إن كنت سأجد وقتًا فائضًا للقيام بذلك».

«ليس عليك العمل ليلاً، أليس كذلك؟».

«في الحقيقة أنا أعمل حاليًا بنظام المناوبات».

«مناوبات ليلية؟ ما الذي تفعلينه بالله عليك؟ هل تراقبين الحرائق؟».

ابتسمت باميلًا ابتسامة متوترة وقالت: «لا، لكنهم يحتاجون إلى فريق دعم على مدار الساعة».

«في أي وزارة قلت إنك تعملين؟».

ردت عليه: «أنا لم أقل قط، لكننا نقوم بأعمال لخدمات مختلفة كالتحقق من الحقائق، والبحث عن الأشياء».

قال وهو يضع يده فوق يدها: «هذا جيد لك». ثم قال بصوت هادي: «هذه الحفلة من أجلك أنت كما تعرفين». شد قبضته عليها، وأخذها جانبًا ليتحدث إليها على انفراد وقال: «أنظري، أنا أسف لأننا بدأنا بشكل سيء وخاطئ. كان ذلك عملاً طائشًا وأحمق مني. أفترض أنني كنت تواقًا ومتحمسًا جدًا - حسنًا، يُفكرك أن تتفهمني هذا، أليس كذلك؟ كل تلك الأشهر من الحلم بك. أتخيلك بشكل دائم. أخشى أن أكون قد فقدت التحكم بنفسني قليلًا. هل يمكننا أن نتظاهر وكأن شيئًا لم يحدث قط ونبدأ من جديد؟ هوني عليك؟ لنتعزف بعضها إلى بعض مرة أخرى؟».

كان يحدق بجديّة في عينيها.

قالت: «حسنًا. جيد جدًا»، بينما كانت عيناه لا تزال تغوص في أعماق عينيها.

الفصل الحادي والعشرون

مازلنا في نيزركوت

رَنَّ الجرس، واصطفوا للذهاب لتناول العشاء. طلب من بن مرافقة ديدو في الجزء الخلفي من الخط. وطلب من والده مرافقة العانس المسنة الانسة هاملتون. بطبيعة الحال، تم الجمع بين جيرمي وبامبلا معًا. راقب بن الجزء الخلفي من رأسها ورأها تضحك بينما كان جيرمي يهمس بشيء مضحك لها.

تمت ديدو لبن لما بدؤوا في الاصطفاف في غرفة الطعام قائلة: «نحن بوضوح الأصغر والأضعف في المجموعة في الخلف هنا». في الداخل، تألفت الثريات على طاولة طويلة مصقولة. وقفت خادمة ورجل لخدمة الحضور مستعدين لسحب الكراسي. وجد بن نفسه بين زوجة العقيد هنتلي وقائد رويال ويست كينتس، الذي لم يكن قد التقاه من قبل. جلس جيرمي وبامبلا وجها لوجه. كانت الليدي بريسكوت عند أول المائدة مع اللوردين، ويسترهام وموسغروف إلى جانبيها. تألق ثوبها والماس الموجود على عنقها في ضوء الثريات ونظرت إلى التجمع برضا.

قالت: «يجب أن يكون لدينا نخب قبل أن نبدأ في تناول الطعام يا ويليام. الاحتفال بعودة ابنا، لما اعتقدنا أننا فقدناه، وقد فعلها وعاد إلى المنزل». ارتعش صوتها فجأة، ووضعت منديلها على فمها

لخفق بكائها. قال السير وليام: «اضبطي نفسك، أيتها الكبيرة. جيرمي في المنزل، وهذا من المؤكد أمر جدير بالاحتفال به. سنشرب نخبه ونخب أصدقائنا الجيدين وحقيقة أنه حتى في أحلك الأوقات، يفكنا أن نجتمع ونمتع أنفسنا».

«اسمعوا، اسمعوا». ترددت أصداء همس حول الطاولة. تم نزع فلين الشمبانيا وضبت الكؤوس.

سألت الليدي إيسمي: «قل لي بالله عليك كيف تمكنت من العثور على الشمبانيا؟».

ضحك السيد وليام «أه، حسنا، كانت هذه ضربة حظ. متجر النبيذ الصغير الذي أعرفه بالقرب من كوفنت غاردن. سقطت قنبلة في البيت المجاور، وأصيب صاحبه بالذعر. أخبرته بأنني سأشتري المكان منه، بما في ذلك جميع الأسهم. كان سعيدا جدا بقبول عرضي والهرب. وانتهى بي المطاف مع بعض النبيذ الجيد الملعون. يكفيني خلال الحرب».

قالت الأنسة هاملتون بكلام سريع، وصوت قصيرة ومقتضب: «كم أتمنى أن تنتهي الأمور في المستقبل المنظور».

قال السيد وليام: «يجب أن يكون الأمر كذلك. لا يفكنا الاستمرار هكذا. إذا لم تأت أميركا، فقد انتهينا. لا يفكنا إيقاف الغزو إلى الأبد لوحدنا».

تنفس العقيد هنتلي الهواء من أنفه بشكل قصير ومسموع بسخرية وقال: «أميركا لا تظهر أي إشارة لسماع النداء. إنها مهتمة فقط بإعارة بعض المعدات بأسعار باهظة وتحقيق ربح من بؤسنا».

قال عقيد غرب كينتس: «حسنًا، نحن من المؤكد في حاجة إلى المعدات. يجب أن تأتي من مكان ما. لا يُفكنا القتال من دونها. هل تعرف أنه لقا تم استدعاء رجالي لأول مرة، كان عليهم الحفر بالعصي الخشبية بدلًا من البنادق؟ هكذا كانت الأمور سيئة. ونحن نفقد طائرات سبتفاير بمعدل يُنذر بالخطر...»

قالت الليدي مسغروف: «في بعض الأحيان أعتقد أنه سيكون من المنطقي إبرام اتفاق مع السيد هتلر. أخشى أن يستمر هذا الأمر إلى أن نركع على ركابنا ونتصوّر جوعًا، وبعد ذلك سوف يغزونا هتلر في أي حال، وماذا نكون حققنا عندئذ؟»

وافق زوجها قائلاً: «إنه مثير الحروب تشرشل. لقد راقت له السلطة. أعتقد أنه يستمتع بهذا بالفعل.»
رعد اللورد ويسترهام غاضبًا: «هذا كلام فارغ. لولا تشرشل لكنا جميعًا عبيدًا لألمانيا.»

قال اللورد مسغروف: «من المؤكد لن نكون عبيدًا. عرق أري مقابل آخر سنكون متعادلين.»

قال العقيد بريتشارد: «أسأل الدنماركيين والنرويجيين عن مدى نجاح ذلك.»
ساد صمت غير مريح.

توسلت السيدة بريسكوت قائلة: «دعونا من مثل هذه الأشياء القادمة الليلة. تذكروا أننا نحن نحتفل، أليس كذلك؟ وإذا تمكّن ابننا من الفرار من معسكر اعتقالهم المتوحش وشقّ طريقه في جميع أنحاء

أوروبا ليكون معنا هنا، فمن المؤكد أن هذه علامة على أنهم يقهرون. إذا كنا شجعانًا ووقفنا لهم بالمرصاد وقاومناهم، فلن يتمكنوا من الفوز».

أوما العقيد هنتلي بالموافقة قائلاً: «أحسنت قولاً يا ليدي بريسكوت. هذه هو المطلوب بالضبط؛ هذا صحيح تمامًا. إنها روح القتال. البريطانيون لن يكونوا عبيدًا أبدًا، أبدًا، أبدًا».

سأل جيرمي بينما كانت نظرة مسلية تعلق وجهه: «هل هذا إشارة إلى شخص ما لكي يبدأ فجأة بالغناء؟ هل ستكون دائمًا هناك إنكلترا؟ هل سيبقى حكم، بريطانيا؟» غمز باميليا.

قال والده: «إنها علامة على أننا يجب أن نبدأ بتناول طعام خطير». أوما برأسه للخدم، وخملت سلطانيات الحساء.

سأل اللورد ويسترهام في دهشة: «هل هذا حساء المحار؟ من أين تمكنت من الحصول على المحار؟».

ابتسم السيد وليام قائلاً: «عادة ما يتم العثور عليها في البحر. والواقع، أن لدي رجل صغير في وايتستيبيل. لم يستطع أن يحصل لي على ما يكفي اثنتي عشرة لكل شخص، ولكن كان هناك ما يكفي لصنع الحساء الجيد من المحار».

«لكن الخط الساحلي محظور على المدنيين».

كان السيد وليام لا يزال يبتسم وقال: «من قال شيئًا عن كونه مدنيًا؟ اسف أيها العقيد، أو بالأحرى أيها العقداء ولكن يتم انتهاك القواعد قليلًا في

أوقات الحاجة. وهذه المحارات كانت ستموت من دون حصادها. وموتها سيكون عازًا علينا".

لقد بدأ الأكل من وعائه بحماس وشهية. تبعه الآخرون بتناول الطعام. تم تحريك السلطانيات بعيدًا ليستبدلوا بها سمك السلمون المشوي. مرة أخرى، ابتسم السير وليام وقال: «قبل أن تسألوا، قمت بتخزينها في البحيرة. إنها جميعًا من إنتاج البيت».

بعد سمك السلمون المرقط جاء لحم الخنزير المشوي، شرائح وردية رفيعة مغطاة بشرائح لحم الخنزير وكومة من حشوة الميرمية بالبصل.

قال العقيد هنتلي: «لا تقل لي إن لديك خنازير خاصة بك أيضًا؟».

«الواقع لا. جاءت هذه الساق من لحم الخنزير من الشاب الذي يعرف شابًا آخر. يمكنك الحصول على أي شيء إلى حد كبير، إذا كنت تعرف أين تبحث وعلى استعداد للدفع».

«هل تعني السوق السوداء؟»، بدأ اللورد ويسترهام كما لو أنه كان على وشك أن ينفجر مرة أخرى.

قال السير وليام: «لا ينبغي أن تأكله، أيها الشاب القديم. الواقع، أن الأمر كان شرعيًا تمامًا. لقد سقطت قنبلة على حظيرة خنازير. كانت الخنازير مقتولة أو مجروحة وكان يجب أكلها في أي حال».

قال اللورد مسغروف: «على الأقل هذه قضته وهو متمسك بها». وقوبل تعليقه بالضحك من قبل

الجميع. وقد رافق لحم الخنزير بطاطا مشوية مقرمشة والهيلون.

قالت السيدة بريسكوت بفخر واعتزاز: «إنها من حديقتنا النباتية. لدينا محصول جيد هذا العام».

سكبت كؤوس الكلاريت. أكل بن كما لو كان في حلم. بعد العيش في غرفة بمنزل مع مرافق حيث يتم تقديم الوجبات من قبل المالك والتي كان يتشاركها مع غاي، وبعد كآبة الحياة في لندن، كان الأمر بالنسبة إلى الحواس أصعب من أن يُختمل: الجلوس على طاولة متلألئة، وتناول وجبات الطعام بعد وجبات الطعام اللذيذ، وشرب النبيذ الفاخر، وهو ينظر إلى بامبلا التي كانت تجلس في الجهة المقابلة من الطاولة. لقد توقع أن توقظه صفارات الإنذار من غارة جوية.

سألت الليدي إيسمي: «هل هايكروفت هول لكم لوحدكم فقط أيها اللورد مسغروف، أم أن هناك من سيشارككم فيها؟».

«حتى الآن نحن فقط، ولكن المكان في حالة سيئة ويحتاج إلى الكثير من العمل. لدينا فقط عدد قليل من الغرف المناسبة للعيش فيها».

لكن الباحث القديم المخيف المسؤول عن طلبات الشراء أشار إلى أنه يتعين علينا أن نأخذ حصتنا من الأشخاص الذين يتم إجلاؤهم في حال إرسالهم من لندن وعندما يتم ذلك».

قالت الليدي ويسترهام: «لدينا واحد في فارلي».

قالت ليفي: «كوني صادقة، يا ماما، لقد جعلت حارس الطرائد يتقبله على الرغم من أنه ليس مسؤولاً عنه يتولى أمره».

قالت الليدي إيسي: «كوني لطيفة أكثر. يفكن للمرء أن يقول إن الشاب الصغير الفقير كان مرعوبًا في مكان بحجم فارلي. وأنا أعلم أنه يتغذى بشكل جيد عند حارس الطرائد».

سأل بن براءة مفتنًا الفرصة لإثارة الموضوع ومراقبة ردود أفعالهم: «ألم يكن هو الذي وجد تلك الجثة في حقلك؟».

سألت الليدي بريسكوت: «الجثة؟».

قال اللورد ويسترهايم: «هذا صحيح. مسكين فقير لم تفتح مظلته. وجدته صبي حارس الطرائد وابنتنا الصغرى. لقد أظهرتا كلاهما شجاعة حيال ذلك لأن الشاب كان في حالة من الفوضى كما يفكنك أن تتخيلي».

سألت السيدة مسغروف: «هل كانوا يقومون بتدريبات؟».

«ليس لدينا أدنى فكرة. تم نقل الجثة على عجل. كان يرتدي زيّ غرب كنتس، لكن العقيد هنا يقسم إنه لم يكن واحدًا منهم».

قال العقيد: «شيء مضحك عنه. ليس صحيحًا تمامًا، كما تعلمون. شارة قبعة لسبب واحد. كان له الإصدار الأقدم من حصان كينتس».

قالت الانسة هاملتون بحركة رائعة: «إنه

جاسوس! سأراهن على أنه ألماني، وتم إسقاطه للتجسس أو للمساعدة على الغزو».

وافق العقيد بريتشارد قائلاً: «هذا ممكن تمامًا. سيكون مفيدًا لهم كثيرًا. لا أفترض أننا سنعرف ذلك الآن».

تم استهلاك لحم الخنزير المشوي، وفي مكانه، تم تقديم حلوى من بروفيتيرول الشوكولاتة في صلصة الشوكولاتة.

صاحت الليدي مسغروف، وهي تتنفس الصعداء تعبيرًا عن الرضا: «الشوكولاتة! أين وجدت الشوكولاتة؟».

قال جيرمي: «لا شك في أن قنبلة سقطت على بستان للكاكاو، وكان على والدي أن ينقذ الأشجار». وهذا ما جعلهم يضحكون جميعًا. كان النبيذ قد بدأ يفعل فعله. نظر بن حول الطاولة إلى الوجوه المبتسمة، كلهم مرتاحون وراضون. كيف يُفكّن ربط أي من هم بعميل العدو؟

كانوا لا يزالون جميعهم في مزاج مرح عندما انتهت الحفلة في وقت لاحق. سأل جيرمي بن: «كيف وصلت إلى هنا؟».

«مشينا».

«سأوصلكم إلى المنزل».

قال بن: «ليس ذلك ضروريًا. إنها ليلة جميلة، والمسافة ليست بعيدة».

«إنها ليست مشكلة. ما عليك سوى الانتظار بينما

نتخلص من بقية الضيوف، وسأذهب وأحصل على السيارة». لم ينتظر إجابة لكنه ذهب للانضمام إلى والديه، وقال وداغا للضيوف الآخرين. انضم العقيد والسيدة هنتلي إلى الأنسة هاملتون في سيارة بنتلي قديمة للغاية مع سائق قديم بالقدر نفسه. لم تكن سيارة الرولز التي يملكها اللورد ويسترهام أحدث منها. ذهب جيرمي لمساعدة الليدي ويسترهام على الصعود في مقعد الركاب، ثم لمساعدة ليفي على الصعود إلى المقعد الخلفي. ولما جاء إلى بامبلا، وضع يده تحت ذقنها، وأدار وجهها إليه، وقبلها. ثم ابتسم وسمعه بن يقول: «سأتي غدا إذا سمح لي أبي بقيادة السيارة. يُفكنا الذهاب في نزهة».

لم يسمع بن إجابة بامبلا، لكنها ابتسمت له. كان لجيرمي ابتسامة راضية إلى حد ما تظهر على وجهه وهو يمشي نحو بن. في مكان ما على مسافة جاء صوت طنين منخفض مستمر لطائرة تقترب.

قال جيرمي وهو يستمع باهتمام: «إنها القاذفات الألمانية. يا الله، أمل أن يسمحوا لي أن أطير مرة أخرى قريبًا. أفتقد الطيران حقًا».

ثم التفت إلى بن، وأدرك بوضوح أن ما قاله كان يظهر نقضا في المهارة والحساسية في التعامل معه وقال بصوت منخفض: «اسمع، أيها الصديق القديم، عندما أبدأ في وزارة الطيران، سأرى ما إذا كان يمكنني العثور على عمل لك».

تساءل بن: «ماذا تقصد؟ لدي وظيفة بالفعل».

قصدت شيئًا أكثر تحدّيًا وإثارة إذا كنت عالقًا في
وظيفة مكتبية مملة».

كان بن قد شعر بإغراء قويّ ليخبره بأنه لم يكن
يعمل في مكتب ممل. بل ما كان يفعله أمر حيوي
للأمن القومي، ولكن بالطبع لم يُسمح له بذلك. قال:
«أنا مفيد. لست في حاجة إلى الإثارة».

قال جيرمي: «لكنني أود حقًا المساعدة، كما تعلم.
أقصد، لا أستطيع تحقّل فكرة أنك عالق في مكتب
ممل».

«اسمع يا جيرمي، أعرف أنك تشعر بالذنب إزاء ما
حدث، لكنّ ذلك كان حادثًا. أعلم أنك لا تنوي قتلنا
كلينا. وقد نجونا نحن الاثنين. لنكن سعداء بذلك.
أما بالنسبة إلى عملي، فأنا بالفعل...». توقّف عن
الكلام عندما أضحى صوت الطائرة هديرًا أغرق
كلماته.

صاح جيرمي قائلاً: «إنهم يطيطرون بشكل منخفض
حقًا. ما الرهان بأنهم جاؤوا لاستهداف مطار بيجين
هيل؟ يجب إعطاء طائرات سبتفايرز الأمر بالإقلاع
فوزًا. يا، الله أتمنى لو كنت واحدًا منهم».

لم تكن الليلة مظلمة تمامًا، وكان بن قادرًا على
استنباط أشكال الطائرات المارة، موجة تلو الأخرى.
ثم فجأة كان هناك ومضات وانفجارات. أضاءت
السماء. وقد التقت طائرات سبتفايرز العدو. كان
هناك انفجار كبير، وسقطت طائرة في دوامة النار.

صرخ جيرمي عبر هدير الطائرات «إنه واحد منا. يا
للفقير المسكين».

كانت الطائرات قد مزّت. هدأت الضوضاء. قال جيرمي: «سأذهب وأحضر السيارة القديمة».

قال القس كريسويل: «ليس ذلك ضروريًا. نحن قادران على المشي يا جيرمي. يجب علينا عدم هدر الوقود».

ضحك جيرمي قائلاً: «ما هذا الكلام السخيف! أنتم مجرد عذر، كما تعلمون. كنت أموت لقيادة السيارة مرّة أخرى. مرّ وقت طويل جدًا لم أقد خلاله السيارة. أمل ألا أكون قد نسيت القيادة».

ولكن بينما كان يتجه نحو الجزء الخلفي من المنزل، نادى والدته وراهه قائلة: «جيرمي، إلى أين أنت ذاهب؟ لم تقل وداغًا لعائلة مسغروف».

لوّحت للزوجين الصغيرين اللذين كانا يبتعدان في سيارة اللجوندا الرياضية الأنيقة والجديدة.

فكّر بن في نفسه: يبدو أنهم لا يعانون من مشكلة تقنين البنزين.

أجاب جيرمي: «ذهاب لإحضار السيارة لتوصيل بن وأبيه إلى المنزل».

أمسكت أم جيرمي ذراعه وقالت له: «لا تكن سخيًا. أنت لست في وضع يسمح لك بقيادة السيارة بعد. لقد أرهقت نفسك بالفعل من خلال البقاء مستيقظًا لوقت متأخر هذا المساء. لا تنس أنك خرجت من المستشفى لتؤك. لقد كنت على وشك الموت. يُفكّن لأبيك أن يوصل بن إلى البيت، ألا يمكنك ذلك يا ويليام؟».

سأل السير وليام: «لا يفكني ماذا؟». من الواضح أنه كان سعيدًا بعد أن أدى دور المضيف في حفلة ناجحة.

«توصيل عائلة كريسويل إلى المنزل. لا أعتقد أن جيرمي يجب أن يتجول في الليل بعد الآن. لقد خرج من المستشفى منذ بضعة أيام فقط ومن المفترض أن يستريح».

«آه، ولكن يا أمي...». بدأ جيرمي، لكن والده اعترف بأنه ارتكب خطأ. وقال له: «والدتك على حق، أيها الفتى الكبير. إذا كنت ترغب في العودة إلى الطيران، فعليك أن تفعل كل ما في وسعك لاستعادة قوتك القديمة. لقد استيقظت لوقت متأخر بشكل يفتقر إلى الحكمة. لا نريد انتكاسة، أليس كذلك؟».

قال جيرمي غاضبًا: «حقًا يا أبي، أنت تجعلني أبدو كأني عديم الفائدة».

قال السير وليام بحزم: «إفعل ما تقوله والدتك»، واستدار جيرمي بعيدًا باشمزاز.

قال بن: «نحن حقًا قادرين على المشي يا سير ويليام. ليست هناك حاجة إلى توصيلنا بالسيارة».

سأل العقيد بريتشارد من غرب كينتس: «هل تريدان توصيلة؟». لم يلاحظوا أنه لا يزال هناك. لا أستطيع تقديم سيارة «رولز»، ولكن يمكنني أن أضعكما أنتما الاثنان في الجزء الخلفي من سيارة الموظفين من طراز هامبر المتواضعة».

قال القس كريسويل بابتهاج: «سيكون ذلك رائعا. نحن نقبل مع الامتنان، أليس كذلك يا بن؟»

قال بن: «نعم، شكرا لك. سنذهب معا قريبا في مشوار بالسيارة يا جيرمي. أنا لا أشك للحظة في قدراتك». لقد ابتسم لصديقه، لكنه قُوبل بحاجبين يعبران عن الاستياء الشديد.

كان بن يدرك أن جيرمي يكره عدم الحصول على ما يريد المرء على الرغم من المعارضة. كانت لديه دائما طفولته ويبدو أنه ما زال يفعل.

تسلقا إلى المقعد الخلفي لسيارة الهامبر ولوفا بأيديهما بينما كانت السيارة تنطلق بعيدا. كان الهواء الليلي البارد يعصف في وجهيهما قادمًا من خلال النافذة الجانبية للسائق المفتوحة. لقا وصلوا إلى أسفل الممر وتوجهوا نحو القرية، كانوا مدركين لرائحة أخرى. إنها رائحة أسيد يحترق. من خلال الأشجار كانوا قادرين على رؤية توهج غريب. كانت السنة اللهب تتوهج في الليل. صاح بن قائلاً: «إنها فارلي. لقد ألقوا قنبلة على فارلي».

الفصل الثاني والعشرون

في فارلي

ترجل العقيد من السيارة، وانطلقوا نحو الوهج بسرعة. ولما وصلوا إلى بوابات فارلي، كان في إمكانهم أن يروا أن بن كان على حق. كانت النيران ترتفع فوق الأشجار وتمتد ألسنتها من أعلى البرج الغربي. بدا أن الأمر يستغرق وقتًا طويلًا للغاية للوصول إلى المنزل. كان قلب بن يخفق وتتسارع نبضاته على الرغم من علمه بأن بامبلا وعائلتها كان يمكنهم الوصول إلى المنزل قبل دقائق فقط. لم يكونوا في الطابق العلوي في غرف النوم. ولكن كانت هناك فكرة مقلقة تتسلل إلى رأسه - أنه قد لا يكون من قبيل الصدفة الكاملة سقوط رجل في مزرعة فارلي، وبعد ذلك مباشرة يُقصف المنزل نفسه مباشرة. لم يفكر من قبل في أن الرجل الساقط قد يكون له أي علاقة بأفراد الأسرة.

لما وصلت السيارة أخيرًا إلى الساحة الأمامية، رأوا أن المنزل كان بالفعل خلية من النشاط. كان رجال يرتدون الزي العسكري يحملون دلاء الرمل. وكان آخرون يحاولون ربط خرطوم بمضخة إلى جانب البحيرة. قفز بن خارجًا حتى لما كانت السيارة تتوقف. وبينما كان يتحرك باتجاه المنزل، قابلته الليدي ويسترهام مرعوبة وكانت واقفة على الدرجات والكلاب تنبح بعنف إلى جانبها.

صرخت لبن وأمسكت بذراعه وقالت له: «تشارلي

في غرفة الأطفال في الأعلى. صعدت ليفي وباما لجلبه. وأين فوبي؟ أنا لا أراها في أي مكان. من المؤكد لا يفكن أن تكون نائمة. وأنا لا أعرف إلى أين ذهب زوجي. كوني هادئة، بالله عليك، هذا النداء الأخير كان موجهاً للكلاب. «أه يا بن. أليس هذا فظيغاً؟ لماذا نحن؟ لماذا منزلنا الجميل؟».

قال بن محاولاً أن يكون أكثر هدوءاً منها: «لا تقولي سيقوم شباب الجيش حالاً بالسيطرة على كل شيء». غطى بن يدها بيده، وهي المرة الأولى التي تجزأ فيها على فعل شيء كهذا في أي وقت من الأوقات. قالت: «سأذهب لأجد فوبي». لكن بن رتب على كتفها، وقال لها: «إبقي هنا. سأذهب وأجد لك فوبي. لا تقلقي، ليست النيران في مكان قريب من الطوابق الرئيسية حتى الآن». وركض على الدرج ثم إلى المنزل. كان البهو في ظلام دامس، ولم يكن على دراية بالطريقة التي تم بها تقسيم المنزل بعد احتلال الجيش. هرع رجال يرتدون الزي العسكري مارين به.

قال أحدهم: «تنخ جانباً بعيداً من الطريق يا سيدي. من الأفضل الخروج، تحسباً لأي وضع».

صرخ بن قائلاً: «هناك طفل في الحضانة في الطابق العلوي، وفتاة صغيرة في عداد المفقودين»، واندفع مازاً بهم. حاول إجبار ركبته التي تفتقر إلى المرونة على التحرك بشكل أسرع في أثناء صعوده لأول رحلة من السلالم. لم يكن واثقاً تماماً كما كان يبدو لليدي ويسترهام. كيف سيخمدون الحريق؟

كيف يفكن أن يصل أي خرطوم إلى السقف؟ لقد ابتلع الرهبة التي كان يشعر بها. وصل إلى الهبوط الأول. لا يوجد حتى الآن أثر لفوبي. لا بد من أنها نائمة، ولم يكن لديه أي فكرة عن مكان غرفة نومها - أو مكان أي غرفة من غرف النوم الآن بعد أن تم تقسيم المنزل. كان يفترض أن يكون هذا الطابق الأول المكان الذي تنام فيه الأسرة، وفتح بابًا بتردد. نعم فعلاً. من المؤكد غرفة نوم. بدا الرواق سليقًا، لكنه ركض في أي حال، وهو يطرق الأبواب ويصرخ «نار، نار! اخرجوا!».

فُتِح باب في نهاية الرواق ووقفت فوبي هناك في ثوب نوم أبيض. قالت مندهشة: «هذا غير معقول يا بن. ماذا يحدث؟».

قال: «أعتقد أن المنزل تعرّض للقصف. يبدو أن الطوابق العليا مشتعلة. إنهم يقومون بإخماد النار، ويجب أن تذهبي مباشرة إلى أمك في الخارج».

سألت بإلحاح وعيناها تجحطان من شدة الخوف: «ولكن ماذا عن غامبي؟». اعتقد بن أنها كانت تشير إلى لعبتها المفضلة.

ردّ عليها قائلاً: «أتركي كل شيء وراءك».

قالت فوبي وهي تحاول بالفعل تجاوز بن: «لكنها تنام في الطابق العلوي في غرفة البرج الصغيرة. لا بد لي من الذهاب وإنقاذها».

أدرك بن أنها كانت تتحدث عن شخص ما. أمسك ذراعها، وقال لها: «انزلي أنت وسوف أتأكد من خروج غامبي بأمان».

قالت له: «أود المجيء معك. المسكينة غامبي.
يجب علينا أن ننقذها». كانت الآن في حالة من
الهستيريا.

وضع بن يده على كتفها وقال لها: «فوبي، لقد
وعدت والدتك بأن أخرجك بأمان. إنها مرتعبة.

أنت في حاجة إلى النزول إليها مباشرة، وأعدك
بأنني سأجد لك غامبي». لقد اضطر لدفع فوبي
على طول القاعة، ثم أجبرها على النزول على
السلام. في أثناء صعوده في المرحلة الثانية من
الدرج، قابل الخدم الذين هرعوا نزولاً على السلام
بملابسهم الداخلية: كانت الخادمت يتشبثن بعضهن
ببعض، والسيدة مورتلوك مع بكرة في شعرها،
وخادمة مطبخ تبكي مع وجه متسخ.

صاح الطاهي وهو يهرب: «ذهب السيد سوامز مع
صاحب السيادة إلى السطح لإخماد النار. لا أعرف
كيف سيقومون بإخمادها. والسيد سوامز لم يعد
شاباً».

قالت الخادمة التي كانت تلهث بين صيحات البكاء
الصاخبة: «لقد سقط سقفي. كان من الممكن أن
أتعرض للسحق. كان من الممكن أن أتعرض للحرق
وأنا على قيد الحياة».

قالت السيدة مورتلوك: «أه، توقفي عن الأنين أو
الدموع وانزلي إلى الأسفل على الدرج يا روبي».
أعطتها دفعة خفيفة وقالت لها: «لم يكن سوى
القليل من الجص المتساقط».

مز بن بهما. كان في إمكانه الآن شم رائحة الدخان وسماع فرقعة النيران. أمسك بالدرابزين ليحمل نفسه حيث إن ساقه كانت متعبة إلى حد أنها لم تعد تريد الاستجابة له. التفت الدخان لمقابلته، وكان يشعر بالارتياح لسماع صوت يقول: «تعالى يا ناني. ستكونين بخير».

جاءت ليفي نحوه وابنها بين ذراعيها - لم يكن يبكي لكنه كان متشبثًا بها وعيناه مفتوحتان في حالة من الرعب. كانت خلفهم الممرضة التي تلحق بهما، وكانت ترتدي ثوب الفانيلا، وكانت تضغط يدها على ثديها الكبير للسيطرة على لهاثها المذعور.

بدت ليفي مرتاحة لرؤية بن. وقالت له: «بن! أليس هذا فظيغًا؟».

أوما برأسه بنعم، وسألها: «هل خرج الجميع من هنا؟».

«لا أدري. رأيت بعض الخدم ينزلون، لكنني لا أعرف إلى أين ذهب أبي. على ما أعتقد ذهب إلى السطح للمساعدة في مكافحة الحرائق. أتمنى ألا يفعل أي شيء سخيف».

بدأ قلب بن يضرب بسرعة كبيرة، وسألها: «أين باما؟ ألم تكن معك؟».

نظرت ليفي حولها، وقالت: «يجب أن تكون قد ذهبت للتأكد من أن جميع الخدم قد خرجوا. أمل ألا تحاول العثور على بابا على السطح. قلت لها ألا تفعل ذلك، لكنها لا تسمع كلامي أبدًا».

قالت خادمة الطفل وهي تلهث: «أه، من فضلك يا صاحبة السعادة لا تتكاسلي»، محاولة لفت انتباهها. دعينا نضع الرضيع في مكان آمن. المكان كله على وشك الانهيار أو الاحتراق».

قال بن: «انذهبي إلى أسفل. سأجد باما»، وحثها على المضي قدماً.

نادت ليفي من ورائه: «كن حذراً يا بن».

لقد نقل نفسه إلى الدرج الأخير إلى البهو. كان الدخان هنا أكثر كثافةً الآن، وأصبح صوت الطقطقة صوت هدير.

صاح بصوته الذي كان يخرج كصوت أجش قائلاً: «يا باما». لم يكن هناك جواب. لا أثر لها على الإطلاق. كان في إمكانه أن يشعر قلبه ينبض في صدره. قام بفحص الغرفة بعد الغرفة - فتحت بعض الأبواب، وبعضها كانت مغلقة - لكنه لم يجد أحداً. في النهاية وصل إلى نهاية القاعة، ومن خلال الدخان كان قدراً الوصول إلى درج لولبي حجري صاعد إلى الظلام. تتمم قائلاً: «غرفة البرج». أخرج منديله ووضعها على أنفه وهو لا يعرف كيف يُمكن أن يحدث ذلك فرقاً، ثم أجبر نفسه على الصعود على الدرجات الحجرية الضيقة متلمساً طريقه على طول الجدار. كان الحجر دافئ الملمس. وفي أعلى الدرجات، كان في إمكانه فقط التقدم باتجاه مدخل، وباب مفتوح، يؤدي إلى وهج مثل مدخل جهنم.

أخذ نفساً، ثم اندفع إلى الغرفة المملوءة بالدخان. كان جزءاً من السقف قد سقط، وكانت الغرفة

مضاءة بتوهج أحمر من الأعلى. نظر إلى المكان لفترة وجيزة، وذهب ليرى عددًا كبيرًا من الكتب على الرفوف ومكدسة على الطاولة إلى جوار النافذة. كانت هناك أيضًا أوراق على تلك الطاولة كما لو أن شخصًا ما كان يعمل، ولمفاجأة بن كان هناك منظار. في البداية كان يعتقد أنها غير مشغولة، وكان السرير فارغًا، والأوراق مطوية.

صرخ بن قائلاً: «مرحبًا! هل من أحد هنا؟».

عندما ارتفع شكل فجأة من وراء السرير على وقع صوته، عاد خطوة غير إرادية إلى الورااء وسقط تقريبًا على الدرجات. ثم تعزف عليها من خلال الدخان.

صاح بصوت أجش: «باما!».

قالت باما: «آه، يا بن. أنا سعيدة للغاية لأنك هنا. إنها الأنسة غامبل. لا أستطيع تحريكها».

شق بن طريقه فوق الأنقاض وحول السرير إلى حيث كانت المرأة مستلقية ونصفها تحت السرير مع وجود جزء من السقف فوقها.

سألها: «هل هي ميتة؟».

أجابت باما: «لا أعتقد ذلك. لكنني لست قوية بما يكفي لرفعها».

أمسك بن بكمية الجص وألقاها جانبًا، ثم سحبها من تحت السرير معًا. قال بن: «امسكي قدميها. سوف أخذ كتفيها».

قبل أن يتمكن من رفع غامبي، كان هناك صوت

تكسير في الأعلى، وكان بن يدرك أن شيئًا كان يسقط. صاح «يا باما»، وألقى بنفسه عليها. سقطا معًا بقوة على الأرض عندما سقطت العارضة المشتعلة على السرير.

تعثر بالكلام وهو يسألها: «هل أنت بخير؟»، مدركًا أنه كان يرقد فوقها. كان وجهها على بعد بوصات من وجهه.

أجابته قائلة: «أنا . . . أعتقد ذلك».

«أنا آسف، لم أقصد ذلك».

بدت لاهثة بالقدر نفسه، قالت: «قمت بإنقاذي. كان ذلك تفكيرًا سريعًا من جانبك».

اتكأ على ركبتيه، ووقف ثم ساعدها لكي تقف على قدميها. وقال لها: «دعينا نخرجها من هنا». قاما معًا تارة بجر المرأة التي كانت فاقدة الوعي، وتارة بحملها عبر أنحاء الغرفة. كانت الجمرات المشتعلة تطفو فوقهما لتسقط عليها. كان الدخان يلسع عيون بن بشدة إلى حد أنه لم يستطع أن يرى إلى أين كانا يذهبان. لم يعد يستطع حتى الخروج من الباب.

صاحت باميلًا: «من هنا». لقد تعثرت على الدرجات. كانت الانسة غامبي تبدو ثقيلة بشكل مدهش بالنسبة إلى امرأة رقيقة وكلها عظام. وضعوها في الأسفل للحظة، وهما يلهتان ويجدان صعوبة بالتنفس.

قالت باما: «الحمد لله هذه القاعة ليست مفروشة بالسجاد. في وسعنا جرهما على الدرج».

قال بن: «ماذا لو كانت مصابة بطريقة ما؟ أو كان العمود الفقري عندها مكسورًا؟».

قالت باما: «علينا أن نخرجها بطريقة ما وبسرعة. امسكها من هنا، خذ ملابس نومها واسحبها». كانا يركضان تقريبا إلى الأسفل نحو القاعة، وهما يجزان المرأة وراءهم. ولما وصلا إلى منتصف القاعة، نظرت باما إلى بن وابتسمت.

قالت: «أراهنك أن جيرمي سيفضب لأنه لم يدخل في هذه المعمة».

رد بن عليها قائلاً وهو يرد لها الابتسامة: «كان يريد إيصالنا إلى البيت بالسيارة لكنّ والديه لم يسمحا له بذلك. تبين أنّهما محقين تمامًا لأنّ هذا الدخان كان سيقضي عليه».

قالت باميللا: «كان من الممكن أن يقضى علينا نحن أيضًا إذا لم ننقل غامبي إلى الأسفل بسرعة. هل تشعر بأنّ لديك القدرة على حملها؟ أم أنّا سندفعها إلى الأسفل؟».

«مازلت قلقًا من أنّنا قد نفاقم إصابتها. دعينا نحاول حملها».

«ماذا بشأن ساقك؟».

«سأكون بخير». وضع يديه تحت كتفي الأنسة غامبل ورفعها. وقامت باميللا برفع ساقيها، وتحركا خطوة خطوة في كل مرة. كانت الأمور تسير ببطء، وتساءل بن كم من الوقت يمكنه أن يصمد حين سمع وقع أقدام، وكانت مجموعة من الجنود تصعد

إلى الأعلى وهم يحملون دلاء من الرمل.

سأل الضابط المسؤول: «هل هي حالة طارئة؟».

ردّ عليه بن قائلاً: «وجدناها مستلقية في غرفتها فاقدة الوعي».

أعطى الضابط أوامره فجأة بقوة وسرعة قائلاً: «حسناً. اثنان منكما، وورد وسيم، أتركا دلويكما وانقلا هذه الليدي إلى الأسفل وعودا إلى هنا بأقصى سرعة ممكنة». قام بن وبامبلا بتسليم الأنسة غامبل، وانطلق الرجلان بها كما لو أنها لم تزن شيئاً على الإطلاق. وتبعهما بن وبامبلا.

قالت بامبلا: «لقد كانت معجزة أنك ظهرت ذلك الوقت. كيف عرفت أين تجدني؟».

أجاب: «كانت فوبي قلقةً على الأنسة غامبل»، غير راغب في الاعتراف كيف كان محمومًا ومذعورًا وهو يبحث عن بامبلا.

ولفًا خرجا على الدرجات الأمامية، سمع بن جرس محرك إطفاء يقترب. جاء رجال الإطفاء المحليين للمساعدة. لقد كان يأمل فقط ألا يكون الأوان قد فات.

صرخت فوبي وركضت نحو الجنديين. «أه، غامبي، غامبي. هل هي ميتة؟».

قال أحد الجنود: «أعتقد أنها ستكون على ما يرام يا أنسة. استنشاق الدخان، من المرجح أنه هو السبب في ما هي عليه. عندما تحصل على بعض الهواء النقي...»، وبينما كان يتكلم، تحركت المرأة

وسعلت.

أمسكت فوبي بذراعه وقالت: «شكرًا جزيلاً لإنقاذها».

«نحن لم ننقذها يا أنسة. قام الشاب والليدي الشابة هنا بإنقاذها. لقد ساعدنا في حملها على الدرج فقط».

نظرت فوبي إلى بن بعينين ملؤها الحب والدفء وقالت له: «أنت رائع يا بن. شكرًا جزيلاً لك».

ردَّ عليها قائلاً: «لقد وصلت إليها أختك أولاً. لم يكن في استطاعة أيِّ منا أن ينقذها لوحده قط». لقد اكتشف أنه بدأ بالاحمرار من الخجل وكان سعيدًا أن المكان كان مطلقًا.

قالت فوبي: «أنتما الاثنان بطلان. سأبقى أذكر جميلكما ما دمت على قيد الحياة».

نظرت بامبلا إلى بن وابتسمت وقالت له: «شكر أبدي. ستبقى تذكر جميلنا ما دامت على قيد الحياة. سنذكرها بذلك ذات يوم عندما تتهمني بأكل آخر قطعة من البسكويت». توقفت وقالت وهي تنظر إلى السقف المحترق: «أه لو كان في إمكاني أن أعرف أن أبي سالقا».

سألها بن: «هل تريدني أن أذهب إلى الأعلى وأبحث عنه؟».

وضعت بامبلا يدها لكبح جماحه وقالت له: «لا، لا تفعل ذلك. فوج الإطفاء هنا الآن وهناك أعداد كبيرة من الجنود».

قال بن: «لا أعلم ما إذا كان هذا مفيدًا»، وبينما كان يدرس مخطط القصر حين بدا بالفعل أن السنة اللهب تلاشت لتصبح وهجًا خفيفًا مملًا. نظر حوله ليجد أباه قادمًا نحوه.

قال الأب: «كم أنا سعيد لأراك سالقًا لم يلحق بك الأذى يا بني، على الرغم من أن تصرفك كان بمنتهى حماقة ولكن أحسنت».

لقد شعر بن باندفاع سريع للسعادة يعم نفسه لأن هذه هي المرة الأولى التي لم يكن جيرمي فيها البطل من دون نسيان أنه كان من أنقذ فتاة في حالة مأساوية.

في ذلك الحين كانت الأنسة غامبل جالسة تسعل وكانت فوبي إلى جانبها.

قالت: «أنت ابن القس، أليس كذلك؟ لقد أخبروني بأنك صعدت إلى الأعلى لإنقاذي. أقدم إليك شكري الصادق وامتناني».

أضافت فوبي قائلة: «أنت شجاع جدًا يا بن».

قال بن: «لقد وجدتك الليدي باميلا أولًا. وأنا ساعدتها على حملك إلى الأسفل».

قالت: «أتذكر أنني شممت الدخان، وكنت أحاول النهوض. هذا آخر شيء أتذكره». نظرت إلى بن وقالت له: «لو لم تأت إلى هناك في تلك اللحظة...».

قال: «كانت فوبي قلقة عليك. لقد أرسلتني إلى الأعلى للبحث عنك».

فجأة حاولت الوقوف. «لكن أشيائي. كتبي».

أوراقي. لا بد لي من الذهب وإنقاذها. لا يمكنني تركها تحترق».

وضع بن يده بقوة على كتفها لمنعها من الحركة. «أخشى ألا يمكنك الذهاب إلى هناك. ولكن لا تقلقي كثيرًا. يبدو كما لو أنهم تدبروا أمر إخماد الحريق. ولا تزال هناك بعض فرص بآلا يضيع كل شيء. دعونا نأمل الأفضل، أليس كذلك؟».

كان بن يراقب فوبي وهي تجلس إلى جانب الأنسة غامبل وتحاول أن تريحها، وبدأت فكرة غريبة تتشكل لديه. الكثير من الكتب والأوراق... والتلسكوب. لماذا تحتاج مربية إلى تلسكوب؟

لقد انتظروا على الساحة الأمامية، وكانوا ينظرون إلى الأعلى بقلق، ثم ركزوا في المدخل الأمامي، ولم يتحدث بعضهم إلى بعض. ووقف الخدم في حشد من جانب واحد. كان الجنود الذين كانوا ينامون في خيام على الأرض قد احتشدوا للمشاهدة. ووقف آخرون على أهبة الاستعداد لنقل السيارات المركونة بالقرب من المنزل.

ولكن في الساعات الأولى من الصباح، ظهرت مجموعة من الوجوه السوداء من المدخل الأمامي مع أنباء تفيد بأن الحريق قد تم إخماده. والأكثر من ذلك، أن الضرر لم يكن مدمرًا للغاية. تم تدمير جزء من السقف والعلية. لقد سقط سقف بعض غرف نوم الخدم، لكن الحريق لم يتمكن من الوصول إلى الطوابق الرئيسية للمنزل.

كان اللورد ويسترهام من بين رجال الإطفاء الذين

نزلوا تعبين بشكل كبير جدًا والذي تفت تغطيته
بالسخام كبقية رجال الإطفاء الآخرين.

قال بغضب بينما كانت زوجته تهرع إلى جانبه:
«من حسن حظنا وجود مجموعة رائعة من الرجال
تقيم هنا. كنا سنخسر المكان بالكامل لولا وجودهم
معنا. أنا أعذ أن من فضل الله علينا ورحمته أن
يكون المتمركزون في غرب كينتس في مزرعة
فارلي».

ابتسمت الليدي إيسي فقط ولم تقل شيئًا بحكمة.
ثم عادت إلى دورها كسيدة للقصر. «سيدة مورتلوك،
أعدي للجميع الكاكاو الساخن؟ أعتقد أننا جميعًا في
حاجة إليها».

قالت السيدة مورتلوك: «جيد جدًا يا سيدتي. ولكن
هل تمنعين إذا صعد الخدم الآخرون ليروا الأضرار
التي لحقت بغرفهم؟ إنهم قلقون من أنهم فقدوا
ممتلكاتهم».

قالت الليدي ويسترهاام: «بالطبع يُفكّهم الصعود
بكل سرور. وقولي لهم ألا يقلقوا. سنستبدل ما
فقدوه ونجد لهم مكانًا آخر للنوم. سنتعاون بعضنا
مع بعض في هذا الصدد».

أجابت السيدة مورتلوك مع حشجة بكاء في
صوتها: «شكرًا لك يا صاحبة السعادة».

كانت الأنسة غامبل واقفة الآن. قالت: «أنا أرغب
في الصعود أيضًا فقط لرؤية ما قد نجا».

كان بن يراقبها وهي تذهب إلى المنزل. ووجد

نفسه يتساءل ما إذا كان قصف فارلي حادثًا أو
قصفًا متعمدًا. ففكر في تلك الطائرات التي تحلق
فوقها. لماذا يقدم أي شخص على قصف منزل ريفي
في مكان بعيد وغير مهم؟

الفصل الثالث والعشرون

باريس

كان أول ما لاحظته مارغوت عندما استيقظت من النوم الرائحة. كان هناك رائحة غنية وعذبة، وذات تأثير مبهج. لقد تجفد أنفها لاستنشاق عطر غير مألوف. لم تستخدم سوى كمية صغيرة من الكولونيا نفسها، كان لها رائحة مسك أقوى من تلك التي كانت معلقة في الهواء. استغرق الأمر لحظة للتعرف عليها. إنه منتصف الليل في باريس، منتصف الليل في باريس عطر يحمل توقيع جيغي أرماند. ومع تحديد الهوية جاءت الذاكرة الكاملة للمكان الذي كانت فيه. فتحت عينيها لترى الستائر الحريرية الوردية، مربوطة للخلف ومزينة بشرابات. كانت شمس الصباح تندفق عبر النوافذ الطويلة. كانت مستلقية على سرير ضيق، لكن الشاغلة الأخرى للغرفة كانت لا تزال نائمة في سرير فاخر، وقناع للوجه يعزل الضوء. لقد كانت في فندق الريتز، في غرفة السيدة أرماند.

عادت إليها تفاصيل الأربع وعشرين ساعة الماضية. إن الشعور الكامل بعدم الواقعية الذي بدأ عندما تم إيقاظها في منتصف الليل من قبل جندي ألماني إلى ما يُفترض أن يكون مقرًا للشرطة السرية النازية المعروفة بالجستابو. ثم جاء التدخل الخارق للطبيعة تقريبًا من قبل ربة عملها السيدة أرماند ما أدى إلى نقلها بعيدًا لينتهي بها الأمر هنا في فندق ريتز من بين جميع الأماكن. كان ذلك عصيًا عن

الفهم بالنسبة إليها. كان الانتقال من الرعب الخالص إلى فطيرة فواجرا في مثل هذا الوقت القصير نقلة نوعية إلى عالم الخيال.

فتحت الخادمتان الأبواب عند المدخل الأمامي. وكنّ يتمتمن وهن ينحنين لها ويقولن: «مرحبًا يا أنسة». كانت حقيبتها الصغيرة قد أخذت منها. لقد عبرتا البهو الرائع، وصعدتا الدرج المغطى بالسجاد الأحمر. كان الأشخاص الوحيدون الذين قابلوهما ضباطًا ألمانيين، بعضهم كانت ترافقه شابة تمشي إلى جانبه، ربّما كنّ زوجاتهم، أو ربما لا. ثمّ فتحت السيدة أرماند أبوابًا مزدوجة وأرشدت مارغوت إلى جناحها. وقالت: «مرحبًا بك في بيتي المتواضع. هل يذكرك بمنزلك؟».

لقد فهمت مارغوت معنى الأثاث المذهب وأهميته، والسقف المصبوب، والستائر الثقيلة، والسجادة الناعمة تمامًا. والزهور، الزهور كانت في كل مكان. قالت: «تتمتع فارلي بشعور أكثر بالحيوية. هذا ترف خالص».

نظرت جيغي أرماند حولها بارتياح وقالت: «ولكن بالطبع أعرف أنّ الوقت مبكر، لكنني سأطلب الغداء، ما رأيك بذلك؟ لا بدّ من أنّك تتضورين جوعًا. ماذا تفضّلين؟».

كانت مارغوت صامتة تمامًا. لفترة طويلة الآن، كان الطعام هو أي شيء يمكن أن يجده المرء في السوق، كحساء الخضر والخبز الخشن الذي يشبه مذاقه نشارة الخشب واللحوم تكاد تكون نادرة.

قالت جيغي أرماند: «أطلبني ما تحبين. تبدين كما لو كنت في حاجة إلى تسمين».

ومثل السحر تم إحضار حساء غني، وعجة الأعشاب وشريحة لحم رفيعة من لحم البقر مع البطاطا المقلية، والحلوى الفرنسية المسماة «الجزيرة العائمة»، مصحوبة بزجاجة من النبيذ الألزاسي الرائع إلى الغرفة. لم تكن متأكدة على الإطلاق من دور جيغي أرماند في هذا الأمر، سواء كانت ملاكًا وصيًا أُرسل من الله، أو كانت شريكًا مخلصًا للألمان يعمل على تليينها. لكنها لم تكن على وشك رفض الطعام الجيد حين كانت باريس تتضور جوعًا لفترة طويلة من الزمن.

كبحت مارغوت مخاوفها، وشربت الخمر مع العشاء، وتمكنت من النوم، ولكن الآن مع ضوء النهار الساطع جاء الإحساس الماحق باليأس. أصبحت الآن تعرف تمام المعرفة أنها كانت في سجن جميل، ولا يمكنها أن تتخيل نتائج جيدة. بالطبع كان يتم تليينها، وجعلها تسترخي، وعندما تأتي الضربة، ستتم مفاجأتها بطريقة تجعلها تشعر بالارتباك أو عدم اليقين. كانت مسألة وقت فقط قبل إعادتها إلى مقر الشرطة السرية الألمانية. لم تكن متأكدة ما إذا كان الألمان يحترمون جيغي أرماند بما فيه الكفاية حتى قبلوا ضمانتها للحفاظ على سلامة السجينة أو ما إذا كانت تتعاون بنشاط معهم، أي أنها كانت جزءًا من المؤامرة. لم يكن ذلك يحدث فرقًا بسيطًا في هذه المرحلة. إن كل ما كانت تعرفه مارغوت هو أن عليها أن تتظاهر بالتعاون معهم.

شعرت بالخوف يتصاعد في حلقها. كان عليها أن تبقى قوية مهما حدث من أجل خاطر غاستون وكذلك من أجلها. إذا كانت هناك أي فرصة بأنه لا يزال حيًا، وأنهم قد يطلقون سراحه، فعليها أن تفعل كل ما يتطلب الأمر. وإذا كانوا يظنون أنها مجرد محبة لشخص كان بالصدفة موجودًا في المقاومة، متفرجة بريئة، فقد تكون على ما يرام. لكنهم إذا قاموا بتفتيش الشقة بالكامل، إذا قلبوها رأسًا على عقب تمامًا، عندئذ من المؤكد أنهم سيجدون جهاز اللاسلكي. لم تعتقد أنهم سيجدون دفتر الشفريات. لقد جرى إدراج الصفحات بعناية في رواية رخيصة، والتي وضعت بين روايات أخرى على رف من الرفوف. لكن اللاسلكي نفسه سيكون كافيًا. كانوا سيعيدونها إلى مقر الجيستابو ويحاولون كسرها. وحقيقة أنهم كانوا يريدونها على قيد الحياة لمهمة معينة هي بطاقتها الراحبة الوحيدة. وكان عليها أن تجعلهم يعتقدون أنها ستقوم بتنفيذ ما يطلبونه منها.

كانت هناك أدنى فرصة لوصول القرار للأشخاص المناسبين حول مصيرها. وكان من السهل وضع المظروف الصغير المختوم والذي كتب عليه عنوان ودشه بسهولة كافية بين الخضراوات التي جلبتها إلى موظفة الفندق. كانت على يقين أن السيدة أرماند لم تلاحظ أنها وضعت اللفت والبصل في سلة مع وجود رسالة بالفعل في أسفلها والتي كان مكتوبًا عليها بقلم الرصاص يرجى إرسال هذا بالبريد من أجلي. كانت الموظفة المسنة في الفندق

تكره الألمان بشدة وقد راقبتهم بشفقة حين كان يتم نقل مارغوت، لذلك كانت هناك فرصة لإرسال الرسالة. كانت هناك أيضًا فرصة لأن العنوان لم يعد منزلًا آمنًا للتواصل. لم يكن هناك شيء مؤكد في هذه الأيام.

تمددت المدام أرماند برفاهية، وأزالت القناع الليلي، وقالت: «صباح الخير يا صغيرتي»، كما لو كان في أي صباح عادي. وسألتها: «هل ترغبين في الاستحمام أولاً بينما أطلب وجبة الإفطار؟».

انتهزت مارغوت الفرصة، مستمتعة بالماء الساخن والصابون ذي الرائحة الحلوة. ولما خرجت، كانت جيحي أرماند تتحدث على الهاتف. كانت تضحك قائلة: «أنت فتى مشاغب. إلى لقاء لاحق إذن». ثم وضعت سماعة الهاتف في مكانها.

ابتسمت ونظرت إلى مارغوت وقالت: «سيكون الإفطار هنا قريبًا. إنهم يصنعون الكرواسان الأكثر روعة».

استجمعت شجاعتها وهي تتجه نحو الشرفة وتحقق خارج النافذة. «سيدتي، أعلم أن هذا قد يبدو ذلك وقحًا، ولكن لماذا يسمح لك الألمان بالبقاء هنا في جناحك القديم عندما يكون باقي الفندق مخصصًا لضباطهم؟».

نظرت إليها السيدة أرماند وضحكت. قالت لها: «إن السبب بسيط. أقوم بتصميم ملابس جميلة لزوجاتهم، وأعرف الجميع في باريس. أنا مفيدة لهم. لذلك سمحوا لي بالبقاء».

كانت مارغوت على يقين من أن إجابتها لم تكن كاملة، لكنها لم تقل أكثر. لقد أنهت للتو الكثير من الكرواسان بالزبدة الحقيقية والمربى الحقيقي، ناهيك عن القهوة الحقيقية، حين سمع طرُق على الباب.

قالت المدام أرماند: «أدخل»، ودخل ضابط الجستابو هير دينكسلاغر في اليوم السابق.

قال بحرارة: «صباح الخير، صباح الخير. يا له من يوم جميل، أليس كذلك؟ هذا النوع من الأيام التي يجب أن تقضيه في الخارج، وتذهب في جولة داخل حديقة بوادي بولوني العامة. أنا واثق بأنك نمت جيّدًا يا أنستي، أليس كذلك؟».

«فعلًا. شكرًا لك».

لقد أشار إلى السرير القابل للطي الذي تمّ نقله من أجل مارغوت وقال: «يجب أن أعتذر عن الطبيعة البدائية للسرير. لقد كان أفضل ما يُمكن أن نؤمنه في مثل هذه المهلة القصيرة».

قالت بأدب: «لم تكن هناك مشكلة في السرير يا مين هير».

أشار إلى الكرسي الجانبي المذهب وقال لها: «تفضلي بالجلوس». جلست مارغوت. قام الألماني بسحب كرسي وجلس ينظر إلى مارغوت. ظلت السيدة أرماند صامتة في الخلفية.

«إذن السؤال هو: ماذا نفعل معك الآن؟»، لقد توقف مؤقتًا. «لدي زملاء يتوقون للقبض

عليك وجعلك تعترفين، لكنني نوع من الرجال المتحضرين. أعتقد أننا نستطيع التواصل من أرستقراطي إلى أرستقراطية». وابتسم لها بوداً.

لم تنبس مارغوت بنت شفة.

قال لها: «أنا متأكد أنك تكرهين هذه الحرب الغبية بقدر ما أكرهها».

أجابت مارغوت بالطريقة نفسها: «لم نبدأها».

«بالطبع لا. ولكن يجب أن تدركي أنّ هتلر يحترم البريطانيين كثيرًا جدًا. نحن شعبان أريان، ونحن وجه الحضارة. يجب أن نتعاون لا أن نتقاتل. لن يرغب الفوهرر في شيء أفضل من صنع السلام مع إنكلترا، وأنا أعلم أنّ هذا الشعور تتمّ مشاركته مع عدد كبير من الأشخاص. إذا كنت تستطيعين المساعدة في صنع هذا السلام، ألا تريدين فعل ذلك؟».

«هل تقصد بالسلام الاستسلام؟ هل تقصد أن الاحتلال الألماني احتلال خيري؟».

سألت: «هل هناك شيء من هذا القبيل؟ سمعت عن احتلالكم الخيري للدنمارك والنرويج».

أجاب بسهولة: «يجب أن نسحق أولئك الذين وصلت بهم الحماسة موصلاً جعلهم يقاومونا. لكنني متأكد أنك حكيمة بما فيه الكفاية لتوفير المزيد من الأرواح الإنكليزية والكاتدرائيات والمنازل الفخمة مثل منزلك. يا له من أمر مؤسف أن يتمّ تحويل تراثك العظيم إلى ركام».

سألت فجأة: «ما الذي تريد مني فعله؟».

حدق بها طويلاً وبعمق، ثم قال: «هناك في بلدك من يتعاطفون مع قضيتنا، ويرحبون بإخوانهم الألمان بأذرع مفتوحة. سوف تلتقيهم بهم وتساعدن في خططهم».

«خططهم؟».

«لإزالة أولئك الذين يقفون عقبةً في طريق السلام، بالطبع».

حدقت مارغوت خارج النافذة. كانت الحمامات تجلس على حافة الشرفة. وخلفها، كانت السحب البيضاء تتراكم بسرعة عبر سماء زرقاء.

سألت: «وماذا عن غاستون دي فارين؟ هل سيكون الإفراج عنه جزءاً من الصفقة؟ لنقله بأمان إلى بلد محايد؟».

قام هير دينكسلاغر بتحريك كرسيه إلى الورا كما لو كان يفكر. «أه نعم. الحبيب الفرنسي. عشيقته المخلصة التي ستفعل أي شيء لإنقاذه».

قال مارغوت: «أحتاج إلى معرفة ما إذا كان لا يزال على قيد الحياة».

أجابها: «لا يزال على قيد الحياة ولكن غير متعاون للغاية. نعتقد أنه كان يمكن أن يقدم إلينا قدرًا كبيرًا من المعلومات حول كيفية عمل المقاومة. لكنه ظل صامتا حتى الآن على الرغم من كل المحاولات التي قمنا بها لجعله يتكلم». نظر إليها وعيناه الزرقاوان الفاتحتان تراقبان عينيها. وقال لها: «كما ترين، هذا

يضعني في موقف صعب يا ليدي مارغريت. نحن في حاجة إلى هذه المعلومات. وثقتي بي بأننا سنحصل عليها بطريقة أو بأخرى. لن يوافق ضباطي الأعلى رتبة مئي على إطلاق سراحه إلا إذا أخبرنا بما يعرفه. لذلك يمكن أن تساعد قضيتته...». توقف مؤقتًا وهز كرسيه مزة أخرى. ركزت مارغوت في حذانه المصقول بمهارة، والذي كان يعكس الضوء من النوافذ.

«أنت لا تظنين أنه يفكني إقناعه بالتحدث؟». لقد ضحكت على الرغم من خوفها. «أعتقد أنك لم تستطع تقييم غاستون دي فارين كما يجب. إنه رجل معتد بنفسه. إنه رجل عصامي».

لقد هز كرسيه للأمام فجأة واضعًا وجهه بالقرب من وجهها، وقال: «يجب أن تدركي أن الأمور لن تسير على ما يرام بالنسبة إليك إذا لم تتعاوني معنا يا عزيزتي. لقد عشت مع عضو قيادي في حركة المقاومة. لا بد من أنه كان قد أخبرك بأشياء، حتى ولو تلميحات صغيرة، أشياء كزلة لسان. كان يمكنني أن أمر بتعذيبك أو إطلاق النار عليك بنقرة واحدة من أصابعي الآن لمساعدة مقاتل عدو وتحريضه».

قالت بصوت هادئ أكثر مما كانت تشعر: «ولكن على ما يبدو أنا أكثر فائدة لك وأنا حية مني ميتة؟».

عبر شبح ابتسامة وجهه.

«قد تكونين مفيدة لنا، هذا صحيح. ولكن لا ينبغي أن أشعر بتأنيب الضمير في حال أصدرت الأمر

بإعدامك إذا لم تكوني على استعداد للتعاون معنا».

«لكنني أخبرتك من قبل أنه لم يشاركني أي معلومات». لقد ارتفع صوتها الآن على الرغم من أنها ناضلت للحفاظ على ذلك بشكل هادئ. «لم يخبرني حتى إنه كان يعمل مع المقاومة. لم أكد أراه منذ أشهر، وإذا كنا مغا، فكان الحديث هو آخر ما يدور في أذهاننا».

سمعت صوت ضحكة مكتومة لجيجي أرماند كما لو أنها كانت تقدر هذه اللمسة الذكية.

سأل هير دينكسلاغر: «لكنك كنت تشتهين...».

«نعم، لقد اشتبهت بذلك. ولكن هذا كل شيء. لم يقل لي شيئًا. لا أسماء، ولا خطط، لا شيء. لقد أراد أن يتأكد أنني في مأمن - كما أعتقد - وأرادني أن أجيب بأمانة مطلقة في حال حدوث مثل هذا الموقف».

نشر هير دينكسلاغر يديه في إشارة عبثية وقال لها: «لذلك وصلنا إلى طريق مسدود. لا يفكني إطلاق سراحه ما لم يقدم إلينا معلومات حيوية».

«وأنا لا أستطيع التفكير في القيام بأي مهمة لك حتى أعرف أنه بسلام بعيدًا من هنا . . . في سويسرا، أو ربما البرتغال».

قال وهو يتفحص يديه الآن: «إذن ترين المازق الذي وقعت فيه يا ليدي مارغريت. أنا أخضع للضغط من أجل استرداد المعلومات التي يحملها حبيبك. لكنني شخصيًا أرغب في العمل من أجل السلام -

لجعلك حليفةً لي في العمل من أجل السلام. وأنا متأكد أنك تفضلين العودة إلى منزل عائلتك على قيد الحياة من دون أن يلحق بك الأذى أو الضرر».

ظهرت صورة لفارلي من تلقاء نفسها في عقلها - كستناء الحصان المزدهرة على طول الممر وهي نفسها تركب الخيل مع باما وديد وهي تتحداهما في السباق، حيث تركض الخيول بسرعة عبر العشب. لقد أعادت نفسها إلى الواقع.

«بالطبع، أود العودة إلى المنزل، ولكن لا يمكنني التخلي عن غاستون. لذلك ترى معضتي يا هير دينكسلاغر. أنت تطلب مني خيانة بلدي لإنقاذ حبيبي».

«أطلب منك إنقاذ بلدك من الخراب. فكّري في منزلك. فكّري في دير ويستمنستر. هل تريدين أن تتحول كلها إلى أنقاض؟ هل تريدين أن يقتل الآلاف من الناس الآخرين. هل تريدين أن يكون الآلاف الآخرون بلا مأوى. وفي النهاية، سوف يلوم هؤلاء الأشخاص أولئك الذين سببوا لهم هذا البؤس. سوف يرحبون بالجيش الألماني عندما يتعلق الأمر بحصص الإعاشة والمأوى والأمل في المستقبل».

لم تكن مارغوت ترغب في تصديق ذلك، ولكن كان عليها أن تعترف بأن ذلك كان ممكناً ولا سيما إذا استمرت الحرب لفترة طويلة واستمر الدمار.

قالت: «دعني أر غاستون دي فارين. خذني إليه. وسوف أفعل ما أستطيع».

أوما برأسه وقال: «يا لك من فتاة حكيمة. احضري

معطفك. سنذهب الان".

نظرت مارغوت إلى مدام أرماند. أرادت أن تسأل ما إذا كان في إمكانها أن تأتي معهم، لكن المصممة سرعان ما قالت: «لنذهب إذن. لدي تجربة قياس لفراو فون هيرزوفين».

سمحت مارغوت للضابط الألماني بمرافقتها إلى أسفل الدرج، والخروج إلى سيارة تنتظر. فتح الباب وساعدها على الجلوس في المقعد الخلفي كما لو كان يخطط لأخذها إلى الأوبرا. صعد في السيارة ليجلس إلى جانبها، وانطلقوا بالسيارة. الآن بعد أن كانت بعيدة من سلامة فندق الريتز، تصارعت مع الذعر المتزايد. هل جرى نقلها إلى غاستون أم مجرد العودة إلى مقر الشرطة السرية، (الجيستابو) حيث سيتم استجوابها أو تعذيبها أو قتلها؟ هل كانت المجاملات فقط بحيث لم تدرك السيدة أرماند ما الذي كان سيحدث؟

كانت الأشجار على طول الشانزليزيه مغطاة بالأوراق بشكل كامل بينما كانت تنطلق السيارة بهم أعلى التل إلى قوس النصر. كانت المقاهي المطلّة على الشارع في وقت السلم تعج بأشخاص يجلسون على طاولات في الهواء الطلق، ويتمتعون بقهوة فترة ما بعد الظهر. الآن، كان الشارع مهجورًا تقريبًا. مزّت بهم امرأة عجوز كانت تجر قدميها، وكان رأسها باتجاه الأرض كما لو أنها لا تريد أن ترى. مزّ بها جنديان ألمانيان، فابتعدت جانبًا مفسحة المجال لهما. في ساحة بلاس دو لو توال،

تلك الدائرة التي انطلقت منها الشوارع كما تنطلق
الأعمدة من مركز العجلة تحولوا إلى شارع فوش
الواسع. قبل الحرب، كان هذا عنوانًا جيدًا. تقف
هنا منازل حجرية طويلة فاتحة اللون مع شرفات
ومصاريع مطلية بألوان زاهية تقف خلف الطريق
وراء صفوف من الأشجار. كان المرء يتوقع أن يرى
أزواجًا أنيقة في نزهة، والكلب الصغير يلحق بهم.
الآن، كان هذا الشارع أيضًا قد أضحى مهجورًا،
وبغض النظر عن سيارات الموظفين أو العناصر
الألمان المركونة إلى جانب الرصيف. ولما وصلوا
تقريبًا إلى نهاية الشارع في بورت دوفين، وهي
إحدى بوابات المدينة القديمة، تباطأت السيارة إلى
أن توقفت. قرأت مارغوت رقم المنزل ٨٤. فكرت
في خلدتها قائلة يجب أن أحفظ هذا للضرورة.
ليس لأنها كانت تأمل حقًا في أن يحاول أي شخص
إنقاذها مما كان واضحًا أنه مقر الشرطة السرية
أو مقر مماثل. لقد ضمت يديها معًا لمنعهما من
الارتجاف.

تقدم السائق ليفتح لها الباب، ومرة أخرى رافقها
هير دينكسلاغر كما لو كان يدخلها إلى مطعم جيد.
ألقي الجندي الواقف لدى الباب عليه التحية. تم
إجراء محادثة مع رجل يرتدي الزي الأسود. هز
رأسه، ثم تحدث في الجزء المرسل من سماعة
الهاتف. انتظروا، فيصمت. ثم رن جرس الهاتف مرة
أخرى، ورد على المكالمة الرجل الذي يرتدي الزي
الأسود وأوما برأسه. قال هير دينكسلاغر: «سنذهب
إلى الأعلى الآن».

صعدوا معًا في مصعد باريسى صغير مصنوع من قفص حديدي، وأغلق الباب مع صوت طقطقة إغلاقًا لا رجعة فيه. لقد ذهبوا إلى الأعلى طابقًا تلو الآخر. لم تدرك مارغوت أن المبنى كان طويلًا هكذا؛ كانت مارغوت تتوقع أن يجري اصطحابها إلى زنزانة سجن تحت الأرض. أخيرًا صدر صوت أزيز من المصعد وبدأ يتوقف بشكل تدريجي وصدر صوت طقطقة فتح الباب. صعدت إلى مكان هبوط الدرج، وطلب منها المضي قدمًا من قبل دينكسلاغر إلى الباب المعاكس. كان كعبيها ينقران الأرض بصوت عالٍ على الأرضية المبلطة مرددًا صدى من منور السقف. فتح هير دينكسلاغر الباب وأخذ ذراعها ودفعها إلى الداخل. كان قلب مارغوت يدق بصوت عالٍ في صدرها إلى حد أنها لم تكذب تستطيع أن تتنفس، لكنها كانت تمشي مرفوعة الرأس.

وقف رجلان على عجل، كان أحدهما طويل القامة، أشقر، ومنتصبًا، وهو رسم كاريكاتوري لجندي ألماني. والآخر كان ظلاً هزيلًا لرجل وشعر غير مشذب وملابس قذرة مع كدمة قبيحة على خده الأيسر. كانت عينه اليسرى منتفخة ونصف مغلقة. شهقت مارغوت شهقة غير إرادية.

صرخت: «غاستون!».

نظر الرجل إليها برعب. «مارغوت يا إلهي، ماذا تفعلين هنا؟». التفت إلى الألمان وقال: «هذه المرأة لا تعرف شيئًا. أنا لم أخبرها بأي شيء. لا تعرف كلمة واحدة. دعها تذهب على الفور».

«لقد أتت إلى هنا بمحض إرادتها يا سيد لو كومت. . إنها تحاول إطلاق سراحك إلى بلد محايد مثل سويسرا».

حدّق غاستون في مارغوت لكنه لم يقل شيئاً. لم تستطع تفسير تحديقه بها.

تساءل: «بأي شروط؟».

«أن تزودنا بالمعلومات التي نريدها».

«لقد أخبرتك من قبل أنك تضيع وقتك سداً. لن أخون أصدقائي أو بلدي أبداً مهما اخترتم أن تفعلوا بي».

«أفهم قصدك». التفت دينكسلاجر إلى مارغوت وقال لها: «من فضلك اجلسي يا صاحبة السعادة».

أخرج كرسيًا مستقيمًا عاديًا على طاولة خشبية، وجلست عليه. أخرج الكرسي الآخر وجلس إلى جانبها.

«يبدو أننا جئنا إلى هنا من أجل لا شيء يا ليدي مارغريت. هذه مؤسف حقًا».

سألها غاستون وهو ينظر إليها ببرود: «هل تطلبين مني أن أخون الرجال الشجعان؟».

قالت: «لا. بالطبع لا. أردت دليلاً على أنك لا تزال على قيد الحياة».

ردّ عليها مخاطبًا: «أنا على قيد الحياة، فقط». قال: «الآن، دعوها تذهب».

أمسك هير دينكسلاجر يد مارغوت. لقد حركتها

حركة صغيرة مفاجئة بسبب الخوف، لكنه أمسك بها بإحكام. قال لها: «لديك يدين رقيقتين يا صاحبة السعادة، يدي فنان. وهذه أظافر طويلة. أشياء غريبة، أظافر. لم نعد في حاجة إليها الآن لأنه ليس من الضروري مطاردة فريستنا . . . بهذه الطريقة».

لقد كان صوته ممتعًا، لكنّ مارغوت كانت تشعر بالخوف يتصاعد في حلقها. ضرب يدها وهو يلعب بأصابعها إصبعًا تلو الأخرى. نظر مباشرة إلى غاستون وقال: «بالنظر إلى أنها لا قيمة لها، فربما يتعين علينا إزالتها؟». حاولت مارغوت انتزاع يدها بعيدًا لكنها لم تستطع القيام بذلك. لم تستطع أن تدع الألمان يرون أنها كانت خائفة. أشار بيده إلى العميل الشاب الذي مرر إليه شيئًا يشبه قطعة رقيقة من الخشب. أخذها ووضعها تحت ظفر سبابة مارغوت من دون أن يقول كلمة أخرى. ثم دفعها إلى داخل الظفر. كان الألم حادًا جدًا وحارًا، حيث تدفقت الدموع من عينيها. ضمت شفثيها معًا لمنع نفسها من الصراخ.

نظر إلى غاستون وسأله: «هل أستمّر لإنهاء ما بدأت به؟ هل تريد أن تعاني حبيبتك بسبب عنادك؟».

بقي غاستون صامتًا.

«هل أمزق الأظافر واحدًا تلو الآخر؟ ثم هناك أشياء أسوأ يُمكن أن تحدث لها. هذا الشاب هنا لديه شهية وكان طويلًا من دون امرأة».

كانت مارغوت تراقب الدماء على قطعة الخشب،

ثم نظرت إلى وجه غاستون. لم يتغير تعبيره. انتظرت منه أن يقول شيئًا.

ثم قال بصوت بارد: «إنها ليست حبيبتي، ويفككك أن تقطعها إربًا، إربًا إلى قطع صغيرة. هذا لا يهمني على الإطلاق. إن ذلك لن يجعلني أغير رأبي. لن أخون زملائي وبلدي مهما فعلت. ولكن يجب أن أذكر أنه من المشين أن تقوم بتعذيب شخص آخر أمامي في محاولة لإجباري على إفشاء معلومات. يوسفني إذا حاولت هذه المرأة أن تساعدني بإحساس مضلل بالولاء لي. ومع ذلك، إذا أرسلتني إلى سويسرا، سأعود مباشرة وأنضم إلى المقاومة مرة أخرى. لماذا لا نتوقف عن إضاعة وقت بعضنا بعضًا، وتقتلني الآن؟».

أخرجت مارغوت الوتد من إصبعها النازفة ووقفت وقالت: «خذني بعيدًا من هنا. سوف أفعل أي شيء تطلبه مني».

الفصل الزابع والعشرون

في فارلي

بعد الإفطار في صباح اليوم التالي، قام بن بجولة مستخدمًا الدراجة الهوائية إلى فارلي للتحقق من الضرر كما أخبر والده. للوهلة الأولى، بدا الأمر كما لو أن شيئًا لم يتغير: كستناء الحصان لا يزال مزهرا. كما كانت البجعات لا تزال تسبح في البحيرة، وكان البيت العظيم واقفًا قويًا ومتحديًا مقابل سماء عاصفة. لكن رائحة الاحتراق كانت لا تزال عالقة في الهواء، وكانت الرياح قد ألفت شظايا محترقة مثل مرش حقايم أسود ناعم. ثم لاحظ أن نوافذ الطابق العلوي كانت مفتوحة، وأن الستائر الشبكية ترفرف كما لو كانت تطلب المساعدة. ارتعدت أوصاله مرة أخرى لما فكر فيما كان من الممكن أن يحدث لبامبلا لو لم يكن هناك. كانت العارضة ستسقط عليها. ربما تغلب عليها استنشاق الدخان، وكان من الممكن إيجادها في وقت متأخر. كان يتذكر ملمس جسدها يضم جسده وهو يقذفها للأمام. الطريقة التي دقت قلوبهما بها في الوقت عينه. ثم هز رأسه بحزم نافضًا الفكرة من رأسه.

قال لنفسه: استعد السيطرة على نفسك يا كريسويل.

وبينما كان ينزل عن دراجته ويركنها إلى جانب الدرجات الأمامية، واجه فوبي قادمة عبر الفناء مع كلبها تتبعها عن كثب. كانت ترتدي سروال ركوب

الخيول وقميصًا من القطن.

«بن!» كانت تبتسم لرؤيته. كان لا يزال يفتح وضع البطل.

قال: «مرحبًا يا فييس؟»، وسألها: «هل كنت تركيبين الخيل؟».

«لا، لا يسمح لي بابا. قال إن الأمور قد تسير بشكل ما، وسوف أعيق ذلك. الناس الذين يفحصون القبلة، كما تعلم. والواقع، أنني ساعدت غامبي في نقل أشياءها. إنها توضع في واحدة من شقق سائسي الخيول فوق الإسطبلات، والآن نحن نصل إلى السائس. إنها ليست سعيدة على الإطلاق. حسنًا، لن أكون أنا الأخرى سعيدة أيضًا لو كنت مكانها. توجد هناك مياه باردة فقط، وتنبعث منها رائحة الخيول». ركلت الحصى، ثم نظرت إلى المنزل، وقالت: «قلت إنها يجب أن تكون في غرفة نوم مارغوت لأنها من غير المحتمل أن تحتاجها، لكن بابا قال إنه يجب الحفاظ على المعايير، ومن غير المناسب أن ينام الموظفون في طابق الأسرة نفسه حتى لو كان هناك الحرب مستعرة».

ابتسم بن ابتسامة عريضة. كان قول مثل هذا الشيء أمرًا متوقعًا بالنسبة إلى شخص مثل اللورد ويسترهام. عدم الاعتراف بأنه لا يُسمح لأي شيء بالتغيير حتى حين كان العالم كله يتفكك من حوله. انحنى ليداعب الكلبين، اللذين كانا يهزان ذيليهما بشراسة. «بغض النظر عن نقلها إلى غرفة الإسطبل، كيف تشعر هذا الصباح؟».

حزكت فوبي فمها وأنفها وعينيها بطريقة غريبة لإظهار مشاعرها وقالت: «أخشى أنها لا تزال تبكي قليلاً. لقد تعرّضت بعض أشيائها للتلف لما كانت تنزل قطرات الماء من الأعلى. كتبها وأوراقها، كما تعلم. لقد كانت ثمينة بالنسبة إليها».

«هل كانت تؤلف كتابًا؟»

إنها تكتب نوعًا من الأطروحة أو البحث أو سمها ما شئت. إنها شديدة الذكاء، كما تعلم. كان عليها أن تغادر أكسفورد حين توفي والديها، وطردها أخوها من دون مال».

«الآنسة غامبل المسكينة».

«أنا أعلم. شعرت بالرعب عندما أخبرتني بذلك».

سألها بن: «هل لأطروحتها علاقة بعلم الفلك؟»

«لا أدري. ماذا؟»

«لأنني تساءلت عن سبب امتلاكها تلسكوبًا».

ابتسمت فوبي ابتسامة عريضة وقالت: «أه، أعتقد أنها تقوم بمراقبة الطيور. التلسكوب ليس كبيرًا بما يكفي لعلم الفلك. لقد تمكنت من إنقاذه، وإنقاذ القليل من كتبها. وقد وضعنا بقية كتبها وأوراقها لتجف على الطاولة في غرفة الموسيقى».

سألها: «وكل شخص آخر بخير؟»

«نعم من المؤكد. إن ماما منزعجة جدًا من بابا لأنه قام بمثل هذه المخاطر على السطح، لكنني أعتقد أنه يشعر بالرضا تجاه نفسه خصوصًا حين تم إنقاذ فارلي».

قال بن: «أتساءل مستغربًا لماذا يريد أي شخص أن يسقط قنبلة على فارلي».

نظرت فوبي إليه ورأسها مائل إلى جانب واحد مثل الطائر وقالت: «ربما كان لذلك علاقة بذلك الجاسوس الألماني».

نظر بن إليها وقد أخذه الدهول. كان من المزعج أن يكون هناك طفلة في الثانية عشرة من عمرها تردد شكوكه الخاصة بهدوء كما لو كانت تتحدث عن الطقس. سألتها: «الجاسوس الألماني؟».

«نعم أنت تعرف. الرجل الذي سقط في حقلنا. وجدته أنا وألفي، كما تعلم. ونحن نعتقد أنه لا بد من أن يكون جاسوسًا ألمانيًا».

سألها بن: «ما الذي جعلك تعتقدين ذلك؟».

«حسنًا، لقد كان يرتدي زيّ غرب كنتس، لكنهم لا يقفزون من الطائرات. لذلك اعتقدنا أنّ خطته ربما كانت في شق طريقه إلى مطار بيجين هيل والتجسس على طائراتنا، أو الذهاب إلى لندن وتفجير كنيسة ويستمنستر أو أي شيء آخر. لكن الآن حدث هذا، وتعرض منزلنا للقصف. لقد بدأت أتساءل عما إذا كان يمكن ربط الأمرين. هل هناك شخص ما أو شيء في فارلي يريد الألمان تدميره؟».

قبل أن يتمكن من الإجابة، سمع وقع خطى ونظر إلى أعلى ليرى بامبلا وليفي ينزلان على الدرجات. قالت بامبلا: «بن، كم تسعدني رؤيتك. هل تعافيت

من محنة الليلة الماضية؟".

قال بن وهو يرد بابتسامة على ابتسامتها: «أعاني من قلة النوم. جئت لأرى كيف أصبح الجميع».

«لقد نجونا جميعًا بشكل رائع. كان بابا مبتهجًا للغاية في أثناء تناول الإفطار، إلى حد أنك ستظن أن شيئًا جيدًا قد حدث بدلًا من اشتعال النيران في منزله».

قالت ليفي: «لقد شعر بالارتياح لأنه لم يحترق». والحمد لله عدنا في ذلك الوقت. لو كنا قد تباطأنا لفترة أطول قليلًا في بيت عائلة بريسكوتس، فمن كان سينقذ تشارلز الصغير؟ لا أستطيع تحمّل التفكير في الأمر».

قالت بامبلا: «يأمل المرء أن تقوم بذلك المربية». هزت ليفي رأسها بغضب: «ستكون عديمة الفائدة. رأيتها الليلة الماضية. كانت ترتعش بقوة من شدة الخوف».

قال بن: «حسنًا، كل شيء على ما يرام الآن. والخدم؟ كيف يتأقلمون مع الوضع؟».

قالت بامبلا وهي تبتسم لبن: «لا تزال روبي تبكي قليلًا، ولا يحب أي منهم فكرة الخروج إلى مخزن كبير ومهجور، لكن ذلك أفضل من المطر المتساقط عليهم. والواقع، أن شباب الجيش قاموا بمسح الأضرار بالفعل هذا الصباح، ويقولون إنهم في إمكانهم طلب الإمدادات لإصلاح السقف وهذه أخبار سارة جدًا. وعرضوا توفير غرفتين في الجزء

الخاص بهم من المنزل لخدمنا". قهقهت بامبلا، وأضافت: «رفضت ماما هذا العرض. وقالت إنها لم تكن لتضع خادمتها ينمن في أي مكان بالقرب من مجموعة من الجنود. أعتقد أنها كانت محقة تمامًا. لا يمكن الوثوق بخادمة السفارة حول الرجال، ويُمكن أن تنحرف بسهولة».

قالت ليفي: «لقد كتبت للتو إلى تيدي. كان يريد أن يسمع أن زوجته وابنه كانا في خطر لكنهما نجوا. أتمنى لو أنه لم يكن بعيدًا جدًا هكذا. لماذا لم يسمحوا لي بمرافقته إلى جزر البهاما؟ ما كنت لأعيق واجباته مع الدوق».

قالت بامبلا: «إنها حرب يا ليفي. فكّري في هؤلاء الرجال جميعًا الذين يُشحنون إلى جميع أنحاء العالم تاركين زوجاتهم وأطفالهم وراءهم. لن يكون هناك سبب لحصولك على معاملة خاصة».

قالت ليفي بقوة: «نحن أصدقاء دوق وندسور. يجب أن يعني ذلك شيئًا».

أجابت بامبلا: «ليس كثيرًا في الوقت الحالي. أود أن أقول إن دوق وندسور هو عبء أكثر من كونه سنذا».

قالت ليفي: «أعتقد أنه غومل بشكل غير عادل».

قالت بامبلا: «هذا لأنه أخذ زوجته لزيارة هتلر في عرينه؟»، ثم نظرت إلى الأعلى وانفردت أسارير وجهها بابتسامة. قالت «أنظروا من القادم». واستدار بن لرؤية سيارة الرولز الأنيقة لعائلة بريسكوتس وهي تتجه نحو الممر.

تباطأت حركة السيارة حتى توقفت بالكامل إلى جانبهم، وخرج منها جيرمي، وقال: «يا إلهي! جنت بمجرد سماعي بما حصل. لقد رأينا النار الليلة الماضية، لكننا اعتقدنا أن ذلك كان تلك الطائرة التي تحطمت في أحد الحقول. ثم هذا الصباح جاء أحد الخدم من القرية وأخبرنا بما حصل. كم كان الضرر هناك؟»

قالت ليفي: «ليست سيئة للغاية، حقًا. لقد تم تدمير جزء من السقف. وتضررت العلية. كما اشتعلت وحوش الجدة التي تعود إلى العصر الفيكتوري. أنت تعرف الطيور المحنطة والزهور المجففة والأشياء. كذلك هبط السقف في بعض غرف الخدم. لكننا كنا محظوظين للغاية بوجود الفوج كله في متناول اليد. لقد أخدموها في وقت قصير جدًا».

«وماذا عنكم جميعًا؟ أي خسائر؟»

كان ينظر إلى باميلا.

«لا، نحن بخير، شكرًا لك. على الأقل أنا بخير بفضل بن. لقد سعدت لإنقاذ مربية فوبي في البرج الشرقي، فوجدتها فاقدة وعيها وملقاة تحت السرير ولم أستطع تحريكها. كانت الغرفة تمتلأ بسرعة بالدخان، وكان السقف ينهار. لم أكن أعرف ماذا أفعل. ثم وصل بن، وكنا نخرجها حين سقطت عارضة كبيرة. لقد ألقى بن بنفسه...». - لقد كان بن متأكدًا أنها ستقول «فوقي» - لكنها صححت وقالت «لقد دفعني بعيدًا من الطريق في الوقت المناسب»

تمامًا، وقمنا معًا بإنقاذ الأنسة الأنسة غامبل إلى بر الأمان».

نظر جيرمي إلى بن مبتسمًا ابتسامة عريضة. «هذا جيد أيها الصديق. إذن أنت على حصتك من الإثارة بعد كل شيء. ربّما لم يكن من الواجب علي التقليل من شأنك».

قال بن بهدوء: «لا. يجب ألا تفعل ذلك أبدًا».

قال جيرمي: «إذن كل شيء على ما يرام هنا. جيد جدًا. أقول يا باما. هل تريدان الخروج في مشوار في السيارة؟ لقد سمح لي أخيرًا بالحصول على السيارة بذريعة الاطمئنان إليكم جميعًا».

نظرت بامبلا عبر بن.

قالت: «علي أن أذهب إلى لندن وأن أرجع إلى مقرّ عملي».

ردّ قائلاً: «أردت فقط التأكد من أنّ كل شيء كان على ما يرام هنا».

سأل جيرمي: «يفكّنهم الاستغناء عنك في العمل، أليس كذلك يا بن؟».

قالت بامبلا: «جيرمي، لا تكن مرعبًا. أنظر كيف ستشعر إذا لم يسمحوا لك مطلقًا بالطيران مرّة أخرى».

قال جيرمي: «لم أقصد ذلك».

أجاب بن: «نعم، لقد فعلت. لكنك سوف تجدني شخصًا لا يزعج بسهولة أو يسيء إليه النقد هذه الأيام. استمتعا برحلة تجول بالسيارة أنتما

الاثنيين". ذهب إلى دراجته، وبدأ في دفعها بعيدًا، ثم قرر الذهاب لرؤية الانسة غامبل في مكانها في الإسطنبول. كانت الغرفة متقشفة، على أقل تقدير. كان هناك سرير مفرد، وخزانة ذات أدراج، وبعض الخطافات على الحائط لتعليق الملابس. تم تكديس كومة عالية من الكتب حاليًا على كل سطح. كانت، كما كانت قد ذكرت فوبي، حزينه بعض الشيء.

قالت: «من الجيد أن تأتي وتزورني يا سيد كريسويل. لا يُمكنني أن أشكرك بما يكفي لإنقاذك حياتي، لكن الكثير من كتبي الثمينه كانت قد ذُمرت. حياتي كلها كانت قد أخذت مئي».

قال: «أنا أسف جدًا. ربّما سيكون الكثير منها قابلاً للإصلاح أكثر مما تعتقدين».

«لكن أوراقِي. . . كنت أمل أن أنهي رسالتي. قال أستاذي السابق في جامعة أكسفورد إنه سيطلب مئي تقديمها إلى الفاحصين. كان عليّ أن أغادر أكسفورد كما تعلم حين توفي أبي وطردني أخي من البيت من دون أن يكون عندي أي قرش باسمي».

قال: «نعم، أخبرتني فوبي. أنا أسف جدًا لما حصل لك».

أومات برأسها قائلة: «الحياة ليست عادلة دائمًا. لماذا يجب أن تُضرب فارلي بقنبلة؟».

كان بن ينظر حول الغرفة، محاولاً إعادة الموضوع إلى التلسكوب.

قال بن: «لا أرى التلسكوب الخاص بك. امل أن

تكوني قد نجحت في إنقاذه».

«نعم شكراً لك. من الصعب جداً علي أن يدمر التلسكوب. كان لوالدي. إنه من النحاس البريطاني الصلب الجيد».

سألها: «هل كنت تدرسين النجوم؟».

ضحكت وقالت: «يا إلهي، لا. إنه مجرد تلسكوب صغير. أنا أنغمس في مشاهدة الطيور قليلاً. لقد تدربت على عش الشحرور في شجرة بلوط كبيرة. كان هناك وقواق فيها. أجد هذه الطيور رائعة، ما رأيك بها أنت؟ إنها تضع بيوضها في أعشاش الطيور الأخرى، ومن ثم فإن صغيرها يكون أكبر من صغار تلك الطيور بكثير، وتدفع الكتاكيت الحقيقية إلى الخارج بحيث لا تملك الطيور السوداء المسكينة سواها من أجل الغذاء». ارتجفت وقالت: «الحياة قاسية جداً. لن أتعب نفسي بإحضار منظاري إلى هنا. لا يوجد منظر للغابات، يوجد فقط فناء الإسطبل».

وكان بن سعيداً لنجاحه في الهروب. التلسكوب والأوراق كلها تبدو معقولة تماماً. ولكن على الرغم من ذلك فإنه أخبر في أثناء إعطائه التعليمات في العمل بأن النساء مفيدات كجاسوسات جيدات. بينما كان يركب دراجته بعيداً، تذكر الأوراق التي كانت تجف في المستنبت الزجاجي. كانت الانسة غامبل مشغولة في ترتيب الأشياء في أماكنها الجديدة، لذلك كانت لديه فرصة جيدة لإلقاء نظرة خاطفة عليها. شق طريقه حول المنزل إلى

المستنبت الزجاجي على الجانب الآخر. في الأيام الخوالي، قبل الحرب، كان هناك مجموعة من البستانيين. الآن، لم يكن هناك سوى اثنين من كبار السن من الرجال يحاولون الحفاظ على الأمور. لم يكن هناك أي علامة على وجود أي منهما في أثناء اقترابه من المستنبت الزجاجي ودخوله إليه. كانت في داخله رائحة حلوة ورطبة للنباتات المتنامية. لقد لاحظ عنبًا صغيرًا على كرمة في الزاوية، ونباتات بطاطا صغيرة عليها أزهار صفراء. وهناك على الطاولة الطويلة كانت الكتب والأوراق. كان بعضها لا يزال مشبعًا بالماء وكان في فوضى عارمة لا أمل منه. وبعضها الآخر، كان الحبر قد انحل عليه. انحنى عليها في محاولة لقراءة الكتابة. ثم استجمع قواه. قرأ كلمات حروب الورود. لم يجد تاريخًا، لكن الكلمات قفزت من الصفحة. «كفاح من أجل استبدال ملك ضعيف بفرع أكثر حيوية من سلالة بلانتاجنيت. كان هناك فرعان من الخط الملكي. المعركة الأخيرة. وكانت نتيجة المعركة الأخيرة هزيمة الملكي. . .»

هل كان مجرد صدفة أنه أخذ الأرقام ١٤٦١ ليكون تاريخ خلال حروب الورود؟ أم كان من الممكن وجود بعض الرسائل الخفية هنا؟ يوجد فرعان للعائلة المالكة. هزيمة الخط الأضعف. . . الملك الذي تعثر؟ الملك الذي كان ضد هتلر؟ ربما كان هناك مؤامرة للتخلص من الملك؟ نظر إلى بقية الأوراق، لكنه لم يجد أي شيء يدينها بوضوح. ثم تساءل ما إذا كانت الانسة غامبل تعمل لصالح الجانب

الأخر، وترسل وتستقبل الرسائل باستخدام جهاز لاسلكي مخفي. في هذه الحالة، لماذا وجدوا أن من الضروري إسقاط شخص في مظلة مع صورة في جيبه؟

عاد بن إلى مقر إقامة القس، وغير ملابسه وارتدى ملابس المدينة ثم ركب الدراجة إلى المحطة. بحلول ذلك الوقت، كان الخبر قد انتشر في أرجاء القرية كافة، وكان بن قد واجه وابلًا من الأسئلة عن دوره في أحداث الليلة الماضية عندما مر بمجموعة من النساء اللواتي كن يتبادلن أطراف الحديث خارج المخبز.

خاطبته واحدة من النساء قائلة: «إذن كانت حقًا قنبلة، أليس كذلك؟ لقد تساءلنا ما إذا كان الأمر مجرد حريق منزلي عادي».

قال بن: «لا، من المؤكد أنها كانت قنبلة».

تساءلت امرأة: «لماذا يريد أي شخص أن يقصف فارلي؟».

تمت امرأة أخرى قائلة: «ربما لأنها واحدة من المنازل الفخمة. أنت تعرفين ماهية هؤلاء الشياطين. إنهم يريدون تخويفنا للاستسلام بقصف كل ما يهمننا. لكنهم مخطئون. يفكن أن ينتهي بنا المطاف بالأنقاض في كل مكان حولنا، ولن نستسلم».

نظر بن إلى وجهها المجعد والذي أكل الدهر عليه وشرب. امرأة كانت حياتها من البساطة المطلقة، والتي ربما لم تغامر قط في الماضي بالذهاب إلى

أبعد من سيفن أوكس أو تونبريدج، وحتى الآن لا تزال على استعداد للوقوف في وجه عدو قوي ضد الصعاب كافة.

فكر بن في أننا قد نفوز عليهم يوماً ما.

لقد كان يصعد دراجته مرة أخرى عندما وقفت سيارة إلى جانبه. كان مكتوباً عليها بالصباغ «بناة باكسترز» على الجانب. قام بيلى باكستر بإنزال زجاج النافذة وانحنى منه وسأل بن: «هل أنت ذاهب إلى مكان يا بن؟».

أجاب بن: «إلى المحطة. لا بد لي من تقديم تقرير للعمل».

«هيا اصعد في السيارة. سأقوم بتوصيلك».

أجاب بن قائلاً: «كل شيء على ما يرام، شكراً. أنا قادر تماماً على ركوب دراجتي إلى المحطة».

ابتسم بيلى ابتسامة عريضة وقال: «ما هذا الشيء القديم؟ يبدو أنه سيتفكك إلى أجزاء قبل أن تصل إلى المنعطف».

«استمرت ثلاثين عاماً على الأقل، لذلك أتوقع أن تستمر لفترة أطول قليلاً».

«هيا. لا تكابر. أنا ذاهب في الطريق نفسه. ماذا لو عدت وكان المطر يهطل بغزارة؟».

لقد تردد بن. بالطبع كان يفضل ركوب الشاحنة بدلاً من ركوب الدراجة القديمة إلى المحطة، لكن هذا كان بيلى باكستر.

وقال بيلى: «تعال وفكر في الأمر، يمكنني أن

أخذك مباشرة إلى سيفن أوكس، وبذلك لن تضطر إلى تغيير القطارات».

قالت إحدى النساء: «كنت لأقبل ذلك لو كنت مكانك يا بن. أترك دراجتك، وستتولى أمر إعادتها إلى مقر إقامة القس».

الآن لم يكن لديه خيار. قال وهو يهز رأسه بالموافقة للمرأة «حسنًا. شكرًا». ذهب إلى جانب الركاب وجلس إلى جانب بيلى. وانطلقا بالسيارة. سأله بن: «ما وجهتك إذن؟».

ردّ قائلاً: «أنا ذاهب إلى الخطاب على الجانب الآخر من سيفن أوكس. أعتقد أنني سأحتاج إلى التخزين بعد ما حدث في فارلي الليلة الماضية. كنت هناك، أليس كذلك؟ هل هناك الكثير من العمل ليتم إنجازه؟».

قال بن: «هل هناك الكثير من العمل الذي يجب القيام به؟ أعتقد أنّ الجيش لديه كل شيء في متناول اليد. بالنظر إلى أنه أصبح الآن موقعًا عسكريًا مؤقتًا، فقد سمعت أنهم يطلبون الإمدادات لإعادة البناء». كان ذلك يعطيه متعة حقيقية ليراقب وجه بيلى.

قال: «لكنهم ما زالوا في حاجة إلى بناء مؤهل، أليس كذلك؟ إلا إذا كانوا يخططون لاستخدام كل ما هو متاح لعمل ما هو ممكن باستخدام بعض الألواح المغطاة بالألياف لإبعاد المطر».

لم يرد بن على ذلك لكنه قال: «يبدو أنك تبلي بلاء

حسناً من الحرب».

«ليس سيئاً للغاية، يا عزيزي (old son). يجب أن تأخذ فرصك، أليس كذلك؟ عليك بالاستفادة القصوى من الأشياء».

قال بن: «من المؤسف أنه لم يُقصف المزيد من المنازل في ريف كنتس».

«لدي ما يكفي من العمل لإبقائي مستمراً طوال المدة، فلا تقلق. وبعض القطع الصغيرة اللطيفة على الجانب أيضاً».

«القطع الصغيرة اللطيفة على الجانب أيضاً؟».

«لدي حصص البنزين، كما تعلم. يجب أن أتجول لإصلاح أضرار القنابل، والحكومة اللطيفة تعطيني كوبونات إضافية. هكذا طبعاً أتمكن من نقل البضائع في مباني الشاحن وتسليمها في مباني المرسل إليه. أخبر والدك إذا كان يريد أي شيء في أي وقت من الأوقات عليه فقط أن يأتي إلي».

سأله بن: «هل تقصد السوق السوداء؟».

ابتسم بيلي ابتسامة عريضة وقال: «إنه العرض والطلب. تقديم خدمات جيدة يا عزيزي (good son). أساعد أولئك الناس الذين لديهم سلع زائدة بغية إيصالها إلى الأشخاص الذين يحتاجون إليها».

«مع فرق السعر لك في الوسط لصالحك».

أضحت الابتسامة أعرض. قال: «أنا لست شخصاً غريباً وساذجاً، كما تعلم».

هذا يستبعد بيلي باكستر كجهة اتصال ألمانية

محتملة بحسب ما كان بن يفكر. لقد كان يستفيد بشكل جيد من الحرب، وربما لا يريد لها أن تنتهي. وفي حال غزو الألمان، فسيكون هو الشخص الذي يبقى على إمدادهم بالضروريات أيضًا. كان سعيدًا حين وصلا إلى المحطة واقتربا بحرارة.

الفصل الخامس

والعشرون

في دولفين سكوير

انتظر بن في البهو وصول المصعد، محاولاً تأليف ما يريد أن يقول لماكسويل نايت في عقله. لم يكن لديه أي شيء جوهري للإبلاغ عنه، باستثناء القبلة التي سقطت على فارلي، ومنظار الأنسة غامبل، والفنانين في منزل التجفيف...؟ نزل المصعد، وفتحت الأبواب. نطق بن في اللحظات في الوقت عينه الذي قال فيه غاي هاركورت، «يا إلهي، كريسويل. يا لها من مفاجأة».

سأله بن: «ماذا تفعل هنا؟»

قال غاي: «يمكنني أن أسألك الشيء نفسه يا عزيزي. دعنا نقل فقط إننا على الجانب نفسه، أليس كذلك؟ لم أشتري قط هذا الانهيار العصبي وأضطر لأخذ إجازة». أنت لائق كما أنا. لذلك يبدو أن لدى كل منا لديه دعوة دائمة مع قائد معين في دولفينسكوير. حسناً حسناً».

«يا رب. أنت أيضاً؟»

«دعنا نقل فقط إنني سعيد بالالتزام كصبي رسول عندما يُطلب مني ذلك. أنت ستعود إلى مقر عملنا، أليس كذلك؟»

قال بن: «لست متأكداً. أنا أيضاً أدير المهفات». ثم ابتسم ابتسامة عريضة وصعد إلى المصعد المفتوح.

أخذ نفسًا عميقًا ومشى في المدخل إلى المكتب. كان ماكسويل نايت يرتدي ملابس عسكرية أنيقة هذه المرة. كان بن قد تمَّ إرشاده ليدخل استراحته الداخلية.

رفع نايت رأسه من أوراقه ناظرًا إليه وقال له: «تعال يا كريسويل. اجلس.»

قال بن: «أنا أسف يا سيدي. لم أكن أدرك أنك ضابط بالجيش. كان ينبغي لي أن أخاطبكم برتبتكم الصحيحة.»

حدَّق نايت به مرَّة أخرى وقال: «أنا لست كذلك، إذا كنت تريد حقًا أن تعرف. لكنني شعرت بأنني كنت أفعل ما يفعله أي فرد من أفراد القوات المسلَّحة لإنهاء هذه الحرب، لذلك قرَّرت أن لي الحق كله في ارتداء الزي العسكري كأني رجل. ثم ابتسم ابتسامة عريضة وبدا صبيانيًا فجأة. ثم أضاف قائلاً: «حتى إنني منحت نفسي بضع ميداليات». وأشار إلى شريط على صدره. «هذا واحد لإنقاذ الغرير. وهذا واحد لصنع مارتيني جيد بشكل مخيف». ثم عاد وجه نايت مهيبًا مرَّة أخرى. «لديك شيء لتقوله، بالفعل؟»

«لست متأكدًا يا سيدي. ضُربت فارلي بقنبلة الليلة الماضية.»

«هل كان ذلك الآن؟ هل هناك الكثير من الأضرار؟»
«لحسن الحظ، ليست الأضرار كبيرة جدًا. لقد اشتعلت النيران في العلية، وبعض الغرف في الطابق العلوي ليست صالحة للسكن في الوقت

الراهن، ولكن لا خسائر، والحمد لله. لقد ساعد شباب الجيش على إخماد النيران بسرعة، وبالطبع، المبنى كان قد تمّ بناؤه بشكل رئيسي من الحجر».

سأل نايت: «هذا كل شيء؟». قال ذلك وهو يجعد شفته فيما عدّة بن ابتسامة ساخرة.

«لقد قمت بمسح الحي ولدي قائمة هنا بأشخاص محتملين مهتمين. لكن أخشى أن لا شيء واعدًا للغاية»، وسلّم نايت ورقة.

«ابنة اللورد ويسترهام، أوليفيا، متزوجة من فيسكونت كارينجتون الذي تربطهم علاقة حميمة بدوق ويندسور وهو معه في جزر البهاما. إنها تعتقد أنّ الدوق قد غُومل بشكل غير عادل. لكنني لم أتلقُ أيّ تلميح منها أنها قد ترغب بنشاط في مساعدة الألمان. في الحقيقة، بيني وبينك، كانت تبدو لي دائمًا بأنها الأقل ذكاءً بين الفتيات. إنها تُصاب بالذعر بسهولة. لا أرى أنها تمتلك من الجرأة ما يؤهلها لتكون جاسوسة».

ابتسم نايت ابتسامة عريضة مزى أخرى وقال: «النساء يُجدن التمثيل بشكل جيد كما تعلم. لكنك عرفتها طوال حياتك، لذلك سوف أعتمد كلامك عنها». توقّف ثم سأله: «من أيضًا؟».

«لقد وضعت مربية الليدي فوبي على القائمة. إنها امرأة متعلّمة، ومن أسرة جيدة، ومن المفترض أنها تكتب أطروحتها، لكن لديها منظارًا في نافذتها بغرفة البرج. وكانت حريصة جدًا على أوراقها. تساءلت ما إذا كانت ربما تدرس الطائرات ومسارات

الطيران من مطار بيجين هيل ثم تُرسل الإشارة إلى ألمانيا بطريقة أو بأخرى".

هز رأسه موافقًا وقال: «هذا مثير للاهتمام. نعم، إنها تمامًا الشخص الذي قد يستخدمونه. إنها ساخطة وغير مرتاحة، وتشعر بأن الحياة قد خدعتها. ربّما تريد الانتقام من المؤسسة البريطانية».

قال بن: «إنها تبدو لطيفة ومخلصة بما يكفي. وتدّعي أنها تستخدم منظارها لمشاهدة الطيور».

ابتسم ماكسويل نايت وقال: «هل هي كذلك؟ ربّما يجب عليك متابعتها، وإلقاء نظرة على أوراقها. ابحث في غرفتها لمعرفة ما إذا كان هناك جهاز لاسلكي مخفي».

«لقد تفحصت أوراقها التي لم تلحق بها أضرار بسبب القصف، ويبدو أنها جميعها مرتبطة بأطروحة تاريخية تكتبها باستثناء حقيقة واحدة مثيرة للاهتمام. إنها حول حروب الورود. وكان اثنان من أكبر المعارك في تلك الحرب عام ١٤٦١. لذلك تساءلت ما إذا كان ذلك قد يكون مجرد مصادفة».

هز نايت رأسه بالموافقة وقال: «هذا مثير للاهتمام. أنا لا أؤمن بالمصادفة أصلًا. لو كنت مكانك لتابعتها عن كثب وفتشت غرفتها بشكل كامل».

«حاضر يا سيدي»، كان بن يفكر في هذه المهمة بامتعاض شديد.

«هل هناك أي شخص آخر مثير للشبهات؟»

أخذ بن نفسًا عميقًا وقال: «هناك أشخاص آخرون يبلون بلاءً حسنًا على الرغم من الحرب لذلك فهم لا يريدون نهاية سريعة للحرب. أه، لقد قابلت الليلة الماضية زوجين كانا يظهران كمؤيدين للميول المؤيدة للألمان، كما أنهما يؤيدان دوق وندسور وهما اللورد والليدي مسغروف. وهما على القائمة. لقد ورث اللورد مسغروف عقارًا وقد عاد من كندا. يبدو أنهم يمتلكون الكثير من المال وكوبونات وقود للتجول. لم يعرف أي من الجيران عنهم أي شيء على الإطلاق إلا منذ وقت قصير، ما جعلني أتساءل ما إذا كانوا ما يدعونه فعلاً، بيد أنهم يعيشون على بعد خمسة أميال أو ستة، إذن لم يتم الإنزال المظلي في حقولهم؟».

ردّ نايت: «لم لا بالفعل؟».

«بغض النظر عن هؤلاء، هناك اثنان من الفنانين واللذان كانا قد جاءا للسكن في مركز التقطير الذي تم تحويله إلى منزل للسكن. يدعي أحدهما بأنه دنماركي أما الآخر فيزعم بأنه روسي. لقد كانا يبدوان وكأنهما مهتمين بأنفسهما بشكل مفرط أكثر قليلاً من كونهم جواسيس، ولكن كان هناك شيء واحد، كان هناك قطعة من الأعمال الفنية على الحائط ادعى الروسي أنها ملكه، والواقع أنها كانت من عمل فنان آخر وهو معروف آخر».

قال نايت: «سنقوم ببعض التحقيقات. يجب على الأجانب التسجيل، لذلك يجب أن يكون الأمر سهلاً».

هل هذا كل شيء؟”.

«فقط جزّاح يهودي من فيينا، يقيم مع طبيبنا المحلي. هناك شائعات حوله لأنه يتحدث بلهجة ألمانية. لكنه كان يخبرني بالاضطهاد في النمسا. مرّة أخرى، جاء إلى هذا البلد مؤخّراً، لذا يجب أن يكون من السهل التحقق منه. أوه، وفتاة نمساوية تعمل في الأرض تخرج مع أحد الجنود. قد يكون ذلك طريقة سهلة للحصول على المعلومات».

رفع نايت نظره عن ورقته. «وماذا عن القيل والقال المحليّة؟ هل هناك أي شيء مثير جدّاً للاهتمام؟».

«يبدو أن الناس يعتقدون أنّ المظلي كان جاسوساً ألمانياً، وربّما جاء للتجنّس على مطار بيجين هيل».

«عمل رائع». طوى نايت الورقة. وسأله: «ما التالي إذن؟».

سأل بن: «أعتبر أنّ المكان في الصورة لم يتم تحديده بعد؟».

«ليس بعد».

قال بن: «إذن لدي بعض الاقتراحات. ذكرت أنّ الأرقام الموجودة في الصورة يفكّن أن تشير إلى حدث في التاريخ وحروب الورود. كانت هناك معركةتان كبيرتان، واحدة على الحدود الويلزية وواحدة في يوركشاير. تساءلت ما إذا كان ينبغي لي إلقاء نظرة على مواقع المعارك ومعرفة ما إذا كانت تشبه التضاريس في الصورة».

قال نايت: «بكل سرور. عفواً يجب علينا أن نعلمك

لما في وسعنا؟".

تردد بن وسأله: «هل يحق لي الحصول على قسائم سفر، سبب رسمي للسفر، شيء من هذا القبيل؟»
قال نايت: «من المؤكد لا. هذا المكتب غير موجود يا كريسويل. لا يترك هذا المكتب شيئاً يُمكن تقفي أثره ليدل علينا. سجل النفقات الخاصة بك، وسنقوم بدفعها لك».

وقف بن. بوضوح، كان يتم صرفه. أراد أن يسأل عن غاي هاركورت - إسقاط تلميح إلى أنه يعرف أن غاي كان أيضاً جزءاً من مجموعة نايت، لكنه اعتقد أن البروتوكول ربما تطلب ألا يدعي أحد معرفته بأي شخص آخر.

قال نايت: «أه، يا كريسول. ليس عليك أن تحدد مقداراً معيناً من الوقت لتقوم خلاله بإنجاز مهمتك. عليك الإقامة في مكان لائق. دل نفسك بوجبة جيدة لمرة واحدة».

توقف بن مؤقتاً عند المدخل، واستدار إلى نايت الذي كان يدور كرسيه ليواجه مشهداً على طول نهر التايمز.

قال: «عفواً يا سيدي، ولكن لا يُمكنني التوقف عن التساؤل ما إذا كان للقبلة علاقة بالحادث الآخر».
استدار نايت للخلف، وسأله: «هل تقصد المظلي؟ ما أفكارك حول ذلك؟».

«لست متأكداً مما أفكر فيه، ولكن عندما يتم تنفيذ عمليتين منفصلتين للعدو على بعد بضعة أمتار

بعضهما من بعض، يجب على المرء أن يتساءل ما إذا كان بينهما رابط مشترك. لذلك خطر لي أن أتساءل ما إذا كان قد تم إرسال المظلي لاغتيال شخص ما، وفشل، فتم قصف المنزل». توقف مؤقتًا عندما لم يقل نAIT شيئًا. «أنا أعلم أن هذا يبدو غريبًا بشكل سخيف، لكن...».

قال نAIT: «لا، على الإطلاق. هل تعتقد أن اللورد ويسترهام أو أي واحدة من بناته تستحق المجازفة لإرسال مظلي لقتلهما؟».

«بصراحة لا يا سيدي».

أخذ نAIT نفسًا عميقًا وقال: «أعتقد أنهم يحددون البيت كقاعدة عسكرية. كما أنه ليس صعبًا تحديد موقع عربات الجيش في الحديقة الأمامية على الزغم من تموينها. قد تكون تلك القبلة قبلة تحذيرية تفيد بأنهم يعرفون أن مقر قيادة فوج ويست كنتس تركز هناك، وأنهم سيعودون إلى ضربها مرة أخرى».

«نعم يا سيدي. هذه هي النتيجة التي توصلت إليها». واستدار من جديد للرحيل.

قال ماكسويل نAIT: «من ناحية أخرى هناك شيء يجب أن تعرفه عن عائلة اللورد ويسترهام. لا أعتقد أنه يفكن أن يكون له أي صلة بالمظلي أو القبلة. ومع ذلك... فإن الليدي مارغوت ستون قد جرى اعتقالها من قبل الشرطة السرية الألمانية في باريس».

«غير معقول!». صاح بن قبل أن يدرك كيف كان

ذلك يبدو صبيانيًا. وشعر بالألوان تختفي من وجهه.
«لقد أخذوا مارغوت؟ بسبب حبيبها الفرنسي،
أليس كذلك؟».

قال ماكسويل نايت: «هذا مُمكن، أو ربّما لأنها كانت
واحدة منّا أيضًا».

«جاسوسة؟ كانت مارغوت جاسوسة؟».

«بطريقة بسيطة للغاية. لقد ذهبت إلى السفارة
وهي كانت لا تزال تعمل، وطلبت ذلك لأنها كانت
عالقة في باريس، وقد تستطيع تقديم أي مساعدة.
تمّ تزويدها بجهاز لاسلكي سري، وكانت تقوم
بتمرير الرسائل على طول السلسلة. إذا وجدوا جهاز
اللاسلكي، فربّما يعذبونها ثم يطلقون النار عليها».

سأله بن: «هل هناك أي محاولة لإخراجها؟».

قال نايت: «يجري الترتيب لذلك بينما نتكلّم».

قال بن: «سيدي، أودّ التطوُّع لأكون جزءًا من هذه
المهمّة».

ابتسم نايت ابتسامة عريضة وقال: «أنا معجب
بإقدامك وشجاعتك وولائك وإخلاصك. لكنني
أظنّ أنه لو كانت ساقك تعمل بشكل صحيح، لكنت
تحلّق الآن في السماء بطائرة سبتفاير. هل تستطيع
أن ترى نفسك تتسلّق فوق أسطح المنازل في
باريس، متسلّقًا أنابيب الصرف التي تلمع من أعلى
المباني إلى أسفلها، وتهرب من الجنود الألمان الذين
يطلقون النار فوق كتفك وأنت تركض؟».

فتح بن فمه للتحدّث، لكن نايت استمرّ قائلاً: «ومن

أجل تلك القضية، هل يمكنك أن ترى نفسك تقتلع بهدوء حلق حارس وهو يجلس في نوبة الحراسة؟ إن الأمر يتطلب نوعًا معينًا من الشبان حتى تتمكن من القيام بمهام مثل هذه. لهذا السبب نترك الأمر للقوات الخاصة. إنهم مدربون على القيام بذلك».

«هل تعرف عائلتها أي شيء من هذا؟».

«لا، ولن نخبرهم حتى تتم المهمة على نحو مرضٍ. إذا لم يكن الأمر كذلك، فسنقرر الوقت والمكان المناسبين لإبلاغهم بذلك».

هز بن رأسه بالإيجاب، وسأله: «هل لي أن أطلب منك أن تخبرني كيف سارت المهمة؟».

«ربما. دعنا نر النتيجة». ولوح لبن مودعًا. وأضاف: «هيا تابع وانطلق لتنفيذ مهمتك».

لما كان يغادر المكتب، لاحظ أن جوان ميلر سكرتيرة ماكسويل نایت كانت ترتدي ملابس أنيقة كما لو كانت ذاهبة لتناول الطعام في سافوي: الحرير الرمادي واللؤلؤ، ولمسة من ماكياج.

قال لها: «تبدين جميلة جدًا اليوم يا أنسة ميلر».

ابتسمت وقالت: «لماذا، شكراً يا سيد كريسويل. لدي موعد مع رجال مهمين. على المرء أن يظهر بأحسن مظهر في مناسبات كهذه».

خرج بن إلى الهواء الطلق، وهز رأسه. لقد كان هناك دائمًا أليس في بلاد العجائب خصوصاً حول زيارة دولفين سكوير. لقد وجد نفسه يتساءل ما إذا كان أي من الاثنين هناك حقيقياً بالفعل. كما وجد

نفسه يتساءل أيضًا ما إذا كان لمهمته أي قيمة تذكر.

الفصل السادس

والعشرون

في بليتشلي بارك

في مساء يوم الأحد، استقلت بامبلا القطار إلى بليتشلي. وكان جيرمي قد عرض عليها أن يوصلها بالسيارة.

كان قد قام بتوصيلها إلى منزلها بعد قضاء أمسية في حانة على ضفاف نهر ميدواي. كان موقعا رومانسيًا، لكن الطعام ترك الكثير من الأشياء المرغوب فيها. كان سمك القد مثل الجلود، والملفوف المغلي تحوّل إلى كتلة رمادية. لقد ضحكا حول هذا الموضوع وقارناه بالطعام في نيزركوت. سألتها: «هل يجب أن تعودني إلى العمل؟»

«من المؤكد. لقد كان من غير المسموح به بالنسبة إليّ أن يتم إعطائي إجازة لأسبوع كامل عندما يكون عددنا مختصرًا للغاية، لكنني كنت أعاني من آثار الكثير من النوبات الليلية ولم أحصل على استراحة مناسبة في عيد الميلاد الماضي.»

«إذن سنذهب معًا. يجب أن أذهب إلى البلدة في أي حال. يجب أن أرى الأطباء المحتملين في بارتس لتأكد من أن جرح الرصاصة قد شفي بشكل جيد، وأنتي أصبحت لائقًا للخدمة.» يجب أن يكون قد لاحظ مظهر الانزعاج الواضح على وجه بامبلا. «أه، لا للعودة إلى الطيران يا عزيزتي الغالية. بقدر ما أتمنى، لا أعتقد أنه سيتم السماح لي بقيادة الطائرة

لعدة أشهر أخرى. لكنهم يقولون إنهم سيجدون شيئاً لي في وزارة الطيران. لا أستطيع أن أقول إنني أتطلع إليه. ما تقولينه أنت وبن يسمحون لكم بالقيام بالأعمال الروتينية فقط. أريد أن أكون قادرًا على رسم خطط الدورات لغارات القصف أو تفسير الصور الجوية".

ضحكت بامبلا وقالت: «أنت ستفعل! أنت تريد! ولكن يا جيرمي يجب القيام بالأشياء المملة أيضًا. إذا لم تكن الملفات مرتبة بالترتيب المثالي، ولم يكن في الإمكان العثور على جزء من المعلومات في اللحظة التي تريدها، فقد يكلف التأخير أرواحًا».

ابتسم ابتسامة عريضة ردًا على ابتسامتها وقال: «كلامك صحيح حقًا. لم أكن قط جيدًا في القيام بالأشياء العادية، أليس كذلك؟ لقد تعرّضت للضرب مرات كافية في المدرسة لفشلي في أن أنكب على العمل والدراسة. لكنني بعد ذلك تفوّقت في الامتحانات، وكان عليهم أن يسحبوا كلماتهم. كان ذلك مرضيًا تمامًا».

قالت بامبلا: «يجب ألا تضيع البنزين في طريقك إلى المدينة عندما يكون هناك قطار جيد».

«أه، لا تقلقي. يُمكن لأبي أن يكتب فعليًا كوبونات البنزين كما تعلمي. عليه أن يذهب إلى المدينة طوال الوقت».

كان لدى بامبلا رؤية مقلقة لجيرمي الذي كان مصرًا على إيصالها بالسيارة طوال الطريق إلى بليتسلي. لن يكون ذلك مفيدًا أبدًا. قالت: «أنا أقدر

توصيلي بالسيارة إلى المحطة، لكنني أعتقد أنني أفضل العودة بالقطار بعد ذلك. لدي قسيمة السفر».

«قد يظن أحدهم أنك تحاولين تجنبي».

«ليس هذا صحيحًا على الإطلاق يا جيرمي. أحب أن أكون معك. أنت تعلم ذلك. لقد قضينا وقتًا رائعًا اليوم، أليس كذلك؟ إنه فقط كذلك... حسنًا، أريد تنظيم أفكاري قبل أن أعود إلى العمل. على كل ما أعرفه، قد اضطرر للذهاب مباشرة إلى نوبة ليلية أخرى».

قال جيرمي: «لا يحق لهم جعل النساء تعمل في نوبات ليلية. أعتقد أنني سوف آتي معك وأقول لهم».

قالت: «لا، أنت لن تذهب!». وصرخت يده.

أمسك يدها، وسحبها نحوه، وقبلها بشغف، وأجبرها تدريجًا على العودة إلى مقعد سيارة الرولز. كانت تدرك بشكل فظيع وزنه فوقها، ولسانه في فمها، وركبته تجبر ساقها بالابتعاد عن بعض، ويده تتحرك مناسبة إلى الأسفل. جلست بشكل مفاجئ، دفعت يده بعيدًا وقالت: «ليس هنا يا جيرمي خارج منزل والدي. قد يرانا أي شخص».

نظر إليها لفترة طويلة وبحدة وقال لها: «لقد بدأت أتساءل يا باما ما إذا كنت لا تزالين تشعرين بأي شيء نحوي. كنت تحبينني. وأنا أعلم أنك أحببتني بالفعل. مشاعري لك لم تتغير كما تعلمين. ولا يفكني الامتناع عن الاعتراف بأنني أريدك. احتاج إليك حاجة ماسة ولكن في كل مرة اقترب فيها

منك، تدفعيني بعيدًا».

قالت له: «لا أقصد ذلك. وأؤكد لك أنني ما زلت أحبك. كنت أحلم بك كل يوم حين كنت بعيدًا. كنت أذهب إلى النوم وصورتك تحت وسادتي. وأنا أريدك أن تمارس الحب معي. إنه فقط...». لقد أطلقت ضحكة صغيرة محرجة. وأضافت: «أنا عذراء في الحادية والعشرين من عمري، وأنا مترددة في اتخاذ هذه الخطوة التالية، على ما أفترض».

ضحك الآن وقال: «إذن يتعين علينا القيام بشيء حيال هذا، أليس كذلك؟ لن أجعلك تتسرعين. سوف أتأكد أن الوقت والمكان مناسبان. لدينا شقة لندن مريحة جدًا وخاصة جدًا. لا عائلة للتجسس علينا. سوف أتحرّك في نهاية الأسبوع. سوف تأتي لزيارتي، أليس كذلك؟».

قالت: «لا أعرف متى سأحصل على مزيد من الإجازات. لكنني سوف آتي».

«يمكننا أن نبدأ بحفلة الانتقال. ظننت أنني قد أقيمها الأربعاء المقبل. سوف يساعد ذلك على تمكيني من الحصول على الاستقرار. هل لديك أمسيات غير مشغولة بالعمل؟».

«هذا يعتمد على النوبة التي أعمل فيها».

قطب حاجبيه وقال: «من المؤكد أنه يمكنك مبادلة نوبة ليلة واحدة. ليس عليك العمل سبعة أيام في الأسبوع، أليس كذلك؟».

«لا، بالطبع لا».

«ويمكنك الوصول إلى المدينة بالقطار؟»

«نعم وبسهولة».

أخذ يدها في يده، وراح يلعب بأصابعها، وقال لها: «إذن دعينا نحدد يوم الأربعاء القادم موعدًا للحفلة. لم أقم أي حفلة لائقة منذ سنوات. يمكنك دعوة أصدقائك إذا أردت. أراهن على أن لدى الرجل العجوز بعض الخمرة الجيدة مخبأة بعيدًا في الشقة. سنساعده على شربها في حال غزو الألمان ومصادرتها».

كانت باميلًا جالسة بشكل مستقيم في السيارة ترغب في تقويم تئورتها. سألته: «هل تعتقد أنهم سيقومون بغزونا؟».

قال: «أعتقد أن الغزو أمر لا مفر منه. أنظري كيف غزوا بسهولة فرنسا وبلجيكا والدنمارك والنرويج. ما الذي نملكه نحن خلافًا لتلك الدول؟».

قالت: «لم نتعرض للغزو منذ عام ١٠٦٦. لقد غزا نابليون تلك البلدان كلها، لكنه لم يستطع أن يغزو بريطانيا».

رَبَّت على ركبته قائلاً: «هذه هي الروح المعنوية العالية. سنقاتلهم على الشواطئ، وسنقاتلهم في الحانات والمراحيض العامة...».

«جيرمي، لا تسخر. لقد كان خطابًا رائعًا. إن السيد تشرشل خطيب رائع».

«أسف. نعم أعلم أنه كذلك. ولكن مع كل روح القتال والفخر في العالم، ليس لدينا الأسلحة التي

نواجه بها الجيش الألماني أو الفيرماخت. إذا قررت أميركا إقراضنا، فقد يكون الأمر مختلفًا. لكنهم يفتقرون إلى الحسم أو قد يبقون في حالة من الحياد أو التردد في الاختيار أو عدم اتخاذ القرار لعدة لسنوات".

ارتجفت بامبلا وقالت: «دعنا من هذا الأمر. أنت في أمان في المنزل، وهذا هو المهم».

«هل ستأتين إلى حفلي؟»

«أعدك بأن أبذل قصارى جهدي».

تفحصت بامبلا وناقشت وفكرت بعناية فائقة في المحادثة وقلبتها في رأسها ذات اليمين وذات الشمال بينما كان القطار ينقلها من لندن إلى بليتشلي. حفلة. من شأنها أن تكون آمنة بما فيه الكفاية. السلامة في الأرقام. ثم أدركت أنه في وقت ما كان عليها أن تتصالح مع علاقتها بجيرمي. أراد أن يجعلها شريكته في ممارسة الحب. لقد ظنت دائمًا أنها تريد ذلك أيضًا. لكن رؤيتها شملت الزواج، بيد أن رؤيته هو لم تبتذ كذلك. لقد سمعت الكثير من الشائعات عن الفتيات اللاتي انتهى بهن المطاف بالطريقة العائلية. فتيات تم شحنهن إلى البلاد ولم يتحدث أحد عن الطفل مرة أخرى.

فكرت في سرها لكن جيرمي سينتزوجني في حال حصول ذلك. أضافت وهي تخاطب نفسها بالطبع سيفعل. بالإضافة إلى ذلك يعرف جيرمي عن أمور كهذه.

كانت تشعر بتحسن أفضل لها وصلت إلى بليتشلي

وأدركت أنها كانت قلقة للعودة إلى العمل. كانت تريكسي مستلقية على سريرها حين عادت بأميلا إلى السكن. كانت تقوم بإدخال ساقتها في بلطف في جوار بحريّة. رفعت نظرها وابتسمت.

«أه، لقد عدت. انتظري دقيقة واحدة فقط، فأنا أحاول القيام بذلك من دون خسارة زوج جواربي الجيد. الله يعلم ماذا سأفعل بعد ذلك. أفترض اللجوء إلى رسم خط خلف ساقي بقلم رصاص مثل أي شخص آخر». بعدها قامت بشد الجورب بلطف للأعلى وقامت بتأمينه باستخدام حمالة. سألت: «هل أمضيت وقتًا ممتعًا؟».

«نعم شكرًا لك. بغض النظر عن تعرّض منزلنا للقصف».

«هل تعرّض منزلكم للقصف؟ غير معقول! يا للفضاعة! هل تمّ تدميره؟».

«لا، شكرًا لله. لحق بالمنزل أضرار بسيطة جدًا فقط. إنّ فوج غرب كينت يحيط بنا، وكانت هذه حالة من حالات الطوارئ التي تكاتف فيها الجميع للإنقاذ. لقد أخمدوا الحريق قبل أن ينتشر».

ابتسمت تريكسي ابتسامة عريضة وقالت: «يجب أن أتى حقًا لزيارتك مع كل هؤلاء الجنود اللطفاء في المبنى. بالحديث عن الرجال اللذيذين، هل رأيت جيرمي بريسكوت اللذيذ؟».

«نعم، رأيت».

«وكيف هو؟ هل تعافى - تعثرت بالكلام - هل

تعافى بشكل الكامل؟".

«لا يزال شاحبًا ونحيلًا، لكنه يمضي قدمًا بشكل جيد على الطريق إلى الشفاء، الحمد لله. إنه يشبه إلى حد بعيد الشاعر الرومانسي، كما تعلمين، هو مثل كيتس على فراش الموت. لكنه يتعافى بسرعة». ومضت بعقلها صورة لجيرمي في السيارة وهو يحاول أن إجبارها على ممارسة الجنس معه فقالت: «نعم، إنه يتعافى بشكل ملحوظ».

«هل كان لديك وقت يحدث فيه كل شيء في اللحظة المناسبة بالضبط؟ اعترفي بكل شيء. أخبري العمة تريكسي».

قالت بامبلا: «كنا مع العائلة في معظم الوقت. خرجنا لتناول العشاء في الحانة، ثم أوصلني إلى المنزل».

قالت تريكسي: «يا الله، أتذكر العودة معه إلى المنزل في سيارة أجرة مرة واحدة في حفلة المبتدئين في ظهوري لأول مرة في المجتمع. عزيزتي، لم يكن لدي أي فكرة عن أنه يمكنك القيام بهذا النوع من الأشياء في مؤخرة سيارة أجرة. لم يذكر أحد أنه كان آمنًا في سيارات الأجرة».

تساءلت بامبلا «ماذا؟».

«ليس آمنًا في سيارات الأجرة، حبيبتي. كان رمزًا شائعًا بين المبتدئات. هل كبرت في دير للراهبات؟».

«لا، لكن فارلي كانت سيئة مثل هذا تقريبًا. وكان والداي يتسمان بالفرع الشديد، ولم أكن أعرف شيئًا

حتى ذهبت إلى المدرسة النهائية في سويسرا».

«ولأنني متأكد من أنك تعلمت أكثر من كيفية التعامل اللطيف مع حفلات العشاء وحسن الضيافة». ابتسمت ابتسامة معرفة: «أنا أعلم أنني فعلت. عزيزتي، إنَّ مدربي التزلج مكتملو الرجولة تمامًا»، وتظاهرت بالإعجاب بنفسها. ضحكت باميليا بشيء من العصبية.

«إذن هل طرح جيرمي القضية بالفعل؟ أم هل كان لديك بالفعل تفهم للأمر، حيث اعتادوا أن يقولوا ذلك بطريقة غريبة؟».

شعرت باميليا نفسها تحمر من الخجل. قالت: «يعتقد جيرمي أنه لا يفكن للمرء التفكير في الزواج حتى تنتهي هذه الحرب البشعة».

وقالت تريكسي: «هذا صحيح تمامًا. ومن يريد الزواج عندما تكون الملابس على حصص إعاشة؟ لن تربني أتزوج بثياب رثة من قطعتين. أريد القطار الذي يبلغ طوله اثني عشر قدمًا، والحجاب، وأمتار من الحرير المجيد لجهاز العروس ناهيك عن الحلوى الشهية (trousseau)».

سألت باميليا: «أنت سترتدي اللون الأبيض إذن»، ثم رفعت حاجبيها جاعلة تريكسي تقهقه.

قالت: «عزيزتي، إذا كانت العرائس الوحيدات اللاني يرتدين الأبيض عذارى، فلا يكاد يكون هناك سوى عدد قليل جدًا من حفلات الزفاف البيضاء». بينما كانت تتحدث، كانت تسحب الفردة الثانية من الجورب. ثم وقفت ودرست النتيجة وهي تنظر في

المرأة وأومات برأسها تعبيرًا عن الرضى.

سألت بامبلا: «هل ستذهبين إلى مكان لطيف؟».

«على الاغلب لا. لقد دعاني شاب من الكوخ السادس في الحفل الليلة الماضية إلى السينما. إنه جاد وعقلاني بعض الشيء بالنسبة إلى ذوقي، ولكن من هو الذي ليس في مكب النفايات هذا؟ لا أحد يأتي بالضبط هنا للاستمتاع، أليس كذلك؟ لذلك اعتقدت أن السينما ستكون أفضل من البقاء في المنزل وأكل فطيرة الكوخ التي تعدها السيدة إنتويستل. وبالمناسبة، كان الطعام كريهاً للغاية هذا الأسبوع. الملفوف المسلوق، والبطاطا المهروسة، وشريحة من البطاطا المقلية ثلاث ليال على التوالي. كنت أفكر فيك وأنت تأكلين طعامًا حقيقيًا. هل تناولت بعض الوجبات الجيدة؟».

قالت بامبلا: «الواقع فعلت. كانت هناك وجبة خاصة في منزل عائلة بريسكوتس. شملت الوجبة المحار ولحم الخنزير المشوي وموسيه الشوكولاتة. وجميع الخمور المناسبة. اعتقدت أنني سأموت من السعادة».

«كيف تمكّنوا من الحصول على هذا كله؟».

«من السوق السوداء، كما تبدو. يبدو أن للسير علاقات في كل مكان».

«إذن من الأفضل لك إجبار جيرمي على الزواج منك قبل أن تخطفه فتاة أخرى إذا كنت تريدين حياة مترفة لبقية حياتك». لقد وضعت طبقة سميكة من أحمر الشفاه على شفثيها. «إذن متى

سترينه مرة أخرى كما تعتقدين؟ إن المسافة بعيدة نوعًا ما للنزول في يوم عطلة على عجل، أليس كذلك؟”

قالت بامبلا: «حسنًا، سينتقل إلى شقة والديه في لندن هذا الأسبوع. وسيبدأ العمل في وزارة الطيران. أه، إنه يخطط لحفلة بعد أسبوع بدءًا من يوم الأربعاء - نوع من التعريف بالمنزل الجديد. أنا فقط أمل ألا أكون في الخدمة الليلية. ربّما يفكّني تبادل النوبات.”

«حفلة؟ يا للروعة. هل يفكّني القدوم؟”

تردّدت بامبلا ولا سيما أنّها كانت متأكّدة أنّ تريكسي حريصة كلّ الحرص على أن تضع يديها مرة أخرى على جيرمي وهذا أمر لا يعترضه الشك. لكنّها لم ترّ أي سبب للرفض، فقالت: «نعم، نعم، بالطبع. ليتنا نستطيع فقط الحصول على أمسية بلا التزامات في العمل. لقد أخبرت جيرمي بأنني ربّما أوصل العمل في نوبة الليل، وقد يكون من الصعب الحصول على إجازة».

قالت تريكسي: «ربّما لا. لقد تمّ تسليمي مذكرة من القائد ترافيس يوم الجمعة. إنه يريد منك مراجعة مكتبه مباشرة بمجرد عودتك».

قالت بامبلا: «غير معقول! أمل ألا يكون هذا توبيخًا».

تساءلت تريكسي: «ولماذا قد يوبّخك. أنت لم تقومي بارتكاب أيّ خلل قد يفسد السجل المهني، أليس كذلك؟ فأنت لم تسربي أسرار الدولة؟ ولم

تحدثني عن وظيفتك هنا، لا قدر الله؟».

«لا بالطبع لا. على الرغم من أن ذلك كان صعبًا نوعًا ما في المنزل. إنهم يعتقدون جميعًا أنني أقوم ببعض الوظائف المكتبية المملة في وزارة مجهولة الهوية، ولا يُمكنني أن أخبرهم أن ما نقوم به كان مهمًا حقًا».

سألت تريكسي: «هل هو كذلك فعلاً؟ في بعض الأحيان أتساءل. كل ما أقوم به هو وظيفة مكتب مملة في وزارة مجهولي الهوية، لكنني أعتقد أن وظيفتك يجب أن تكون أكثر إثارة من وظيفتي».

قالت بامبلا على عجل: «ليست مثيرة، لكنني على الأقل أعرف أنني ترس صغير في سلسلة طويلة تحدث فرقًا، وهذا كل ما يهم».

قالت تريكسي وهي تضحك: «هل هذا هو المكان الذي أقف فيه وألوح بالعلم وأغني الأغنية الوطنية البريطانية (حكم بريطانيا)؟».

دفعتها بامبلا دفعة ودية وبخشونة وقالت لها: «أسكتي وازهبي إلى السينما. أفترض أنه من الأفضل أن أذهب إلى الطابق السفلي وأواجه البطاطا المقلية للسيدة انتويستل».

الفصل السابع

والعشرون

في بليتشلي بارك

في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، أوقفت بامبلا دراجتها خارج المنزل الكبير، وتوجهت إلى الباب الأمامي المهيّب. كان يومًا رائعًا. كانت أشعة الشمس تتألق من البحيرة حيث كانت البجعات تسبح. كانت الحمامات ترفرف وتحلق في السماء. وكانت رائحة الهواء تعبق برائحة الورود وزهر العسل. لقد كان هذا اليوم من الأيام المناسبة لأخذ نزهة إلى ضفة النهر. ذهبت أفكار بامبلا إلى أيام الصيف البطيئة في فارلي قبل أن تعيدها بقوة إلى الوقت الحاضر، ودخلت كآبة القاعة الأمامية. لم يكن في إمكانها التفكير فيما قد تكون قد ارتكبت خطأ، باستثناء الإغماء. ربّما كانت على وشك أن يتم إخبارها بأنّها ليست على مستوى المهمة هنا وسيتم إرسالها إلى المنزل في حالة من العار. لكنّها لم تكن أوّل شخص أغمي عليه أو كان يعاني من انهيار عصبي في أثناء عمله هنا. لكنّ هناك أشخاصًا آخرين كانت تعرفهم وكانت تعلم أنهم كانوا يعانون من الساعات الطويلة والظروف الكئيبة والضغط المستمر.

خرجت موظفة الاستقبال من غرفتها حين سمعت وقع أقدام بامبلا على الأرضية المبلّطة.

قالت لها: «اه، يا ليدي بامبلا. اصعدي إلى الأعلى.

سأتصل هاتفياً بالقائد ترافيس وأخبره بأنك قادمة». كانت تبدو مشرقة ومبتهجة، وهذا أمر مشجع، ولكن ربّما كان موظفو الاستقبال يعرفون تفاصيل قليلة عن الزوار. صعدت الدرج الخشبي المزخرف وطرقت على باب القائد.

قال بطريق مرحة: «ليدي بامبلا تفضلي بالجلوس. هل قضيت أسبوعًا جيدًا في المنزل؟».

جلست بامبلا على كرسي مستقيم، مقابل مكتب القائد المصنوع من خشب الماهوغني. «لقد فعلت، شكراً لك يا سيدي. النوم لبضع ليال والطعام الجيد، والآن أنا لائقة تمامًا وبصحة جيدة».

قال: «هذا رائع. أريدك أن تكوني على استعداد لمواجهة أي احتمال. أنا أكلفك بمهمة جديدة. إنها خارجة على المألوف قليلاً، حتى بالنسبة إلى بليتشلي، ويجب ألا يعرف أحد غيرك بها. هل تفهمين؟ أعلم أنك معتادة السرية الآن، ولكن في هذه الحالة، السرية مهمة بشكل خاص».

قالت: «أفهم يا سيدي».

انحنى إلى الأمام في مقعده. «ماذا تعرفين عن هيئة الإذاعة البريطانية الجديدة؟».

«أليست محطة إذاعية تبث من ألمانيا، بزعم أنها بريطانية وتبث أخبارًا وهمية؟».

هز بإصبعه مؤكّداً هذه النقطة وقال: «بدقة متناهية. لقد ضمنت لوضع الخوف واليأس في قلوب الشعب البريطاني، ولتخطيم إرادته في

القتال، والترحيب بالألمان عندما يغزونهم».

قالت: «لا أعتقد أن الكثير من البريطانيين مأخوذون بها يا سيدي».

«ستشعرين بالدهشة عندما تعلمين أن بعض الناس يصدقون أي شيء يقوله الراديو لهم. إنهم جميعًا غير متطوّرين مثلنا. ولكن هذا خارج على الموضوع. ربّما تكونين قد سمعت أن هناك كتاب العمود الخامس أو الطابور الخامس يعمل داخل بريطانيا. ليسوا بالضرورة من الأجانب، لكنّ رجالًا ونساء إنكليز ممن يتعاطفون مع ألمانيا لأسباب خاصة بهم ويرغبون في مساعدة هير هتلر بأيّ طريقة متاحة».

قالت باميللا: «هذا غير ممكن يا سيدي؟ أقصد يسمع المرء عن كتاب العمود الخامس، لكنه يفكر دائمًا وبالطبع في المهاجرين الروس المشكوك فيهم، وبالطبع فاشيو أوزوالد موسلي(36)».

قال لها: «ستندهشين لمعرفة عدد الناس الذين سيرحبون بالغزو. حتى الناس الذين أنا وأنت نعرفهم، والواقع، أننا نعتقد أن هناك مؤامرة تمضي قُدّمًا في هذه اللحظة بالذات. لسنا متأكّدين من ماهية الأمر، لكننا نشك في أنها قد تهدف إلى الإطاحة بالعائلة المالكة وإعادة دوق وندسور إلى السلطة بدلًا منها. نحن نعلم أن لديه تعاطفًا قويًا مع ألمانيا. لقد أثبت ذلك بالفعل».

صرخت: «يا إلهي، سيكون هذا فظيعة، مدرّكة أنها بدت كما لو كانت تلميذة في المدرسة».

قال القائد ترافيس: «هذا هو المكان الذي تؤذين دورك فيه يا ليدي بامبلا. لقد تلقيت تقارير جيدة عنك من قادة فريقك. وسريعة وتكتشفين الأشياء بشكل مفاجئ وبسرعة عندما لا يكون من السهل رؤيتها أو ملاحظتها. وتفكرين بطريقة أصلية أو إبداعية. لذلك هذه هي مهمتك. لدينا محطة استقبال إذاعية قريبة حيث تستمع العاملات في سلاح الجو الملكي للمرأة إلى جميع برامج بث الإذاعية الألمانية وتنسخها. وستلقين نسخة يومية من محطة الإذاعة البريطانية الجديدة هذه، وستكون مهمتك تحديد أي شيء قد يكون رسالة مشفرة موجهة إلى النفوس المتعاطفة. أو قد تكون عبارة متكررة تعلن أن الجمل التالية ستكون رسالة. لا أستطيع أن أخبرك عن الأشياء التي تبحثين عنها، لأنني لا أعرفها. لكنك حادة الذكاء. أعتقد أنني على صواب لتكليفك بهذا العمل».

«هل سأستمر في العمل في كوشي القديم يا سيدي؟».

«لا بالطبع لا. كما قلت، هذا فقط بيننا. لا أحد يجب أن يعرف بهذا الأمر. ومن المفكن أن يكون هناك متعاطفون هنا، في بليتشلي».

«هل يعقل هذا؟».

«لا يفكن للمرء أن يكون سادجا يا ليدي بامبلا. إن المخابرات العسكرية الألمانية - الأبوووير - ليست غبية. ستحاول التسل إلى المتعاطفين معهم أينما استطاعوا. لذلك ترين الحاجة إلى السرية الكاملة».

«بالطبع من المؤكد. ولكن ماذا أقول للشباب التي كنت أعمل معها إذا قابلتهم في الكافتيريا؟ ماذا عن زميلتي في الغرفة؟».

«أخبريهم بأنك قد تفت أعارتك لمهمة خاصة مع القائد ترافيس لأنه يقول إنه يحب أن يرى وجهها جميلًا يقوم بالأرشفة».

كان عليها أن تضحك على هذا. «إذن، سأعمل هنا؟».

«نعم. أقوم بتوفير غرفة في الطابق العلوي. أنت مسؤولة أمامي فقط. هل تفهمين؟».

قالت: «نعم سيدي. أمل أن أتمكن من الارتقاء إلى مستوى توقعاتك. سأعمل لوحدي، إذن؟».

«لا، سيكون لديك زميل واحد يعمل معك. شاب ذكي جدًا سيتحقق من عمليات البث الألمانية الأخرى بحثًا عن رسائل مشفرة محتملة. أمل أن تساعدنا بعضكما بعضًا في اكتشاف الرسائل التي يمكن أن تكون مشفرة بين الرسائل غير الضارة، ومن ثم فك هذه الرموز».

لما لم تقل بامبلا شيئًا، أضاف: «لدي ثقة كاملة بك. أعتقد أنك الشخص المناسب لهذه المهمة».

سألت: «متى تريدني أن أبدأ؟».

ابتسم، وجعل وجهه الصارم المتجهم يبدو إنسانيًا بشكل إيجابي لثانية واحدة. ثم قال: «ينبغي القيام بهذا العمل الآن يا ليدي بامبلا وليس في وقت لاحق».

غادرت بامبلا مكتبه وصعدت رحلة أخرى من السلام إلى الغرفة المخصصة في الطابق العلوي. وكان هذا بوضوح مكان إقامة الخادم. لم يكن المدخل مغطى بالأواح خشبية، وكان يعطي شعورًا بأنه كان مهجورًا بحيث كان مغطى بالغبار وخانقًا. فتحت الباب، ثم لهثت لهثة خفيفة بسبب حركة كانت على يمينها. قفز زميل طويل القامة من الطاولة التي كان يجلس عليها.

قالت بامبلا وهي تضحك الآن: «غير معقول! لقد أخفتني. لم أكن أتوقع أن يكون أحد هنا. يجب أن تكون شريك في الجريمة».

جاء حول الطاولة، وهو يمد يده لها قائلاً: «فروغي بريسويت. وأنت الليدي بامبلا ستون».

قالت: «صحيح. أنا لا أظن أن اسمك فروغي».

قال: «على كبار الضباط، يجب أن أكون مسؤولاً أمام ريجنالد. ولكن أطلق علي اسم فروغي في وينشستر، وقد التصق بي. قد التقينا من قبل لكنك لا تتذكرين ذلك. أعتقد أنني رقصت معك في واحدة من حفلات المبتدئين خلال موسمك. ربما لا يزال عليك آثار كدمات تثبت ذلك».

قالت له: «اعتقدت أنك تبدو مألوفًا. وأنا متأكدة أنك لم تكن الشريك الوحيد الذي داس على أصابع قدمي خلال هذا الموسم. يعطون الفتيات دروس الرقص لكنهم لا يفكرن في فعل الشيء نفسه لشريكاتهم. ولدى الحديث عن ذلك، أنا سعيدة للغاية لأننا سنعمل معًا. هذا الأمر برمته يبدو مخيفًا للغاية،

ولم أكن أرغب في معالجته بمفردي".

قال: «لا بد من أن تكوني ذكية حقًا، لولا ذلك ما كانوا ليطلبوا قط من امرأة القيام بذلك. في حال عدم ملاحظتك ذلك، فإن الرجال يحصلون على جميع الوظائف المرغوبة هنا، والمرأة عالقة بالأشياء الكتابية، على الرغم من أنها غالبًا ما تكون مؤهلة بشكل أفضل».

قالت بامبلا: «كنت من المحظوظين. كنت أعمل شيئًا مثيرًا للاهتمام. ولكن ليس كسر الرمز الفعلي. ليس لدي أي فكرة عن كيفية البدء في القيام بذلك. يجب أن تعلمني».

أشار إلى المطبوعات على الطاولة. وقال: «تم إرسال الدفعة الأولى من النصوص من المحطة واي. دعينا نلق نظرة معًا، وقد أكون قادرًا على عرض ما قد نبحثين عنه».

وقفنا معًا على الطاولة. فحصت عينا بامبلا الصفحة الأولى.

الأصدقاء الأعزاء في بريطانيا. نأسف لأن حكومتكم الخرقاء تجعلكم تعانون بلا مبرد سيمضي الغزو قديمًا كما هو مخطط له وليس هناك ما يمكنكم فعله لوقف القوات المسلحة الموحدة لألمانيا النازية. لكن أولئك الذين يساعدوننا، والذين يرحبون بنا، سيجدون أنه سيكون هناك انتقال سلس، وستعود الحياة بسرعة إلى طبيعتها. وستضاء الأنوار مرة أخرى، وستفتح الجانات ودور السينما من جديد. كما سيكون هناك الكثير من

الطعام مزة أخرى..

صاحت باميليا: «ما هذا الكلام السخيف»، ما جعل فروغي يضحك ضحكة مكتومة. ثم سألت: «من المؤكد أنه لا أحد يستطيع أن يصدق هذا، أليس كذلك؟».

فأجابها مشيرًا إلى أسفل الصفحة قائلاً: «ستصابين بالذهول خصوصاً عندما تسمعين أخباراً مثل هذه».

يقوم بنك إنكلترا بإدانة عملية احتيال ضخمة على الشعب البريطاني، والواقع أن الجنيه لم يُعد له قيمة، والحكومة تطع...

تابعا القراءة. تقارير عن عدد السفن البريطانية التي تم إغراقها. سفن الشحن التي لن تصل أبداً إلى الشواطئ البريطانية مع الإمدادات الغذائية. ستواجه بريطانيا قريباً المجاعة. في حين أن هناك مخزناً سرياً للغذاء في الأقبية تحت وايتهاول، بحيث لا يزال أعضاء الحكومة والقائمون على السلطة يأكلون جيّداً، وعلى العامل العادي أن يعيش على الخبز المصنوع من نشارة الخشب.

بعد نشرات الأخبار الكئيبة والمضلة، ظهرت رسائل مقصودة من جنود بريطانيين محتجزين في معسكرات الاعتقال الألمانية.

من الرقيب جيمي بولتون من سلاح الجو الملكي البريطاني هورنشورس، والآن هو سجين في معسكرات الاعتقال الألمانية رقم ستة عشر إلى زوجته ميني: «لا تقلقي علي يا فتاتي المسنة. أنا

بصحة جيدة وأتغذى جيدًا وتتم رعايتي هنا. كوني شجاعة ولا تستسلمي وسأعود إلى المنزل قريبًا".
تمتم فروغي قائلاً: «لن أحبس أنفاسي لو كنت زوجته».

هزت بامبلا رأسها وقالت: «كل ذلك غادر ومحبط للغاية، لكنني لا أرى أي شيء يبدو وكأنه رسالة مشفرة. لا يوجد شيء مثل (القنفذ يخرج في منتصف الليل) الذي كنت أتوقعه».

ضحك وقال: «إن الألمان متطورون جدًا فيما يخص شيفراتهم. دعينا نر إذا كانت الأحرف في أي ترتيب كان تعطي أي كلمات مفيدة».

لقد فعلا ذلك وقاما برسم فراغات على ورقة. قاما بتجربة كلمات متسلسلة بعضها مع بعض - الجملة الثانية من كل نشرة إخبارية - أسماء العلم للسجناء المعنيين.

قالت بامبلا مقترحة: «أعتقد أن كلمة «بولتون» تشير إلى مكان».

هز فروغي رأسه قائلاً: «أما بالنسبة إلى الاسمين «سمز» و«جونسون» فإنهما لا يشيران إلى أماكنهما، أليس كذلك؟ يجب أن أقول إنه لم يثر انتباهي أي شيء حتى الآن. لا توجد كلمات ولا عبارات متكررة. يجب علينا أن نقرأ نسخ نشرات لعدة أيام لتحديد ما إذا كان هناك عبارات يتم تكرارها في الوقت عينه في كل يوم من الأيام».

لقد شعرت بامبلا في نهاية اليوم الأول أنهم كانوا

قد بالغوا في تقدير إمكاناتها، وأنه خلال وقت قصير سيظهر تقصيرها وستجري إعادتها إلى وحدتها في حالة من الخزي والعار.

كانت تريكسي تنتظرها حين عادت إلى البيت. سألتها: «ما الأمر؟ هيا أخبريني. هل عاقبك القائد ترافس؟»

ردت بامبلا عليها قائلة: «لا، لا شيء من هذا القبيل. كان الأمر يتعلق بنقلي إلى قسم جديد. إن عددنا كبير جدًا حيث كنت أعمل وكانوا يحتاجون إلى مساعدة أكبر في الأعمال المكتبية في المنزل الكبير. وبحسب تعبير القائد ترافيس، يحتاج إلى رؤية وجه جميل في جواره».

هزت تريكسي رأسها قائلة: «الرجال! ألن يكون مضحكًا لو قالت امرأة وطفوا لي شابًا لأنني أريد أن أرى عضلات بارزة في جواربي».

ضحكت بامبلا وقالت: «أنا متأكدة أن بعض النساء في موقع المسؤولية يفكرن بهذه الطريقة. ولكن يجب أن أقول إنني سعيدة للخروج من الكوخ. فإذا عملت الشخصيات القوية المهمة في المنزل الرئيسي عملها، يمكنك المراهنة على أنه ستتم تدفنته بشكل صحيح في فصل الشتاء. كما أنني قريبة بما فيه الكفاية من الكافتيريا لأصل إليها بسرعة في أثناء فترات الراحة الخاصة بي».

قالت تريكسي: «لكك ما زلت تفعلين الأشياء المملة مثلي. متى يدركون أننا نحن النساء كفاءات ويفكنا بسهولة أن نتعامل مع كسر الشيفرات مثل

الرجال؟».

قالت بامبلا: «فقط إذا ياسوا على ما اعتقد». والواقع، أن هناك بعض الشباب الأذكىاء حقًا، لذلك أنا أفهم. وفيما يتعلق بمسابقات القيمة المطلقة أو المعامل الحقيقي لم أكن سيئة في الرياضيات، ولكن لم يكن هناك أي طريقة في أي وقت مضى ليكون لدي أحلام يقظة عن أي طرائق جديدة لحل مشاكل الجبر، ولدي أرقام ترقص في رأسي مثل بعض هؤلاء الشباب».

قالت تريكسي: «بعض منهم نصف مجنون، إذا سألتني عنه. هذا الشاب الذي أخذني إلى السينما. كان يطلق ضجة غريبة في الجزء الخلفي من حلقه واستمر في هز قدمه بعصبية بشكل دائم على الأرض، ولم يفعل أي شيء قط باستثناء وضع ذراعه حول كتفي. نحن من المرجح الأشخاص الطبيعيين الوحيديين هنا».

كانت بامبلا على وشك أن تقول إنها كانت تعمل مع الشاب الذي رقصت معه في حفلات المبتدئات، لكنها بعد ذلك تذكرت أنه حتى هذه الأمور البسيطة يجب أن تظل سرية.

سمع صوت الغونغ. قالت: «أفترض أننا من الأفضل أن نذهب ونتناول العشاء. نهيأ لي أنني شممت رائحة غليان سمك».

قالت تريكسي: «أه، لا، ليس سمكها المسلوق المخيف. على الأقل لا تستطيع تجاهل البطاطا المقلية. هل تعتقدين أننا من الممكن أن نتجرا على

التسلل والذهاب لتناول لفات السجق ونصف مكيال في الحانة؟".

«ماذا، ونتحمّل غضبها وليقدّم إلينا بعد ذلك أسوأ جزء مطاطي غير صالح للأكل من اللحوم المطهّوة إلى الأبد؟ هل لاحظت أنها تعطي دائقا هذا الرجل المخيف، السيد كامبيون، أفضل القطع؟».

«بالطبع لاحظت. إنها تتوق إليه. ولكن لسوء الحظ، إنه لا يتوق إليها. أعني، يا حبيبتني، من سيرغب فيها؟». ثم ضحكت ضحكة مشرقة. ثم أصبحت جدية مرة أخرى. «يجب أن يكون هناك مكان للسكن أفضل في مكان قريب. كنت أسأل عائلتي ما إذا كان لدينا أي اتصالات هنا، ولكن لا يمكنني الكشف عن مكاني. سأكون غاضبة إذا وجدت عقا مسنا يعيش على بعد خمسة أميال في منزل فخم ويأكل لحم طائر الذيال ثلاث مرّات في الأسبوع. «لقد وضعت ذراعها بذراع باميلا وقالت: «حسنا. دعينا نذهب لمواجهة العواقب غير السارة لأفعالنا، أو بالأحرى نواجه سمك القد المغلي. ثم سنذهب للحصول على مكيال من المشروب. على حسابي».

الفصل الثامن

والعشرون

في الداخل والخارج مع بن

لدى عودته إلى بيته بعد زيارته لندن، شعر بن بعدم الارتياح لتفتيش غرفة الانسة غامبل. كان يدرك أن ذلك لن يكون صعبًا للغاية. ومن المحتمل أن تكون مع فوبي تعطيها دروسها خلال الصباح. ولكن على الرغم من ذلك، فإنه كان هناك خطر هائل: الجميع في المنزل يعرفونه. إذا التقى بأي فرد من أفراد الأسرة، فسيتعين عليه تبرير سبب وجوده هناك وربما ستتم دعوته إلى المنزل لتناول الشاي. وإذا سُؤد وهو يصعد الدرج إلى الشقة فوق الإسطبلات، فعليه شرح الدوافع لسلوكه هذا وإيجاد عذر لنفسه وتبرير تصرفه. ثم جاء والده إلى الغرفة ليتفاجأ برؤيته هناك.

«أه، لقد عدت. اعتقدت أنك كنت خارج لندن؟»

قال بن: «فقط من أجل اجتماع. في الحقيقة، علي أن أذهب بعيدًا لبضعة أيام إلى الشمال».

سأل والده مندهشًا: «ماذا ستفعل في الشمال؟ كنت أعتقد أنك كنت تعمل في مكتب».

قال بن على عجل: «أه، نعم، نعم. ولكن طلب مني تسليم بعض الأوراق شخصيًا إلى محطة الأبحاث. ولا ينبغي لأحد أن يخاطر ويجب أن يكون متيقظًا، ومستعدًا، وحكيًا. ومن المفكن اعتراض البريد».

«حقاً؟ من المؤكد لا. مكتب البريد البريطاني مؤسسة تتمتع بالمصداقية».

«من المستحيل أن تكون متأكدًا مما سيحدث. من المفترض أن المتعاطفين مع الألمان قد تسللوا إلى كل مكان».

«هذا مجرد حديث من أجل جعل الناس يشعرون بالقلق والخوف، خصوصاً بغية التمكن من الحصول على ميزة ومكاسب. أعتقد أنه تم صعه من قبل العدو لإثارة الخوف في قلوبنا، ولجعلنا نشك في بعضنا البعض، ولجعلنا نعتقد أن الألمان يهبطون علينا كل يوم. أنت تعرف أن نصف القرية يعتقد أن الرجل المسكين الذي لم تفتح مظلمته كان جاسوساً ألمانياً. هذا هراء، وكلام سخيف. كان يرتدي زي جندي إنكليزي رأيتته بنفسي. إنه حادث مأساوي. هذا هو التوصيف الصحيح للحادث».

قال بن: «ربما. لذا، سأذهب لبضعة أيام، ثم قد أعود إلى المنزل مرة أخرى، أو ربما لا أعود، بالاعتماد على قرار رئيس القسم».

نظر القس كريسويل حوله وقال: «الآن أحاول أن أتذكر ما أتيت من أجله إلى هنا. عقلي كالغربال في هذه الأيام وأصبحت أنسى الأشياء بسهولة أو بسرعة. أه تذكرت. أبحث عن كتاب عن الطيور. يوجد هناك عش للبومة على شجرة الدردار الكبيرة. أعتقد أنه من البوم الصياح. لقد لمحتها في أثناء وجود الشفق الأحمر، لكنني أردت أن أتأكد».

خطرت فكرة ذكية ببال بن. إنها فكرة منظار

الانسة غامبل. كان في إمكانه أن يستعيّره من أجل والده. هذا رائع. قام بحزم حقيبة استعدادًا للاستعمال في رحلته القصيرة، وركب دراجته الهوائية جاعلاً وجهته فارلي. وبينما كان يقود دراجته على الممر كان مضطراً للتوقف على جانب الطريق بينما كان تمرّ به قافلة من شاحنات الجيش، وكان انتظاره القسري يثير شكوكه. إذا طلب استعارة المنظار من الانسة غامبل فمن المحتمل أن تذهب وتحضره له. فهي لن ترغب أبداً بدخوله غرفتها خصوصاً إذا كان لديها ما تخفيه. بيد أنه إذا ذهب إلى غرفتها من دون إذنها وشوهد هناك فإن ذلك سيحدث جلبة كبيرة.

«اللعة»، تتمم قائلاً لنفسه. لم يكن مناسباً تماماً ليكون جاسوساً. كان يفكر في أولئك الشباب الذين تم إرسالهم لإنقاذ مارغوت ستون من أيدي الشرطة السرية الألمانية وكم كان أحرق عندما تطوع للقيام بذلك العمل. لا بد من أن مارغوت تمتلك أعصاباً فولاذية لتتمكن من استقبال رسائل وإرسالها باستخدام جهاز اللاسلكي في باريس المحتلة. لقد تذكر أنه كان دائماً يكره لها قدرًا هائلاً من الاحترام والإعجاب بشخصها وأحياناً إلى حدّ الشعور بالتوتر والخوف. لقد كانت أكبر بعدة سنوات من باما، وكانت راقية جداً ومتألقة حتى حين كانت في سنّ المراهقة. ولكن من المؤكد أن بامبلا كانت دائماً شجاعة، وكانت دائماً هي التي تتسلق الأشجار وهي الجريئة التي كانت دائماً تقبل التحدي. لقد شعر بأن موجة عارمة من الراحة قد عمت نفسه لأن بامبلا لم

تكن في باريس الان في انتظار الإنقاذ. يعود السبب في ذلك إلى أن فرص إنقاذ ناجحة من مقر قيادة المانية في أرض محتلة لا بد من أن تكون ضئيلة جدًا. كان من المحتمل أن تكون النتيجة موت الجميع. كان يتساءل ما إذا كان للورد ويسترهام أي فكرة عن الخطر الذي يحيق بابنتهم وكم كان صعبًا أن يحتفظ الجميع بالأسرار.

مرت آخر شاحنة من القافلة العسكرية، وتابع بن ركوب الدراجة إلى البيت. لقد رأى ألواح الخشب الرقائقي تنزل وتحميل صعودًا على الدرج. كان يفترض أن تذهب لإصلاح السقف. كان المكان يعج بالجنود، وهذا ما ساعده على التسلل من دون أن يلاحظه أحد، وتمكّن من الوصول إلى ساحة الإسطنبول. صعد درجة تلو الأخرى وطرق بابها تحسبًا لعدم إعطائها الدروس لفوبي، ثم أمسك بالقبضة ودفعها. كانت الغرفة تبدو مقفلة.

تمتم قائلاً: «اللعة». ثم وضع كتفه ودفع الباب. فُتح الباب ودخل غرفة الانسة غامبل. كان قلبه يدق بسرعة كبيرة. نظر حوله ليرى المنظار ملقيًا فوق أعلى كومة. جهاز اتصال لاسلكي! كان هذا بالضبط ما كان يبحث عنه. ثرى هل هناك أوراق أخرى تثبت الجريمة؟ كانت الغرفة صغيرة وبدأ يتفحص أكوام الكتب وممتلكاتها القليلة بسرعة كبيرة. بيد أنه لم يجد أي أثر لجهاز اتصال لاسلكي.

من المؤكد أنه لم يشاهد جهاز اتصال لاسلكي بين أشيائها في غرفة الإسطنبول. تساءل ما إذا كان

سيجرو على صعود برجها ليري ما إذا كان هناك جهاز اتصال لاسلكي تم إخفاؤه في مكان ما. عذر للدخول، هذا هو ما يحتاجه. لقد تذكر أنه كان يرتدي سترة العشاء الخاصة به. نعم، هذا سوف ينجح. عاد إلى الدرجات الأمامية، إلى المنزل وصعودًا إلى رحلتين من الدرج إلى الطابق العلوي. لم يوقفه أحد حتى وصل إلى الدرج اللولبي المؤدي إلى برج الانسة غامبل. كان عدد كبير من الجنود يحاولون القيام بمناورة لنقل لوح من الخشب الرقائقي على الدرج الضيق. استدار واحد منهم لرؤية بن.

سأله: «هل يمكنني مساعدتك بشيء يا سيدي؟ كما ترى، نحن مشغولون قليلاً هنا الآن، وسأكون ممتناً إذا نزلت مجددًا إلى الطابق السفلي.»

قال بن: «لقد كنت أنا من أنقذ الليدي من غرفة البرج. وكنت أرتدي سترة العشاء الخاصة بي، وفقدت أحد أزرار الكم الذهبية. لذا تساءلت ما إذا كنت أستطيع أن ألقى نظرة سريعة. لأن لها قيمة عاطفية بالنسبة إلي.»

أوما الضابط بالموافقة: «بالطبع يا سيدي. توقفوا يارجال. دعوا الرجل النبيل يمر.»

سارع بن إلى صعود الدرج. كانت الغرفة في حالة مؤسفة من الفوضى مع وجود الجص على الأرض، وبقع سوداء على الجدران. كانت رائحة الدخان لا تزال تنبعث منها. شق بن طريقه حول المكان، وفحص تحت السرير ومقعد النافذة بحثًا عن أي

ألواح أرضية فضفاضة، لكنه لم يجد شيئًا. فاضطر للتراجع. إذا كان لديها جهاز راديو، فهي إما أنها كانت قد أخفته جيدًا أو أنها كانت قد ألقته به بعيدًا.

لم يكن هناك ما يفعله سوى إكمال مهمته في مواقع المعارك في شمال إنكلترا ومعرفة ما إذا كان هناك أي دليل قد أصبح واضحًا حين كان هناك. استعاد دراجته وركب عائدًا إلى المنزل من دون مواجهة أي شخص يعرفه. ثم مشى إلى المحطة وتمكّن من اللحاق بالقطار إلى لندن.

بعد ظهر ذلك اليوم، مباشرة بعد الشاي، تسللت ليدي فوبي من المنزل واتجهت إلى نزل حارس الطراند. بدت السيدة روبنز وكأنها شخص مختلف، أكبر سنًا بكثير بعينين غائرتين غير قادر على التفكير بوضوح أو التصرف بشكل طبيعي.

قالت بصوت خافت: «إنه في الداخل هناك يا صاحبة السعادة.» «تفضلي بالدخول إذا أردت.»

لقد نسيت فوبي في الوقت الراهن أن ابن روبننز كان قد أبلغ عن اختفائه. تساءلت ما إذا كان عليها أن تقول شيئًا لكنها لم تتمكن من التفكير في الشيء الصحيح، لذلك ابتسمت فقط وقالت: «شكرًا لك يا سيدة روبنز.»

ذهبت إلى المطبخ ووجدت ألفي يأكل قطعة من الخبز والمربى. رفع نظره وابتسم ابتسامة عريضة لفا رآها.

قالت فوبي: «أنت وأنا يجب أن نتحدث. أترك ذلك وتعالى إلى حيث لا يفكّن سماع صوتنا.»

تبعها ألفي إلى الخارج، وسارا على مسافة قريبة من الكوخ قبل أن تقول له: «علينا أن نتحرك باستمرار في تحرياتنا. كانت هناك تطورات».

«هل هناك تطورات حقًا؟».

أومات برأسها بالإيجاب وقالت: «لا بد من أنك سمعت أن منزلنا تعرّض للقصف».

«نعم. أنا أعلم. من المؤكد أن هذا أمر فظيع».

«حسنًا، لقد بدأت أفكر- في مظلينا - كما تعلم. لماذا تم قصف فارلي؟».

ابتسم ابتسامة عريضة وقال لها: «حسنًا، هناك الكثير من الجنود (ruddy) الذين يقيمون هناك، كما تعلمين».

«حسنًا. سيكون ذلك أحد الأسباب. ولكن ماذا لو كان هناك شخص آخر؟».

«مثل ماذا؟».

«يجب تدمير شخص ما أو شيء ما في فارلي. هل تعرف السيد كريسويل، نجل النائب؟». هز ألفي رأسه بالإيجاب. «كان هناك ليلة النار. وهو من أنقذني وأنقذ مربيّتي. الواقع أنه شجاع جدًا. لكنه كان مهتمًا بأن لدى الانسة غامبل منظارًا. واليوم كنت مستيقظة في غرفة الدراسة، ورأيت بينما كنت أنظر من النافذة يتجول في فناء الإسطبل، حيث تقيم الانسة غامبل في الوقت الحالي. لذلك جعلني اتساءل ما إذا كان يشك في أي شيء مريب يحدث هناك. أو...» وتوقفت مؤقتًا، «ما إذا

كانت له علاقة بهذا الرجل المظلي هو نفسه».

سألها ألفي: «ماذا تقصدين؟».

«أعني أنني أعرف أنه أصيب في تحطم الطائرة قبل الحرب، ولكن لماذا لا يكون في الجيش أو في أي شيء؟ إنه نوع الشخص الذي قد يرغب في تولي الألمان زمام الأمور. إنه نوع هادئ ويميل إلى التخفي، تمامًا النوع نفسه من الأشخاص الذين قد يستخدمونه. لذلك أعتقد أنني أنا وأنت يجب أن نتقصى الأمور. أعلم أنه ذهب إلى المحطة، ولكن إذا عاد، فنحن في حاجة إلى مراقبة ذلك. وسوف أتفحص المنزل لمعرفة ما إذا كان هناك أي شيء يثير الشبهات هناك. وأنت يجب أن تستطلع الأمور في القرية لمعرفة ما إذا كان يمكنك الخروج بأي شيء مثير للشبهات. هل أنت موافق؟».

قال لها: «حسنًا على الرغم من أنني كنت أستمع إلى أشخاص يتحدثون. فإن بعضًا منهم يعتقد أن جرم الألمان مع الطبيب قد يكون جاسوسًا».

«لكنه يهودي ونمساوي. هرب من النازيين».

ابتسم ألفي ابتسامة عريضة مرة أخرى وقال: «هو يقول ذلك. لكنني سأبذل قصارى جهدي. أقول لك من أعتقد أنه قد يكون المحتال بحق - باكستر البناء - هل لاحظت أن البوابات في فنانهم مغلقة دائمًا، والسياح مرتفع جدًا ولا يمكنك رؤية أي شيء في الداخل؟».

قالت فوبي: «ربما حتى لا يستطيع أحد التسلل وسرقة الإمدادات».

قال ألفي: «نعم، لكن الموضوع أكبر من ذلك. لقد شاهدت سيارة باكستر وهي تنطلق في اليوم الآخر. وأغلق أحدهم البوابة فور مرور الشاحنة، وكان الشاب باكستر يقود سيارته ورأني واقفاً هناك وصرخ قائلاً: «ما الذي تحقق به؟ هيا، ابتعد من هنا».

قالت فوبي: «إذن، هل ستعمل على التطفل على ساحة باكسترز؟» سنصل إلى سرّ هذا اللغز، ستري يا ألفي. سنفاجئهم جميعاً».

الفصل التاسع والعشرون

باريس

جلست مارغوت في نافذة فندق الريتز وحدقت في الشارع. ما زالت إصبعها تنبض وتندفق منها الدماء، ولكن كان المصاب الآخر الأكثر إيلافاً. تلك المرأة. هكذا كان قد دعاها. نظر إليها ولم يظهر على وجهه أي عاطفة على الإطلاق. لم تكن حبيبته. لم يهتم بها على الإطلاق. لقد خاطرت بحياتها من خلال البقاء في باريس حين كان من الممكن أن تكون بسلام في وطنها. ولم يكن لديها أي فرصة لإنقاذه. كان الألمان يستخدمونها، مما دفعها إلى وضع توافق فيه على تلبية طلباتهم من دون مقابل.

لقد فكرت: كم كُتث حمقاء. قد تذهب إلى المنزل، ولكن فقط لمساعدة العدو. إذا لم تفعل، فمن المؤكد سيقتل شخص ما في الحال إما هي أو أحد أفراد أسرتها. الآن وبعد أن رأتهم على أرض الواقع، كانت متأكدة أنهم لن يهتموا بتأنيب الضمير لقتلها. لم تكن تعرف بعد ما مهمتها، ولكن من المفترض أن يكون لها علاقة بحقيقة أنها كانت أرستقراطية، وأنها كانت تختلط بأعلى الدوائر. ارتجفت وأمسكت يدها المجروحة حتى صدرها.

قال هير دينكسلاغر في أثناء انطلاقهما بعيداً من مقر الشرطة السرية الألمانية في شارع فوش: «يجب أن أثنى عليك. لقد كنت شجاعة جداً. هذا بالضبط ما كنت أتوقعه من واحدة من أقدم أسر

إنك لتترا. يجب أن أعتذر عما حدث لإصبعك. أعتقد أنك ستجدين أنه لن يكون فيها ضرر دائم. أنا متأكد أنك يجب أن تدركي أن ما قمت به كان بسبب الضرورة».

لم تقل شيئًا لكنها كانت تحقّق خارج النافذة. قال هير دينكسلاغر «ستحتاجين إلى بعض التدريب أولاً. أعتقد أننا سنتركك في فندق الريتز من أجل ذلك في الوقت الحالي. قد تستفيدين أكثر من الطعام الجيد والبيذ، أليس كذلك؟».

كان يتحدث إليها مجددًا كما لو كانا في رحلة بالسيارة في البلاد - وليس من واقع الحال وهو أنه أدخل إسفينًا تحت ظفرها - كان مستعدًا لفعل الشيء نفسه لبقية أصابعها، والسماح للجندي الشاب باغتصابها إذا اعتقد أن ذلك قد يحقق نتائج. تساءلت: أي نوع من الرجال يفكر أن يتصرف هكذا؟ التصرف بواجهة حضارية، لكنه يمارس التعذيب والقتل بهدوء. ألا يفكر أبدًا في زوجته وأطفاله وأخواته في المنزل، ويتخيّل مثل هذه الفظائع تحدث لهم؟

توقفوا أمام فندق الريتز، ورافقها إلى الداخل. كان جناح السيدة جيبي أرماند خاليًا. قال لها: «سأطلب من شخص ما وضع ضمادة لهذه الإصبع. وسأرتب لبدء تدريبك غدًا».

الآن جلست هناك بمفردها، سجيئة، تنتظر قدرها المحتوم. فكّرت في خلدتها أنه يجب أن يكون هناك شيء يمكنني القيام به. قد يكون هناك مخرج على

السطح من خلال جناح الخدم. ثم خطرت لها فكرة سخيفة: ماذا لو فتحت الباب، وسرث في القاعة ونزلت أسفل الدرج وانطلقت إلى الحرية؟ عبرت الغرفة وفتحت الباب. ولدى سماع الصوت، استدار جندي ألماني يقف إلى جانب الدرج ليحدق بها. ليس بهذه الطريقة إذن.

خطرت ببالها فكرة أخرى. يفكنها طلب شيء من خدمة الغرف. إذا قامت بإيصالها امرأة، ففي إمكانها التغلب عليها، وتقييدها، وسرقة زيها، والهروب بهذه الطريقة. كانت الفكرة مثيرة للاهتمام، لكنها أخذت أبعد من ذلك مرحلة أخرى. إذا كافح ذلك الشخص ردًا عليها وتصارع معها، فهل ستقتله إذا لزم الأمر؟ ارتجفت مارغوت لمجرد التفكير في ذلك. كان القتل مختلفًا عن التقييد. لكنها لا تستطيع البقاء هنا من دون فعل أي شيء. سحبت سماعة الهاتف ووجدت أنه لا يعمل. في تلك اللحظة، دخلت جيغي أرماند. بدت مارغوت وكأنها طفل مذنب.

قالت: «كنت أحاول طلب كوب من النبيذ».

ابتسمت أرماند وقالت: «يوجد رجل صغير يجلس إلى جانب المكتب الأمامي يقوم بتشغيل الهاتف عندما يراني من أجل الأمن. الآن، ماذا كنت تريد؟»

قالت مارغوت وهي تبتعد: «لا يهم».

«ولكن بالطبع الأمر يهم. سمعت شيئًا عن الحادثة الصغيرة بعد ظهر هذا اليوم. هل تناولت كونياك؟ إنه مفيد جدًا لتهدئة الأعصاب». هزت مارغوت

رأسها بالنفي. «هل اعتنوا بيدك المسكينة؟». نظرت إلى الضماد وقالت: «بنس السلوك غير المتحضر. سأخبر سبتز- أعني هير دينكسلاغر - عندما أتحدث إليه بعد ذلك. ليست هذه هي الطريقة التي يتصرف بها مع واحدة برعايتي إذا كان يريد ثوبًا جديدًا لزوجته».

تقدّمت لتمسك إصبع مارغوت وقالت لها: «يجب أن تفعلي ما يطلبون منك يا حبيبتي. علينا أن نلعب معهم إذا كنا نريد البقاء على قيد الحياة. أظنّ أنهم يريدون إرسالك إلى الوطن. من فضلك لا تكوني نبيلة. افعلي ما يطلبونه، وستكونين في مأمن ومع عائلتك».

هزت مارغوت رأسها بالموافقة. كان ينتابها شعور مرعب بأنها ربّما تنهار وتبكي إذا فتحت فمها لتتحدّث. لقد كان لطف المدام أرماند في التعامل معها القشة الأخيرة حيث كانت قد وصلت إلى نقطة الانهيار لساعات من الزمن.

التقطت أرماند السماعة وطلبت بهدوء سمك السلمون المدخّن وزجاجة من خمر الشابليس الفرنسي وزجاجة ضخمة من الكونياك. ثمّ أعادت السماعة إلى مكانها وابتسمت لمارغوت وقالت لها: «سيكون كل شيء على ما يرام».

«كيف ذلك؟».

اقتربت أرماند ووضعت ذراعها حول كتف مارغوت وقالت: «إنه نبيل جدًا، حبيبك غاستون. إنه رصيد لفرنسا».

نظرت مارغوت بحدة وسألتها: «ماذا تقصدين؟ لقد تركهم يعذبونني. هل تسفين هذا نبلاً؟».

ابتسمت أرماند وقالت: «لن يخون المقاومة مهما حدث. سمعتُ ما قاله عنك. قال إنك لا تعني شيئاً بالنسبة إليه. أنا أعرف الرجال يا حبيبتي. لقد عاشت عدداً كبيراً من الرجال. كان يريد التأكد أنهم سيتركونك وشأنك».

قالت مارغوت وهي غاضبة: «يتأكد؟ لقد قال إنهم لو قاموا بتقطيعي إرباً، إرباً إلى قطع صغيرة لن يعنيه هذا الأمر».

«قومي بتوجيه رأسك إلى جانب ثم إلى آخر».

قامت أرماند بتوجيه رأسها إلى جانب ثم إلى آخر وعملت شكلاً مخيفاً بشفتيها وقالت: «ألا ترين؟ كانت هذه هي الطريقة الوحيدة للسماح لك بالرحيل. إذا لم يهتم مثقال ذرة بك، فعندئذ لا يُمكن أن يكون لتعذيبك أي تأثير فيه. وكان له أيضاً فائدة إضافية لأنه جعلك توافقين على القيام بما يريده المخططون الألمان. الآن سوف تكونين دميتهن».

نظرت مارغوت إليها بارتياب وقالت: «يبدو أنك تعرفين الكثير. أنت تعملين سراً معهم على ما افترض؟».

قالت أرماندي: «حبيبتي، أنا لا أعمل مع أي شخص. لكنني عشيقة سباتزي. وأنا متأكدة أنك خفمت الآن ذلك. كيف تعتقدين أنني أعيش في فندق الريتز وأروح جيئة وذهاباً كما أريد؟ نعم اعترف بأنني كنت جزءاً من تلك الدراما الصغيرة

عندما تمّ إحضارك للمرة الأولى. لكنّ هذا فقط لأنني أهتم بك وأريدك أن تبقي على قيد الحياة".

«هل تعرفين ما يريدون مني أن أفعل في إنكلترا؟».

هزت جيغي أرماند كتفيها بالنفي وقالت: «ليس تمامًا. لا أتوقع أن يتمّ إخبارك حتى تقومين بالاتصال بالشخص المناسب هناك».

«لكنهم يريدون استخدام مكانتي الاجتماعية لقتل شخص ما، ألا تعتقدين ذلك؟ قد يكون شخصًا مهمًا. ربّما أحد أفراد العائلة المالكة؟».

هزت جيغي أرماند كتفيها بالنفي مرّة أخرى وقالت: «أقول لك بكلّ صدق إنني لا أعرف. لكنني أقول إنّه يجب عليك أن توافقني على ما يطلبون منك حتى النهاية».

سألت مارغوت بصوت ضميرها: «لم يكن في إمكاني أن أنقذ غاستون، أليس كذلك؟».

أجابت أرماند: «أعترف أنّ هذا من غير المرجح بشكل كبير».

تأكّدت شكوك مارغوت حين اقتيدت إلى نادي الرماية في اليوم التالي. كان هذا لصيد طائر الذيال والواقع أنّها كانت تسديدة جيدة، لكنّها حاولت أن تبدو محرّجة ومرتبكة بمسدس. كانت تعمل أي شيء لكسب الوقت.

قال الضابط الألماني المسؤول عنها: «يجب أن يكون أداوك أفضل يا فريولين (أيتها الشابة)».

قالت له: «لا أزال أشعر بالألم عندما أحمل المسدس. عليك الانتظار حتى تُشفى إصبعي».

قال لها: «ليس هناك وقت للانتظار. أنت مطلوبة هناك لمهمة فورية. حاولي الآن مرة أخرى. لن نبرح هذا المكان حتى تصيبي مركز العلامة خمس مرات متتالية».

تبع ذلك أيام أكثر توتراً. كان لديها المزيد من الأشياء لحفظها، وكلمات شيفرة لفهمها ناهيك عن التهديدات المبطنة وقالوا إنها ستكون خاضعة للمراقبة على مدار الساعة. وستخضع عائلتها أيضاً. لم تكن لديها فكرة عن عدد العملاء الذين كانوا يعملون الآن في بريطانيا، لكنها كانت ستفعل شيئاً جيداً لمواطنيها. وكانت النتيجة التي لا مفرّ منها. إنّ الغزو قادم. لكنها يُفكن أن تسرّع به، وتنقذ بريطانيا من المزيد من البؤس.

بعد ذلك، وفي اليوم الثالث، كانت قد عادت لتوها من تدريبها وكانت جيّجي في صالونها لفا كان هناك طرّق على الباب. فتحت الباب وخطا اثنان من الضباط الألمان الغرباء بخطى كبيرة إلى الغرفة.

قال أحدهم باللغة الإنكليزية بصوت خافت وبقليل من الكلمات، وبلهجة غير ودودة وغير مهذبة: «يا أنسة، ستأتي معنا على الفور. لدينا سيارة تنتظر».

سألت: «إلى أين نحن ذاهبون؟».

صاح الرجل في وجهها، وأمسك بذراعها ودفعها إلى الأمام وقال: «أنت لا تطرحين أسئلة». مشت بينهما على طول القاعة ونزلت على الدرج. مر

الضباط الألمان الآخرون بهم وقاموا بتحيتهم أو هزؤا برؤوسهم لهم بشكل مهذب. كانت سيارة مرسيدس سوداء تنتظر. فتح واحد منهم الباب الخلفي لها. «أدخلي».

صعدت إلى المقعد الخلفي. دخل ضابطان إلى المقعد الأمامي، ثم انطلقت السيارة. ابتلعت مارغوت خوفها. هل كانوا سيعودون إلى مقر الشرطة السرية الألمانية في شارع فوش؟ أم أنهم كانوا قد قرروا أنها لم تكن مفيدة لهم بعد كل شيء، ويتم نقلها الآن لإعدامها؟ حاولت منع ركبتيها من الارتعاش.

كانوا ينطلقون بعيدًا من وسط باريس. كان الضوء يتلاشى في أثناء مرورهم بالضواحي. حتى الآن، لم يقل أحد كلمة واحدة. ثم التفت أحد الرجال إلى الآخر.

سأل باللغة الإنكليزية التي تتحدث بها الطبقات الإنكليزية الثرية: «لقد سارت الأمور بشكل جيد، ألا تعتقد ذلك؟».

استدار الرجل الآخر إلى مارغوت وابتسم قائلاً: «كل شيء على ما يرام. يفكنا الاسترخاء الآن. لقد تجاوزنا العقبة الأولى».

سألته: «أنتما لستما ألمان؟».

قال: «في الواقع، نحن مكتب العمليات الخاصة. تم إرسالنا لإخراجك».

سألت: «لكن السيارة والزي الرسمي؟».

«يخضان إلى اثنين من الشبان الفقراء الذين كانوا يشربون في حانة في وقت متأخر من الليلة الماضية».

أين هما الآن؟».

«مدفونين تحت كومة من جذوع الأشجار».

«ميتان؟».

«أخشى ذلك. إنها الحرب. وما كانوا ليترددوا في قتلك. الآن هناك سجادة داكنة في الخلف. إذا تم إيقافنا عند نقطة تفتيش، استلقي على الأرض مع وضع البساط فوقك، ولأجل الله، لا تتحركي».

«إلى أين نحن ذاهبون؟».

«سنذهب إلى القناة حيث نأمل أن يكون القارب السريع في انتظارنا. هل أنت بخير؟».

قالت: «نعم. أنا بخير».

قال الرجل الآخر: «يجب أن أفكر في ذلك، وأعيش في فندق الريتز». كان لديه أثر من لهجة شمالية، وليس تمامًا مثل التي تحدث إليها بها لأول مرة. سألتها: «لماذا أخذوك إلى هناك؟».

«كنت جيغي أرماندي تراقبني».

قال لها: «أنت محظوظة لأنك لم تنته في مقر الشرطة السرية الألمانية. لقد كنت هناك عدة مرات»، ارتعشت رعشة لا إرادية. «وخرجت مرة أخرى. لا يستطيع الكثير من الناس قول ذلك. لا بد من أنك مفيدة لهم وأنت حية أكثر مما وأنت ميتة».

قالت بحذر: «كانوا يريدون استخدامي لجعل غاستون دي فارين يتكلم».

«هل تكلم؟»

«لا».

«طبعًا لم يتكلم. لذلك أنت محظوظة لأننا جننا لإخراجك الآن. لقد كان وقتك محدود بطريقة مميزة».

تابعا السير في السيارة.

سألت مارغوت: «هل لي أن أعرف أسماءكم؟».

«لا أسماء. هذا أكثر أمانًا».

لقد حلّ الظلام وتابعوا طريقهم في الظلام مازين في بلدات صغيرة حيث لم يكد يكون فيها ما يشير إلى آثار الحياة. بعد ذلك بنحو ساعة كانت هناك نقطة التفتيش التي كانوا يخافون منها.

قال لمارغوت بصوت هامس: «إنخفضي». انكلمت مارغوت بقدر ما كانت تستطيع مغطية نفسها بالبطانية. تباطأت السيارة حتى توقفت تمامًا.

ناداه صوت حاد قائلاً: «حضرة الهير لفتنانت أرنا أوراقك من فضلك». سمعت مارغوت حفيف الأوراق. بعد ذلك سأله: «ما مهمتك هنا؟» .

ردّ واحد من الرجال باللغة الألمانية الصحيحة قائلاً: «لدينا رسالة لنوصلها إلى اللواء فون هايدنهايم في كاليه».

صاح أحد الجنود فرحًا: «إنه الغزو. لا بد من أن

الرسالة تخض الغزو».

ردّ عليه السائق قائلاً: «هذا ليس من شأنك. افسح لنا الطريق الآن».

انطلقت السيارة مسرعة من جديد.

قال واحدٌ منهما: «يمكنك الخروج من تحت البطانية الآن». وضحك كلاهما.

سألت مارغوت: «كيف تتحدّث الألمانية الجيدة؟». «لا تتوقّعي أنهم سيرسلون رجلاً في مهمة كهذه إن لم يكن يفعل ذلك. والواقع، أن والدتي كانت نمساوية. لقد نشأت وأنا أتحدّث اللغتين».

قال الآخر: «كان ذلك مفيداً جداً، كما هو واضح. لغتي الألمانية هي فقط من عام دراسي واحد في جامعة هايدلبرغ، لكنها جيّدة بما فيه الكفاية».

لقد استمروا في التحرك حتى توقّفوا عند مفترق طرق للتأكد من الخريطة حول الطريق الذي من شأنه تجنّب أيّ مزيد من المواجهات مع القوّات الألمانية. مرّة أخرى، تمّ إيقافهم، ولكن تمّ التلويح لهم حين رأى الحارس زيهما العسكري. ثمّ في النهاية ارتدّت السيارة بعيداً من الطريق ووقفت بين بعض الأشجار.

قال الراقبي: «أخشى أن يكون علينا أن نسير من هنا. هذا هو الجزء الذي ينضوي إلى خطورة محتملة. تعالي، البسي هذه السترة السوداء. وافعلي بالضبط ما نخبرك به. إذا قلت لك أركضي، أركضي بكل قوتك وسرعتك وجهدك، هل فهمت؟».

هزت مارغوت رأسها بالموافقة. خلع الرجلان زيهما الألماني الرسمي وتركاه في السيارة، ثم ارتديا بلوزتين ذاتا ياقنتين مدورتين سوداوي اللون ممائلتين. سحبا الياقة المدورة لأعلى لإخفاء أكبر قدر ممكن من وجهيهما، وحذت مارغوت حذوهما. قام أحد الرجال بإضاءة يدوي صغير كان قد قام بتعتيمة بحيث أنتج فقط بصيصاً ضعيفاً من الضوء. كان يوماً غائماً ولم يكن هناك أضواء يفكن رؤيتها بوضوح. تبعتهما مارغوت عبر الغابة، وتعثرت بجذور الأشجار في محاولة منها لمواكبتها وهي ترتدي حذاء غير عملي. وصلوا إلى كوخ، لكنه كان يبدو وكأنه مهجور. ومع ذلك، تسللوا بجانبه، وتسلقوا سياجاً، وركضوا عبر حقل مفتوح حتى رفع أحد الرجلين يده للتوقف. اشتقت مارغوت رائحة الملح في الهواء وسمعت همس وحشرجة الأمواج على شاطئ صخري أدناه.

«دعونا الآن نصل فقط، أن يظهر القارب ولم يتم تفجيريه خارج الماء. سيكون بخير. من المفترض أن يستخدموا قارباً سريعاً منخفضاً يصعب اكتشافه».

أزال الرجل الغطاء من مصباحه وأرسل عدة ومضات من الضوء إلى البحر المظلم. بعد لحظة تلقى الرد بوميض من الضوء.

«جيد. إنهم هناك، وقد رأونا. الآن كل ما يتعين علينا القيام به النزول إلى الشاطئ، وعبوره من دون الدخول في حقول الألغام، والتسلق إلى القارب. هذا سهل كناول قطعة من الكعكة. وأكد لكما ذلك». قال

ذلك وهو يضحك.

ذهب إلى حافة الجرف الصخري، ونظر حوله، ثم أشار للأخرين أن يتبعاه. كان الطريق الذي يؤدي إلى أسفل الجرف الصخري طريقًا ضيقًا منحوتًا في الصخور الكلسية. ذهبوا بحذر لأن المسار كان ضيقًا بعرض قدم واحدة، وكان مليئًا بالحجارة الفضفاضة المتناثرة. أبقت مارغوت يدها على سطح الجرف الصخري من أجل الطمأنينة. كان شعاع ضوء البحث في مكان أبعد أسفل الساحل، كان يضيء عاليًا في السماء. جاءت طائرة أعلى بكثير، لكنها كانت تحلق عاليًا ومزّت فوقهم. كانت مارغوت تعتقد بأنها غارة قصف تتجه إلى لندن.

لقد انتظروا أسفل الجرف الصخري. كانت مارغوت ترتجف، لكنها لم ترغب في أن يرى الرجلان أنها مذعورة. كان يمكنها أن ترى شكلًا مطلقًا يقترب من البحر. لم يكن هناك صوت محرك، وأدركت أن من المحتمل أن يتحرك بالتجديف. قفز أحدهم ووقف في الأمواج اللطيفة، وقام بتثبيت القارب.

همس أحد الرجال في أذنها: «إنهبي الآن!». ركضت متعثرة وهي تنزلق فوق الحجارة على الشاطئ. وصلت إلى القارب، متقدمة بصعوبة في الأمواج، وتم رفعها إلى القارب. تلاها أحد الرجلين، ثم الآخر. ثم انطلقوا من الشاطئ وقاموا بالتجديف مرة أخرى. لقد كانوا على بعد مئة ياردة أو ما يقاربها من الشاطئ حين قام الكشاف بتمشييط المياه واكتشفهم. سمع أزيز الرصاص. «انخفضوا».

تم دفع مارغوت على أرضية القارب.

صاح أحدهما قائلاً: «ابدأ تشغيل المحرك الملعون!»
ركل المحرك، ودمدم، ثم هدر وأصبح جاهزاً
للانطلاق. انطلق القارب إلى الأمام بقوة لا تُصدق
بينما كان الرصاص يرش في الماء المحيطة بهم. ثم
خرجوا من المدى المجدي للسلاح. لقد جلسوا مرة
أخرى بحذر، وصار الشاطئ بالفعل وراءهم.

نظر أحد منقذيهما إلى الآخر وقال له وهو يضحك:
«لا مشكلة على الإطلاق، أيها الصاحب؟ إنها
مجرد عملية الإنقاذ المعتادة من الشرطة السرية
الألمانية». ضحكت مارغوت هذه المرة أيضاً.

الفصل ثلاثون

بليتشلي بارك

بعد ثلاثة أيام من التحديق في أوراق المطبوعات، لم يتمكن كل من بامبلا وفروغي من الوصول إلى أي نتيجة وكان كلاهما يشعر بالإحباط. قال فروغي: «ربما هذا مجرد بحث سخيف عن شيء غير موجود أو لا يمكن الحصول عليه أبدًا».

«لا أعتقد أنهم قد طلبوا منا العمل على هذا ما لم يكن هناك نوع من الشك في أنه أكثر من مهم، أليس كذلك؟».

«لا أعرف». التقط قلما وقسمه نصفين. «ربما أرادوا إزالتها من مهماتنا القديمة، وهذه طريقة سهلة لدفعنا جانبًا».

فكرت بامبلا في رئيس قسمها الذي انزعج كثيرًا لأنها كانت قد حلت أحجية تبين أنها مهمة. ثرى هل طلب إزالتها وهكذا يتم حفظ ماء وجهها.

قالت بامبلا: «أنت تعلم بشكل مؤكد أن هناك طابورًا خامسًا في بريطانيا. ولا توجد طريقة أسهل من التواصل مع ذلك الطابور الخامس أكثر من بث يفسن للجميع سماعه».

هز رأسه موافقًا وقال: «لكننا حاولنا مختلف الوسائل، أليس كذلك؟ لا توجد عبارات متكررة عدا هذه نشرة الأخبار، والآن تعليق، وإليك بعض الرسائل من أولادكم في ألمانيا، وقد تفحصنا كل تلك الرسائل لكشف ما يمكن أن يكون شيفرات

سرية. لقد حاولنا استبدال الحروف باستخدام كل نوع من الكلمة الثالثة والكلمة الخامسة ولم نتوصل إلى أي نتيجة. تُذكر».

حدّقت بامبلا في الأوراق وقالت: «ربما يوجد شيء نفتقده بمجرد رؤية الكلمات المطبوعة. ماذا لو كان هناك انعطاف مختلف في الصوت؟ ماذا لو سعل القارئ أو تنحنح قبل أن يسلم خطأ مهمًا؟ ماذا لو كان هناك قارئ مختلف لشيء مهم؟».

لقد أضاء وجهه. قال لها: «قد تكوني اكتشفت أمرًا مهمًا هناك. نعم، دعينا نطلب منهم إرسال التسجيلات إلينا. سيستغرق الاستماع إلى كل شيء وقتًا أطول، وهذا الأمر قد يستحقّ العناء».

قُوِّبَ هذا الطلب بمضاعفات. لم يكن هناك جهاز تسجيل في محطة الاستماع، فقط عاملات القوّات الجوية للمساعدة النسائية في سلاح الجو الملكي البريطاني الشباب مع سماعات رأس، وهم يكتبون في أثناء الاستماع.

قال القائد ترافيس: «إذا كنتما ترغبان في الاستماع في الوقت الحقيقي، ربما سيتوجب عليكما الجلوس وأنتما تضعان سماعات الرأس وتدوران الملاحظات. وبما أن الترددات والساعات التي تُبثُّ فيها ليست هي نفسها دائمًا، فسوف تراقبان هذا الأمر بينكما على مدار الساعة تقريبًا - على الرغم من أنهم لا يبيثون مؤخرًا بعد منتصف الليل أو قبل الساعة السادسة أو السابعة صباحًا - لذا سوف تحصلان على بعض النوم. أقترح أن

نرسل إليكما ما يصل إلى محطة الراديو واي (٧) الخاصة بجمع المعلومات الاستخباراتية لبضعة أيام وتجربان هذا. أخشى أن يكون عملاً مملاً للغاية. يمكنكما الجلوس بسماعات الرأس والاستماع إلى الراديو. لكن لدى القوات الجوية المساعدة النسائية هناك الكثير من المهارات اللازمة لتحديد الأوقات والترددات، لذلك لن يتعين عليكما القيام بهذا الجزء."

سألت بامبلا: «هل سنبقى هناك؟ هل المحطة واد بعيد من هنا؟»

«تبعد نحو ستة أميال، وفي إمكاننا نقلكم ذهاباً وإياباً، لكنني أقترح عليكما التخييم هناك لبضعة أيام حتى نرى كيف تسير الأمور هناك. سيكون لديكما سريراً تخييم نرسلهما معكما، لذلك على الأقل لن تضطراً لمشاركة الغرف أو الأسرة مع سيدات القوات الجوية».

مازحها فروغي بينما كانا يخرجان بعيداً قائلاً: «كنت أفضل أن أضع محبساً حول إصبعك وأن أجعل منك امرأة شريفة لأننا سنمضي عدة ليالٍ معاً».

ابتسمت بامبلا ابتسامة عريضة وقالت: «أعتقد أن الغرفة المليئة بالقوات الجوية المساعدة النسائية قد تشكل ما يكفي كمرافق. بالإضافة إلى ذلك، لقد أمضيت الليلة بالفعل مع كوخ مليء بالرجال، لذا فإن سمعتي قد ذمرت في أي حال».

رد عليها فروغي قائلاً: «إن لمن الصعب عدم

التمكن من إخبار أي شخص بأي شيء، أليس كذلك؟".

أومات بامبلا برأسها بالموافقة وقالت: «هذا صحيح. تعتقد عائلتي أنني لا أفعل أي شيء ذي أهمية».

قال لها فروغي: «حاولي أن تكوني شابًا لا يرتدي الزي العسكري. أتألم في كل مرة أذهب فيها إلى لندن. فكّرت في شراء زي عسكري من متجر الثياب المستعملة. وإذا أخبرتهم بأنك فشلت في الفحص الطبي، فإنهم ينظرون إليك كضعيف».

توقفت بامبلا ووضعت يدها على فمها وقالت: «يا إلهي، ماذا أقول لزميلتي في الغرفة؟».

«قولي لها إنك لا تستطيعين إخبارها. إنه أمر سري. هذه هي الحقيقة، أليس كذلك؟».

هزت بامبلا رأسها بالموافقة. عندما تمّ التعبير عنه هكذا، بدا الأمر مهمًا ومثيرًا. كانت بامبلا تعتقد أن تريكسي ستغضب. التقت صديقتها صدفة في ذلك المساء حين عادت إلى المنزل لأخذ بعض الضروريات.

سألته تريكسي: «أنت ذاهبة مرة أخرى؟».

قالت بامبلا: «بالطبع لا. إنهم يريدون أن ينام اثنان منا على أسرة المخيمات في المنزل الكبير بحيث نكون موجودين كلما احتاج الباحثون شيئًا ما».

قالت تريكسي: «كم أنت محظوظة. على الأقل، ستكونين في المنزل الكبير، وليس في كوخ بارد

وقدر تمر خلاله تيارات من الهواء البارد».

«لكن السرير في المخيم لا يبدو جذابًا للغاية، خصوصًا إذا كان سيتم استدعائي في الثالثة صباحًا لأحضر أكواب الشاي».

قالت تريكسي: «حسنًا، لن تمر القطارات بجانب نافذتك، ولن تطهو طعامك السيدة إنتويستل».

ابتسمت بامبلا ابتسامة عريضة وقالت: «هذا صحيح، ولكن فكزي، ستحصلين على غرفة لنفسك وسينقص واحد من مستخدمي الحمام».

قالت تريكسي: «سيكون ذلك مبهجًا إذا تمكنت من إيجاد طريقة لتهريب أحد الشبان إلى الطابق العلوي. وهذا لا يعني أنني أتوق إلى أي شخص هنا، لماذا لم يكن هناك شاب واحد على الأقل يملك عقلًا ويتوق أيضًا كذلك لإيجاد شابة؟»، توقفت مؤقتًا، ثم التفتت إلى بامبلا وقالت: «أقول لك، أتمنى أن تحصلي على إجازة لحفلة جيرمي. لا أستطيع أن أخبركم كم أتطلع إلى حضورها. إنها النقطة المضيئة الوحيدة في حياتي الحالية التي تملؤها الكآبة».

«أمل ذلك أيضًا. لم يخبروني عن أيام العطلة. علينا فقط المضي قدمًا بشكل غريزي وفقًا للنتائج والظروف وليس وفقًا لقواعد أو خطة». لكنهم لا يتوقعون مني أن أعمل سبعة أيام في الأسبوع، أربعًا وعشرين ساعة في اليوم. هذا هو عمل الرقيق». ثم قامت بإغلاق حقيبتها وقالت: «أتوقع أن أراك في غضون يومين».

سألته تريكسي: «أنت لا تمنعين إذا ذهبت إلى

حفلة جيرمي إذا لم يكن في إمكانك الذهاب، أليس كذلك؟».

تردّت بامبلا. كانت تريكسي قد أوضحت بالفعل أنها كانت منجذبة إلى جيرمي. لكنها كانت حفلة، على الرغم من كل شيء. كانت شقة كاملة تعج بالناس.

ردّت بامبلا بفرح وابتهاج عليها قائلة: «بالطبع لا أمانع. سأكتب لك العنوان، وسأبعث إليك رسالة أخبرك فيها كيف تسير الأمور معي وكم من الوقت سأكون منشغلة».

بعد ذلك حملت حقيبتها ورحلت. كانت سيارة لنقل عناصر الجيش تنتظرهما لنقلهما إلى محطة استقبال إشارات اللاسلكي أو الراديو.

قال فروغي: «ويندي ريدج، لا تبدو الرحلة مشجعة، أليس كذلك؟ تبعد خطوة واحدة عن مرتفعات وذرغ».

أجابت بامبلا: «لا أعتقد أن هناك الكثير من مرتفعات وذرغ في بكنغهام شاير. سنكون داخل مبنى، ونحن الآن في فصل الصيف».

قال: «هذه هي الروح المعنوية العالية. فتاة جاهزة للقيام بأي مهمة. أقول لا أفترض أنك سترغبين في الخروج معي عندما يكون لدينا إجازة في المساء».

أقلت نظرة سريعة عليه. كان يتمتع بمظهر مقبول خصوصاً بحسب معايير بليتسلي. كان يتمتع بحس فكاهة جيد. ولكن كان لديها للتو جيرمي - جيرمي

الغني، والوسيم المظهر - ما الذي قد تتمناه أي فتاة أكثر من ذلك. قالت: «شكرًا جزيلاً لك. ولكن لدي شاب للتو وهو طيار في سلاح الجو الملكي البريطاني».

قال: «إنه حظي العاثر. إن كل الفتيات الجيدات مرتبطات أصلاً. أه، حسناً قد يكون من الأفضل إبقاء علاقتنا على أساس حرفي صرف، ما رأيك؟».

كانت سيارة الهمبر تصعد التلة وتوقفت تمامًا عند سياج من الأسلاك الشائكة. كانت أكواخ نيسن وهوائياتها تقع وراءه. سمح لهما حارس بالدخول. وتم توجيههما إلى غرفة ضخمة مليئة بنساء من القوات الجوية المساعدة النسائية اللواتي كنّ يجلسن واضعات سماعات الأذن. همس فروغي قائلاً: «إنها مثل مركز لاتصالات الهاتف، أليس كذلك؟».

قامت فتاة برتبة مساعد بإرشادهما إلى المكان الذي سيجلسان فيه، وخزانة الإمدادات الواقعة إلى جانب المطبخ، والمكان الذي يمكنهما تركيب أسرة المعسكر فيه. وقالت لهما: «من الأفضل البدء الآن، وليس لاحقاً».

وضعت بامبلا سماعات الأذن. أحست بثقلها. لقد جلست منهمكة على مقعدها، وبدأت بالتفكير في الأشياء. تم بثّ النشرة الإخبارية الأولى في الساعة السابعة والنصف مساءً. كانت البداية بثًا مفاجئًا للسفونية الخامسة لبيتهوفن، بعد ذلك: «هذه محطة هيئة الإذاعة البريطانية الجديدة

التي تبث برامجها على ٥٩٢٠ كيلوسيكل، ٦٣ مترًا». شعرت بامبلا بقشعريرة تنزل إلى نخاعها الشوكي بينما كانت تستمع إليها. وتساءلت: كم من العائلات الإنكليزية كالت تستمع إلى هذا. كانت هناك أبناء عن إغراق سفن للحلفاء. بعدئذ جاء صوت آخر ليقول: «هل سبق أن تم إعطاؤكم أي فكرة عن مستقبل أطفالكم؟ تعرفون خطة الإجلاء التي أعدتها الحكومة، أو كما من المفروض أن يقول المرء، انهيارها الكامل قد يكون له تأثير عميق في أولادكم وبناتكم في السنوات القادمة»، ثم تابع ليقول بأن أربعمئة ألف من الأطفال لم يكونوا يتلقون تعليمهم بسبب الإرباك. إله ذكي، فكرت بامبلا إله يلعب على أعماق مخاوف الوالدين.

وتبع ذلك فورة دعاية حول القضية اليهودية. ثم فاصل موسيقي آخر قبل رسائل من الصبية في معسكرات السجن في ألمانيا.

انتهى البث. وجاء بث آخر في وقت لاحق من ذلك المساء، ثم أربعة في اليوم التالي.

سألها فروغي: «ما رأيك؟ هل رأيت أي ضوء للفجر حتى الآن؟».

هزت بامبلا رأسها بالنفي قائلة: «لا يوجد شيء حقًا. أصوات مثل مذيعة بي بي سي الحقيقية، تفتقر إلى أي نوع من الفردية. تتخللها أجزاء من إثارة الموسيقى الألمانية. كان أغلبها لبيتروفن وموسيقى هاندل للألعاب النارية الملكية، أليس كذلك؟».

رفعت بامبلا بصرها بحدة وقالت: «هل يمكن أن يكون شيء ما؟ الألعاب النارية الملكية؟ هل هناك مؤامرة لتفجير العائلة المالكة؟».

حدق بها قائلاً: «الآن هذه فكرة. التواصل من خلال الموسيقى. هذا ذكاء حقًا. دعينا نتأكد أننا نستمع جيدًا إلى أيّ موسيقى غداً».

نامت بامبلا بشكل مناسب لبضع ساعات، لتستيقظ فقط خلال التبديل المبكر للنوبة الصباحية التي جاءت لتحضير الشاي. اغتسلت بالماء البارد واستأنفت مكانها على الطاولة. بحلول نهاية اليوم كانت مريضة بشدة من الأكاذيب والدعاية.

سألها فروغي: «ماذا لديك؟».

«السيمفونية الخامسة لبيتهوفن ليعلن البث. موسيقى مختلفة قبل الأخبار والتعليقات والرسائل من أولادنا. أخشى ألا أكون على دراية بالموسيقى. كل الموسيقى الألمانية، افترض؟».

«نعم. لحسن الحظ، لقد جئت من عائلة موسيقية. لقد درست التشيلو. تعزف عائلتي كلها على الآلات الموسيقية. يمكنك القول إن الموسيقى محشوة في حناجرنا. لاحظت مقطعين من السمفونية السابعة لبيتهوفن. كانت معظم الرسائل الرئيسية إلى الوطن باندربيرخ كونسيرتو لباخ، ولكن كان هناك اثنان من مقتطفات من فاغنر ركوب الفالكيريس، وسقوط الآلهة».

قالت بامبلا: «هذا مثير للإعجاب. حاول الآن إيجاد

معنى لهم".

«الوحيد الذي يمنحنا أي شيء للاستمرار هو»
الألعاب النارية الملكية لهاندل، أليس كذلك؟ يجب
أن نبلغ عن ذلك».

«ولكن لا يفكني رؤية أي تفاصيل، لا كيف
ولا متى. كانت القطعة التي تلت ذلك عن إجلاء
الأطفال. لقد درست ذلك بالتفصيل، ولم أتمكن من
العثور على أي رسالة مخفية».

قالت بامبلا: «إذا كانت هناك رسالة، فلن تكون
معقدة للغاية، أليس كذلك؟ أقصد، عندئذ فإن
المتعاطفين العاديين مع الألمان لم يتمكنوا من
فهمها».

«ما لم يكن لديهم دفاتر الشيفرات وتعني كلمة
الطفل (غذا) وكلمة التعليم تعني (البنادق)».

«ولكن عندها لن تكون لدينا فرصة للترجمة ما لم
يكن لدينا دفتر الشيفرات. دعنا نسأل القائد ترافيس
ما إذا كانت هذه الكتب قد تم الاستيلاء عليها».

نهض وقال: «فكرة جيدة. دعينا نتوقف عما نفعله
لأننا فعلنا ما يكفي، ما رأيك؟ أشعر بالتنميل في
مقعدتي من الجلوس على مقعد صلب لساعات
طويلة».

الفصل الواحد

والثلاثون

لندن

كانت الأمطار تهطل بغزارة حين عاد بن إلى لندن، في وقت متأخر من الليل. لقد تحفل ثلاثة أيام غير مثمرة من القطارات المزدحمة، والناس غير المتعاونين، والمطر المستمر. لم ير أي تضاريس تشبه الصورة، ولم يعرف أي تفاصيل عن المعارك التي قد تكون ذات صلة اليوم. لقد مشى بتثاقل على الدرج إلى بيته في مأواه المؤقت بمنزل الغرف المؤقتة على طريق كرومويل. لقد كان ذلك نوعًا من الفنادق الوضيعة قبل الحرب حيث تفت الاستعانة بها الآن لإيواء العاملين في الحكومة. كانت الغرف متقشفة مع سرير واحد، وخزانة كبيرة وطويلة لتعليق الملابس، وطاولة، وكرسي، ورف في زاوية واحدة مع بالوعة، وخزانة صغيرة، ووصلة لاستجرار الغاز. كان عليه أن يسقط ستة بنسات في عداد الغاز. ولما وضع مفتاحه، انفتح الباب عبر القاعة، وظهر وجه غاي. قال: «يا الله، تبدو كالفار الغارق. تعال إلى الداخل. سأصنع بعض الشاي، ولا يزال لدي بضع قطرات من البراندي لأضعها فيه».

بدأ بن: «هذا لطف منك، لكنني في الواقع...».

قال غاي: «لا تكن شهيدًا. لا نريدك أن تعود مصابًا بنزلة برد لتصبح عاجزًا عن أداء عملك، أليس كذلك؟».

قال بن: «سأخلع معطف المطر الخاص بي أولاً». ذهب إلى غرفته الخاصة، التي كانت تعطي شعوراً بالبرد والرطوبة وغير ودية، علّق المعطف فوق وتدي خلف الباب، ثم ذهب عبر القاعة إلى غرفة غاي. في المقابل، كانت هذه الغرفة تعطي شعوراً بالراحة وذات مظهر مريح وطبيعي أو عائلي كما لو كانت تُستخدم بشكل منتظم للسكن. وقد علّق غاي ستائر مشرقة على النافذة. وزيّنت بعض مطبوعاته الفنيّة الحديثة المفضّلة الجدران. كما انتصبت نبتة على حافة النافذة، وكانت هناك وسائد على الكرسي. فكّر بن: إن غاي يحب وسائل الراحة. جلس بينما كان غاي يعدّ الشاي، ثم سكب فيه كونيّاك.

«اشرب هذا وسوف تشعر بتحسّن».

شرب بن بامتنان، وقال: «لقد بقيت مبلّلاً طوال اليوم».

سأله غاي: «أين كنت؟».

«في يوركشاير بالأمس وعلى الحدود الويلزيّة اليوم».

«بالله عليك ماذا كنت تفعل هناك؟».

قال بن: «لا أظنّ أنّه يفكن أن يضر ياخبارك. كنت أتحقّق من موقع المعارك القديمة».

«هل تكتبون أطروحة، أو هل كان لهذا علاقة بالعمل الفعلي؟».

«هذا الأخير، لكنني لا أستطيع أن أخبرك بماذا».

«بالطبع لا. هل ثبت أنّها مثمرة؟».

ابتسم ابتسامة عريضة وقال: «إنها مضيعة للوقت من المؤكد».

«من المؤكد أن معظم الأشياء التي نقوم بها مضيعة للوقت، أليس كذلك؟ لقد تم إرسال رسالة مرسلة أخرى اليوم لكتابة تقرير عن جاسوس ألماني محتمل. وبالطبع، اتضح أنه يهودي آخر عاش هنا منذ ما قبل الحرب العظمى».

هز بن رأسه موافقًا وقال: «ولكن بالطبع يجب أن يكون عناصر الطابور الخامس الحقيقيون أذكى. لن يظهروا بأي شكل من الأشكال. أشك في أنني قابلت أحدًا منهم بالفعل».

سأل غاي: «أبداً». ابتسم ابتسامة عريضة وقال: «أنا متأكد أنني فعلت».

«حقًا، أين؟»

«في اجتماع تم إرساله إلي. لكنني أظن أنه لا يمكنني إخبارك أكثر من ذلك. إذا فعلت سيطلق الكابتن كنج النار علي. أو الأنسة ميلر سوف تفعل. إنها مخيفة أكثر من نايت، أليس كذلك؟».

وافق بن قائلاً: «من المؤكد». لقا غادر غرفة غاي، شعر بالراحة، وليس فقط من البراندي التي كانت قد بدأت تفعل فعلها في نظامه الحيوي. كان يعمل هو وغاي في المؤسسة نفسها، حتى لو لم يتمكنوا من إخبار بعضهما بعضًا بما يفعلانه بالفعل. لقد جعل هذا الأمر أسهل بطريقة ما.

في صباح اليوم التالي، عاد بن إلى دولفين سكوير

لمراجعة العمل، وتسليم التقرير وقد تم إرشاده إلى الحرم الداخلي.

«أه يا كريسويل. تعال». نظر ماكسويل نايت في ورقته ومد يده إلى بن. سألته: «رحلة ناجحة؟ هل حالفك الحظ؟».

أجاب بن: «أخشى ألا يحالفني الحظ يا سيدي. زرت موقعي المعركتين، ولم يكن هناك شيء في التضاريس يشبه الصورة. لذلك كنت أتساءل، أليس هذا أمر يمكن للاستطلاع الجوي في وزارة الطيران مساعدتنا فيه؟».

أجاب ماكسويل نايت: «أرسلت إليهم بالفعل نسخة من الصورة. لم يأتنا الرد حتى الآن. لديهم قضية أكثر أهمية هذه الأيام. لكثك قد تمر بهم هناك وتحاول إقناعهم بالإسراع بالقيام بذلك قليلاً».

«إذن، أنت لا تريد مني العودة إلى كينت؟».

«هل هناك أي شيء آخر قد تأمل تحقيقه هناك؟».

«في الحقيقة لا يا سيدي». بينما كان يقول ذلك، ابتلع شعوره بالإحباط. لقد كان قد أعطي مهمة مرغوبة بشكل خاص ولم ينجز أي شيء على الإطلاق. «أفترض أن القضية الأساسية هي فيما إذا كان ذلك المكان بعينه مهمًا. أما إذا كان هناك شخص للتواصل فهو من كان ذلك المهم بالنسبة إلى الألمان. وإذا كان الوضع هكذا فهل سيقومون بإرسال رسول آخر أم أنهم سيستخدمون صيغة أخرى لإجراء الاتصال».

أوما ماكس نايت برأسه بالموافقة وقال: «تمامًا. وإذا كان الوقت والمكان غير مهمين، فقد أرسلوا بالفعل رسالتهم بطريقة أخرى، باستخدام حمامة أو جهاز لاسلكي».

«إذا لم يكن ذلك مهمًا، فلماذا يخاطرون بالمظلي؟».

أوما ماكس نايت برأسه بالموافقة، ثم تنحنح وقال: «كريسويل، هناك شيء يجب أن تعرفه. هذا بيننا حصرا، كما تفهم. يجب ألا يخرج من هذه الغرفة أبداً».

أجابه بن قائلاً: «أمرك مطاع يا سيدي». وهو يشعر أن نبضات قلبه كانت تتسارع.

ذكرت لك من قبل أننا كنا مهتمين فقط بالأرستقراطيين في الجزء الخاص بك من العالم. هناك سبب لذلك. من المحتمل أنك سمعت أن هناك عدة مجموعات مؤيدة لألمانيا تعمل في بريطانيا».

«حسنًا. يسمع المرء الزمالة الأنكلو-ألمانية، وبالطبع لا يمكن إحصاء الفاشيين البريطانيين».

«كلاهما غير ضار نسبيًا. إنهم يرحبون بالصدقة مع ألمانيا من حيث المبدأ. لا أعتقد أن أيًا من المجموعتين ستعمل بنشاط لتحقيق استيلاء ألمانيا على بريطانيا. ومع ذلك...»، توقف مؤقتًا، وهو يميل كرسيه حتى يتوازن بشكل غير مستقر، «ربما تكون قد سمعت أيضًا أن هناك عنصرًا من المشاعر القوية الموالية لألمانيا بين الطبقات العليا».

قال بن: «لقد ذكرت لي من قبل أن هناك أولئك الذين يرغبون في رؤية دوق وندسور على العرش». «وهم يعملون على تحقيق ذلك. لا يمكننا أن نكون متأكدين بعد ما إذا كانوا سيذهبون إلى حد الاغتيال الفعلي للعائلة المالكة الحالية. لكننا نتخذ الاحتياطات اللازمة. نحن نقوم بالمراقبة كلما كان ذلك ممكنا. كما ترى يا كريسويل، هناك مجموعة سرية صغيرة علمنا عنها للتو. وهي تتكوّن بشكل حصري تقريبا من الأرسقراطيين. إنهم يسقون أنفسهم الحلقة. لدى بعض منهم لديهم اعتقاد خاطئ بأنهم يستطيعون تجنب بريطانيا الدمار الشامل بمساعدة الغزو الألماني. كما يعتقد بعضهم الآخر أن حكومة على غرار حكومة هتلر لن تكون سيئة للغاية، بحيث لدينا علاقات عميقة بألمانيا بما في ذلك عائلتنا المالكة».

قال بن من دون تفكير: «إنهم حمقى بالمطلق. من المؤكد أنه يُمكن لأي شخص أن يرى أننا في أفضل الأحوال دولة دمية مع عمل عبودية».

«أنا وأنت نستطيع أن نرى ذلك. هناك أولئك الذين لا يستطيعون أو لا يريدون رؤية ذلك. وهم خطرين يا كريسويل. يوجد بينهم من سيفعل ما يلزم».

وتساءل بن: «إذن كيف يُمكننا اجتثاثهم وإيقافهم؟».

«سؤال جيد. لدي أشخاص يتسللون إلى اجتماعاتهم في أي وقت نسمع عنها».

اعتقد بن للحظة مرعبة أن نايت كان على وشك

أن يوحى بأن يتسلل إلى مثل هذه الاجتماعات. وتبع ذلك الاعتقاد بأنه يجب عليه التطوع لمهمة كهذه. وتساءل: «هل هناك أي طريقة يمكنني من خلالها المساعدة يا سيدي؟».

«نعم بالفعل. ابق عينيك وأذنيك مفتوحتين، ومن أجل الله، دعنا نتعرف تلك الصورة الملعونة. اسأل الأنسة ميلر عن كيفية الوصول إلى الاستطلاع الجوي. لقد تم دفنهم بمكان ما في أعماق البلاد داخل مخبأ سري للغاية. سوف أخبرهم بأنك قادم».

بينما كان بن ينزل في المصعد، كان لديه شعور غريب. لماذا تركه نايت يخرج في سعي أحرق يائس لشيء بعيد المنال إلى يوركشاير وهيرفوردشاير حين كان يجري تحليل الصورة بالفعل من قبل وزارة الطيران؟ ولماذا انتظر طويلاً ليخبره عن الحلقة؟ استقر على فكرة أنه كان يجري إبقاؤه مشغولاً وخارج الطريق لسبب ما. وتساءل ما إذا كان السبب أن ماكس نايت نفسه كان جزءاً من الحلقة السرية.

بمجرد مغادرة بن المكتب، دخلت جوان ميلر سكرتير السيد نايت وأغلقت الباب خلفها.

«هل أخبرته عن الحلقة؟».

«نعم فعلاً. بدا أنه يجد صعوبة في تصديق أن البريطانيين النبلاء من الممكن أن يتصرفوا بهذه الطريقة. أقول إنه شاب ساذج».

«أو ممثل جيد، يا سيدي». قالت جوان ميلر بينما كانت تنظر إليه وهو ينظر إليها، من دون أن تحرك

عينها. لا يمكننا أن نستبعد تمامًا أنه يعمل معهم. لماذا التطوع للإسراع إلى يوركشاير عندما نعرف أنهم عقدوا للتو اجتماعًا هناك؟»

«أخبرتني جهات الاتصال الخاصة بي و (gut) أنه بخير يا جوان. لكنني كنت قد ارتكبت خطأ من قبل. يُفكّنك ذكر اسمه في المرة القادمة التي تكونين فيها معهم. اقترحي لهم اسمه كمجند مُمكن ولاحظي ما إذا كان من المُمكن أن تحسلي على رد فعل من قبلهم.»

«ليس من طبقتهم يا سيدي. وليس مؤثرًا بما فيه الكفاية. إنه ضئيل الأهمية. لن يكونوا مهتمين.»

«إذا كان لديهم وظيفة معينة للقيام بها، فقد يفعلون.»

هزت جوان ميلر رأسها بالموافقة وسألته: «ألم تخبره أن لدينا مارغوت ستون بسلام في إنكلترا؟»

«ليس بعد. أنا غير مرتاح لذلك يا جوان. الإنقاذ كله كان سهلًا جدًا. أعتقد أنهم كانوا يسمحون لها بالابتعاد. والسؤال هو لماذا.»

لم يتمكن بن من التخلص من الشعور بعدم الارتياح وهو يسير من دولفين سكوير إلى محطة فيكتوريا للقطارات. هل كان يستخدم لشيء ما؟ ربّما كطعم؟ أخذ مترو الأنفاق إلى محطة مارليبون، ثم القطار فوق الأرض إلى باكينغهامشاير. خرج من مارلو، ثم وجد أنه كان عليه الانتظار لحافلة محلية لنقله إلى قرية مدمنهام على بعد ثلاثة أميال تقريبًا. ومزة أخرى، جُزِب هذا الشعور بعدم

الواقعية في أثناء نظرتة إلى نهر التايمز، متلألئا خارج متاجر مارلو الصغيرة. كان هناك قارب تجديف يتم دفعه من طريق المجاذيف على طول النهر. لا شيء هنا يبدو أنه قد تغير. كان من المدهش أن مكانا قريبا جدا من لندن قد يبدو غير متأثر بالحرب. جاءت الحافلة أخيرًا، وركب الحافلة عبر الريف المورق حيث كانت ترعى الأبقار في المروج بمناظرها الطبيعية الجميلة مع النباتات المورقة. من القرية، اتبع توجيهات جوان ميلر إلى منزل كان فخما سابقًا، وخضع لثلاث جولات من الأمن قبل إرساله إلى غرفة العمليات. تمتلئ قاعة الرقص السابقة الآن بطاولات كل واحدة منها مغطاة بالخرائط. لقد فوجئ لقا وجد أن عددًا كبيرًا من الأشخاص المنكبين على القراءة المكثفة للخرائط هم من النساء، كنّ شابات، كثيرات منهن يرتدين الزي الأزرق للقوات الجوية المساعدة النسائية. انتظر، وجاءت إليه فتاة في الملابس العادية التي ليست جزءًا من الزي الرسمي. قالت: «مرحبًا. سيد كريسويل؟ قيل لنا إنك كنت في طريقك إلينا. إنه بعيد بعض الشيء، ولكن ليست هناك أماكن إقامة سيئة، أليس كذلك».

ابتسم لها ردًا على ابتسامتها وقال: «المكان ليس سيئًا أبدًا». كان وجهها مستديرًا مبهجًا ولطيفًا، وتجعيدات شعرها كانت نطاطة تشبه إلى حد كبير شيرلي تمبل. لاحظ بن تجعدات، لكنها ليست بدينة. سألت: «لقد أتيت عن الصورة، أليس كذلك؟ أسفة. لقد عُمرنا في الاونة الأخيرة بالعمل، ولم يكن لدي

الكثير من الوقت أقضيه من أجلها. كان الأمر كله يتعلق بتحديد مواقع المصانع الألمانية وساحات السكك الحديدية للبضائع. هل أحضر لك كوبًا من الشاي؟»

«أه، لا، ليس ضروريًا»، بدأ الكلام، لكنها قاطعته.
«أه تعال. تحلى بالروح الرياضية. إذا كان لدينا زوار، يُسمح لنا بفتح تنكة البسكويت!».

«حسنًا إذن. كيف يُمكنني أن أرفض؟». ذهب إلى مطبخ صغير. صبت الشاي وأنزلت تنكة البسكويت من على الرف. قالت له: «هيا تفضل. ساعد نفسك. فقط يُسمح لك بالحصول على واحدة أيضًا».

«لا، حقًا، ولكن من سيعد البسكويت؟». ومضت ابتسامة شريرة عريضة مرّة أخرى والتقطت بسكويت بوربون. أخذ بن بسكوته بكريم الكستارد. ثم تابعت قائلة: «واحدة من امتيازات العمل هنا أن علينا الترفيه عن الزوار».

وتساءل: «إذن، لم يكن لديك وقت للعمل في موقع الصورة؟».

«لقد فعلت بعض الأشياء الأولية. المشكلة أن ليس لدينا الكثير من الصور الجوية لإنكلترا، وخصوصًا الصور البعيدة الغربية التي لا تُعدُّ مهمة بالنسبة إلى المجهود الحربي. لذلك نحن نعمل من خريطة مسح الذخائر، وهذا أمرٌ مملٌ وبالغ الصعوبة. كذلك نبحت عن مكان خطوط الكفاف القريبة بما يكفي للإشارة إلى تَلٍّ شديد الانحدار وأي تَلٍّ شديد الانحدار له نهر على بعد نصف ميل تقريبًا منه وعليه كنيسة».

وبمجرد وصولي إليه، يتم استدعائي لأن الصور الجديدة تكون قد وصلت للتو من ألمانيا. هل هذا بالغ الأهمية؟".

قال: «قد يكون الأمر مهمًا. لا أعرف ماذا قالوا لك، لكن أحد جنود المظلات، الذي كان شبه المؤكد أنه جاسوس ألماني، سقط ميتًا في حقل في منطقة كنتس، والشيء الوحيد الذي كان موجودًا في جيوبه هذه الصورة. لذلك نحن في حاجة إلى معرفة سبب أهميتها».

«أه. كم هذا مثير. بالطبع من المؤكد. سأفعل ما بوسعي. ابق هنا لوقت متأخر».

«شكرًا جزيلاً. إن هذا لطف منك». لقد ترك الاستعلام معلقًا.

ابتسمت له وقالت: «أنا مافيس، مافيس بوغ».

أجابها قائلاً: «أنا بن. سعدت بلقائك». لم يكن متأكدًا ما إذا كان يجب أن يصفحها أم لا.

سألته: «هل تعمل في لندن؟».

«نعم معظم الوقت. يرسلونني في مهمات مثل هذه المهمة. هل أنت مزودة بالسكن وخلافه هنا؟».

«لا، أعيش مع أمي في مارلو، لحظي العاثر. إنها من النوع العصبي، وتمنعني من التصرف بحرية أو بشكل طبيعي إلى حد ما».

«ألا تذهبن إلى لندن أبدًا؟».

قالت: «هل تراهن. في اللحظة التي أحصل فيها على إجازة، سأذهب إلى لندن في القطار التالي».

لماذا، هل كنت على وشك أن تدعوني للخروج معك؟ احمد بن خجلأ وقال لها: «كنت أفكر في ذلك. أنا أسف. أنا عادةً أكون مهذبًا في السلوك أو الموقف تجاه فتاة جديدة قابلتها للتو».

ردت عليه قائلة: «أه، أنا لا أمانع على الإطلاق. على المرء أن يأخذ فرصه في حرب كهذه. نحن جميعًا ندرك بشكل مرعب عدد المرات التي لا يعود فيها أحد طياري سلاح الجو الملكي البريطاني. يُفككك الدردشة مع شاب في يوم من الأيام، وفي اليوم التالي تسمع أنه تم إسقاطه. لذا أصبح هذا شعاري اغتتم الحياة قَدْرَ ما تستطيع».

سألها: «إذن، ماذا عن السينما في وقت ما؟ أعني السينما ليس ما تفعلينه هنا».

قالت: «أحب السينما». ابتسمت له ابتسامة سريعة. «كلارك غابل. إنه المفضل لدي».

سألها: «هل تحصلين على إجازات منتظمة؟».

«الواقع، لا. لكنني أحصل على عدد قليل من الأمسيات التي أكون فيها حرة عندما أكون في نوبة مبكرة من هذه. لا يأخذ الذهاب إلى البلدة وقتًا طويلًا، أليس كذلك؟». لقد توقفت وابتسمت له مرة أخرى. «لذلك دعنا نحدد موعدًا، ما رأيك بذلك؟».

«المشكلة الوحيدة أنني لا أعرف ما إذا كان يفترض أن أعود إلى العمل في لندن الآن أو ما زال عليّ التجول في الريف. يجب أن أخبرك بذلك».

«أمل ألا تحاول التخلص مني؟ هل هناك فتاة

أخرى؟».

«لا، من المؤكد لا. لا توجد واحدة أخرى».

«هذا جيد، إذن. يجب أن أقول إنني أتخيل الخروج مع شاب لا يتم إطلاق النار عليه وتمزيقه أربًا إربًا في اليوم التالي. هذا مطمئن للغاية».

قال بن: «أعتقد أنه يجب علينا العودة إلى العمل وإلقاء نظرة على تلك الصورة. هل لديك هاتف في المنزل حيث يفكني الاتصال بك؟».

قالت: «أفضل أن تترك لي رسالة في العمل. أمي فضولية للغاية، ومن المحتمل أن تدعوك لتناول الشاي ومن ثم ستغرقك بوابل من الأسئلة المحرجة. أفترض أنها تعني ذلك. تريد أن تبقيني بوضع آمن عندما لا يفكن المحافظة على أحد بأمان».

«حسنًا. أعطني رقم العمل».

لقد تبعها إلى طاولتها، وكتبته له. تم تثبيت نسخة من صورة مكبرة إلى جوار الخريطة. ولقا انحنى للنظر في ذلك، تم استدعاء اسم مافيس.

نادت امرأة ضخمة عبر الغرفة كانت ترتدي إشارات رتبة الرقيب وهي تنظر نظرة استنكار سريعة إلى بن: «مافيس، هل أصبحت تلك الصور جاهزة؟ الرجل من الوزارة هنا ينتظر من أجلها».

ردت عليها مافيس فقالت: «كل شيء جاهز للتسليم يا سيدتي».

استدارت إلى بن وقالت: «اسمح لي فقط بتسليم هذه الأشياء إلى الشاب من الوزارة، ثم ساكون

بتصرفك». كان معنى كلامها المزدوج واضحًا تمامًا. ولما مشت نحو الباب، فُتح الباب ودخل رجل يرتدي الزي العسكري لسلاح الجو الملكي البريطاني. بدأ يتكلم قائلاً: «أنا هنا لتستلم...» نظر جيرمي إلى مافيس، ثم إلى بن وقال: «يا إلهي يا بن. ماذا تفعل هنا؟».

لما تعافى بن من صدمته، أدرك أنه لا يفترض به أن يُصاب بالصدمة لرؤية جيرمي. على الرغم من كل شيء كان جيرمي قد أخبره بأنه سيعمل في وزارة الطيران حتى يصبح لائقًا بدنيًا للعودة إلى الطيران. قال بن: «مرحبًا جيرمي».

سأله جيرمي: «ماذا تفعل هنا؟ أنت لا تعمل في وزارة الطيران، أليس كذلك؟».

«لا، ولكن تم إرسالني لأخذ صورة من هنا لواحد من رؤسائي».

قال جيرمي: «صدفة مذهلة». التفت إلى مافيس. «كان هذا الشاب وأنا أفضل أصدقاء نشأنا معًا. ونجتمع هنا من بين كل الأماكن».

قالت مافيس: «آه، إذن يمكنك أن تخبرني بكل أسرار ماضيه».

رفع جيرمي حاجبه مستنكرًا، «لقد آه، فهمت. أنت وهي... أيها الكلب الماكر الكتوم».

قال بن: «لقد التقينا للتو. لكنني طلبت منها الخروج إلى السينما».

قال جيرمي: «ماذا أقول لك. لماذا لا تحضرها إلى

حفلي يوم الأربعاء؟». ثم التفت إلى مافيس وقال لها: «لقد انتقلت للتو إلى شقة والدي في مايفير، وسأحتفل بحريتي من خلال حفلة الانتقال إلى مقر الإقامة الجديد.

تألقت عينا مافيس وقالت: «مايفير؟ يا للروعة. أه، بن. أنا أحب ذلك».

«هل يمكنك الحصول على إجازة؟».

«أنت تعرف جيدًا أنني سوف أفعل بطريقة ما حتى لو اضطررت لأخذ نوبات فظيعة لمدة شهر كامل».

قال جيرمي: «إذن، دعوني أكتب العنوان لكما. سنستمتع بوقتنا. يمتلك العجوز أنواع النبيذ المختلفة وأنا أخطط شقّ طريقي من خلالها».

قالت مافيس: «جيد جدًا. أنا سعيدة لأنّ لديك أصدقاء لطفاء هكذا يا بن».

قطب جيرمي حاجبيه بطريقة ساخرة وقال: «لطفاء؟! ما رأيكم بالشاب الوسيم العصري الفاتن وواثق الخطى؟».

قالت: «وتلك أيضًا».

سأل بن محاولاً إعطاء الانطباع بأنه لم يكن مباليا فقال: «هل الفتيات ستون قادمات لحضور الحفلة؟».

«فقط ديدو وباما. ليفي كبيرة جدًا ومحافضة، وفيبس صغيرة جدًا. لقد كانت مهمة إقناع اللورد ويسترهام بالسماح لديدو بالوصول إلى المدينة

مهمة شاقة جدًا. إنهم يبقونها مقيدة طوال الوقت». قال بن مبتسماً: «ربما لسبب وجيه»، وابتسم جيرمي ابتسامة عريضة.

سألت مافيس وعيناها مفتوحتان بشكل واسع: «سيكون في الحفلة أشخاص يحملون ألقابًا؟».

التفتت إلى بن وقالت: «يا للعجب. أنت لست لورداً أو شيئاً من هذا القبيل، أليس كذلك؟».

أجاب بن: «فقط سيد. إنَّ والد جيرمي هو سير».

قال جيرمي: «أنا أيضاً مجرد ملازم طيار. حتى الآن لم أخبرك من أكون. اسمي جيرمي بريسكوت. ما اسمك أنت؟».

قالت وهي تتلثم قليلاً: «اسمي مافيس، مافيس بوغ».

قال بن: «هكذا أنت يا جيرمي. لقد سحرت الفتاة المسكينة».

سألت بصوت عالٍ الآن وهي تبدو أكثر شجاعة: «إذا كنت ملازماً طياراً، فلماذا لا تطير؟».

«لقد هربت من معسكر اعتقال ألماني لأسرى الحرب في ألمانيا مؤخراً وتمكنت من العودة إلى الوطن. لقد أصبت بالرصاص وكنت في حالة سيئة إلى حد ما. ما زلت أتعافى كما يفترض، لكنني لا أريد أن أجلس في المنزل ولا أفعل شيئاً، لذلك يسمحون لي بالعمل في الوزارة».

قالت مافيس وعيناها تتوهجان الآن: «ظننت أن وجهك كان مألوفاً. رأيت صورتك في الجرائد».

كانت الفتيات هنا يتحدثن عن هروبك». ثم نظرت إلى بن وسألته: «هل كنت طيارًا أيضًا في وقت من الأوقات؟».

قال جيرمي بسرعة: «تعرض لحادث تحطم طائرة بسبب قيادتي السيئة للطائرة. أشعر بالذنب حيال ذلك كل يوم من عمري». توقف مؤقتًا، ثم أضاف: «وما زال العرض قائمًا للحصول على وظيفة في وزارة الطيران، أيها الصديق القديم. لديك سبب مشروع لزيارة مافيس في كثير من الأحيان».

قال بن: «على الرغم من أن هذا يبدو مغريًا، فإنني لا أعتقد أنك ستجد أن التبديل أمرًا سهلًا في وقت الحرب. وأنا أقوم بدوري حيث أعمل الآن».

قال جيرمي: «حسنًا، من الأفضل أن أعود إلى المدينة. هل سأراكما في حفلي، إذن؟».

التقط حزمته، غمز مافيس، وخرج من الغرفة.

الفصل الثاني والثلاثون

بليتشلي بارك

عادت بامبلا وفروغي بريسويت إلى المنزل الكبير، ودرسا النصوص.

قال فروغي: «من المثير للاهتمام أنهم لا يستخدمون دائمًا المقطوعات الموسيقية نفسها، ليس كذلك؟ أقصد أنهم يبدوون البث دائمًا مع بيتهوفن، ولكن بعد ذلك لديهم مجموعة مختارة من الملحنين الألمان بين الأخبار والتعليقات».

قالت بامبلا: «ربما فقط لتذكير العالم بمدى تفوق الثقافة الألمانية».

«لكنني أعتقد أنه يتعين علينا تحديد كل قطعة من القطع المختارة ودارستها. قد توضح النوتات الموسيقية شيئًا ما. ربما هذه هي الحركة الرابعة في السيمفونية الثالثة أو شيء ما، وهذه الأرقام تشير إلى تواريخ؟».

قالت بامبلا: «أعتقد أنك كالغريق الذي يتمسك بقشة. إذا كانوا يرغبون في إرسال رسائل إلى المتعاطفين أو العملاء في بريطانيا، فسيتعين عليهم أن يكونوا بارعين في حل أمور كهذه».

«ما لم يكن لديهم دفاتر الشيفرات. ربما كان باخ يعني شيئًا ما، وهاندل قد يعني شيئًا آخر».

قالت بامبلا: «ولكن ليس لدينا دفاتر الشيفرات الخاصة بهم. أتساءل ما إذا كان القسم الخامس من

المخابرات العسكرية يعرف المزيد عن هذا. لقد أقفل علينا هنا، وأقسمنا على الحفاظ على السرية، وليس لدينا أي فكرة عما تعرفه الوزارات أو الإدارات الأخرى أو لا تعرفه. اعتقد أننا يجب أن نسأل القائد ترافيس عن هذا".

قال فروغي بارتياح: «ربما».

لما عادت بامبلا إلى غرفتها في تلك الليلة، فتحت درجًا لوضع الأشياء التي أخذتها معها في أثناء تخيمها، وتوقفت مقبلة حاجبها. كان شخص ما قد عبث بأشياءها. كانت تتذكر بوضوح أنها تركت زوجًا واحدًا جيدًا من جوارب النايلون ملفوفة بمنديل، بحيث لا تكون هناك فرصة لأن تتسخ أو تُخدش. كما أنها كانت متأكدة أن دفتر يومياتها كان تحت ثوب نومها الاحتياطي.

وصلت تريكسي بينما كانت بامبلا جالسة على سريرها تفكر في ذلك الأمر. قالت تريكسي: «آه، لقد عدت إلى الحياة. هل فرغت من النوبات الليلية؟».

قالت بامبلا: «أقول يا تريكسي في الوقت الراهن، أنت لم تقترضي جواربي، أليس كذلك؟ لن أكون غاضبة إذا فعلت ذلك، لكن القضية أنني لم أجدها في المكان الذي كنت قد وضعتها فيه».

قالت تريكسي: «بالطبع لم أفعل. أنت تعرفين أفضل من ذلك يا باما. إذا كنت أرغب في استعارة شيء من أغراضك، أطلب ذلك منك».

قالت باما: «إذن قام أحدهم بالتطفل على الدرج».

قالت تريكسي: «لا بد من أن السيدة إنتويستل هي من فعل ذلك كما هو واضح. لطالما كنت أعتقد دائمًا أنها من النوع المتطفل».

قالت باما: «لا أعرف ما الذي كانت تأمل في العثور عليه إلا إذا كانت تشعر بالإثارة من قراءة مذكرات الآخرين».

ابتسمت تريكسي ابتسامة عريضة وقالت: «لماذا، هل يومياتك مليئة بالتفاصيل المثيرة؟».

«بالطبع لا. إنها مملة بقدر ما يمكنك أن تتخيلي. بالأمس تناولنا فطيرة الراعي هي نوع من الفطيرة اللذيذة، وكانت السماء تمطر، وغير ذلك. لم أكن قط من النوع الذي يكتب أفكاره الأعمق على الورق».

قالت تريكسي: «لم أكن أنا من ذلك النوع أيضًا. كان هناك الكثير من أعين المتطفلين في منزلي حين كنت أكبر مع وجود شقيقتين أصغر يجب على المرء أن يكون حذرًا للغاية».

قالت بامبلا: «لقد كنت أعاني من ذلك بالقدر نفسه. حسنًا، أعتقد أنه ليس بالأمر المهم أن تكون السيدة إنتويستل قد عبثت بأشياءني. ليس لدي أي شيء من المحرز سرقتة. بيد أن هذا يعطي انطباعًا وإحساسًا مريبًا، أليس كذلك؟».

قالت تريكسي مقدمة اقتراحها: «دعينا نوقعها في مصيدة ونمسكها بالجرم المشهود. أنت تعرفين ماذا يمكن أن تسبب لها رسالة مكتوبة باللغة الألمانية، أو صورة لهتلر كتب عليها قابليني عند منتصف الليل».

ضحكت بامبلا وقالت: «أنت فظيعة يا تريكسي».
«حسنا، إنها بقرة مخيفة. إنها تسرق كوبونات
حصصنا التمويينية وتحفظ بالطعام لنفسها.
تستحق ما يحصل لها».

ناقش فروغي وبامبلا في الصباح التالي جدوى
تكرار الاستماع الفعلي في محطة استقبال
الاتصالات اللاسلكية. لم يكن أيُّ منهما يريد
الاعتراف بالهزيمة. قال فروغي: «يمكننا أن نقوم
بذلك بتقسيم الدور في ما بيننا يقوم بذاك كلُّ
بدوره. أستطيع الذهاب إلى هناك يومًا وأنت اليوم
التالي. لا أجد أي مبرر للذهاب ليلاً. أعتقد أنني
أستطيع استخدام الدراجة للذهاب ستة أميال، أما
أنت فيمكنك أن تطلبي من أحد حراس سلاح الجو
الملكي توصيلك ذهابًا وإيابًا».

وافقت بامبلا قائلة: «أفترض ذلك. إنَّ أيَّ شيء
يستحقُّ المحاولة في هذه المرحلة، أليس كذلك؟».
بعد ذهاب فروغي، كانت تتجول حول الطاولة،
محدقة في النصوص ومذكراتها. موسيقى. والآن
رسائل المنزل من أولادنا في ألمانيا. أسماء. عناوين.
هل يجب عليها أن تحاول التحقق من أنَّ هؤلاء
أسرى حرب حقيقيون بعناوين حقيقية؟ ذهبت
لتسأل القائد ترافيس كيف يمكنهم التأكد من هذا
الأمر.

قال القائد ترافيس: «سيكون هذا عمل القسم
الخامس للمخابرات العسكرية. سوف أتصل بهم عبر
الهاتف وأطلب منهم إرسال شخص ما. وأنا أتفق

معك أن هذا الموضوع يستحق المتابعة».

عادت بامبلا إلى العمل، وتمّ إبلاغها ظهر ذلك اليوم بأن شخصاً من القسم الخامس للمخابرات العسكرية في طريقه إليها. قامت بامبلا بتسريح شعرها ووضعت على عجل بعض أحمر الشفاه. كانت هناك شائعات حول الشباب الرائعين في جهاز المخابرات السريّة. لقد أدركت أنّ القسم الخامس للمخابرات العسكرية يتعامل مع مكافحة التجسس، في حين أنّ القسم السادس للمخابرات العسكرية يقوم بإرسال الجواسيس إلى الخارج. ولكن مع ذلك، فإنّ الانخراط في عالم التجسس الرمادي يجب أن يكون أمراً خطيراً. كان هناك طرّق على بابها. نادى بصوتٍ كانت تأمل أن يكون كافياً: «تفضّل بالدخول». انفتح الباب، ودخل آخر شخص كان من غير الممكن أن تتوقع رؤيته على الإطلاق إلى الغرفة.

قالت بدهشة: «بن». في الوقت عينه الذي قال فيه «باما؟».

ثمّ ضحكا وقالوا: «ليس لديّ أيّ فكرة». في الوقت عينه.

سألته: «أنت تعمل حقاً على القسم الخامس للمخابرات العسكرية؟».

ردّ عليها قائلاً: «لا يُسمح لي بإخبارك بذلك، ولكن بما أنني هنا، أفترض أنّه يفكّنك الاستنتاج أنّ الإجابة نعم. ولا يُسمح لك بإخبار أيّ شخص. أنت تعرفين ذلك. ولا سيّما أيّ شخص في البيت».

«بالطبع. وأنت لا تخبر أي شخص بأنني أعمل هنا في بليتشلي».

قال: «لقد سمعنا فقط همسات وشائعات حول ما يجري في بليتشلي، في المحطة العاشرة. هكذا يعرفك بقية العالم. لكن الأمر يتعلق بالشفيرات، أليس كذلك؟ هل حقًا تفككين الشيفرات؟».

هزت برأسها بالموافقة وقالت: «لست جيدة جدًا على ما يبدو. لقد استمعنا إلى البث الدعائي الألماني».

«هل تقصدان محطة الإذاعة البريطانية الجديدة؟».

«نعم فعلاً. هذه هي. يبدو أن مديري يعتقد أنه قد تكون هناك رسائل مشفرة لناشطي الطابور الخامس ضمن البث».

قال بن: «نعم، لقد درسنا ذلك أيضًا».

«لم تصادف دفتر شيفرات من عميل في الطابور الخامس تم العثور عليه، أليس كذلك؟».

ابتسم بن قائلاً: «لا أعتقد أنهم سيجعلون الأمر سهلاً بالنسبة إلينا بهذا الشكل».

تنهدت بامبلا وقالت: «مشكلتنا أننا لا نعرف من أين نبدأ. إذا كانت الرسائل المشفرة موجهة إلى أشخاص عاديين - المتعاطفين مع ألمانيا - فيجب أن تكون الرموز بسيطة للغاية. لا شيء مثل الأشياء الذكية التي يستخدمها الألمان لإرسال رسائل إلى طائراتهم وسفنهم».

وتساءلت: «كنت تعمل على هذه، أليس كذلك؟».

«القليل. ليس فك الشيفرة بقدر ما كان عملي الترجمة. لكن هناك بعض الشباب الأذكىء هنا. وربما لا ينبغي أن أتحدث عن هذا حتى بالنسبة إليك أنت.».

سألها بن: «هل تعملين على هذا وحدك؟».

«لا، هناك اثنان منا.» لكن زميلي كان مطفاً تمامًا بسبب الاستماع إلى المحطة اللاسلكية اليوم. في البداية، أرسلوا إلينا نصوصًا، ثم تساءلت ما إذا كنا نفتقد شيئًا من خلال عدم سماع الكلمات المنطوقة الفعلية، الانحرافات المحتملة، أو التنحج، أو حتى الموسيقى التي يستخدمونها بين الأخبار والتعليقات.».

هز بن رأسه قائلاً: «هذا مثير للإعجاب. وما الذي وجدته حتى الآن؟».

قالت باميليا: «هذه هي أحدث النصوص وهذه هي ملاحظتنا. إنهم ينهون بثهم دائمًا برسائل يزعمون أنها من الجنود في معسكرات الاعتقال الألمانية. أنت تعرف ذلك الكلام جيدًا عن كيفية معاملتهم. لذلك كنت أتساءل ما إذا كان هناك فعلاً أناس حقيقيون وعناوين حقيقية وليست مشفرة بطريقة من الطرائق.».

حدق بن من فوق كتفها إلى الأوراق الموضوعة على الطاولة. كان يدرك بشكل مخيف وجودها ورائحة شعرها الخافتة. «تريدينا أن نتأكد أن الأسماء والأرقام المتسلسلة والعناوين حقيقية.».

«نعم، هذا ما أريده».

«لا بد من أن يكون ذلك بسيطًا بما فيه الكفاية».
قرأ بن الصفحة وقال: «يا لسخافة كلامهم وتفاهته.
أتساءل ما إذا كان هناك أي شخص يصدق».

«يقول رئيسي في العمل إن الناس يصدقونه.
تحرك الأخبار والتعليقات أعمق المخاوف عندهم،
من أجل سلامة أطفالهم وما إذا كنا سنتضور
جوعًا».

«ما نوع الموسيقى المنوطة هنا؟».

«كانت هذه فكرة أخرى من أفكارنا، وهي أن
القطعة الموسيقية بحد ذاتها كانت مهمة بشكل من
الأشكال. يعرف الشاب الذي يعمل معي الموسيقى
بشكل جيد. في الحقيقة هو الذي قام بتحديد
المقطوعات التي كنا قد تحدثنا عنها. إن الشيء
الوحيد الذي استطعنا رؤيته والذي قد يكون مهمًا
هو موسيقى الألعاب النارية الملكية».

«عجبًا، هل هناك من يحاول تفجير الملك».

«تمامًا. هل سمعت عائلتك أي شائعات كهذه؟».

«نعم، الكثير منها. لكن لا شيء مؤكدًا. . . ما
الكلمات التي تلت تلك القطعة بحد ذاتها؟».

قامت بأميلا بقراءة النصوص بحذر، ثم قالت: «ها
هي».

«كتب مؤلفنا العظيم هاندل هذه لملككم مبيئًا فيها
مدى عمق الصداقة وقوتها بين البلدين كما تبين
مدى عمق التراث الغني الذي نخلقه عندما لا

يكون بلدانا في وضع الصراع». توقف بن ثم قال: «لا شيء واضحًا يمكن للمرء استنتاجه من ذلك. لا توجد تواريخ حقيقية ولا توجد أماكن حقيقية».

وافقته بامبلا الرأي قائلة: «أعلم ذلك. لقد قمنا بدراسته مرارًا وتكرارًا، كما قمنا باستبدال الأحرف واختيار الكلمات لكننا لم نتوصل إلى أي نتيجة على الإطلاق».

«إذن بغض النظر عن هذا فقد كان بيتهوفن وباخ أساسيين»، كانت إصبع بن تتفحص أسفل الصفحات.

قالت بامبلا وهي تشير إليها: «بغض النظر عن بعض المقطوعات لفاغندر كلها صارخة وتبعث على الشعور باليأس. يقول رفيقي فروغي الملم بهذه الأمور أنها تأتي من أوبرات متعددة، وهي كلها جزء من دورة الحلقة».

أضحى صوت بن عاليًا وحادًا بشكل غير متوقع وسألها: «ماذا قلت؟ الأوبرا كلها جزء من دورة الحلقة».

قال بن: «يا إلهي! هذه هي. أنظري يا بامبلا. لست أدري إلى أي مدى أستطيع أن أبوح لك، ولكن صار يمكننا أن نراقب ونتابع عن كثب مجموعة من الطابور الخامس تتعامل بنشاط مع ألمانيا. إنهم في الغالب من الأرستقراطيين وهم يطلقون على أنفسهم الحلقة».

قالت بامبلا مندهشة: «يا إلهي! إذن هذه قطعة توقيعهم. يقولون: لاحظوا ما يأتي بعد هذا».

«يبدو كذلك». كانت إصبعة ترتعش وهي تنزل أسفل الصفحة. «الرقيب جيم وينشستر، الرقم المتسلسل/248403/، إلى السيدة جوان وينشستر. ١ ميلتون كورت، شيفيلد. هذه هي يا باما. ما الرهان هذه رسالة لعميلهم في وينشستر، أو لاجتماع فيوينشستر، وهذه الأرقام هي تاريخ أو رقم هاتف، أو رقم شارع».

كانت عينا باما تلمعان. قالت: «أه، نعم. هذا رائع».

«يجب أن أكتب هذا كله وأخذه معي. إنَّ بعض الأسماء والعناوين أسماء وعناوين حقيقية بهدف تضليلنا. إنَّ كل واحدة تأتي بعد فاغندر ستحتوي على معلومات. وإنَّ شخصاً أعلى مرتبة مني سيكون قادرًا على معرفة ماذا تفيد وإلى من تشير. هل كانت مقطوعات فاغندر أكثر تكرارًا مؤخرًا.

«كنا نستمع في الآونة الأخيرة أكثر مما نقرأ النصوص، لذلك من الممكن أن تكون مستمرة لبعض الوقت».

«هل تعرفين إذا كان الرقم /١٤٦١/ قد تم ذكره في أي مكان من الأماكن؟».

قطبت حاجبيها وقالت: «لا أذكر الآن... ربما يكون قد ورد في وسط رقم متسلسل أطول».

قال بن: «لا تقلقي يمكنني تأكيد ذلك».

قالت بامبلا: «اجلس، سأساعدك على نسخها. ذهبت إلى أحد المكاتب، وأحضرت دفترًا صغيرًا وقلم حبر».

لقد جلسا جنباً إلى جنب في صمت وسكينة مرتاحين بعضهما إلى بعض من دون حاجة إلى تبادل الكلام.

سألته بامبلا أخيراً: «هل ستحضر حفلة جيرمي؟»
«نعم، قلت إنني سأحضر».

«يجب أن تكون ممتعة».

«أمل ذلك. سأحضر فتاة معي».

نظرت إليه فجأة وقالت: «فتاة؟».

هز رأسه قائلاً بالإيجاب وقال: «لست متأكدًا إن كان هذا حكيماً، لكن جيرمي دعاها بنفسه بشكل من الأشكال، وكانت حريصة للغاية إلى حد أنني لم أتمكن من التراجع».

«هل هي جميلة؟».

«لم أكد أعرفها بعد. قد يظهر أنها ربما تكون قليلاً جدًا... متحمسة... بالنسبة إلي».

ضحكت بامبلا وقالت: «بمعنى أنها حريصة جدًا على الاتصال الجسدي؟».

احمر بن خجلاً وقال: «لقد قصدت بالفعل أنها قد تعبر عن نفسها بشكل مفرط أو عاطفي. لقد كان لديها انطباع جيد لأن بعض الضيوف ينتمون إلى عائلات ذات القاب. ومن الواضح أنها أعجبت بجيرمي».

ضحكت بامبلا وقالت: «ومن لا تُعجب بجيرمي؟».
ثم هدأت مرة أخرى، وسألته: «هل تجده قد تغير

منذ أن عاد يا بن؟”.

«لم أتحدّث إليه بما فيه الكفاية لأعرف، لكنه يبدو - كيف سأعتبر عن ذلك - أصعب وأكثر خبرة. اتساءل ما إذا كان حس المرح لديه قد ولى».

هزت باميلاً رأسها بالنفي وقالت: «أفترض أنه كبير كثيرًا، فقد انتقل من صبي إلى رجل في الوقت الذي كان فيه بعيدًا، ناهيك عن الأشياء البشعة كلّها التي مرّ بها في معسكر الاعتقال، ثم هروبه بعد ذلك. لا عجب أنه لم يعد محبًا للمرح كما كان من قبل».

انتهيا من نسخ الأسماء والعناوين التي تلت فواصل فاغندر. وقف بن وقال: «يجب أن أعود. أريد أن أكون في المنزل قبل حلول الظلام. ليس من السهل التجوّل في لندن بمجرد سريان مفعول التعقيم».

أجابت باميلاً: «إنّ أقلّ ما يمكنني فعله هو استضافتك لتناول عشاء مبكر في قاعة الطعام. الطعام ليس سيئًا بالمقارنة بطهو مالكة سكن. تريكسي وأنا نعتقد أنّها سلاح العدو السريّ الموضوع هنا لتسميم بريطانيا».

كانا يضحكان وهما ينزلان على الدرج. في الخارج، كانت الشمس مشرقة على البحيرة. وكان الناس يجلسون على العشب، في حين أن آخرين كانوا يتجوّلون تحت الأشجار. جاءت صيحات لعبة ثلعب من المروج الواقعة وراءها. هزّ بن رأسه بدهشة، وقال: «هذا المكان خيالي. من المؤكد أنك هنا في وضع جيّد بعد معاناتك الأليمة. لكونك أرسلت إلى

هنا، أليس كذلك؟ إنه مثل نادي ريفي”.

قالت بامبلا: «الواقع، أنا نعمل جميعًا بجهد كبير إلى حد يجعلنا نقضي أغلب الوقت في العمل. حتى وقت قريب، كنت في نوبة ليلية لمدة اثنتي عشرة ساعة. كما أن معظمنا يعمل في تلك الأكواخ الجافة والمتجمدة في فصل الشتاء. إن الضغوط علينا هائلة مع علمنا حيث إننا إذا لم نفك شيفرة، فإن الرجال على متن سفينة ما سيموتون. يصاب الناس هنا بالإعياء الشديد ثم يتم إرسالهم للعلاج بالراحة”.

قال وهو ينظر إليها بقلق: «كان هذا هو السبب وراء عودتك إلى المنزل قبل أسبوعين، أليس كذلك؟”.

لم ترغب بامبلا في أن تعترف له بأنها كانت قد أغمى عليها فقالت: «كان لي بعض الإجازات المستحقة لي، وعندما سمعت أن جيرمي عاد بسلام...».

تنحى بن وقال: «بالطبع».

سمع صوت خلفهم يقول: «مهلاً، يا باما، انتظريني»، وجاءت تريكسي تركض عبر الساحة الأمامية التي يغطيها الحصى. «هل ستذهبان إلى غرفة الطعام؟”.

«نعم».

«أنا أيضًا كنت ذاهبة إلى هناك أيضًا. قررت أنه لا يمكنني تناول حلويات سويت بودنج أخرى

من السيدة إنتويستل". ثم نظرت إلى بن وقالت:
«مرحبًا. هل أنت جديد؟»

قالت بامبلا بسرعة: «لا، إنه من قسم آخر في لندن. لقد جاء لتوّه لتسليم بعض الأوراق، والتقينا بشكل غير متوقع. نحن أصدقاء من المنزل».

وقال تريكسي: «ما أروع ذلك». مدت يدها إلى بن وقالت: «مرحبًا. أنا تريكسي. زميلة بامبلا في السكن».

«أنا بن. سررت بلقائك».

عصرت يده بينما كانت ابتسامة فضولية تعلو وجهها.

سألت بن: «هل تعمل في مؤسسة سرية؟».

ضحك بن وقال: «لا أستطع إخبارك حتى لو كنت أعمل، أليس كذلك؟».

«إنهم فقط لا يسمحون لأي شخص بالمجيء إلى هنا، مهما كان السبب. لذا يجب أن يكون لدى شخص ما سبب وجيه لإرسالك إلى هنا». ثم التفتت تريكسي إلى بامبلا وقالت: «سوف أستنطقك يا بامبلا عندما نصل إلى المنزل، أو سأواعد بن وأستنطقه. أنت لن تذهبي إلى حفلة جيرمي بريسكوت، في أي حال من الأحوال، أليس كذلك؟».

قال بن: «في الحقيقة أنا سأذهب إلى الحفلة».

«وهو سيأخذ فتاة يا تريكسي. لذلك أخرجيه من حساباتك».

«شاب مثير للفتنة». عبست تريكسي عبسة

متكلفة. وقالت: «قد أقوم بتشغيل القوة الكاملة لمظاهر سحر الأنوثة لدي وأغريه بعيدًا منها». ثم ابتسمت لبن ابتسامة إغواء وقالت له: «تعال، قبل أن يكون هناك طابور في الكافتيريا. سمعت أنه قد يكون هناك جبن قرنيبيط الليلة». أخذت بن من يده مزة أخرى وسحبته إلى الأمام.

جلس بن يحدّق في الأسماء والعناوين التي نسخها على متن القطار العائد إلى لندن. بعض الأسماء من المؤكد أنها كانت أماكن أيضًا. يفكن أن يكون بعضها أماكن. السيدة نورث التي تسكن في هامبتون ستريت يُمكن أن تعني نورثهامبتون. يجب أن يكون ماكس نايت قادرًا على معرفة ما إذا كانت تتزامن مع اجتماعات «الحلقة» المعروفة. ولكن هل كان لأيّ من هذا صلة بالصورة؟ إذا كان من الأهمية بمكان أن تكون حياة رجل قد تعرّضت للخطر من أجل إيصالها، فمن المؤكّد أنّ الرسالة لا يفكن أن تكون للاستهلاك العام بل لشخص واحد فقط. كما أنّهم لم يقتربوا من معرفة من هو هذا الشخص. حاول تهدئة الشعور بالإلحاح الذي كان ينتابه. موسيقى الألعاب النارية الملكية وتاريخ /١٤٦١/ حين خيضت المعارك لإسقاط ملك جعلته يعتقد أنّ مؤامرة لقتل العائلة المالكة قد تكون وشيكة. لكنّه ذكر نفسه بأنّه كان الشخص الذي يمتلك أقل قدر من الخبرة والسلطة والتأثير في التسلسل الهرمي. وإذا لم يتم تزويده بالمعلومات الكاملة، فكيف يمكن أن يتوقع منه أن يفسرها بشكل صحيح؟ ومع ذلك، فإنه كان يعلم أن الملك والملكة غالبًا ما

تجولاً في المناطق التي تعرّضت للقصف في لندن،
مظهر التعاطف والدعم. كم سيكون قتلها سهلاً
لمسلح وحيد يتربص بهما في انتظارهما في الظلال.
ارتجف وحدق خارج نافذة القطار.

لقد تحوّلت أفكاره إلى مافيس. إذا تمكنت من
العثور على الموقع في الصورة فقط، فسيتم شرح
ذلك كله. لقد حاول تصويره الآن - التل بأشجار
السنوبر- لكنه لم يتخيل أي صلة، إلا إذا كان هناك
منزل فخم على التل خلف تلك الأشجار حيث كان
يعيش أرستقراطي كان جزءاً مهماً من «الحلقة»، أو
أن هذا قد يكون المكان الذي تخطط العائلة المالكة
لزيارته.

ثم وجد نفسه لا يفكر في مهمته، لكنه كان يفكر
في مافيس نفسها. كانت فتاة جذابة. لقد كانت
نشيطه ومثيرة ومرحة. ولكن هل كان يرغب فيها
حقاً؟ أم أنها لم تكن تشبه بامبلا قط، وكان عليه
أن يبعد تفكيره عن الفتاة التي لم يكن قادراً على
الحصول عليها؟ انجرفت أفكاره إليها الآن، كيف
كانت تبدو لطيفة وهادئة وأنيقة دائماً. وكيف كانت
عينها تتألق حين كانت تبتسم.

توقّف عن ذلك! لقد أمر نفسه. فكر في شيء آخر.
فكر في تريكسي صديقة بامبلا. لقد بدت مهتمة به،
الأمر الذي وجدته مذهلاً، تتكلم كلمات لطيفة، وهي
التي تناسب جيرمي بريسكوتس أكثر من أي فتاة
في هذا العالم. الحفلة قد تكون مثيرة للاهتمام بعد
كل شيء.

الفصل الثالث والثلاثون

مايفير - شقة جيرمي

قال غاي هاركورت وهو يقف عند حجرة بن: «أنت تبدو رائعا الليلة. لا تقل لي إنك ذاهب إلى مكان حضاري؟».

قال بن: «الواقع أنني سأحضر حفلة في مايفير».

«يا الله. هل ما زالت هناك مثل هذه الأشياء؟».

قال بن: «لقد قدمها صديق أخذ شقة والده».

«أي شخص أعرفه؟».

«جيرمي بريسكوت. من المؤكد، بحسب اعتقادي أنك تعرفه. لقد كان في أكسفورد في الوقت عينه الذي كنا فيه هناك».

هز غاي رأسه بالموافقة وقال: «بالطبع أنا أعرفه. اعتدنا أن نتجول معا بالسيارة على حلبة المبتدئين ثم أكسفورد، على الرغم من أنه كان طالبا في كلية باليولي، أليس كذلك؟ هل تعتقد أنه سيكون لديه مانع إذا جئت معك من دون دعوة؟ الواقع أنني في حالة من اليأس الشديد والاكئاب والتدهور وفي حاجة ماسة إلى الترفيه عن نفسي».

قال بن: «أنا لا أرى لم لا. لقد كان يبدو أنه يطلب من الجميع ومن دون استثناء».

«رائع! سأذهب وأغير ثيابي».

قال بن: «أفضل أن أعطيك العنوان. يجب أن أذهب لاصطحاب فتاة من محطة القطار».

«هل تخضر معك فتاة تواعدها أيها الماكر؟».

قال بن مبتسماً ابتساماً عريضة: «أنت لا تعرف كل شيء عني. ومع ذلك، لست متأكداً إلى أي مدى ستكون مواعده لي...».

قال غاي: «أن يكون لها حضور. هذا كل ما يهم في زمن الحرب». يا إلهي، أنا أشعر بالتعطش بشكل إيجابي لممارسة الجنس، ألا تشعر أنت بذلك أيضاً؟ وهذا كله يتطلب التزام الصمت حيال ما نقوم به. إن ذلك يؤدي إلى تقييدنا ومنعنا من التعبير الحر عن أنفسنا. الفتيات اللواتي أعجبنا بمطاردتي للجواسيس الألمان يعتقدن الآن أنني حطام مادي وموظف ملفات».

هز بن برأسه بالموافقة وقال: «من المؤكد أن هذا أمر صعب التعامل معه ويجعلك تشعر بالضيق والانزعاج. ولكن ابتهج. يمكنك نسيان مشاكلك بشرب النبيذ الجيد للسير وويليام بريسكوت».

ترك غاي وهو يرتدي ثياب السهرة وشق طريقه إلى المحطة. كانت مافيس تنتظره. ابتسمت حين رآته، ولكن كان هناك وميض من العصبية أيضاً.

قالت: «يا إلهي! لم كن أدرك أنها كانت علاقة غرامية رسمية. أنا ارتدي ثياب حفلة عادية».

قال بن: «أنا متأكد أنك تبدين على ما يرام. وأنا متأكد أيضاً أنه سيكون هناك بعض الأشخاص الذين لا يرتدون ملابس رسمية. أنا لبست هذه الثياب تحسباً لأمر ما فقط، ولأنه لم يعد لدي بدلة ذات

مظهر لائق. كانت ثيابي قد صنعت قبل الحرب، وقد زاد وزني منذ ذلك الحين".

قالت: «أعتقد أنك تبدو بشكل لائق». وجعلت يدها تنزلق من خلال ذراعه. كانت تضع الكثير من العطور، وكان لباسها مزركشاً بعض الشيء، لكن عينيها كانتا تتألقان وكان يحب ملمس الالتحام بها. وتساءل: «لم يكن لديك أي مشكلة في الخروج إذن؟».

كشّرت وقالت: «لم تكن والدتي مرتاحة على الإطلاق لذهابي إلى لندن لوحدي، لكنني أخبرتها بأنني ذاهبة مع مجموعة من الأصدقاء من العمل، للرقص».

سألها بن: «في أي وقت عليك أن تعودي؟».

قالت وهي تنظر إليه نظرة تظهر المعرفة: «أخبرتها بأنني قد أقضي الليلة في منزل سينثيا. لست متأكدة أنها صدقتني، ولكن ليس لدى عائلة سينثيا هاتف، وأنا أعلم أنّ أمي ليست على وشك المشي لمسافة ميلين لتتأكد من ذلك».

لقد تمكنا من استقلال الحافلة حتى ماربل آرترش، تساءل بن ما إذا كان ينبغي له أن يشير إلى سيارة أجرة لكنه كان يرى أنّ هناك عددًا قليلاً من تلك السيارات الثمينة التي يفكن العثور عليها في هذه الأيام، وأنّ جميع أنواع الأشخاص كانوا يستخدمون وسائل النقل العام. لقد مشيا من ماربل آرترش نزولاً إلى بارك لين. كانت الساعة التاسعة ليلاً تقريباً، لكنّ الظلام لم يكن قد حلّ بعد، وكان

الناس لا يزالون في الخارج يتجولون ويستمتعون بالطقس الجيد. كان عدد كبير من الرجال يرتدون الزي العسكري ويذهبون إلى غروسفينور هاوس، واستمع بن إلى إيقاعات فرقة الرقص الضعيفة. إذن لا تزال هناك أمسيات جميلة لأولئك الذين يستطيعون تحمّل دفع تكاليفها. كان أحد حراس الغارة الجوية الاحترازية، أحد المتطوعين الذين كانوا يتعاملون مع احتياطات الغارات الجوية، واقفاً يراقب في زاوية شارع كرزون، متأهباً للانقضاض على منتهكي التعقيم.

سألها عندما مزا به: «هل أنتما خارجان إلى مكان لطيف؟».

قالت مافيس: «نحن ذاهبان إلى حفلة».

ردّ عليها قائلاً: «تأكدي من خفض مستوى الضوضاء، وعدم ترك أي أضواء تظهر. يعتقد كثيرون في هذا المجال أنه يمكنهم تجاهل القواعد كلّها لمجرد امتلاكهم المال».

همس بن وهم يسيرون بعيداً: «نوع لطيف من الشباب». ضحكت مافيس، وانزلت يدها في يده. كان ملمس يدها يبعث على الدفء والراحة. نظر إليها وتبادلا الابتسامة.

لم تكن شقة جيرمي في مبنى كبير، لكنها كانت تحتل طابقاً كاملاً من منزل جورجي قديم. تمّ تركيب مصعد صغير إلى جانب الدرج، واستقلاه إلى الطابق الثالث. كانت بن مدرّكاً لوجود مافيس وكان يشتبه في أنها كانت تلتحم به عمداً. لما فُتحت

أبواب المصعد، جاءت أنين النغمات الحزينة لمزمار بيني غودمان لاستقبالهم. كان الباب الأمامي للشقة نصف مفتوح، وكان دخان السجائر والموسيقى ينبعثان إلى الخارج لدى دخولهما البهو. بعدها كانت غرفة رسم كبيرة ومجهزة جيدًا. لم تُسحب ستائر التعقيم وكانت الغرفة لا تزال مضاءة باستمرار وجود الشفق الأحمر. كان من الصعب تحديد ألوان التنجيد أو التعزف إلى القادة القدامى على الجدران البيضاء الممزوجة بالألوان وردية. كان هناك عشرة أشخاص في الداخل أو أكثر من ذلك. كان اثنان من الأزواج يرقصان، لكن بن لم يتعرّف إلى أي من الزوجين. كان جيرمي يؤدي دور النادل. نظر إلى أعلى ولوّح بزجاج كوكتيل حين رأهم.

ناداهم: «تعالوا إلى هنا! أنا على وشك فتح النبيذ الأحمر شاتونوف - دو - بيب المعتق لعشرين سنة».

سأل بن وهو يقترب من البار: «ألن يقتلك والدك عندما يكتشف الأمر؟».

«نعمل له معروفًا أيها الصديق. ماذا لو حصلنا على ضربة مباشرة وتدفّق هذا النبيذ الجميل كلّه في مستجمع المياه؟ على الأقل سنستمتع بها. ومع معرفة والدي، سوف يكتشف مكان اكتساب المزيد بمجرد انتهاء الحرب».

قال شخص يقف قريبًا مازحًا: «فقط قد يكون نبيذ هوك وموصل».

أدارت مافيس عينين خائفتين إليهم وقالت: «يا

إلهي، أنتم لا تؤمنون حقًا بأن الألمان سيقومون بالغزو، أليس كذلك؟".

أجاب الشاب الذي قال النكتة: «إنه احتمال علينا مواجهته. لقد واجهوا صعوبة ضئيلة في غزو كل دولة أخرى في أوروبا. لا يوجد سوى عشرين ميلًا من القناة تفصلنا عنهم».

قال جيرمي: «دعونا لا نتحدث عن أشياء قائمة الليلة. لقد عدت إلى الوطن. أنا في شقة مريحة وأصدقائي يحيطون بي، ونحن في حالة جيدة، وسنمتع أنفسنا. النبيذ أو الكوكتيلات؟ تفضلوا وتناولوها بأنفسكم». ثم نظر إلى الأعلى بينما جاء غاي إلى الغرفة، وقال: «يا إلهي، إنه هاركورت. كيف وصلت إلى هنا؟».

قال بن: «أنا دعوته. إنه يشاركني السكن. أمل أن يكون ذلك على ما يرام بالنسبة إليك؟».

قال جيرمي: «بالطبع. كلما زاد العدد زاد المرح». لكن بن كان يعلم أنه لم يكن مسرورًا لحضور غاي. جاء غاي ليصافحه قائلاً: «منذ وقت طويل لم أرك يا بريسكوت».

«إطلاقًا. ماذا تفعل مع نفسك يا هاركورت؟».

«أتعامل مع المستندات، لقد فشلت في الطب. أعلم أنني أبدو كعينة ضخمة، لكن من الواضح أن لدي قلبًا ضعيفًا».

قال جيرمي: «هذا سيء للغاية. حسنًا، اشرب. يقولون إن النبيذ الأحمر يقوي الجسم ويحضنه،

أليس كذلك؟ الآن يجب أن أخذ كأسًا من النبيذ لامراتي المفضلة".

كان بن يقوم بمسح الغرفة خلسة بحثًا عن بامبلا. ثم رآها واقفة في المدخل، وكانت تبدو خجولة قليلاً، وهو أمر غير مألوف بالنسبة إليها. ثم لاحظ أنها ليست وحدها. جاءت معها تريكسي مرتدية ثوبًا ضيقًا أسود اللون ووضعت فوقه رداءً خارجيًا زمردى اللون بلا أكمام.

قالت: «مرحبًا يا بن»، وهي تندفع عمداً إلى جانب بامبلا لمنحه قبلة على الخد.

أجاب: «يجب أن أقول إنك تبدين مذهلة».

أجابت: «لماذا، أشكرك على الثناء يا سيدي الكريم. الآن أين مضيفنا؟».

أجابت بامبلا: «إنه يصب المشروبات». ثم لاحظ بن أن ديدو تقف وراءها وقد وضعت من المكياج أكثر مما كان والدها ليوافق عليه، وارتدت ثوبًا أحمر اللون على الطريقة الصينية، ما جعلها تبدو أكبر من سنها البالغة ثمانية عشر ربيعًا. انفجر وجهها بابتسامة كبيرة حين رأت بن.

نادته: «مرحبًا يا بن. لم أكن أعرف أنك ستكون هنا. كم هذا رائع. أن تكون الحفلة ممتعة؟».

سألها بن: «ولكن هل حصلت على موافقة والدك على ذلك؟».

«أقسمت بامبلا على مراقبتي مثل الصقر ووضعني في قطار الحليب إلى المنزل في الصباح. ولكن كما

يفكنك أن تتخيل أنه كان عليّ أن أتوسل، وأناشد، وأطلق الأئين، قبل أن يقول نعم. كنت أتمنى لو كنت أعلم أنك ستأتي لأنه سيكون أكثر سعادة مع العلم أنك ستراقبني. إنه يعتقد أنك تمتلك تأثيرًا تقويميًا وتربويًا رائعًا».

قال بن: «يا إلهي، يا لها من مسؤولية». ثم تذكر مافيس التي كانت تقف إلى جانبه. «ديدو، هذه هي مافيس. مافيس، هذه هي...». لقد تردّد وربما كان على وشك القول «الليدي ديانا ستون»، لكن ديدو قاطعته.

قالت: «مرحبًا، أنا ديدو. غير معقول، لم نكن نعرف أن بن كان لديه صديقة. أنت كتوم وشقي لل غاية يا بنيامين».

ابتسم بن ابتسامة محرّجة وقال: «التقينا مؤخرًا فقط».

سألت ديدو: «هل تعملان معًا؟».

«لا، ليس عادة. التقينا لَمَّا اضطررت لتسليم بعض الأوراق إلى المكان الذي تعمل فيه مافيس».

التفتت ديدو إلى مافيس وسألتها: «لديهم وظيفة لي حيث تعملين، أليس كذلك؟ أنا يائسة لفعل شيء مفيد».

قال بن: «إنها في باكينغهام شير يا ديدو. أنت تعرفين أن والدك لن يسمح لك بالعيش بعيدًا من المنزل».

قالت ديدو: «باميلا تفعل، ومافيس تفعل».

ضحكت مافيس وقالت: «لا، أنا أفعل. أنا أعيش مع والدتي لسوء الحظ. كان علي أن أخبر بعض الكذبات الصبانية الهائلة لكي أخرج مع بن هذه الليلة».

قال ديدو: «حسنًا. أنت فتاة تشبهيني فيما أحب وفيما أكره».

سَلَمَ جيرمي بامبلا وديدو كأسين من النبيذ. ثم رأى تريكسي. قال: «مرحبًا، وجه مألوف آخر من الماضي».

أجابت تريكسي: «أشعر بالإطراء لأنك تتذكرني». «كيف يمكنني أن أنسى؟ كنت راقصة رائعة. أقول، إن موسمك كان ممتعًا جدًا، أليس كذلك؟ وبطبيعة الحال كان الأخير لفترة من الزمن».

قال ديدو: «لا تذكرني. أشفق على الفتيات المسكينات من أمثالي اللاتي لن يخرجن إلى المجتمع الآن».

قال لها جيرمي: «يبدو أنك تبلىن بلاءً حسنًا من دون الخروج يا ديدو الشابة. اشربي. هناك الكثير من الشراب والطعام هناك في الغرفة». ثم أضاف: «أعتذر لأن الطعام لن يكون بمستوى المشروبات نفسه». لقد أعد الطباخ حلوى الموسي من عدة علب من سمك السلمون، وقمنا بتدخين سمك السلمون المرقط من البحيرة، وقد أحضرت بعض الفراولة الباكورية من الحديقة، لذا يتعين علينا استخدام ما هو متاح على الرغم من أنه لا يكفي».

همست مافيس لبن: «استخدام ما هو متاح على الرغم من أنه لا يكفي. من أين تمكّن من الحصول على علب السلمون؟».

همس لها بن: «من الأفضل ألا تسألني». وابتسمت له ابتسامة تأمريّة.

قالت: «تعال وارقص معي. أحبّ هذه الأغنية».

أجابها بن قائلاً: «عليّ أن أحذرك، أنني راقص متوسط الكفاءة».

قالت باميلًا: «لا أنت لست كذلك. أنت راقص جيّد؛ لا تكن متواضعًا إلى هذا الحد». وبينما كان بن يقود مافيس نحو صالة الرقص حيث كان الآخرون يرقصون، تمتت باميلًا له فقالت: «إنّها لطيفة. أنا أوافق تمامًا».

كان رقصة الثعلب البطيء. لقد أثبتت مافيس أنّها مستعدة تمامًا لوضع وجنتيها على وجنتيه. لكنّ الجوّ لم يكن مطلقًا في الخارج تمامًا، وشعر بن بأن الوقت كان لا يزال مبكرًا هذا المساء لمثل هذه الأشياء.

سألته: «هل هاتان الفتاتان من عائلة تحمل لقبًا؟» هزّ بن رأسه بالإيجاب.

«تبدو الفتيات لطيفات جدًا. لسن متكبرات على الإطلاق».

«إنهنّ لطاف. لقد عرفتهن طوال حياتي. لقد نشأنا معًا».

«ومادا عن الفتاة المثيرة باللون الأسود؟ تبدو

مغرمة بك".

قال بن: «أتوقع أن تغازل أي شخص يرتدي بنطلونًا. تعمل مع بامبلا في دائرة حكومية أخرى خارجًا في الريف».

قالت مافيس: «أستطيع أن أرى أنني أواجه منافسة شديدة عليك». نظرت حولها وقالت: «لديك مثل هؤلاء الأصدقاء الرائعين. إن صديقك جيرمي وسيم جدًا. هو وبامبلا يشكلان زوجين جميلين، أليس كذلك؟».

نظر بن إلى الأعلى فلمح جيرمي يرقص في ذلك الحين مع بامبلا. لم يكن متحفظًا مثل بن. كانت ذراعاها ملفوفتين بإحكام حولها، وكانا ينتقلان كشخص واحد على الأرض. كان رأسها على كتفه، وكانت عيناها مغلقتين. كانت تبدو راضية تمامًا. شدّ بن قبضته على مافيس فاستجابت له بالاقتراب منه.

نحو الساعة الحادية عشرة، انطلقت صفارات إنذار للغارات الجوية.

سألت إحدى الفتيات بعصبية: «هل يجب علينا أن نذهب إلى الطابق السفلي أو ملجأ الغارة الجوية أو نفعل شيئًا من هذا القبيل؟».

أجاب رجل: «انتم تظنون أنهم لا يجروون على قصف مايفير، أليس كذلك؟». لقد أضحك ذلك جميع الموجودين.

صرخ جيرمي: «أعرف. دعونا نذهب إلى السطح!»

سيكون لدينا منظر رائع من هناك. انتظروا حتى أفتح الشمبانيا أولاً. إنها فوف كليكوت، وهي المفضلة بالنسبة إلى الرجل العجوز».

كان هناك صوت عالٍ لفتح زجاجة الشمبانيا. تدفقت الشمبانيا فوق الجزء العلوي من الزجاج، وتم رفع الكؤوس من أجل ملئها.

صاح جيرمي: «هيا من هنا!»، وكان يتصرف كما لو أنه كان البطل الأسطوري لبييد باير، وتبعوه إلى المطبخ. صرخ مرة أخرى على طنين طائرة قادمة: «إنه أمر صعب بعض الشيء، لكننا سنديره. اعتدت أن أفعل ذلك طوال الوقت». ثم دفع النافذة إلى أعلى، وصعد إلى حاجز ضيق. تبعه الآخرون. ذهب بن أولاً، ثم ساعد مافيس التي أثبتت أنها رشيقة وشجاعة. ذهبوا على طول الحاجز ثم تسلقوا سلقاً قصيراً إلى سقف مسطح في الأعلى. وبمجرد وصولهم إلى هناك، ضحكوا على شجاعتهم المذهلة وضربوا كؤوسهم الشمبانيا بعضها ببعض. نزل جيرمي وظهر من جديد مع جهاز الغرامورفون، وانفجر بأغنية «في المزاج». وبدأ بعض المحتفلين بالرقص.

كانت لندن حولهم تغط في الظلام الدامس، لكن الكشافات في الأعلى مشطت السماء جاعلة وابلًا من البالونات تتألق بينما كان الضوء مسلطاً عليها. كان الضوء مسلطاً على ساعة بيغ بن التي جعلها واضحة المعالم، ثم اختفت مرة أخرى. ثم ظهر شكل طائرات تقترب وتطير في تشكيل. إلى

الجنوب، جاء الصوت المتقطع للمدفعية المضادة للطائرات الذي تخلله دوي أعمق مع إسقاط قنبلة. يجب أن تكون القنابل محرقة لأن الحرائق اندلعت الآن عبر النهر.

قفزت فتاة على الحاجز الذي يحيط بحاجز السقف. وصرخت قائلة وهي تلوح بزجاج شمبانيا إلى السماء: «لسنا خائفين منك يا سيد هتلر! افعل أسوأ ما لديك!». سقطت قنبلة أقرب الآن، ثم قنبلة أخرى، كانت سبب تعكير صفاء هدوء الليل بدوي عميق كان يفكن الشعور وليس سماعه. ثم سمعوا انفجارات قريبة منهم، وارتفعت النار وراء سواد الأشجار.

سألت الفتاة على حاجز السقف: «ما هذا المبنى الكبير؟».

صرخ أحدهم: «لقد ضربوا القصر! يا الله، لقد ضربوا القصر».

شعر بن برعشة في قلبه. هل كان هذا الهجوم الموعود، الهجوم الوحيد الذي تم التحذير منه؟ موسيقى الألعاب النارية الملكية؟ إسقاط الملك؟ أخبر نفسه إن القصر ضخم. العائلة المالكة ستكون بأمان في الطابق السفلي. ربما قد ألحقوا أضراراً ببعض الغرف، لكن لا يمكنهم جعل المكان بأكمله يحترق. . .

كانت الموجة الأولى من الطائرات تحلق الآن. وقد أرسل إطلاق نيران المدفعية المضادة للطائرات أثراً ساطعة في الليل كانت قادمة من مكان قريب إلى

هايد بارك. وكانت هناك قنبلة أخرى أقرب الان.

قال أحد الرجال: «كان ذلك حول القديس جيمس. إنها تقترب كثيرًا من هنا إلى حدّ تنذر فيه بالقلق وتسبب الرّعب».

فأجابته فتاة من وراء بن: «لا تكن ساذجًا هكذا». بدا الأمر وكأنها تريكسي. أضافت: «نحن لن نزل. لن نظهر لهم بأننا خائفون. نحن في حاجة إلى جيرمي ليجلب لنا المزيد من الشمبانيا. أين هو؟».

نظر بن حوله ولم يز جيرمي. ثمّ شدّت بامبلا كم قميصه، وهمست: «أين هي ديدو؟ لا أستطيع رؤيتها».

قال: «ربّما شعرت بالخوف ونزلت إلى الأسفل». هزّت بامبلا رأسها بالنفي وقالت: «في أيّ وقت من الأوقات عرفت أنّ ديدو تخاف؟».

قال بن: «سأتي وسأساعدك على البحث عنها. لا تقلقي. ربّما ذهبت فقط إلى الحمام». التفت إلى مافيس وقال لها: «سأعود في الحال».

ثمّ ساعد بامبلا على النزول إلى أسفل السلم، وعلى طول حاجز السطح طبقًا ليس لأنها كانت تحتاج إلى المساعدة. لقد مشت بالثقة نفسها التي كان يتذكرها منذ أيام تسلّق الأشجار. كان يساعدها فقط على التسلّق عبر النافذة لقا كان هناك صوت صفير، وومضة، ودوي، وانفجار كان على وشك إسقاطه على الأرض. اشتعلت النيران في مبنى عبر الشارع، وتطاير الزجاج والحطام ليسقط عليهما. لقد

دفع باميلا إلى الداخل، وقام باحتضانها لحمايتها.

سألت بصوتها المرتجف: «هل ضربنا؟».

«لا، عبر الشارع».

كانا قادرين على سماع صراخًا قادم من السقف وصوت رجل يقول: «انزلوا من هنا الآن. هذا جنون».

لما خرجا من المطبخ، فُتح باب في نهاية القاعة وخرجت ديدو مسرعة. كانت ترتدي ثوبًا داخليًا مثبتًا بأشرطة على الكتفين فقط، وكان شعرها في حالة من الفوضى العارمة. تساءلت: «هل تعرّضنا للقصف؟ لقد تكسّرت النوافذ من جديد. يا إلهي! هناك زجاج في كل مكان».

جاء جيرمي لينضم إليها وقال: «كل شيء على ما يرام. كان القصف عبر الشارع». كان عاريًا ويضع منشفة حول خصره مغطيًا بها عورته.

نظرت باميلا إليهما، ثم قالت بسرعة واختصار: «أرتدي ملابسك يا ديدو الآن. سأخذك إلى المنزل». ثم نظرت إلى بن وسألته: «هل تعتقد أنه سيكون هناك قطار في هذا الوقت من الليل؟».

قال: «ربما ستلحقين بأخر قطار إذا أسرعت. أما إذا فاتك القطار، فيمكنك العودة إلى مكان سكني، وسأذهب وأجد لك سيارة أجرة».

كان هناك أشخاص آخرون يصعدون الآن عبر نافذة المطبخ، وكانوا يضحكون بصوت عالٍ قليلًا كما كان يفعل كثيرون ممن نجوا من الخطر.

أمر صوت ذكوري: «احضروا المزيد من الشمبانيا».

أنت يا عامل البار! أعطنا أفضل ما لديك".

عاد جيرمي أيضًا إلى الغرفة المظلمة، لكنه ظهر مرة أخرى، مرتديًا قميصًا وسروالًا على عجل ولكن بلا سترة أو ربطة عنق. قال بحماسة قسرية: «بالطبع، المشروب في كل مكان». لقا مَرَّ بامبلا، لمس كتفها وقال: «باما، يُفكّني أن أشرح...».

أبعدت يده عنها بقوة، وقالت ببرود: «لا تلمسني! هل يُفكّنا أن نذهب الآن يا بن من فضلك؟».

ثم تذكّرت: «يجب أن أخبر تريكسي أنه يجب علي الذهاب، وسأراها غدًا. شخص ما سوف يأخذها إلى المحطة».

في تلك اللحظة، تذكّر بن مافيس أيضًا. اندفع من خلال العدد الهائل من الضيوف إليها وقال لها: «أنظري، لقد حدث شيء ما، ولا بد لي من نقل شخص ما إلى المنزل الآن. أنا آسف بشدة. هل يُفكّني أن أوصلك إلى المحطة، أم أنك تفضّلين البقاء هنا؟».

كانت تبدو مشوشة، وقالت: «لا أدري. هل انتهت الحفلة؟ لا يوجد قطار في هذا الوقت من الليل». «يُفكّك العودة إلى مكان سكني، ولكن...».

توجّهت نظرتها المتفحصة والمطوّلة إلى بامبلا التي كانت تقف هادئة وراءه كالصخرة. وقالت: «أتفهم الوضع. أتوقّع أن أكون على ما يرام. أنا فتاة كبيرة».

قال: «لا، الأمر ليس كذلك. أعدك بذلك. أنا آسف

حقًا، هذا كل ما في الأمر...". لم يستطع إنهاء الجملة.

ظهر غاي إلى جانبه. سأله: «هل هناك موقف من المتاعب؟».

«الواقع نعم. هل يفكك الاعتناء بمافيس والتأكد من وصولها إلى المحطة بأمان؟».

قال غاي: «بالطبع، ولكن ماذا ستفعل أنت؟».

باميلا وديانا ستون في حاجة إلى المغادرة الآن. ديانا ليست على ما يرام. سأخبرك لاحقًا».

ابتسم غاي ابتسامة عريضة له وقال: «حسنًا أيها الصديق العزيز. لا تقلق بشأن ذلك. سأكون فتى كشافة مثالي».

خرجت ديدو من غرفة النوم ترتدي ثيابها بالكامل. تمّ تلطيخ أحمر الشفاه، وكان شعرها لا يزال يبدو غير مشدّب.

خاطبتها باميلا قائلة: «أدخلي إلى المصعد الآن!». نظرت ديدو إلى أختها بتحدّ وقالت: «أنت لا تشبعين نزواته لذلك أنا فعلت». قالت ذلك وهي تمرّ إلى جانب باميلا ورأسها مرفوع إلى أعلى.

سمع بن جيرمي يصرخ من داخل الغرفة قائلاً: «لا أحد يحتاج إلى المغادرة. اثنتان من النوافذ مكسورتان لن تفسدا حفلتنا. بالإضافة إلى ذلك، لا نريد أن نعيق حركة سيارات الإطفاء وعمال احتياطات الغارات الجوية. لذلك دعونا نستمر ونتناول البيض ولحم الخنزير المقدد عند الفجر كما

وعدتكم. لدي لحم الخنزير المقدد الحقيقي. فكروا
في ذلك!».

أنغلق باب المصعد ونزلوا بصمت مطبق.

الفصل الرابع والثلاثون

لندن

عثر بن على سيارة أجرة خارج دورتشستر، وأسرعوا إلى محطة فيكتوريا. كانت الحرائق مشتعلة وراء ظلام الحدائق.

قال سائق التاكسي: «لقد تمكنا من قصر باكنغهام مرة أخرى، أولئك السفلة. يا للهول! أتمنى أن نرد لهم الضاع صاعين، وأن يدفعوا ثمن فعلتهم هذه. لو كنت مكان السيد تشرشل ما كنت لأوفر رجلاً أو امرأة أو طفلاً».

سأله بن: «هل الأضرار فادحة؟».

أجابه سائق التاكسي: «لم أرها بنفسي. لقد أغلقوا الطريق، أليس كذلك؟ ولكن من المؤكد أنك تستطيع رؤية النيران».

مزوا بمنطقة هايد بارك كورنر وتوجهوا إلى مكان جروسفينور. حدقت ديدو خارج النافذة، ولم تنبس ببنت شفة.

سأل بن: «هل ستعودان إلى كينت لان؟».

قالت بامبلا: «يجب أن أكون عند العمل عند الصباح. أعتقد أن هناك قطارات على الخط الرئيسي طوال الليل. بالإضافة إلى ذلك، لن أستطيع أن أثق بنفسي من قدرتي على ضبط نفسي وعدم قذفها خارج القطار».

تساءل بن: «إذن كيف يعرف شخص ما أن يأتي

ويلتقيها في المحطة؟».

«سوف أتحدّث بالهاتف من فيكتوريا. وسوف أخبرهم أنّ هناك قبلة، وكان علينا أن نغادر على عجل. لا حاجة إلى قول أكثر من ذلك.».

قالت ديدو: «لا حاجة إلى التحدّث عني بصيغة الشخص الثالث. أنا شخص. لدي مشاعر أيضًا، كما تعلمان.».

قالت بامبلا: «أنت لا تستحقّين المشاعر. ليس لديك فكرة عن ماهية المشاعر. كنت دائمًا تريدين ما كان لي طوال الوقت الذي كنا نكبر فيه. وأنت أخذته أيضًا.».

وصلوا إلى المحطة وركضوا نحو المنصات.

قال بن: «ألف ومئة وخمسة وخمسون. يجب أن يكون لدينا وقت للحاق به.».

وقالت بامبلا وهي تلهث قليلًا في أثناء ركضها: «لن يكون هناك قطار محليّ في هذا الوقت من الليل. سأطلب من بابا أن يأتي ويقلّني من سيفن أوكس.».

«حسنًا.» بدت ديدو فجأة صغيرة السن ولا تشعر بالأمان.

سألها بن: «هل تريد مني أن أخذها إلى المنزل؟ أنا في ساعات عمل مرنة إلى حد ما في الوقت الحالي، لذلك سيكون كل شيء على ما يرام.».

نظرت بامبلا نظرة امتنان وقالت: «هل ستوصلها حقًا؟ سيكون ذلك لطيفًا. أنا لا أحب فكرة وجودها

بمفردها في قطار في فترة التعقيم».

«يمكنك العودة إلى مكان سكني إذا كان الأمر أسهل».

قالت بامبلا: «لن يكون الأمر كذلك حقًا. إنني في حاجة إلى أن أكون لوحدي، ولا يمكن أن أكون متحضرة لفترة أطول من ذلك بكثير. وأريد ديدو بعيدة مني».

قالت ديدو: «توقفي عن الحديث عني كما لو كنت قطعة من اللحم. أنظري، أنا أسفة. هذا لا يعني شيئًا. كنا نشرب الخمر، وشعرنا بالإثارة بسبب القنابل. . . و. . . وهذا ما حدث للتو. وهل تعرفين ماذا؟ لقد كان لطيفًا جدًا، وكنت غبية لاستمرارك في دفعه بعيدًا منك».

صرخت بامبلا: «هذا يكفي يا ديدو»، ودفعت شقيقتها داخل القطار.

قالت: «أخبري ماما بأنني سأراها يوم الجمعة بحسب ما رتبنا».

«ما الذي يحدث يوم الجمعة؟».

«ستقيم ماما حفلة صغيرة الحديقة في نهاية هذا الأسبوع، وهي في حالة من الدُعر بسبب عدم وجود طعام مناسب وعدم وجود عدد كافٍ من الخدم، لذلك قلت إنني سأحضر للمساعدة». ثم نظرت إلى بن نظرة توصل وقالت: «إذا لم يكن لديك عمل، هل ترغب في المجيء أيضًا، أليس كذلك؟ كنت أخطط لمطالبة جيرمي بالحضور والمساعدة

في تقديم المشروبات والأشياء، ولكن الآن...».

قال بن: «بالطبع، أنا قادم».

«قالت تريكسي إنها ستأتي أيضًا. وقالت إنها سترتدي ثيابًا كثياب الخادمة وتقدم الأشياء للضيوف». ابتسمت بامبلا، وكانت خطوط القلق تختفي من وجهها للحظة وقالت: «لقد نجحنا في تدبّر أمر التفرغ من العمل بعد ظهر الجمعة والسبت. لذلك نأمل أن نسافر بالقطار نحو الرابعة إذا كنت تريد الانضمام إلينا».

قال بن: «سأكون هناك». ابتسم لها وهو يتسلق على متن القطار بعد ديدو.

سمع صوت صافرة. مشت إليه بامبلا وغطت يده بيدها وقالت: «أنا سعيدة للغاية لأنك هنا يا بن. يفككني الاعتماد عليك دائمًا».

انطلق القطار بعيدًا من المحطة. نظر بن إلى الخلف ورأى شخصها صغيرًا ونحيفًا واقفًا يراقبهما هناك.

قبل تفسير القنبلة الملقاة على المبنى المجاور بسهولة. توقّف بن عند منزل والده، حيث أمضى الليلة هناك، ثم استقل قطارًا مبكرًا إلى لندن.

فتح غاي بابه لَمَا صعد بن على الدرج. سألة مبتسمًا ابتسامة ذات مغزى: «إذن من أين وصلت؟ هل كانت الاثنتان بسعر واحدة؟ أستطيع أن أرى لماذا فضلتها على الانسة مافيس. فتاة جميلة ولكن ذات عواطف جياشة قليلًا بالنسبة إلى ذوقي».

أودعتها في المحطة في الساعة السادسة بحسب الطلب».

«شكرًا جزيلاً. ربما تكون غاضبة مني».

«لا أعتقد أنها غاضبة كثيرًا. أعطيتها قبلة وعناق في سيارة الأجرة، لذلك أعتقد أنها كانت قد استمتعت بوقتها ومن المؤكد أن لديها الكثير من الحكايات لإخبار زملائها في العمل».

«كيف تعيش الطبقة الأرستقراطية وذلك كلها». حدق في بن، وقال له: «أنت منتهي الصلاحية».

من الأفضل أن تأتي معي وسأحضر لك القهوة». لم يكن بن في حاجة إلى دعوة ثانية.

قال غاي: «الحمد لله أن القهوة ليست مقننة. هي إثمي الوحيد هذه الأيام».

قال بن وهو يفوص في سرير غاي: «إذا كنت تستطيع العثور عليها يا لها من ليلة».

سأل غاي وهو يملأ غلاية القهوة بالماء: «إذن ما الذي حدث بالفعل؟».

قال بن: «وجدت بامبلا ستون أختها الصغيرة في السرير مع جيرمي بريسكوت. هذه الطفلة هي في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمرها فقط».

أجاب غاي قائلاً: «ليس عمر الثامنة عشرة الآن ما كان عليه الأمر قبل الحرب». الناس يكبرون بسرعة هذه الأيام. ويجب عليهم أن يكبروا. وفلسفة الكثير من الناس هي دعنا نقتنص الفرصة بينما نستطيع لأنها قد لا تكون متوافرة هنا غداً. وهذا صحيح،

أليس كذلك؟ فلو سقطت تلك القبلة على بعد بضعة أمتار إلى اليمين، لكنا جميعنا خبزًا محمصًا الآن."

ارتعش بن وقال: «أنت على حق».

«إذن أرسلت ديانا إلى البيت في خزي وعار؟»

«الواقع أنني أخذتها إلى المنزل، وكان على بامبلا العودة إلى العمل، وكانت غاضبة ومنزعجة للغاية».

«لقد كانت تواعد بريسكوت، أليس كذلك؟»

«أه، نعم منذ أن كانا أطفالين».

«هكذا يتصرف سلاح الجو الملكي البريطاني: أعيش مع الخطر، لذلك آخذ ما أريد».

قال بن: «أعتقد أنه كان يتصرف دائمًا بهذه الطريقة».

فار الماء من الغلاية، وسكب غاي القهوة. ثم قال ببطء: «هناك شيء ربما يجب أن تعرفه. الليدي مارغوت ستون...»

«نعم سمعت. لقد جرى اعتقالها من قبل الشرطة السرية الألمانية في باريس. وكان يجري التخطيط لإنقاذها».

قال غاي: «ونفذت العملية بنجاح».

صعدت حواجب بن إلى أعلى وسأله: «هل هذا صحيح؟ هي في المنزل؟ هذا رائع».

«عائلتها لا تعرف أنها في الوطن بعد. لست متأكدًا متى سيتم إخبارهم. هناك استخلاص معلومات

يجب القيام بها. لكن هذا ليس ما أردت أن أخبرك به. أخفن أن الكابتن كينغ ذكر لك الجمعية السرية التي أطلق عليها اسم الحلقة».

«نعم ذكر لي ذلك».

«إذن أنت تعرف من هم وماذا يخططون؟».

هز رأسه برأسه بالإيجاب قائلاً: «الأرستقراطيون الذين يريدون مساعدة ألمانيا».

«يبدو أن مارغوت ستون حضرت اجتماعاً في المساء الآخر».

«حضرت اجتماعاً لجمعية الحلقة» السرية؟».

«هذا صحيح».

«هل الكابتن كينغ، كما تشير إليه، يعلم أنها ستكون هناك؟».

«أنت تعرفه، يحتفظ بأوراقه قريبة جداً من صدره، لكنني أعتقد أن هذا أخذه على حين غرة».

«لذلك ستتم مراقبة مارغوت ستون؟».

«نعم من المؤكد. وعندما يُسمح لها بالعودة إلى المنزل، أعتقد أن المهمة ستقع على عاتقك».

قال بن: «يا للعجب!».

بمجرد أن ذهب بن إلى غرفته الخاصة، كتب رسالة إلى مافيس يشرح فيها أن إحدى الشقيقات كانت قد شربت كثيرًا ومرضت مما استلزم نقلها إلى محطة فيكتوريا للحاق بأخر قطار. كان يأمل أن تغفر له وأن يكون غاي قد اعتنى بها جيدًا. وأعرّب

عن أمله في أن يكون موعد لقائهم الغرامي المقبل أقل إثارة. ثم أخذها إلى صندوق البريد في الزاوية. في أسوأ الأحوال، ستصل بأخر بريد ذلك المساء أو بحلول صباح الغد. لم يكن يريد أن تفكر في أنه تخلى عنها لصالح فتاة أكثر تطوّرًا.

وفي الوقت عينه، استيقظت بامبلا وحيدة في الغرفة التي تشاركها فيها تريكسي. شعرت بالفراغ والاستنزاف العاطفي، كما لو كانت تتعافى من نوبة من أنفلونزا المعدة. تساءلت الآن ما إذا كان ديدو وجيرمي قد مارسا الجنس في أثناء تلك الزيارات التي كانت تقوم بها ديدو بعد الظهر إلى منزله. يكاد يكون من غير المحتمل مع والدته والخدم في المنزل، ولكن لا يمكن لأحد أن يتنبأ عندما يتعلّق الأمر بجيرمي. كان يحب أن يعيش بشكل خطير. كانت دائمًا تعرف ذلك.

وقفت بامبلا، وتمطت، ثم ذهبت إلى النافذة لسحب ستارة التعقيم. كان يومًا رماديًا قاتمًا يناسب مزاجها. لقد انتهى الأمر كما كانت تفكر. كيف يفكن أن تشعر بالأمان من أي وقت مضى مع رجل خانها مع أختها؟ إذا تزوجا، فهل ستتصوّر الأسوأ في كل مرة كان ليتأخر فيها عن الوصول إلى المنزل؟ كانت ترى الآن أن ديدو لم تكن سوى فتاة صغيرة، غبية ومحببة. إنها فتاة تموت من أجل الحصول على الأشياء التي حرمت منها - الذكور والمغازلة لموسم واحد والآن وسيلة فاعلة للتوظيف - لا عجب أنها تركت جيرمي يقوم بإغوائها. لقد كانت تتساءل عما إذا كانا قد فرغا من ممارسة الجنس بالفعل قبل أن

تضرب القبلة؟ هل كانت ديدو عذراء قبل ذلك؟ إذا كان الأمر كذلك، هل كانت ممارستها الجنس تلك مؤلّمة؟ لقد جاء انعدام الأمن ليغمرها بينما مرّ قطار سريع عبر نافذتها بصراخ وحشي.

كانت قد انتهت لتوّها من غسل وتنظيف أسنانها بالفرشاة حين عادت تريكسي إلى المنزل.

«يا الله، يا لها من ليلة». ألقت بنفسها في سريرها وقالت: «لقد شربت كثيرًا. كلنا شربنا كثيرًا. عزيزتي، لقد كنت تعبّة جدًّا، ونمت في القطار. ولحسن الحظ، فقد أطلق القطار صافرة ولولا ذلك لربّما استيقظت لأجد نفسي في كرو». جلست ونظرت إلى بامبلا وسألتها: «هل أنت بخير؟»

«أنا أعتقد ذلك. سانجو».

جاءت تريكسي وجلست إلى جانبها وسألتها: «هل كانت شكوكي في مكانها؟ هل كان جيرمي يمارس الجنس مع أختك؟»

هزت بامبلا رأسها بالإيجاب.

«أنا أسفة. لم يكن قط مناسبًا لك، كما تعلمين. لقد حاول ممارسة الجنس معي في الليلة الماضية بعد رحيلك. وعندما قلت إنّ ذلك ليس آمنًا في سيارات الأجرة، كنت أقصد ذلك. بالعودة إلى موسم وحفلات التعارف، لم يكن ليقتبل «لا» كإجابة كما تعلمين. ولو لم يستدر السائق ويسأل: هل أنت بخير يا أنسة؟ أنا متأكدة أنه كان ليغتصبي. لذلك أعتقد أن من الأفضل بالنسبة إليك فك ارتباطك به». توقفت، ونظرت إلى وجه بامبلا، ثم قالت: «يا له

من شيء غبي أن أقول لك ذلك. أنت تحبينه، أليس كذلك؟».

قالت بامبلا: «لقد أحببته دائمًا. أعتقد أنني كنت أعرف دائمًا ماهيته. كان ذلك جزءًا من جاذبية أنه كان متهورًا ولا يخاف من أي شيء. سوف أتغلب على الأمر على ما أفترض. وسوف يستغرق ذلك بعض الوقت، لكن...».

أومات تريكسي بالموافقة. وقالت: «ليست هذه نهاية العالم. هناك الكثير من الأشخاص الآخرين الذين قد تبني معهم علاقة ناجحة في المستقبل. لقد بدأ تواصل ودي لي مع شاب لذيذ في سلاح الجو الملكي البريطاني الليلة الماضية. وسنستمتع هذا السبت في حفل حديقة والدتك، أليس كذلك؟».

هبطت بامبلا جالسة إلى جانب تريكسي وقالت: «يا إلهي يا تريكسي، لا أريد العودة إلى المنزل الآن. كيف يمكنني مواجهة ديدو؟ كيف يمكنني أن أتحمّل الوقوف معها في المنزل نفسه؟».

«إنه منزل كبير، وسيكون هناك الكثير من الناس. لماذا لا ترتدي ملابس الخادمت ونقدّم الطعام؟ أن يكون ذلك نوعًا من المرح؟».

«لا أشعر برغبة في المرح في الوقت الحالي. والواقع، أنني سأرسل برقية لأمي أقول فيها إنني لا أستطيع الحصول على إجازة بعد كل شيء.».

قالت تريكسي: «أه، لا تفعل ذلك. لا يفكني الذهاب إلى هناك بمفردي، وأنا أتطلع إلى الذهاب حقًا. منذ متى استمتعت بالحياة كما كانت من قبل،

الشيء على العشب، الفساتين المزهرة والقبعات. كل هذا يبدو وكأنه حلم جميل الآن، أليس كذلك؟".

قالت بامبلا: «نعم. نعم، إنها كذلك». ثم تنفست الصعداء وقالت: «حسنًا، أعتقد أنني يجب أن أذهب. لا تساعد لي في كثيرًا في تنظيم الأشياء، وستكون والدتي في حالة من الارتباك».

قال تريكسي: «جيد جدًا». وقفت بامبلا مرة أخرى وقالت: «الآن، من الأفضل أن ارتدي ملابسك وأجز نفسي إلى العمل. من حسن الحظ أنني لا أفك الشيفرات الآن لأنني كنت سأقول إن طائرات العدو شوهدت في بومباي بدلًا من برمنغهام».

حاولت بامبلا أن تبتسم بينما كانت تريكسي ذاهبة إلى الحمام.

الفصل الخامس

والثلاثون

إلى فارلي

لم يكن بن متأكدًا تمامًا مما ينبغي أن يفعله في ذلك اليوم. قام بتسليم رسائل بامبلا الإذاعية إلى دولفين سكوير مع اقتراح أنها قد تكون مطابقة لاجتماعات معروفة لأعضاء جمعية «الحلقة» السرية. كان عليه أن يحاول إقناع مافيس بالإسراع في العثور على موقع على الصورة. إذن ماذا الآن؟ لقد ألمح غاي إلى أنه سيتم إرساله لتعقب مارغوت ستون خلسة، لكن هذه التعليمات يجب أن تأتي من ماكسويل نايت. لقد شعر بن بعدم وجود شعور بالأمان لا لزوم له، لكنه شعر أيضًا بأنه لم يكن يرغب في الذهاب إلى دولفين سكوير والقول: «أرجوك يا سيدي، ماذا علي أن أفعل الآن؟» مثل واحد من طلاب السنة الرابعة للثانوية العامة الذين كان يعلمهم إلى أن تم استدعاؤه للخدمة العسكرية. المبادرة. هذا ما كان مطلوبًا من قبل القسم الخامس في المخابرات العسكرية البريطانية. كان دائمًا قد رغب في أن يُعطى التحديات وأن تتم ملاحظته، والآن كان في قلب مؤامرة كبيرة.

قام بتشغيل المذياع، وكان مسرورًا حين وجد أن العائلة المالكة لم تتضرر في قصف الليلة الماضية. حاول التلاعب بالأرقام بين الترددات على أمل التقاط القناة الألمانية لكنه استسلم بعد فترة. وكان

غاي في إجازة بمهفة في مكان ما. تساءل بن عما كان يفعله وكم مر من الزمن وهو يعمل سزا لصالح نايت. ثم توقف التفكير. كان غاي يبدو وكأنه يعرف كل شيء عن جمعية «الحلقة» السرية. وهذا يعني أنه كان جزءًا من الدائرة الداخلية. أو... توقف بن. غاي رتب ملف تعريف الشخص الذي سيكون جزءًا من جمعية «الحلقة» السرية. إنه من عائلة أرستقراطية. النوع، الموجود في أكسفورد، والذي تحفل المخاطر، وكان يحب وسائل الراحة الخاصة به. هل أخبر بن عن مارغوت ستون ليبعد الشبهات عن نفسه؟ تساءل بن كيف يمكن معرفة ذلك. ولكن بعد ذلك وثق به ماكسويل نايت، وكان بن متأكدًا أن نايت كان قاضيًا رائعًا في الحكم على الشخصيات. أو . . ربما عرف نايت أنه عميل مزدوج وكان يستخدمه. كان بن يريد أن يسأل نايت لكنه أدرك أنه ليس لديه أي دليل على الإطلاق على أن غاي لم يكن بالضبط ما بدا عليه. وتذكر ما كان غاي قد قاله عما يُسمى الكابتن كنف المسؤول فقط أمام تشرشل فقط. إنه رجل يُمكن أن يكون خطيرًا وقويًا. خطر بباله أن ماكسويل نايت نفسه قد يكون مجرد شخص يدير منظمة سرية مثل منظمة «الحلقة». مرة أخرى، وجد نفسه يسأل ما إذا كان قد تم تعيينه في الوظيفة مع توقع أن يبقوا وايت هول، للخدمة المدنية والحكومة البريطانية، سعيدة، لكنه سيخطئ فهم ذلك.

تساءل بن ما إذا كان يجب عليه الذهاب ورؤية مافيس، لكن هذا بدا مثيرًا للشفقة إلى حد ما على

المستوى الشخصي، ومزعج للغاية على المستوى المهني. تساءل ما إذا كانت الصورة لا تزال مهمة حتى الآن. وإذا كان المظلي قد أرسل لتسليم رسالة مهمة، فمن المؤكد أن الألمان أرسلوا الرسالة بالفعل بوسائل أخرى. لقد ذهب إلى المكتبة البريطانية وقرأ المزيد عن تلك المعارك بيد أنه لم يكتشف أي شيء لم يكن يعرفه بالفعل. تم خلع ملك من قبل منافس أقوى. كثير من الرجال كانوا قد قُتلوا في المعارك. لكنها في النهاية جلبت السلام. يفك أنه يرى أوجه التشابه، لكنهم يستطيع معرفة ما قد تعنيه. عاد إلى المنزل وفرح كثيرًا حين تذكر أنه وعد بالذهاب إلى كينت مع بامبلا في اليوم التالي.

حدقت مارغوت ستون خارج نافذة سيارة الدايمر لما كان يجري إخراجها من لندن. فسحت المدينة المجال للضحية، ثم للريف الأخضر ذي التلال. لقد كانت تعطي شعورًا بأن الأمور كانت جيدة جدًا إلى حد يصعب تصديقها بحيث إنها كانت قد عادت إلى إنكلترا في واقع الأمر، وأنها كانت عائدة مرة أخرى إلى عائلتها، وأن المحنة قد انتهت. حاولت أن تشعر بالسعادة والإثارة، ولكن بدلًا من ذلك كان كل ما شعرت به أجوف وفارغ من الداخل، كما لو أن جزءًا منها قد مات حين أخذوها إلى تلك الزنزانة في مقر الشرطة السرية الألمانية. كانت الأيام الماضية تشبه العيش في كابوس، وقد أعدت نفسها لقبول أن الأمر سينتهي بوفاتها أو على الأقل بإرسالها إلى معسكر اعتقال ألماني. كان ظفرها قد شفى بالفعل. لم تكن تحمل أي ندوب واضحة ناجمة عن محنتها. أما

الندبة العميقة في قلبها فسوف تستغرق وقتًا أطول لتختفي. كان غاستون قد نفى حبه لها. لقد أظهر ازدراءه التام لها وللألم الذي كان يلحق بها. كانت تشاهد التحولات الخضراء التي كانت تمر بسرعة أمامها. كنت حمقاء، فكّرت في خلدتها. لقد تخلّيت عن كل شيء، وخاطرت بكل شيء من أجل رجل لم يكن يحبني.

بدأت الأفكار تدور في عقلها لتستحضر غاستون يتمشى للتنزه معها في وادي بولون وليجلس معها وجهًا لوجه في مقهى صغير وعيناه تتوهجان بالرغبة بينما كان ينظر في عينيها. لقد تأكدت فجأة أنه كان قد وقع في حبها. لقد تبّنت ما كانت قد قالتها لها جيحي أرماند: لقد أظهر غاستون الاحتقار لها فقط من أجل حمايتها. لم تكن تصدق هذا الكلام في ذلك الحين. لكنها الآن أدركت أن هذا ربما يكون صحيحًا. لقد كانت كلماته للألمان طريقته الوحيدة لحمايتها. ولقد وفر إعطاؤه الانطباع بأنها لم تكن تعني له أي شيء ولو تعرّضت للمزيد من التعذيب. فلو كان الإدراك السائد أن غاستون لا يبالي بما تتعرّض له من تعذيب فسيكون الاستمرار في تعذيبها أمرًا عبثيًا لا مبرر له على الإطلاق.

همست لنفسها: «لقد أنقذني. لقد أحبني بالفعل. لقد أحبني إلى حدّ أنه ضحى بحياته من أجلي».

لقد تصالحت مع نفسها أيضًا بالتوصل إلى الإدراك الذي يفيد بأنه لم يكن لديها أي شيء تفعله لينقذ حياته في أي حال من الأحوال. هو لن يخون أبدًا

رفاقه في المقاومة، وبالتالي فإن الألمان لن يطلقوا سراحه أبدًا. لقد همست ذلك لنفسها وشعرت بوهج من المواساة داخل ظلام حزنها.

أضحت الآن قادرة على العودة لممارسة حياتها السابقة. إنها حرة. ليست حرة تمامًا وهي كانت تدرك ذلك تمامًا. بيد أنها ستعالج المعضلة التالية عندما تصل إليها. أما في الوقت الحاضر فسوف تستمتع بريف كينت كما ستستمتع بعائلتها أيضًا. مَرّت السيارة التي كانت تقلهم في سفن أوكس وبعد ذلك أصبحت المناطق المجاورة كلها مألوفة. لقد ركبت صهوات الجياد فوق هذه الحقول من أجل الصيد لَمَّا كانت فتاة صغيرة. فكَّرت في خلدتها: إنَّ هذا أمر غريب. أشعر بأنني امرأة مسنة كما لو أنَّ حياتي قد فاتتني لتوَّها. كانت تتساءل ما إذا كانت ستشعر بأنها طبيعية في يوم من الأيام مجددًا. وعندئذٍ بالطبع تسلل القلق إلى عقلها مرَّة أخرى. هل ستتجرأ على الاستمرار. هل ستكون شجاعة بما يكفي لجعل غاستون فخورًا بها.

بعد ذلك مرَّوا في إمسلي. كان هناك خضار القرية مع لوحة تسجيل نتائج لعبة الكريكت والتي كانت لا تزال تحتفظ بنتيجة المباراة الأخيرة. كانت الكنيسة هناك وراءه، وكانت الأنسة هاملتون تُنزه كلابها. لم يتغيَّر أيُّ شيء على الإطلاق. فكَّرت في خلدتها قائلة الشيء الوحيد الذي تغيَّر هو أنا فقط.

كانت فوبي في غرفة الصف ترثل لمربيته أسماء ملوك إنكلترا وملكاتهما. وكانت قد وصلت لذكر اسم

الملك ريتشارد الثالث وتعثرت هناك. راحت في الغرفة جيئة وذهابًا وقالت مرّة أخرى «ريتشارد الثالث»، وبعد . . . ذلك، ذكرتها الانسة غامبل قائلة: «معركة بوسويرث. ماذا حدث بعد ذلك؟».

«وبعد ذلك. . .» ، نظرت فوبي خارج النافذة، وأطلقت صرخة ابتهاج قائلة: «إنها مارغوت، لقد عادت مارغوت إلى البيت».

اندفعت إلى الزواق، ثم إلى فسحات الدرج وهي تنادي معلنة الأخبار الجيدة.

كان اللورد ويسترهام في غرفة الصباح يقرأ الجريدة. وضعها ونظر محدقًا بابنته وسألها: «ماذا قلت لك بخصوص الصراخ؟ ألم تخبرك مربيتك بأنه يجب على الليدي ألا ترفع صوتها مطلقًا؟».

قالت فوبي ووجها لا يزال يضيء بالفرح والابتهاج: «ولكن يا بابا، إنها مارغوت. لقد عادت إلى البيت».

كان بن يستعدّ للذهاب إلى فكتوريا عند منتصف النهار تقريبًا لَمَا دَقَّ غاي بابنه. قال له: «إسمع أيها الصديق العزيز أعرف من سلطة قويّة أنّ مارغوت ستون يتمّ توصيلها حاليًا إلى منزلها في كينت. أتساءل ما إذا كنت تستطيع إيجاد عذر جيّد لتذهب إلى هناك».

قال بن: «في الحقيقة أنا متوجه إلى هناك الآن. لقد دعنتني باميلا ستون لحضور حفلة في الحديقة من تحضير والدتها».

ارتسمت ابتسامة على وجه غاي: «حفلة في الحديقة؟ هل ما زالت هذه الأمور تحدث حتى الآن؟ هذا مميز حقًا. قد أصعد في قطار ما وأنضم إليكم. الفراولة بالكريمة على المرج. هذه الأمور كانت قبل الحرب. من أجل ماذا تم تكريس الحفلة؟ هل الحفلة مخصصة لجمع التبرعات لجنودنا؟».

حزك بن كتفيه قائلاً: «ليس لدي أدنى فكرة. كل ما أعرفه أن الليدي ويسترهام كانت في حالة من الذعر من عمل حفلة في الحديقة في وقت لم يكن لديها ما يكفي من الخدم والمواد الغذائية وقد وافقت باميل على الذهاب لمساعدتها».

ضحك غاي وقال: «هل سترتدي الثياب التي لها ذيول وتتظاهر بأنك خادم؟».

«الواقع، أنه لا يزال لديهم كبير للخدم. إنه مسن جدًا ولا يفكن استدعاؤه للخدمة العسكرية. ولكن يوجد خادم واحد وزوج من الخادمت فقط».

قال غاي بسخرية من العيار الثقيل: «كيف جعلت الطبقات العليا تعاني. كتبت ماما لي تقول إن عليها تنظيف مرحاضها قبل بضعة أيام. تخيل».

ابتسم بن. لقد أدرك كم كانت صدمة العيش في زمن الحرب بالنسبة إلى الكثيرين من طبقة غاي الاجتماعية.

كان على وشك المغادرة لفا سمع وقع خطى تصعد الدرج وكان قد أصيب بالذهول لرؤية ساعي البريد الذي يسلم مستندات العمل عاجلة الإرسال يتجه نحوه. توقف الرجل وحيًا، وقال: «يا سيد كريسويل؟»

قيل لي أن أقوم بتسليم هذا لك على الفور. إنه يأتي من مدمنهام».

تعثر بن بالكلام قائلاً: «شكراً لك». حيا الرجل ونزل يدوس إلى أسفل الدرج بشدة وصخب مرة. ذهب بن إلى غرفته وأغلق الباب وفتح المغلف. كانت مافيس قد كتبت: «أعتقد أنني قد حدت المكان المناسب لصورتك. تم وضع علامة على خريطة مسح الذخائر. والواقع أنه سومرست، وليس ديفون أو كورنوال كما كنت تعتقد».

كان قلب بن يضرب بشدة. كان عليه أن يخبر أحداً قبل أن يقابل بامبلا في المحطة. أمسك حقيبته الليلية، ثم أخذ مترو الأنفاق وسار بأسرع ما يمكن إلى دولفين سكوير. رن جرس الباب في الأسفل، ولكن لم يكن هناك جواب. استقل المصعد وطرق الباب ولكن مرة أخرى لا إجابة. كان هناك رجل مسن نزل إلى القاعة نحوه. وقال لبن: «لا فائدة من طرق الأبواب. لقد ذهبوا بعيداً. رأيتهم يحملون حقائبهم في وقت سابق من هذا الصباح ويرحلون من هنا».

تمتم بن لنفسه قائلاً: «اللعنة». ثم استقل المصعد نزولاً إلى الأسفل، ووقف في ظل أشعة الشمس الساطعة محاولاً التفكير فيما يجب عمله بعد ذلك. لم يكن هناك أحد يستطيع أن يقول عن الصورة. كان غاي قد خرج، ولم يكن لدى بن فكرة عن موعد عودته. إلى جانب ذلك، كانت لديه شعور بعدم الارتياح تجاه الرجل. يجب أن يذهب إلى سومرست نفسه. لكن بامبلا كانت تنتظره في المحطة.

تنهّد متنفسًا الصعداء وتوجه إلى فيكتوريا.

كانت بامبلا وتريكسي تنتظران تحت لوحة وجهات السفر. لوحت بامبلا بيدها له حين رصدته. وقالت: «لقد فعلتها وجئت بحسب الموعد. كم هذا لطيف منك».

قالت تريكسي: «أنا مسرورة جدًا لرؤيتك قادمًا أيضًا يا بن. أنا على استعداد لأن أكون خادمة. كنت أرغب في استئجار ثوبًا من ملابس الخادמות الفرنسيات الرائعة المكشكشة من متجر للأزياء لكنّ باما لم تسمح لي بذلك».

قالت باما وهي تنظر إلى بن نظرة غاضبة: «كما لو أنّ عائلتي كانت لديها خادمة فرنسية بثياب مكشكشة. حتىّ ماما لم يكن لديها خادمة فرنسية. إنّ خادماتها متوسطة العمر وغليظة ومملة وتُسمى فيلبوت».

قالت تريكسي: «تحتاج أسرتك إذن إلى الحيوية. كانت لماما دائمًا خادمت فرنسيات وكان أبي يطاردهن دائمًا. لقد أبقى ذلك على زواجهما سعيدًا». تظاهرت بامبلا بأنها تدرس لوحة المغادرة وقالت: «إذن هناك قطار بعد نصف ساعة على المنصة رقم أحد عشر. هذا جيّد. يوجد لدينا الكثير من الوقت لشراء تذاكرنا والوصول إلى هناك».

تنحّج بن وقال: «أنظري يا باما لست متأكدًا مما يجب عليّ فعله. لا بدّ لي من النزول إلى سومرست على الفور. هناك أمر يجب عليّ أن أتحقّق منه. لذلك يجب أن أتوجه إلى بادينغتون وأستقلّ القطار الأول

إلى هناك. لكنني وعدت بأثني ساتي معك لمساعدة أمك. لذلك أمل أن تتفهمي الأمر لأنني مضطرٌ لكي لا أحنث بوعدتي».

قالت باما: «بالطبع. هذا لا يهم، أنا متأكدة من ذلك. عليك القيام بعملك».

سألت تريكسي: «ما المهم في سومرست؟ لم يحدث شيء على الإطلاق فيما عدا صنع عصير التفاح والجبن». قالت ذلك وضحكت، لكنها درست وجه بن وقالت: «أنت حقًا متورط في أسرار ودسائس، أليس كذلك؟ اعتقدت أنك يجب أن تكون كذلك حين رأيتك في بليتشلي. دعني أنزل إلى سومرست معك. أنا فتاة من بليتشلي. لقد وقّعت على قانون الأسرار الرسمية. لن أتفوه بكلمة واحدة، وأنا أموت من أجل الإثارة».

قال بن: «لن يكون الأمر مثيرًا. يجب علي فقط أن أتحقق من مرجع على الخريطة».

قالت بامبلا وهي تنظر إلى تريكسي ببرود: «أنت لن تذهبي مع بن. إذا كان أي شخص يذهب معه، فسيكون أنا».

قال بن: «عليكما مساعدة الليدي ويسترهام».

سألت بامبلا: «ولكن كيف ستتنقل عندما تكون هناك؟ هل ستستخدم القطار أم الحافلة أم أنك ستذهب سيرا على قدميك؟».

رد بن قائلا: «لديهم حافلات مرة واحدة في الأسبوع في أماكن مثل سومرست. سأتدبر أمري».

قالت باميلا: «لدي فكرة جيدة. تعال معنا إلى كينت، وسأطلب استعارة سيارة الرولز التي يملكها أبي. وسأوصلك إلى هناك».

«ولكن ماذا عن والدتك؟».

«إذا ذهبنا فورًا بعد ظهر اليوم سنصل قبل وقت كافٍ من بداية الحفلة. هل تعتقد أن الأمر سيستغرق وقتًا طويلًا؟ ماذا يجب عليك أن تفعل هناك؟».

قال بن: «ليس لدي فكرة. بصراحة، لست متأكدًا مما أبحث عنه».

وقالت تريكسي: «هذا يبدو وكأنه مرح ومنتعة. ما زلت أعتقد أن باما يجب أن تبقى مع أمها ويجب أن تأخذني معك يا بن».

قال بن وهو في حالة من عدم الارتياح: «أعتقد أنني يجب ألا أصطحب أي شخص معي».

قالت باميلا: «نعم، سوف تفعل. ستحتاج إلى شخص ما لقراءة الخريطة في أثناء القيادة. أو الأفضل من ذلك، سوف أقود السيارة وأنت تقرا الخريطة. هذا سيجعل الأمر أسرع بكثير».

وافقها الرأي قائلًا: «أفترض ذلك».

قالت تريكسي وهي تشد شفيتها بطريقة ساخرة وتبرزها للخارج: «إذن أنت تريدني مني أن أبقى وأعمل بجد مكانك».

نظرت باميلا إلى تريكسي نظرة سريعة ملؤها الامتنان وسألتها: «هل ستفعلين ذلك حقًا؟».

«أفترض ذلك، إذا كان لا بد لي من ذلك. العمل

الشاق في حفلة حديقة من أجل بريطانيا. قد
أحصل على ميدالية».

ضحكت بامبلا وقالت: «أنت صديقة حقيقية
تساعديني وتدعميني عندما أكون في موقف
صعب».

قالت تريكسي: «هذه أنا صديقة حقيقية. هيا بنا،
يتعين علينا شراء تلك التذاكر وهناك خط طويل».

سحب بن بامبلا جانبًا وسألها بينما كان لا يزال
في حيرة من أمره وبين ركوب القطار القادم من
بادينغتون ووجود بامبلا إلى جانبه في سيارة
وسألها: «هل تعتقدين أن والدك سيسمح لنا
بالحصول على سيارة الرولز؟».

قالت بامبلا بانتعاش: «إذا لم يكن الأمر كذلك،
فسنطلب من عائلة بريسكوتس. لديهم سيارات
إضافية والكثير من البنزين، بحسب مظهرهم».

سألها بن: «هل تعتقدين أنهم سيقترضوني سيارة
حقًا؟».

قالت بامبلا بهدوء: «سيقترضوني واحدة. ما زالوا
يعتقدون...».

«إذن هل انتهى الأمر حقًا بينك وبين جيرمي؟».

قالت بامبلا: «كيف يمكن أن تستمر؟ ولكن لا تهتم
بذلك الآن. لدينا عمل لنقوم به».

قال: «إن ذلك لطف منك حقًا يا بامبلا».

ردت عليه قائلة: «لا، على الإطلاق. ستكون
مغامرة، وأنا في حاجة إلى شيء ليهجنني».

لما وصلا إلى المنزل، استقبلتهم فوبي مبتهجة، وأعلنت مرة أخرى أن مارغوت كانت قد عادت. استلزم هذا العناق والدموع وانتهى الأمر بتناول الشاي مع العائلة.

«تمامًا مثل الأيام الخوالي»، على حدّ تعبير الليدي ويسترهام. «لقد تمّ قبول أعظم دعواتي وبناتي جميعهم معنا مرة أخرى». بدت مارغوت تعبًا وشاحبة وتظهر المعاناة على وجهها، وابتسمت نوعًا من الابتسامات الحزينة. فكّر بن فيما إذا كان ينبغي أن يبقى الآن بعد أن كانت مارغوت قد عادت، أو يذهب لتقضي حقيقة صورته. فازت الفكرة الأخيرة. أعلنت مارغوت أنها كانت تعبًا للغاية وأنها تطلب منهم أن يعذروها إذا صعدت إلى غرفتها.

كما كان بن يخشى، اعترض اللورد ويسترهام بشدة على أخذهم سيارة الرولز الذي يملكها. وصاح بصوت عالٍ وعميق: «أنا لا أسمح لكما أنتما الاثنيين باستخدام آخر حصص البنزين الخاصة بي من أجل نزهة تقومون بها في السيارة».

قالت بامبلا: «ولكن يا بابا هذا أمر مهم. إنّه شيء ما على بن أن يفعله من أجل وظيفته، وقلت له إنني سوف أذهب لمساعدته».

قال لبامبلا بكلمات لاذعة وهو ينفجر بصوت عالٍ: «إذا كان هذا مهمًا لوظيفته، يُفكّن للحكومة تزويده بسيارة. هم يحصلون على البنزين. أنا لا. أنا أسف بشدة».

همست بامبلا لبن قائلة: «لم أكن أعتقد أنه سيكون

عجوزًا بخيلًا إلى هذا الحد. إنه لأمر سيء للغاية أنه لا يُفكنا إخباره لماذا نحتاج إلى السيارة. إنه لا يدرك أن الأمر يتعلق بالأمن القومي. لكنه على حق. ألا يستطيع رئيسك طلب سيارة لك؟”

سألت بامبلا بصوت منخفض: «ما القصة وراء هذا كله؟»

اعتقد بن أن لا فائدة من التزام الصمت بعد أن عرفت بامبلا أنه كان واحدًا من القسم الخامس في المخابرات العسكرية البريطانية. قال لها وهو يتنخى جانبًا بحيث لا يُفك سماعها: «ذلك المظلي الذي سقط في حقلكم لم يكن لديه شيء على الإطلاق. لم يكن لديه هوية تعريف. كان لديه فقط صورة عليها أرقام. وقد عثر شخص ما أخيرًا على الموقع الذي تم التقاط الصورة فيه. لذلك يجب أن أذهب إلى هناك على الفور».

قالت بامبلا: «ولا يُفكنا إخبار عائلة بريسكوت بذلك». نظرت من النافذة وقالت: «أقول، هناك الكثير من مركبات الجيش مكونة في وضع الخمول خارج منزلنا. هل تعتقد أننا نجرؤ على استعارة واحدة؟»

كان على بن أن يضحك فقال: «ثم يتم إطلاق النار علينا ونحن نغادر بها؟». ثم فكر وقال: «ولكن يُفكني أن أسأل العقيد بريتشارد. كان يبدو نوعًا ما، شابًا رصينًا ومحترمًا. إنه يعرف كل شيء عن المظلي. ويُفكني أن أخبره بمن أعمل من أجله».

قالت بامبلا: «إذن دعنا نفعل ذلك. سآذهب وأغير

ثيابي إلى ثياب أكثر ملاءمة للقيادة، وسأحمل
فرشاة أسناني فقط في حال علقنا طوال الليل
هناك». لقد ابتسمت له ابتسامة عريضة وقالت:
«لم أكن أعتقد أنني سأبتسم مرة أخرى، لكن هذا
سيكون ممتعاً».

الفصل السادس والثلاثون

إلى سومرست

استمع العقيد بريتشارد باهتمام لكنه كان متردداً. فقال له: «لا أستطيع أن أعطيك سيارة الموظفين. بغض النظر عن ذلك، فقد يوجد لدي فقط الشاحنات والدبابات والسيارات المدرعة هنا. من المؤكد أنك ستكون لافتاً للأنظار وأنت تتجول في أحد هذه المركبات، وأشك في حصولك على الترخيص الصحيح». ثم توقف مؤقتاً، وقال: «ماذا أقول لك، هل ركبت دراجة نارية من قبل؟».

قال بن: «عدة مرات، حين كنت في جامعة أكسفورد».

«إذن يفكك أن تأخذ دراجة المراسل النارية والعربة الجانبية. إنها لا تستهلك الكثير من البنزين أيضاً».

بعد نصف ساعة، انطلقا حيث جلست بامبلا في العربة الجانبية بينما كان بن يجلس بشكل غير مريح على الدراجة النارية. كانت بامبلا قد بدلت ثيابها حيث ارتدت بنطلوناً وقميصاً مفتوح العنق. وربطت شعرها بوشاح. كان على بن التركيز بشكل كامل في قيادة الآلة غير المألوفة وكان لا يكاد يدرك أنه كان لديه مسافر وأن ذلك الراكب كان باما. لم تكن آلة قوية، وسرعان ما استقر بن. كان يفكك أن تكون القيادة ممتعة على الطرق التي كانت شبه

مهجورة، وذلك بفضل تقنين البنزين، إلا إنه تمت إزالة جميع علامات المرور وأخذوا بعض المنعطفات الخاطئة قبل أن يصلوا إلى الطريق الرئيسي المؤدي إلى الجنوب الغربي. ثم تابعا القيام بذلك بمعدل سرعة جيد وبسهولة ومن دون قلق حيث واجها شاحنة للجيش أو شاحنة للتسليم من وقت إلى آخر.

كانت الساعة تقارب التاسعة مساءً في الوقت الذي مزا فيه عبر ويلتشير وتابعا مسارهما إلى سومرست. هدد الظلام بأن يأتي عليهم فجأة. كانت شمس الغروب قد ابتلعت في جدار مشؤوم من الغيوم. وهبت رياح باردة.

استدار بن إلى بامبلا بنظرة قلق على وجهه وقال: «غير معقول، لم نفكر في المطر، أليس كذلك؟ أرى الآن أن للدراجة النارية قيود واضحة».

قالت بامبلا: «دعنا نسرع وننجز المهمة. إلى أي مدى تعتقد أنك قريب؟».

درس بن الخريطة وقال: «قريب للغاية. تلك القرية الأخيرة يجب أن تكون هينتون سانت جورج. هذا يعني أن التل يجب أن يكون أمامنا قريبًا. لقد رأينا الكثير من التلال، ولكن لهذه التلة شكلاً مميزاً». رفع عاليًا نسخة من الصورة لدراستها وقال: «وانظري إلى برج الكنيسة وشجرات الصنوبر الثلاث الكبيرة. يجب أن يكون من السهل تحديدها بما يكفي».

هزت بامبلا رأسها قائلة: «إذن تابع القيادة أيها البطل الأسطوري ماكدوف (37)».

أخذهم الممر عبر سومرست لفيلز الساحلية، حيث ترعى الأبقار في الحقول تفصلها قنوات المياه بعضها عن بعض. بدا لبن أنهما تركا الجزء الجبلي من المنطقة وراءهما، وتساءل ما إذا كانت مهاراته في قراءة الخرائط قد جعلته يضل طريقه. ثم مزا في قرية من الأكواخ المصنوعة من القش وأشارت إليها بامبلا وقالت: «أنظر. هذا هو المكان!».

كلما اقتربا، كان في استطاعتهما رؤية الكنيسة ترتفع فوق أشجار الصنوبر. لقد نظر بعضهما إلى بعض وابتسما. استغرق الأمر منهم بعض الوقت لإيجاد طريق تقودهم إلى قمة التل ولكن في ضوء النهار الذي كان يتلاشى شيئاً فشيئاً، توجهوا إلى الكنيسة، وأوقف بن الدراجة. كانت الغربان تنعق بصوت عالٍ من الأشجار في فناء الكنيسة حيث شواهد القبور القديمة ترقد بزوايا مائلة. وكانت الرياح القادمة من جهة الغرب تضربهما في وجهيهما بينما كانا يتقدمان إلى الأمام. كان اسم الكنيسة كنيسة جميع القديسين. نظر بن حوله ورأى منزلاً خلف الكنيسة. فيما عدا ذلك البيت لم يكن هناك مساكن في الأفق. كان المكان يعطي إحساساً مأساوياً كما يعطي الشعور بأنه كان مهجوراً.

سألت بامبلا: «ماذا نفعل الآن؟».

الآن ماذا نفعل بالفعل؟ هذا هو السؤال. لقد مزا ببضعة منازل ريفية صغيرة بينما يلتف الطريق فوق التل، ولكن لم تكن هناك أي علامات على وجود قرية أو منزل كبير كان يأمل بن أن يجده.

قال بن: «أفترض أننا يجب أن نזור الكاهن قبل أن نذهب».

سألته بامبلا وهي تمزح عن الوضع الحقيقي للحياة، بينما تسلط الضوء بشكل منفرد على حقيقة الأمر: «هل تتوقع أن تجد مرتقا خصبا للمتعاطفين مع النازيين هناك؟ هل أنت مسلح، فقط في حال احتاج الأمر ذلك؟». نظرت إلى وجهه وانفجرت ضاحكة، وقالت له: «أعتقد أننا تعرضنا للخداع. أعتقد أن هناك رسالة خفية في الصورة، والمكان الحقيقي لا علاقة له بها».

قال بن: «أخشى أن يكون علي أن أوافق». لكنه وجد طريقا مكسوا بالطحالب عبر فناء الكنيسة وطرق باب القس. فتح الباب من قبل رجل دين مسن بشعر أبيض غامق ووجه ملائكي. قال له بن إنهما كانا يتجولان في أرجاء وست كنتري وأنهما كانا يهتمان بالكنائس القديمة، وخصوصا الكنائس القديمة النائية. دعاهما إلى الداخل وقدم إليهما خمر ثمار البيلسان التي قام بصنعها أحد أبناء الأبرشية كما أخبرهما القس.

سألته بامبلا: «ولكن أين رعيتك؟ لم نر أي منازل». قال القس: «أه، حسنا. هناك بالفعل تاريخ لهذه الكنيسة. كانت ذات يوم جزءا من دير تم الاستيلاء عليه في عهد هنري الثامن وسلم إلى لورد محلي قام بتحويل الدير ليصبح قصره الخاص. ثم خلال الحرب الأهلية، تفتت تسويته بالأرض من قبل أوليفر كرومويل. لكن الكنيسة نجت وخدمت المزارع

والقرى المجاورة منذ ذلك الحين حتى الآن".

«إذن قصر مالك العزبة لم يعد موجودًا؟»

«إنَّ جزءًا من الجدران المدمرة لا يزال قائمًا، ولكن هذا ما يتعلق به».

سألت بامبلا: «هل يعيش أي شخص آخر هنا هذه الأيام؟»

ردَّ قائلاً: «لا أحد لمسافة نصف ميل».

«لا بدَّ من أنك تشعر بالوحدة».

هزَّ رأسه بالموافقة وقال: «توفيت زوجتي منذ ثلاث سنوات. تأتي امرأة هنا للتنظيف مرَّة واحدة في الأسبوع. أقوم بجولاتي على دراجتي، ولكن نعم، إنَّها بعيدة جدًا. ولحسن الحظ، لدي كتبي وجهاز اللاسلكي». ثمَّ وقف وقال: «سيحلُّ الظلام في وقت قريب، ولكن هل ترغبان في رؤية الكنيسة؟»

«شكرًا». نهض بن وبامبلا ولحقا به. لقد أخذ مصباحًا خاصًا من طاولة الزواق وأضاء الطريق بين شواهد القبور. دخل ضوء النهار الأخير من خلال النوافذ العموديَّة الطويلة، معطيًا تعبيرًا عن صحن كنيسة مع أعمدة على كلا الجانبين. كانت تنبعث من الكنيسة رائحة الرطوبة والقدم وكانت في حال سيئة جدًا. لقد أخذهما القس في جولة موجَّهاً مصباحه إلى ألواح رخامية لمقابر الفرسان القتلى. ثم قال: «إذا كنتما ترغبان في الصعود إلى البرج، لدينا منظر رائع من الأعلى. لكنني لن آتي معكما».

الأرجل القديمة لا تستطيع أن تصعد الدرج بعد الان، كما تعلمان. هناك ضوء على الدرج، ولكن يجب ألا نستخدمه بسبب التعتيم. هنا، خذ الشعلة الخاصة بي".

لقد أرشدهما إلى باب في الحائط. كان وراءه درج حلزوني يؤدي صعودًا إلى أعلى. أضاء المصباح المغطى بقماش التعتيم، درجة تلو الأخرى، لكنها كانت لا تزال غريبة وباردة بشكل فظيع. في النهاية وصلا إلى باب صغير، ورفعا المزلج، وخرجا إلى المنصة في أعلى البرج. كان شعاع الشمس المتلاشي قد اخترق الغيوم ولون قنوات المياه باللون الوردي. وكان من الممكن التعرف على المياه المفتوحة لقناة بريستول على مسافة بعيدة.

قال بن: «سيكون هذا مكانًا جيدًا لإرسال الإشارة منه».

هزت بامبلا رأسها بالموافقة وأجابت: «ولكن من سيقوم بإرسال الإشارات؟».

حملت الرياح في ذلك الوقت التلميحات الأولى للمطر. قال بن: «يجب أن نطلق».

رافقهما القس وهما يعودان إلى دراجتهما النارية ولوح بيده لهما وهما يغادران. لقد بدأت السماء تمطر بشدة الآن، أمطار لاذعة كانت تجرفها الرياح القادمة من البحر.

سألته بامبلا: «هل تعتقد أننا يجب أن نأتي في ضوء النهار مرة أخرى لنعرف من يقطن هنا في الجوار؟».

قال بن وهو ينظر حولهما إلى الغابة الداكنة: «أتساءل ما الذي سنحققه بهذا؟ كان القس سيذكر أي شخص غريب أو مشبوه، أليس كذلك؟ وقال إن رعيته كانت مجرد مزارع ومنازل ريفية مجاورة. ومن المفروض أن الناس هنا ريفيون يعملون في الزراعة منذ أجيال. ويفكنا أن نفحص أنقاض الدير القديم في وضح النهار، ولكن مرة أخرى، ألا يلاحظ القس أن هناك شيئًا مريبًا يحدث؟ بصراحة، أنا لست متفائلًا. أعتقد أنك كنت محقة فيما قلته من قبل. إنها رسالة خفية، وليست مكانًا حقيقيًا».

أومات بامبلا برأسها بالموافقة وقالت: «أفترض ذلك. لذلك سنعود إلى لندن وأنت يمكنك الإبلاغ عما وجدته. وسوف تقتلني أمي إذا لم نعد لحضور حفلتها».

قال بن: «يجب أن نتوقف لنجد شيئًا نأكله أولًا. أنا لا أعرف إن كنت جائعة أم لا، لكنني أنا أتصور جوعًا».

ضحكت بامبلا وقالت: «أتمنى لك حظًا سعيدًا في هذا الوقت من الليل. أراهن أنهم يذهبون جميعًا للنوم الساعة الثامنة هنا في الريف خصوصًا الآن بعد أن أصبح انقطاع التيار الكهربائي يصعب السفر. وأعتقد أنك ستجد صعوبة في القيادة إلى المنزل في الظلام يا بن. ربما يكون الأمر أكثر منطقية أن تجد مكانًا ما للنوم وتغادر مع بزوغ الضوء الأول غدًا لصباح الغد».

«هل أحضرت ملابس ليلية؟»

ضحكت وقالت: «أحضرت فرشاة أسنان. لكنني سأندبر الأمر».

كانت السماء تمطر بينما كانا يشقان طريقهما إلى أسفل التل، لكن المظلة الغلويّة للأشجار كانت تحميهما. لقا خرجا إلى الأراضي المسطحة، انهمرت الأمطار بغزارة. صاحت بامبلا عبر تطبيل الضرب المستمر لهطول المطر قائلة: «لا يفكنا أن نستمر في هذا يا بن». كان الرعد يهدر الرعد بعيدًا.

صرخ بن ردًا عليها: «كان هناك حانة في القرية الأولى». لقد تحزكا ببطء شديد بسرعة الحلزون، وهما يدركان وجود الخنادق المليئة بالمياه، والتي أضحت تفيض الآن على جانبي الطريق. ثم ظهرت المنازل الأولى، وكان يمكنهما تحديد علامة حانة. كان يطلق عليه فوكس أند هاوندس، وكان لها سقف من القش وتعطي إحساسًا بالعالم القديم الجميل.

أوقف بن الدراجة تحت سقف معلق في الفناء، وانطلقا إلى الباب الأمامي. لقا وصلا، تم استقبالهما بتمتمة قليلة من الأصوات، وشاهدا عددًا كبيرًا من الرجال الأكبر سنًا يقفون حول البار. كان هناك بعض الكلاب مستلقية على أعقابها، وكان للغرفة سقف مضاء وموقد هائل. وكانت كل الأعين مركزة فيهما وهما يقتربان من البار.

سأل المالك في لهجة سومرست القويّة: «كنتما هنا للسباحة إذن، أليس كذلك». ثم ضحك ضحكة قويّة وأضاف: «يا إلهي، لكنكما تبدوان مثل فأرين غارقين».

قال بن: «كنا نستقل دراجة نارية. هل يوجد لديك غرف للنوم؟».

قال المالك: «لدي غرفة واحدة فقط. لا أفترض أنكما ستمانعان، أليس كذلك؟».

نظر بن إلى بامبلا، وقبل أن يقول أي شيء، ابتسمت بامبلا ابتسامة مشرقة وقالت: «بالطبع لا. سيكون ذلك رائعا».

تابع المالك حديثه قائلا: «سأرى ما إذا كان يمكن لمالكة الحانة إرسال رف تهوية لتجفيف ملابسكما. هل أحضر لكما بضعة مكابيل من البيرة أو عصير التفاح؟».

نظر بن إلى بامبلا، وقال: «بالنسبة إلي فانا أريد عصير التفاح، من فضلك. وأريد أي شيء للأكل؟».

قطب المالك حاجبيه وقال: «لم نعد نقدّم الطعام منذ بداية التقنين. لكن مالكة الحانة قامت بخبز الفطائر، وأجرؤ على القول إنه يفكنا الاستغناء عن زوجين منها».

قام بإرشادهما صعودًا على درج كان يصدر صريرًا إلى الغرفة. كانت الغرفة تحتوي على سرير مزدوج كانت عليه لحافات مكدسة عاليًا. بمجرد أن أغلق المالك الباب، نظرت بامبلا إليه وضحكت، وقالت: «تحدّث عن الأميرة والبازلاء».

في محاولة منه ليظهر كما لو أنه كان خاليًا من الهموم قال لها بن: «وأنت حيث إنك من أصل نبيل، ستكونين بلا شك غير مرتاحة في النوم هنا».

قالت باميلًا: «على العكس تمامًا، سوف أنام نومًا عميقًا بعد هذا الهواء النقي كله».

قال بن وقد أضحى وجهه أحمر اللون بسبب الارتباك: «يجب أن نخلع ملابسنا المبتلة. هل تريدني مني أن أنتظر في الخارج وأنت تغيرين ثيابك؟».

قالت باميلًا: «أنا لست مبتلة بشكل كبير. كانت ساقي تحت مظلة العربة الجانبية. وكانت بلوزتي مبتلة فقط حول الياقة. أما سترتي، فهي مبتلة بشكل كارثي في أي حال. لقد خلعتها ووضعتها على ظهر الكرسي». نظرت إليه وضحكت قائلة: «أنت، من ناحية أخرى...». نظرت إليه وضحكت. «أقول إنك مبتل جدًا». ضحك بن.

قالت له: «لن أنظر إليك. هيا اخلع ثيابك».

جرد بن نفسه من ثيابه حتى ثيابه الداخلية، ولف نفسه بمنشفة كانت على الرف.

قال لها من دون أن ينظر إليها: «نامي أنت في السرير. أنا سأنام على الكرسي».

ردت عليه قائلة: «من المؤكد لن تفعل ذلك. فالسرير يتسع لنا نحن الاثنين. تحتاج إلى نوم ليلة هنيئة بقدر ما أحتاج أنا».

كان هناك طرق على الباب، وظهرت مالكة الحانة وهي تحمل معها كأس عصير التفاح والفطيرتين.

قالت: «أعطني الأشياء المبتلة، وسأضعها في خزانة التهوية»، ثم ابتسمت لهما ابتسامة مشرقة وغادرت.

نزل عصير التفاح والمعجنات منزلاً جيداً، ثم صعدت بامبلا إلى السرير، وأطفأ بن الضوء قبل الانزلاق إلى جانبها. سألتها: «هل أنت متأكدة أن هذا على ما يرام؟».

وضعت بامبلا يدها على ذراعه وقالت: «أه يا بن. أنت جميل جداً أشعر بالأمان التام معك. أنت مثل الأخ الذي لم أحصل عليه قط».

قال بن من دون أن يعني ما يقول: «جيد».

كانا يستلقيان هناك في الظلام، يستمعان إلى تطبيل المطر وهدير الرعد البعيد.

قالت بامبلا فجأة «لم أشعر بالأمان مع جيرمي». أفترض أن ذلك كان جزءاً من عامل الجذب لم يكن أمناً تاماً. إنه دائماً ما يفعل أشياء محفوفة بالمخاطر والتي قد ينجم عنها مشاكل خطيرة بالنسبة إليه، كما تعلم. لقد أراد أن يمارس الجنس معي، لكنني لم أسمح له بذلك». ساد الصمت من جديد، ثم قالت فجأة: «كنت أتساءل. هل تعتقد أنني قد أكون باردة جنسياً؟».

قال بن ضاحكاً ضحكة عدم ارتياح: «أمل ألا تقترحي علي إثبات عكس ذلك الآن».

ضحكت هي أيضاً وقالت: «أه، لا طبعاً لا. لقد كنت أتساءل منذ ذلك الحين. وأنا أشعر بالذنب. لو كنت قد أعطيت جيرمي ما أراد، ما كان ليغوي ديدو قط».

قال بن: «لا أعتقد أن ديدو تحتاج إلى الكثير من

الإغواء. أما أنت، من ناحية أخرى، تريدان أن يكون كل شيء صحيحًا قبل أن تلزمي نفسك. هذه هي طريقتك في الحياة».

قالت: «أنت تفهمني جيدًا». ووضعت رأسها على كتفه. كان يفككه أن يسمع قلبه ينبض، وهو مدرك بشكل مرعب لقربها، والملمس الدافئ لبشرتها. لقد تمتم لنفسه قائلاً: أخوها الذي لم يكن لديها. نامت بسرعة، وراح يستمع إلى تنفسها.

استيقظا على تغريد مجموعة من الطيور كان صوتها يصم الأذان بالإضافة إلى أصوات النشاط في الخارج. كان هناك مزارع يقود الأبقار مرورًا بالنافذة. وهناك جرار يتجه إلى الحقل. نظر بعضهما إلى بعض وابتسما. قالت بامبلا: «أنا متوعدة قليلاً لأننا مررنا بتجربة صعبة».

قال بن: «أنت تبدين رائعة. هل تنزلين لتحضري ملابسني، ثم نحصل على بعض الإفطار وننطلق، ما رأيك؟».

إلى أسفل في البار الخاص، طهت مالكة الحانة لهما لحم الخنزير المقدد والبيض والخبز المقلي.

قالت بامبلا: «كان ذلك رائعًا. بعد ما كنا نعانيه. كانت صاحبة سكني طباحة رهيبة».

«أنت في عطلة صغيرة بعد، أليس كذلك؟ قبل أن يعود شابك إلى الزي العسكري؟».

قالت بامبلا: «هذا صحيح. كنا مهتمين بهذا التل هناك. هل يتمتع بأي نوع من تاريخ خاص؟».

سألت صاحبة البار: «ماذا، هل تقصد تشيرش هيل؟»

سأل بن بحدّة: «هل هذا اسمها؟»

«هكذا كانت معروفة هنا دائمًا».

سألت بامبلا بينما كانت صاحبة المنزل تزيل أوانيها: «ما الأمر يا بن؟ تبدو شاحبًا تمامًا».

قال بن: «كنت أنظر إلى التقويم على الحائط. إنه الرابع عشر من شهر حزيران (يونيو). هذا يجعل التاريخ ١٤، ٦، ١٩٤١. أنظري إلى الأرقام الموجودة في الصورة. ١٤٦١. تاريخ اليوم. أعتقد أنني أعرف ماذا يجب أن يعني الآن. كان هذا أمرا من ألمانيا بقتل تشرشل اليوم».

الفصل السابع والثلاثون

في سومرست

قفز بن وتوجه إلى الباب: «يجب أن نبلغ شخصاً ما على الفور. ولكن من سنبلغ؟ إنَّ مديري بعيد. حسناً لنخبر عشرة داوونينج ستريت. سيعرفون مكان السيد تشرشل. وسيكون في إمكانهم اتخاذ الاحتياطات اللازمة.» «كان قلبه يدقُّ بسرعة كبيرة، وكان يسمع صوته وهو يهرع ويلحق صاحبة الحانة. سألها: «هل لديك هاتف؟».

قالت: «يوجد صندوق هاتف في وسط القرية خارج مكتب البريد.»

نادته باميليا قائلة: «سأجمع أشياءنا. اذهب أنت.»

ركض في الشارع ووقف في صندوق الهاتف، متخبطاً في البحث عن القطعة النقدية المناسبة. هل لديه القطع المعدنية الصحيحة؟ من المؤكد سوف يقوم عامل المقسم بتوصيله في حالة الطوارئ الوطنية.

جاء صوت عاملة البدالة: «الرقم من فضلك.»

قال بن، وهو يحاول أن يبدو هادئاً: «أحتاج منك أن توصليني بعشرة داوونينج ستريت. هذه حالة طارئة.»

سألته عاملة البدالة: «هل تتظارف معي؟».

قال بن بسرعة وبشكل مقتضب: «لا، بالطبع أنا لست أتظارف. أنا من القسم الخامس في المخبرات

العسكرية البريطانية، وأنا عالق في أعماق سومرست، ومن الضروري أن أتحدث إلى شخص ما على الفور". لقد فوجئ بالقوة الخاصة به.

كانت عاملة البدالة تبدو مهزوزة وهي تقول له: «جيد جدًا سيدي. سأفعل كل ما في وسعي». انتظر بن بفارغ الصبر، ثم جاء صوت ذكوري على الخط ليقول: «إقامة رئيس الوزراء. كيف يفكني مساعدك؟».

سأله بن: «هل رئيس الوزراء هناك؟».

ردّ الصوت الهادئ قائلاً: «لا سيدي. أعتقد أنه أمضى الليلة في غرف الحرب».

قال له بن: «إذن أرجوك أن تسمعني جيدًا. اسمي بنيامين كريسويل. أنا عميل في القسم الخامس من المخابرات العسكرية البريطانية. سوف يشهد رؤسائي بذلك إذا لزم الأمر. لكن لدي سبب للاعتقاد بأن هناك مؤامرة لاغتيال رئيس الوزراء اليوم».

قال الصوت الهادئ: «سيدي، نتلقى تهديدات ضد رئيس الوزراء طوال الوقت. هل يفكك إثبات هذا؟ ولماذا لم تمر هذه المعلومات عبر القنوات المناسبة؟».

«لأن مديري غادر نهاية هذا الأسبوع، ولا يفككني الوصول إليه. لقد تابعت دليلاً بدأ بألماني ميت وأقف في وسط ريف سومرست الملعون. وظننت أنك قد ترغب في معرفة ما أقول». سمع بن نفسه يصرخ.

«هل تستطيع أن تعطيني التفاصيل؟»

قال بن: «من الواضح أنني لن أفعل ذلك من خلال هاتف عام قد يكون أي عدد من الأشخاص يستمعون. لكنني أقترح أن يبقى في غرف الحرب اليوم». (stays put in the war rooms today)

قال الصوت: «إن جدول أعمال رئيس الوزراء يفيد بأنه سيحضر احتفالاً في مطار بيجين هيل. أنا متأكد أنه لن يغير خطته بسبب تهديد لم يتم تأكيده أو إثباته. وسوف يكون في المطار. أين يمكنه أن يكون محمياً بشكل أفضل؟»

قال بن وقد وصل الإحباط عنده ذروته: «أنا قمت بدوري. لقد حذرتك. إذا تجاهلت تحذيري، فأنت تتحمل كامل المسؤولية».

رد الصوت عليه قائلاً: «أنظر سأنصح الفصائل الأمنية لرئيس الوزراء بأن يكونوا مسلحين ويقظين. ولكن إن كنت تعتقد بأن رئيس الوزراء سيبقى في البيت مثل أرنب مذعور بسبب تهديد لحياته فهذا يعني أنك لا تعرف تشرشل».

وضع بن الساعة وقفل عانداً إلى بامبلا.

سألته: «هل أخبرت رئيس الوزراء. هل سيأخذون الإجراءات اللازمة؟»

تنفس بن الصعداء وقال: «لست متأكدًا من ذلك. لا أعرف ماذا أفعل غير ذلك». لمست يده وقالت: «لقد قمت بواجبك. أنت من اكتشف المؤامرة المحوكة

«ولكن لا فائدة من ذلك إذا تعرض لإطلاق نار، أليس كذلك؟ الشعور بالرضا المفرط الملعون. ماذا يمكنني أن أفعل غير ذلك؟ هل أتصل بمطار بيجين هيل، على ما أفترض ونذهب إلى هناك بأسرع ما يمكن وإذا حالفنا الحظ سنصل قبل فوات الأوان».

لقد استيقظت فوبي في وقت مبكر وهي تشعر بالإثارة والقلق. لم يكن الأمر يتعلق بحفلة الحديقة وقلق أمها ليسير كل شيء بسلاسة. هناك أمر آخر يحدث. لماذا كان قد غادر بن وبامبلا على دراجة لفا عادت مارغوت؟ لقد شعرت بالأسف من أجل صديقة بامبلا التي جلبها إلى هناك وأهملاها وغادرا ولم يأخذاها معهما. وبعد ذلك كان الاتصال الهاتفي الذي سمعته الليلة الماضية. هناك شخص كان يجري اتصالاً هاتفيًا بمكتب والدها في وقت متأخر من الليل. صوت امرأة، لكن فوبي لم تسمع ما يقال من خلال خشب الباب الكثيف. ثم جاءت سوامز، وكان عليها الذهاب للنوم. جولة ركوب الخيل الصباحية، هذا ما تحتاجه.

لبست جودبورز وبوط ركوب الخيل، وأمسكت بخوذتها، ونزلت إلى الإسطبلات. كان جاكسون المسن مستيقظًا بالفعل ويتحرك بحرية. توقفت فوبي وحدثت في نافذة الانسة غامبل. هل كانت مستيقظة بالفعل؟ هل كانت ستبلغ عنها بأنها خرجت لركوب الخيل من دون إذن؟

قالت فوبي: «ضع السرج على سنوبول من فضلك

يا جاكسون».

سألها: «هل السيد موافق على إخراجها لوحدك؟»
قالت فوبي: «سأكون بخير ولن أسرع ولن أقفز
فوق جذوع الأشجار».

«لكنها لم يتمّ تدريبها بما فيه الكفاية في الاونة
الأخيرة، وهي تزداد وزناً».

وافقته الرأي: «هذا صحيح بما فيه الكفاية». سألها:
«هل تريدني مئي أن آتي معك؟».

قالت له: «لا، سوف تجعلني أمشي ببطء شديد».
لقد ابتسم ابتسامة عريضة وقال: «حسنًا، لا أعتقد
أن أي ضرر سيلحق بك. أنت فارسة صغيرة من
الطراز الأول، سأقول لك هذا. أنت رصيد لعائلتك».
ابتسمت فوبي وقامت بإلقاء نظرة سريعة على
نافذة الآنسة غامبل مرّة أخرى.

قال جاكسون: «لا داعي للقلق بشأنها. لقد خرجت
منذ ساعات. انطلقت في إحدى حملات مراقبة
الطيور واطعة منظارها حول عنقها».

امتطت فوبي مهرتها، وانطلقت. وبمجرد خروجها
من مجال رؤية المنزل، حثت سنوبول على الركض،
مستمتعة بنسيم الصباح الباكر الذي كان يدغدغ
وجهها. كانت تأمل في مقابلة ألفي في الحقول
ولكن لم يكن له أي أثر على الإطلاق. قامت بتوجيه
سنوبول بالقرب من الغابة ونزل حارس الطرائد،
لكنها لم تر شيئًا من جديد. كانت تسير على مسار
ركوب الخيل عبر مجموعة من الأشجار حين سمعت

صوت محرك عربة نارية تسير صعودًا على المسار من وراء مجموعة أشجار كثيفة من شجيرات رودودندرون. لم يكن الأمر يبدو وكأنها شاحنة كبيرة تابعة للجيش، وحاولت أن تلمحها، لكن الشجيرات كانت كثيفة جدًا. سمعت صوت توقف المحرك. ثم سمعت صوتًا.

«لقد تستلمت رسالتي، إذن؟»

كان الصوت منخفضًا، ولم يكذب يكون أكثر من مجرد همس، ولكن من الواضح أنها امرأة. «ما الخطب؟» هذه المرة صوت الرجل.

«لا أستطيع الاستمرار بعد الآن.»

«عليك بالاستمرار. كل شيء مخطط له. لا يمكنك التراجع الآن.»

«لكن لا يفكني القيام بذلك.»

«عليك أن تفعل. من الواضح، لا يفكني القيام بذلك الآن، لذلك فإن الأمر متروك لك. لقد وافقت على ذلك.»

«من فضلك لا تطلب مني القيام بذلك.»

«أنت تعرفين العواقب إذا لم تفعل ذلك.»

اعتقدت فوبي أنها سمعت تنهات. ثم انخفض الصوت إلى تمتمة. كانت فوبي تريد حث مهرتها للسير إلى الأمام، لكنها كانت خائفة من أن رنين اللجام سوف يكشف أمرها.

ثم سمعت بوضوح: «ها هو المسدس. إنه مذخر بالفعل. خذيه. لا تخذلينا.»

ثم أغلق باب السيارة وسمعت صوت محرك يعود إلى الخلف. لقد بحثت عن طريق من خلال الأدغال، لكن نمو فروع الأشجار كان سميكا جدا بحيث لم تتمكن المهرة من الدخول إليها. وبحلول الوقت الذي وجدت فيه وسيلة للدخول، كان المسار مهجورا وتشير علامات الإطارات فقط إلى أن المشهد قد حدث للتو.

كان قلب فوبي ينبض بسرعة كبيرة جدا. كانت قد استمتعت بالعمل كشرطية سرية واصطياد الجواسيس مع ألفي، لكن ذلك لم يكن أكثر من مجرد لعبة. الآن تم تمرير المسدس مذخر من شخص إلى آخر. وكان هذا الشخص الذي تسلّمه خائفا. من هما، وماذا كانا يفعلان باجتماعهما في فارلي؟ كانت في حاجة إلى إخبار شخص ما. إذا ذهبت إلى أبيها، فإنه ربما لن يصدقها. وأمها لن تكون مهتمة. كان يفكر أن تخبر باما، لكنها كانت بعيدة. وكانت الأنسة غامبل خارجة لمراقبة الطيور لهذا اليوم. ماذا قيل في هذا الملصق مع قواعده السبع؟ إبلاغ السلطات بأي شيء مشبوه. هذا، من المرجح، أنه يعني إبلاغ شرطي القرية. لم تكن تعتقد أنه كان ذكيا بما يكفي، لكنه على الأقل يفكره نقل المعلومات إلى الأشخاص المناسبين.

كان عليها أن تجد ألفي وتقول له. فهو سيصدقها. امتطت مزة أخرى صهوة مهرتها وتوجهت إلى نزل حارس الطراند، ونزلت عن مهرتها وربطت لجام سنوبول بفرع الشجرة.

بدأت السيدة روبينز مضطربة ومحرجة عندما فتحت الباب. «أه، يا صاحبة السعادة، هل من أمر مهم؟ كان السيد روبنز قد تأخر في النوم قليلاً هذا الصباح. إنه لا يزال في ملابسه الليلية، ولسنا مستعدين حقاً لاستقبال الزوار».

قال فوبي: «أنا آسفة، ولكن هل ألفي مستيقظ؟ أريد أن أتحدث إليه».

قالت: «إنه في المطبخ يتناول وجبة الإفطار. سأذهب وأخبره».

انتظرت فوبي، وسرعان ما ظهر ألفي وهو يمسح فمه. ابتسم ابتسامة عريضة وقال: «عصيدة رائعة تلك التي تصنعها. إنها طبخة جيدة». وسألها: «ما الخطب؟ تبدين قلقة».

قالت فوبي: «أنا قلقة. لا أعرف ماذا أفعل بالضبط. كنت خارج المنزل في جولة ركوب على مهرتي، وسمعت صوت سيارة تسير صعوداً على المسار القديم خلف شجيرات رودودندرون، ثم سمعت أصواتاً. كانت إحداها امرأة وكانت خائفة، وقال الرجل إن عليها أن تفعل شيئاً وأعطاها مسدساً مذخراً».

وقال ألفي: «عجباً! من كان ذلك الشخص؟».

«تلك المشكلة. كنت على مهرتي سنوبول، وكانت الشجيرات سميقة هناك. وبحلول الوقت الذي وجدت طريقاً فيه، كان كلاهما قد رحل. فماذا علينا فعله باعتقادك؟».

«أخبري والدك، بالطبع».

«أنا افترض ذلك. لكنه سيعتقد أنني أخطأت قراءة الأمر أو كنت أخترع ذلك. كنت أتساءل ما إذا كان يجب علينا الذهاب إلى الشرطي جارفس».

بدا ألفي ساخزًا: «هو؟ إنه سميك مثل اللوح الخشبي».

«لكنه السلطة، أليس كذلك؟ ربّما لن يصدّقني أبي، ولن تستمع إليّ أمي، وبأما بعيدة».

هزّ رأسه بالموافقة: «حسنًا. سنذهب ونرى الشرطي جارفس. ولكن اسمحي لي أن أنهي الإفطار أولًا».

قالت فوبي: «هذا أمر عاجل يا ألفي. إرتدّ ملابسك. وسأعيد سنوبول إلى الإسطبلات وأقابلك هنا بعد نصف ساعة».

حثت سنوبول على العودة إلى العدو السريع غير المرغوب فيه، وألقت بنفسها إلى الأسفل، وسلّمت المهر إلى السائس. سألته: «هل عادت الأنسة غامبل؟».

قال السائس: «لم أرها ولم أسمعها منها يا صاحبة السعادة». لقد وصلتها الفكرة لتوّها إلى أنّ الأنسة غامبل ليست الشخص المناسب لتقول لها. كانت ستأخذ فوبي على محمل الجد وتعرف الشيء الصحيح الذي يجب القيام به. ولكن بينما كانت تصعد الدرج إلى المنزل، خطرت لها فكرة جهنمية أخرى. كان بن كريسويل مرتابًا بشأن الأنسة غامبل،

أليس كذلك؟ لقد سألت عن منظرها وعن أوراقها. وكان بن شابًا هادئًا وعقلانيًا حتى في المواقف الصعبة إلى حد ما، وكان هو وباميلا قد ذهبا إلى مكان ما على عجل. هذا يعني أن شيئًا ما كان يحدث. راجعت فوبي خطتها. ربما يجب عليها النزول إلى مقر إقامة القس ومعرفة ما إذا كان قد عاد. إذا لم يكن الأمر كذلك، فستكتب ملاحظة له. سيتعين عليه هو وباما العودة قبل حفلة الحديقة على أقل تقدير. وإذا كان أي شخص يعرف ماذا يفعل، فسيكون حتمًا بن.

لم يكن هناك أي فرد من أفراد الأسرة في الأفق لَمَّا ذهبت إلى غرفة الطعام، وأمسكت شريحة سريعة من الخبز المحمص، ونشرت مربى البرتقال عليها وابتلعتها. لقد أرادت أن تصب لنفسها فنجانًا من الشاي، لكنها كانت تعلم أنه إذا جاء والدها، فستكون في مشكلة كبيرة بسبب قدومها إلى الإفطار في ملابس ركوب الخيل. نظرت إلى أعلى حين سمعت وقع خطن، لكنها كانت فقط صديقة باما التي كانت قد جاءت لتساعد في الحفلة. كانت تبدو جميلة وأنيقة في ثوب صيفي، وابتسمت حين شاهدت فوبي.

قالت: «مرحبًا أيتها الليدي الشابة. خرجت لركوب الخيل؟ يوم جميل للقيام بذلك. ولولا لم أكن قد قمت بالتسجيل في العمل الشاق اليوم، لكنت انضممت إليك».

قالت فوبي: «الواقع، أنني لقد عدت للتو. أنا ذاهبة

إلى قرية مع ألفي. هل تخبرين الآخرين عندما ترينهم؟”

قالت تريكسي وهي تبتسم لفوبي ابتسامة إغاظه: «بالطبع. من ألفي؟ هل هو حبيبك؟”

احمزت فوبي خجلًا وقالت: «بالطبع لا. إنه ولد حارس الطراند. لكننا أصدقاء. ونحن في صدد إنجاز مهمة يجب علينا القيام بها. هناك شيء سمعته ويجب الإبلاغ عنه.”

أومأت تريكسي وابتسمت لها، وقالت: «هذا جيد بالنسبة إليك. فقط لا تبتعدي لفترة طويلة، وإلا فإن والدتك لن تكون سعيدة. إن الجميع في حاجة إلى المساعدة مع نصف ساعة فقط للاستعداد لكل شيء كما تعلمين جيدًا».

قالت فوبي: «لا تقلقي. وسرعان ما سأعود قريبًا».

الفصل الثامن والثلاثون

في طريق العودة من سومرست

دفع بن بالدراجة الضعيفة إلى العمل بحدود طاقتها القصوى بينما كان يستقلها عائداً إلى كينت. كان يحكم قبضتيه على مسكتي المقود، ويحدّق إلى الأمام مباشرة مع نظرة تصميم قاتم على وجهه. ماذا لو اختاروا تجاهله؟ كيف يمكنه أن يصل إلى بيجين هيل قبل وصول رئيس الوزراء؟ وإذا كان هناك في الوقت المناسب، فماذا يمكنه أن يفعل؟

على الأقل كان يوماً واعداً بأن يكون جميلاً وصافياً. كان يعتقد أنّ الليدي ويسترهام ستكون سعيدة بحفلتها في الحديقة. بالطبع، كان عليه أن يوصل باما إلى المنزل من أجل ذلك. وهذا أيضاً أمر آخر يدعو للقلق. بلا شك ستعاقب باما على عدم وجودها لمساعدة والدتها من أجل الاستعداد للحفلة، ولكن من المؤكد أنهم سيرون جميعاً أنّ هذا الأمر أكثر أهمية.

مزا بستونهنج، وتركها هامبشاير وراءهم، ثم عبرا حدائق ساري الراقية ليصلا إلى بيجين هيل عند الظهر. كانت البوابة مغلقة وسار أحد الحراس إليهما بينما كان بن يزيل نظارته وقال لهما: «أسف، انتهى الحفل لتوه».

تلفّظ بن بكلمات مباشرة وحادة متسائلاً: «هل رئيس الوزراء هنا؟».

رد عليه الحارس قائلاً: «لقد غادر، يا رفيق».

تنهّد بن الضعفاء.

«هل سيعود إلى لندن؟»

ابتسم الحارس ابتسامة عريضة وقال: «لا يقول لي خططه يا بني. لكنني سمعت أنه أراد الدخول ورؤية منزله بحيث إنّ المنزل قريب جدًا من هنا».

تشارتويل، بالطبع. فكّر بن إنه قريب جدًا على مرمى حجر من هنا. هل يجب أن يذهب للحاق برئيس الوزراء؟

سألت بامبلا وهي تنزل من العربة الجانبية وتتمدّد وهي تتحدّث: «ماذا كانت مناسبة هذا الحفل؟»

«تذكر شبابنا الذين سقطوا في معركة بريطانيا السنة الماضية. بالإضافة إلى توزيع بعض الجوائز. هذا كل شيء من أجل الحفاظ على الروح المعنوية. هناك واحد من شبابنا عاد لتوّه إلى بلايتي بعد فراره من أحد معسكرات الاعتقال الألمانية. يا لها من قصة كان عليه أن يرويها. وكان الوحيد الذي نجا من محاولة الهروب الجماعي. لقد تمّ إطلاق النار عليه وتظاهر بأنه مات، لكنه تمكّن من الوصول إلى ألمانيا وفرنسا. وقد أثار رئيس الوزراء ضجة كبيرة حوله».

صاحت بامبلا: «نحن نعرفه. إنه صديق جيد. هل ما زال هنا؟»

نظر الحارس في الجوار وقال: «لقد كان يودّع فقط عائلته آخر مرة رأيته. أه، ها هو هناك. انتظري، سأحضره من أجلك. هي، غنر ديفيس». صاح

«المزيد من الأصدقاء هنا لرؤيتك».

جاء رجل صغير وحكيم نحوهم. بدا مرتبكًا لقا رأى بن وباما وقال: «نعم؟ هل يُفكّني مساعدتكما؟».

قال بن: «أنا آسف. لقد أخطأنا أننا ظنناك صديقنا الملازم الطيار بريسكوت الذي هرب مؤخرًا من معسكر اعتقال ألماني».

هز الرجل رأسه بالنفي وقال: «بريسكوت؟ عاد إلى إنكلترا؟ حسنًا، يا للهول! حسنًا. كم أنا مصاب بالذهول! لقد اعتقدنا جميعًا بأنه لهالك الميؤوس منه».

قالت بامبلا: «لا، إذا كان معسكر الاعتقال نفسه، فقد نجا من محاولة الهروب الجماعي المفاجئ حين تظاهر بأنه ميت مثلك. لقد أصيب، لكنه عاد إلى إنكلترا. لقد أصيب. كان شجاعًا جدًّا، وأنا متأكدة أنك كنت أنت كذلك».

حك الرجل رأسه، دافعًا قبعته بشكل جانبي وقال: «هذا ليس صحيحًا، يا أنسة. كان الملازم الطيار بريسكوت في المخيم نفسه، لكنه لم يكن جزءًا من الهروب الجماعي المفاجئ. لقد تمّ نقله بعيدًا في سيارة الموظفين الألمانية قبل أسبوعين من الهروب الجماعي. إنهم رجال الشرطة السريّة الألمانية، أنا متأكّد من ذلك تمامًا. والواقع، أنه لقا كان الألمان ينتظروننا في الغابة حين خرجنا من النفق اعتقدت في نفسي أنهم قد عذبوا بريسكوت وأنه أفسى الأسرار وأعطاهم معلومات خاصة. لقد نجح في العودة إلى المنزل، أليس كذلك؟ وأتساءل كيف

تمكّن من ذلك؟ كُنّا نظرنُ أنّه كان هالكا لا محالة».

نظر بن إلى بامبلا. لم يجد أي منهما أي شيء ليقوله. قالت بامبلا في النهاية: «شكراً لك يا غنر ديفيس. تهانينا على ميداليتك. أنت تستحقّها بالفعل».

نظر بن إليها بإعجاب. لا عجب في أن يحترم الناس الطبقات العليا. كانت قد تلقت ضربة ثانية مدمرة، لكنها ظلّت هادئة، ومثزنة، ورحيمة. كانت الأفكار المشوشة تحوم في رأسه. إذا كان جيرمي قد أخذه الألمان بعيداً من المخيم، فكيف عاد إلى أرض الوطن؟ كان الهروب الجماعي من معسكر السجن شيئاً واحداً. أمّا الهروب من الشرطة السرية الألمانية فهو شيء آخر. ولماذا كذب حول كونه جزءاً من الهروب الجماعي؟ السباحة أسفل النهر؟ نظر بن نظرة سريعة إلى بامبلا. الطريقة الوحيدة التي تمكّن من الفرار من الشرطة السرية الألمانية كانت تتمّ فقط لو أنهم سمحوا له بالرحيل. شعر بن بالمرض والبرودة في الداخل. كان جيرمي صديقه طوال حياته. وكان من الصعب التصديق بأنه تحول إلى خائن. يجب أن يكون هناك تفسير جيّد.

استجمع بن قواه. كان لديه وظيفة ليقوم بها. «وهكذا غادر رئيس الوزراء وجميع بطانته؟».

أوما حارس البوابة موافقاً وقال: «هذا صحيح».

سأل بن: «وهم ذاهبون إلى تشارتويل؟».

كانت تلك هي الخطة الأصلية بحسبما سمعت. لكن السيد تشرشل ألغى الأمر لأنه لا يعتقد أنه كان من

الصواب فتح المنزل له فقط .

كان غنر ديفيس لا يزال يقف في مكان قريب. «مجرد التوقف في طريقهم إلى حفلة حديقة، كما سمعت. أخبرت السيدة تشرشل وينستون بأنهم يجب ألا يضيعوا الوقت، وإلا فإن عائلة ويسترهام ستتضايق إذا تأخروا».

كان وجه بامبلا قد أبيض من شدة الخجل بينما كانت تتسلق مرة أخرى إلى العربة الجانبية. ثم قالت بامبلا: «لا أستطيع أن أصدق ذلك». أدارت وجهها بعيدًا من بن وأضافت: «اعتقدت أنني أعرفه. لكنني لم أعرفه على الإطلاق».

ثم بدأ بن يقول: «ألا تظنين ذلك...؟» ، لكنه لم يستطع إنهاء الجملة.

خرجت فوبي وألفي من البوابة وتوجها نحو القرية. سأل ألفي: «من تعتقدين أنهم سوف يقتلون بهذا المسدس؟».

قالت فوبي: «السيد. تشرشل، بالطبع. سيأتي إلى هنا اليوم لحضور حفلة الحديقة. كنا دائمًا على حق يا ألفي. يجب أن يكون هناك جاسوس ألماني في الحي. ليتنا نتمكن فقط من معرفة من ذلك الجاسوس».

قال ألفي: «يفكنا أن نقول للكبار. ثم يعود الأمر إليهم في اتخاذ القرار المناسب. ولكن يجب أن تكون حفلة الحديقة آمنة جدًا. يفكنهم وضع الحراس على البوابة. من المستحيل تسلق هذا الجدار».

قالت فوبي بطريقة مناسبة للغاية: «لغتك لم تتحسن بعد». ثم نظرت إليه وأضافت: «لكنني سعيدة لأنك معي. لا أريد أن أفعل هذا بمفردي».

صعدا عبر السياج وسمعا صوت عربة تقترب. كانت سيارة توصيل صغيرة بيضاء. تباطأت وتوقفت إلى جانبيهما.

قام جيرمي بريسكوت بإنزال زجاج النافذة وسألها: «إلى أين أنتما ذاهبان يا شباب؟».

قالت فوبي: «أه، مرحبًا يا جيرمي. نحن ذاهبان إلى القرية للإبلاغ عن شيء خطير».

ضحك وقال: «خطير؟ من المؤكد لا نقص الشمبانيا للحفلة؟ لقد أرسل والدي بالفعل أكثر من ست زجاجات».

قال ألفي: «لا، ليس خطيرًا حقًا. ربّما شخص ما سيطلق النار على رئيس الوزراء بعد ظهر هذا اليوم».

كان جيرمي لا يزال يبتسم. فقال: «ماذا؟ هل هذا نوع من المزاح؟».

قالت فوبي: «لا. ليس مزاحًا، هذا حقيقي».

«كيف توصلتما إلى هذا الاستنتاج؟».

اقترب ألفي من الشاحنة بحيث لا يستطيع أحد أن يسمع وقال: «سمعت فوبي هذا الصباح رجلًا يخبر امرأة بأن عليها أن تفعل ذلك، وأعطاهم سلاحًا مذكّرًا وكانت مستاءة للغاية».

اختفت ابتسامة جيرمي وقال: «يا إلهي! هل هذا صحيح؟ أنتما محققان فيما تقولان. هذه قضية خطيرة. يجب أن نذهب ونخبر الشرطة فورًا». خرج من مقعد السائق في عربة التسليم ومشى حول العربة وقال: «اصعدا إلى العربة. سأوصلكما».

كان جيرمي قد فتح الباب الخلفي. لقد تسلقا إلى مؤخرة العربة، وأغلق الباب وراءهما.

صرخ ألفي: «مهلاً، لا تغلق الباب علينا. المكان مظلم هنا»، لكن الشاحنة كانت تنطلق من جديد بالفعل.

وعندما لم تتباطأ العربة بعد بضع دقائق، همست فوبي إلى ألفي قائلة: «لا أعتقد أننا ذاهبون إلى مركز الشرطة، أليس كذلك؟».

«لا. من الأفضل أن نخرج من هنا في المرة القادمة التي يتباطأ فيها. اتفقنا؟».

«نعم، لنفعلها. لدي شعور سيء حقًا حيال هذا».

انزلقت عبر الباب ودفعت يديها عليه. وهمست: «لا يبدو أن هناك طريقة لفتحه من الداخل. دعنا نضج ونصرخ. ربّما يسمعنا شخص ما».

قال ألفي: «لكنه سوف يسمعنا في المقعد الأمامي. قد يأتي ويقتلنا».

«أه، لا تكن سخيًا. هذا جيرمي. لقد عرفته طوال حياتي. لن يفعل ذلك على الإطلاق...». لقد توقفت. وقالت بصوت ضميرها: «لا أعتقد أنه سيقتلنا».

وحيث إن الشاحنة كانت تُقاد بسرعة، كانت ترمي

الطفلين من جانب إلى آخر. في النهاية تباطأت وتوقفت. شعرا بأنها تهتز بينما كان باب السائق يُغلق.

همس ألفي لفوبي قائلاً: «الآن! اضربي على الجانبين واصرخي. هل أنت مستعدة انطلقى».

صاحا: «ساعدونا! أخرجونا من هنا!» وهما يضربان بقبضتيهما على جانبي الشاحنة.

ثم لاحظ ألفي أمراً. وقال: «لقد ترك المحرك يعمل. من الأفضل ألا نكون في مرآب، أو أننا لن ننجح في الدقائق الخمس الأخيرة».

«لا تقل ذلك!». وضعت فوبي عينيها على الشق حيث يجتمع البابان لكنها لم تر شيئاً.

أطلق ألفي تنهداً بشكل مفاجئ وصاح: «يا الله. أخرجني من هنا!». كان يدق على باب الشاحنة.

قالت فوبي بتكلف: «إهدأ». ووضعت يدها على ظهره وشعرت بأنه يرتجف.

قال: «أنا أكره أن يُقفل علي هكذا. منذ أن تم تفجير الباب في ملجأ القنابل، ولم نتمكن من الخروج وكان الجميع يصرخون، اعتقدت أنني سأموت. يجب أن أخرج».

ربت فوبي على كتفه وقالت: «ستكون الأمور على ما يرام يا ألفي. سنجد طريقة».

نظرت فوبي حولها محاولة التفكير في شيء يجعله يشعر بالتحسن. وقالت: «أنت من لندن. ألا يعرف الناس من أمثالك كيفية فتح الأقفال

باستخدام أشياء أخرى غير المفتاح؟".

«ليس كل الناس في لندن مجرمين كما تعلمين». بدا وكأنه غاضب الآن، لكنه توقف على الأقل عن التذمر والشكوى.

قالت: «أسفة، لم أقصد ذلك من هذا القبيل. قصدت فقط أنه كان عليك القيام بأشياء لا نستطيع القيام بها أبدًا. أنظر، لقد حصلت على دبابيس شعريّة في شعري». أخذت واحدة وسلمته إياها: «جربها».

حبست أنفاسها حتى قال: «لا فائدة. يبدو أنّ القفل على الجانب الآخر».

تنهدت وقالت: «غير معقول». ثمّ قالت: «لا أستطيع أن أفكر فيما يمكننا أن نفعل، هل تستطيع أنت؟».

استقبلت الليدي ويسترهام ابنتها بينما كانت الدراجة الناريّة تتوقّف خارج فارلي قائلة: «أه، يا بامبلا، ها أنت هنا أخيرًا أيتها الفتاة المشاغبة. لقد وعدت بأن تكوني هنا لمساعدتي. مارغوت وصديقتك كانتا رائعتين. كانتا مفيدتين جدًا. وديدو كانت كذلك أيضًا».

قالت بامبلا: «أنا أسفة يا ماما. لقد كانت قضية ذات أهمية كبيرة، ولولا ذلك ما كنت لأذهب قط. إنها قضية تتعلق بالأمن القومي».

سألها الليدي ويسترهام بازدراء: «بالله عليك ما شأنك أنت وشأن الأمن القومي؟ إنه ليس من شأنك».

دعي مثل هذه الأشياء للمحترفين. من أجل الله، اذهبي وغيري ثيابك قبل وصول الضيوف".

كان بن يشعر بشكل أفضل قليلاً بعد أن عادا إلى فارلي. وكانت لديه كلمة مع العقيد بريتشارد، الذي أخذه على محمل الجد لكنه حثه على ألا يقلق. وكان هناك الكثير من الجنود في الجوار. كان من الممكن حماية البوابة، بحيث يتم فحص الضيوف قبل وصولهم. أما ما كان يثير مخاوف بن فقد كان تساؤله: ولكن ماذا لو كان العدو بالفعل داخل البوابة. نظر إلى أسفل على ثيابه المجددة. وأدرك أنه لم يكن يرتدي ملابس مناسبة لحفل حديقة، ولكن ليس لديه وقت للعودة إلى المنزل لتبديل ثيابه. فهو سيبقى بعيداً من الأنظار في الخلفية ليراقب الوضع هناك. وبينما كان يتجول في الحديقة الخلفية، رأى أن الكراسي والطاولات كانت قد وُضعت تحت خشب الزان النحاسي الكبير. وقد وُضعت طاولة طويلة على الحصى إلى جانب المنزل. وقفت الشمبانيا جاهزة في دلاء من الجليد. وغُطيت أطباق من السندويشات والكعك بالمناديل البيضاء. ووقفت وعاء كبير من الفراولة إلى جانب إبريق من القشدة. كانت خادمتان تضعان فناجين الشاي في إحدى نهاياتها بينما كانت خادمة أخرى تحمل صينية من الكؤوس.

خرجت تريكسي ومارغوت من خلال أبواب فرنسية مفتوحة، تحملان تنسيقاً كبيراً من الزهور بينهما. رصدت تريكسي بن وقالت: «أه، لقد عدت. الحمد لله. كانت الليدي ويسترهام منزعة للغاية.

هل أنت بخير؟".

قال: «نعم، شكراً لك. أنا أسف لأننا حملناك أعباء العمل كلها. لقد كان أمراً لا مفر منه. وقد علقنا في عاصفة ممطرة».

قال مارغوت: «أه، لقد تدبرنا الأمور بشكل جيد. استمتعت بكل ثانية. من الرائع أن أكون جزءاً من شيء كهذا. الحياة طبيعية كما كانت من قبل. لا يقدر المرء روعتها أبداً حتى يفقدها. إن ما أقصده هنا هو: أنظر إلى هذا الطعام والشراب كله، كنا نتصور جوعاً في باريس. ونعيش على حساء اللفت والخبز الكريه».

قال بن: «يجب أن تكوني سعيدة جداً بعودتك إلى المنزل».

«لا أستطيع أن أخبركم عن مدى سعادتي». نظر بن إليها، لكن عيني مارغوت لم تقابل عينيه.

قالت تريكسي: «ولكن كان عليها أن تترك حبيبها هناك. كانت تقول لي كل شيء. قصتها حزينة للغاية».

قالت مارغوت: «ربما مات الآن. لكنه كان شجاعاً جداً ولم يخن أصدقاءه. أنا معجبة به من أجل ذلك».

نظر بن إليها بشكل نقدي. كانت هناك أشياء لم تكن تقولها. لقد كان متأكدًا من ذلك.

قالت تريكسي: «الآن بعد أن أصبحت هنا، أضعت مسؤولاً عن سكب الشمبانيا. أنا لا أجيد فتح

زجاجات الشمبانيا».

قال بن: «أنا لا أتمتع بالكفاءة العالية أيضًا، ولا ارتدي ملابس مناسبة للحفلات. لقد عدنا مباشرة من وست كنتري».

سألته تريكسي: «هل وجدت ما كنت تبحث عنه؟». كان بن يدرك أن مارغوت تقف إلى جانبه.

ردًا قائلًا: «في الحقيقة لا. لقد كان إنذارًا كاذبًا. لم يكن سوى دير قديم أحرقه رجال كرومويل».

سألت مارغوت: «ما هذا كله إذن؟ هل كان نوعًا من لعبة مطاردة الزبال (38)؟».

قال بن: «لا، كنا نحاول تحديد مكان في صورة لرئيسي في العمل. لا أعتقد أن الأمر مهم الآن. لذا، أين تريدان أن تضعيني للعمل؟».

قالت مارغوت: «أعتقد أن الخادמות سيحتجن إلى المساعدة في حمل جرة الشاي. إنها ثقيلة جدًا. نحن سنصعد إلى أعلى لتغيير ملابسنا».

بينما كان يساعد في وضع جرة من الشاي، نظر حوله. كان العشب الذي وضعت الطاولات عليه محوظًا بأشجار الورد، وشجيرات مشدّبه بشكل هندسي، وشجيرات صغيرة. كان ذلك يوفر الكثير من التغطية للشخص الذي يريد الاختباء. لقا كان الآخرون قد ابتعدوا، انطلق في جولة، ودرس أماكن الاختباء المحتملة مع سهولة الهروب إلى الغابة. وعلى عكس واجهة المنزل مع بحيرته ومروجه التي توفر الرؤية لأميال، كان شجر الورد يقود إلى

حديقة ورود مغلقة، وبعد ذلك حدائق المطبخ. كانت تليها مجموعة كثيفة من أشجار الطقسوس. فكّر في خلدّه ربّما لأنهم أرادوا أن يكونوا بعيدين من تحركات فوج غرب كنتس. أو ربّما كان ذلك من أجل إعطاء انطباع بوجود منزل ريفي هادئ، تفت إزالته من أفكار الحرب، لمرة واحدة.

ظهرت بامبلا إلى جانبه، حيث كانت تبدو هادئة وجميلة في الشيفون الأصفر الليموني مع قبعة بيضاء كبيرة مزركشة باللألئ الصغيرة. «تريكسي ومارغوت تغيّران ثيابهما الآن في الطابق العلوي. كانت تريكسي صديقة حقيقية تساعدنا وتدعمنا. أنت تعلم أنني كنت دائما أنظر إليها كشابة ساذجة متأقّة عديمة الفائدة في أوقات الأزمات، لكنّها عملت بجد هذا الصباح. أليس من الرائع أن تكون لدي مارغوت المنزل؟ إنها معجزة يا بن. أنت لا تعرف كم كنت أتوق إلى هذه اللحظة». لاحظ بن أنّ وجهها كان متوتّرًا وعينيها تعبّتان لعدم شعورها بالأمان. سألته: «ما الخطوة التالية؟».

«سننتظر. رجال العقيد عند البوابة. لا أحد يستطيع الدخول. يجب أن نكون على ما يرام». مدّت يدها وأخذت يده وقالت: «يا الله، أمل ذلك. أنا خائفة يا بن. إذا قُتل السيد تشرشل، فسوف تنهار البلاد بأكملها، أليس كذلك؟».

«هذا هو ما يتطلّع إليه الألمان من المؤكد. يجب أن نتأكد...» توقّف. كيف يمكن أن يخبر بامبلا بأنه يشتبه بأختها الحبيبة؟».

جاء اللورد والليدي ويسترهام، وكانت الليدي ويسترهام تبدو بشكل لا يصدق في الحرير الأرجواني المنفق وقبعة أرجوانية مزينة بالريش.

قالت لزوجها: «حسنًا، أعتقد أننا نجحنا». الآن كل ما نفعله انتظار الضيوف».

في تلك اللحظة، اندفع الكلبان إلى الأعلى ينبحان نباخا هستيريًا. جأ اللورد ويسترهام قائلاً: «اهدئي! انزلي، أيتها الوحوش الغبية». ثم توجه إلى سوامز الذي كان يحوم في المدخل وقال له: «خذهما إلى الداخل واحبسهما. لا أعرف ما الذي حصل لهما. إنهما عادة ما يتصرفان بشكل جيد».

بدأ الضيوف في الوصول واحدًا تلو الآخر: العقيد والسيدة هنتلي يحضران ومعهما الأنسة هاملتون من القرية. وصل السير ويليام والليدي بريسكوت، وعائلة مسغروف، والعقيد بريتشارد من غرب كنتس. لاحظ بن أنه كان مسلخًا اليوم.

قال العقيد بريتشارد: «لقد أحضرت بعضًا من رجالي للمساعدة عند الحاجة يا ليدي ويسترهام».

قالت إيسي: «هذا لطف منك، لكنني أعتقد أن كل شيء خاضع للسيطرة».

جاءت مارغوت وتريكسي معًا. كانت مارغوت ترتدي فستانًا خفيًا مناسبًا يتبع بإحكام ويبرز ملامح جزء الجسم الذي يغطيه، وكان من الواضح أنه ذروة الأزياء الباريسية. فحصها بن جيدًا، وقرر أنه لا يوجد مكان لإخفاء سلاح. كما أنها لم تكن تحمل حقيبة.

ذهبت بامبلا إلى تريكسي. «هل أنت بخير؟ أنت تبدين منهكة إلى حد ما».

قالت تريكسي: «لا أشعر بأنني مرتاحة، لكنني ساكون بخير. أعاني قليلاً من الصداع النصفي. قد أذهب وأستلقي حالما يبدأ الحفل. لا أحد سيفتقدني».

قال بامبلا: «سأشتاق إليك. لقد كنت صديقة حقيقية تقدّمين المساعدة عند الحاجة».

ابتسمت تريكسي وقالت: «هذا أنا. تريكسي الصديقة الحقيقية».

قال بن لبامبلا: «يجب أن أختفي. لا يمكنني ترك الرجل العظيم يراني أبدًا وكأني عامل مزرعة مُستعبد».

قالت بامبلا: «أعتقد أنك تبدو على ما يرام». وابتسمت له ابتسامة ساحرة.

انزلق بن في الظل بين الشجيرات. كان هناك شخص يقف خلف شجرة الورود. لقد كانت امرأة ترتدي بيجاما متألقة حمراء اللون. تسلل بن حتى وصل إليها. لقد كانت ديدو.

سألها: «ماذا تفعلين؟».

قفزت بطريقة تظهر الشعور بالذنب حين سمعته. وقالت: «أه، أنت فقط يا بن. إذا كان يجب أن تعرف، فأنا أدخن سيجارة سزا. بابا لا يعرف أنني أدخن. لكنني شعرت بأنني في حاجة إلى شيء لتهدئة أعصابي قبل مواجهة الجميع».

نظر بن إلى أعلى وقال: «يمكنني سماع الأصوات. اعتقد أن رئيس الوزراء قد وصل. من الأفضل أن تكوني مرئية».

تنهدت ديدو بطريقة مبالغ فيها وقالت: «أفترض إذا كان يجب علي ذلك، إذن يجب علي ذلك».

وبينما كان بن يراقب ديدو وهي تمشي بعيدًا في ملابسها الحمراء المثيرة، سمع شخصًا قادمًا عبر حديقة الورود. استدار بسرعة ليرى غاي هاركورت قادمًا نحوه.

«ماذا تفعل هنا؟». كان صوت بن حادًا.

ابتسم ابتسامة عريضة وقال: «قلت إنني قد أتى لحضور الحفلة من دون دعوة، أليس كذلك؟». والواقع، أنني جئت مع المجموعة الرئيسية من القوات لإعداد الطريق للتأكد من أن كل شيء على ما يرام بالنسبة إلى رئيس الوزراء، أيها الخريج الأول. هل كنت تراقب الليدي مارغوت؟».

قال بن: «إنها ترتدي فستانًا ضيقًا إلى حد أنها لا تستطيع أن تحمل سلاحًا». كان يفحص غاي وهو يتحدث. ألم تكن تلك حافظة مسدس تحت سترة غاي؟ هل يجب أن يقول شيئًا؟ بدا كل شيء غير واقعي تمامًا. قرر أن يجد العقيد ويخبره بأن يراقب غاي.

قال: «أه، شمبانيا! جيد جدًا. . . اعتقدت أنه يكون لهذه المهمة امتيازاتها».

ترك بن واتجه إلى الطاولة حيث يتم الان صب

الشمبانيا في أكوابها الخاصة. أعلن التصفيق والتهنئات وصول ونستون تشرشل. استطاع بن رؤية الرجل العظيم وهو يتجول في المنزل ويمشي باتجاه الحديقة الخلفية مع اللورد ويسترهام إلى جانبه. كانت كليمنتين تشرشل والليدي إيسي تمشيان معًا وتتبادلان أطراف الحديث.

ثم سمع بن صوتًا قادمًا من الشجيرات خلفه. «هل أنت هنا؟» كانت الكلمات قد قيلت همسًا، وكان من المستحيل معرفة ما إذا كان المتكلم رجلًا أو امرأة. تسلل بن باتجاه الصوت. «لا أستطيع أن أفعل ذلك! أخبرتك بذلك».

جاء بن حول شجيرة مزهرة كبيرة وشاهد تريكسي تقف على الجانب الآخر. كانت تمسك بيدها مسدسًا، لكنها كانت قد وجهته بعيدًا من رئيس الوزراء وكانت ترتجف. «خذه. لا أريده، لا أريد أي جزء منه». مدت المسدس لشخص يقف في الظل العميق. ثم لدهشة بن، خرج جيرمي وخطف المسدس من يدها. وقال بصوت منخفض: «أنت ضعيفة الجسم والشخصية والعقل بالمطلق. أنت لست واحدة منّا. ستندمين على هذا».

انتقل إلى مكان مفتوح للحصول على فرصة واضحة للتصويب بمسدسه على رئيس الوزراء المقرب. كان تشرشل الآن واضحًا تمامًا على بعد خمس وعشرين ياردة تقريبًا. ولما سمع بن جيرمي يقوم بتلقيح المسدس، قفز بن أمامه.

قال جيرمي غاضبًا: «ابتعد عن الطريق. لا أريد

إطلاق النار عليك يا عزيزي». كانت لعيني جيرمي نظرة بريّة متوحّشة.

أجابه بن: «إذا كنت تريد إطلاق النار على تشرشل، فعليك إطلاق النار من خلالي».

«جيرمي، لا!» سمع بن بامبلا تصرخ وهي تسرع نحوهم. نظر جيرمي باتجاهها وأخذ تركيزه بعيدًا من رئيس الوزراء للحظة.

استغلّ بن فرصته وذهب للمسدس، وضربه إلى أعلى في أثناء إطلاقه النار منه. وصرخ صرخة قويّة بينما طرحته قوة الرصاصة أرضًا.

كان يدرك كل شيء يحدث في حركة بطيئة، كانت بامبلا تصرخ: «كيف يمكنك أن تفعل ذلك؟ لقد خنتنا جميعًا».

جثت بامبلا على ركبتيها إلى جانب بن بينما تجفّع غاي والجنود حولهما. كانوا ينظرون إليه. وكانت بامبلا تقوم بمسح شعره ببطء ورفق.

همست: «لا تمت. من فضلك لا تمت».

قال بن: «سأكون بخير». لقد استطاع أن يتدبّر أمر ابتسامة شجاعة. في الحقيقة، لم يشعر بأي ألم، فقط كان ينتابه شعور غريب، وعميق، ودافئ مع ملمس يد بامبلا على جبينه. قال بن: «أعتقد أنني خلعت كتفي فقط». ثم حاول الجلوس. «يجب أن أتبعه. لا يمكنني السماح له بالفرار». ثم فقد وعيه.

الفصل التاسع

والثلاثون

في سيارة نقل في غابة فارلي

كان كل من فوبي وألفي يتمددان مستلقيان نائمين في الشاحنة المقفلة. لقد حاولا أي شيء فممكن لجذب الانتباه، والخروج، لكنهما استسلما في حالة من اليأس والقنوط. كانت جوانب الشاحنة معدنية ناعمة. ولم يستطع أحد سماعهم. اهتزت الشاحنة وهممت عند تشغيل المحرك بسرعة منخفضة في حالة الخمول. ثم بدأت الأبخرة تتسرب داخل السيارة المغلقة ما جعل أعينهما تدمع.

وفي محاولة منها لتبدو مشجعة، قالت فوبي: «سيكتشف شخص ما أنني مفقودة وسيأتي للبحث عني قريبًا».

قال ألفي: «ولكن ماذا لو كنا واقفين على بعد أميال من أي مكان؟ ماذا لو كنا في منتصف الحقل أو حتى في المراب؟»

وضعت فوبي أذنها إلى جانب الشاحنة وقالت: «لا أعتقد أننا في مبنى. أعتقد أنني أستطيع سماع الطيور».

سألها ألفي: «كم من الهواء لدينا برأيك؟».

نظرت فوبي إلى البياض الفضي الصغير لضوء النهار حيث أغلقت الأبواب. لم تفكر حقًا في أن ذلك قد يساعدهم كثيرًا، لكنها كانت تعلم أن وظيفتها أن

تظل هادئة وإيجابية. لقد تمت تربيتها لتكون قائدة. والقادة لا يظهرون أنهم خائفون. قالت: «أعتقد أننا سنكون بخير. وربما كان من الأفضل ألا يدخل الهواء، لأنَّ الأبخرة لن تدخل أيضًا».

قال ألفي: «فكرة مبهجة»، وهذا أضحكها على الرغم من كل شيء.

عند نقطة ما، ارتفعت أمالهما. سمعا صوت الكلاب، تشمشم الشاحنة ثم تنبح.

صاحت فوبي: «هذه النباح يبدو مثل نباح كلابنا. كلاب جيدة». ثم استدارت نحو ألفي وقالت: «أنظر. لا يمكن أن نكون بعيدين جدًا. قد نكون حتى في فارلي. سيكونون هنا قريبًا».

لقد قاما بالطرق والركل والصراخ مرة أخرى، لكنَّ أحدًا لم يأتِ لإنقاذهما. وبعد فترة من الوقت غطا في صمت عميق. سألت فوبي: «ألفي، أنت لست نائقا، أليس كذلك؟».

تمتم ألفي قائلاً: «أنا مرهق جدًا. لا يبدو أنني قادر على البقاء مستيقظًا».

هزته فوبي وقالت: «لا يُفكنك النوم. لا يُفكنك ذلك مطلقًا. هل تسمعي؟».

غمغم ألفي مجرد شيء غير مفهوم. كان رأس فوبي يدور. تابعت القول: «يجب ألا تنام». ولكن في النهاية، نامت هي أيضًا. إلا إنهما أوقظوا من جديد على اهتزاز عربة التسليم وصوت إغلاق الباب بشدة. لم تستطيع فوبي أن تتذكر مكانها للحظة.

وشعرت بأنها مشوشة الذهن، كما لو كانت مخدرة. لقا حاولت الجلوس، ثم قذفت بعيدًا لتصطدم بالباب حين انطلقت العربة. كان من الواضح أنها تُقاد بسرعة كبيرة.

ثم ضرب شيء ما مؤخرة العربة محدثًا صوت اصطدام قويًا.

صرخت فوبي باندهاش وهي تهز ألفي: «عجبًا! هناك شخص يطلق النار علينا. استيقظ ولكن ابق منخفضًا».

تمتم ألفي كلامًا غير مفهوم مرّة أخرى وهو لا يزال نصف مخمور. لقد الصقا أنفسهما بأرضية العربة، بينما كانا يقذفان من جانب إلى آخر لقا كانت العربة تسير حول المنعطفات. ولكن لم يكن هناك المزيد من إطلاق النار. لقد أيقظ ألفي نفسه وحاول الجلوس.

قال ألفي الذي استيقظ الآن وبدأ يزحف نحو الباب: «أنظري! لقد أحدثت الرصاصة فتحة في الباب. هذا جيد. يمكننا أن نتنفس الهواء النقي!».

قالت فوبي: «ليس بينما يتم قذفنا ذات اليمين وذات الشمال هكذا. يا إلهي، أتمنى ألا يطلقوا النار علينا مرّة أخرى. أشعر بالمرض، ألا تشعر أنت بذلك؟».

تمتم ألفي قائلًا: «أشعر بالنزف الرهيب».

قالت فوبي: «لا تشتم»، وهي سعيدة سرًا بأنه كان مستيقظًا ويتحدث إليها.

بدا المشوار وكأنه مستمر إلى الأبد.

تساءل ألفي: «هل تعتقدين أنه يقود سيارته إلى القناة للقاء غواصة ألمانية؟»

«لا أدري، لا أعرف. لا نعرف ما إذا كان هو الجاسوس الألماني، أليس كذلك؟»

قال ألفي: «ماذا سيكون؟ لقد حبسنا فقط في الشاحنة حين علم أنك سمعت عن المسدس».

هزت فوبي رأسها بالموافقة وقالت: «نعم فعلاً. لا بد من أنه جاسوس ألماني. أجد أن من الصعب تصديق ذلك. إنه جيرمي. لقد عرفته طوال حياتي. إنه واحد منا. كيف يُفكر أن يتصرّف بهذه الطريقة؟»

«لا بد من أن الألمان أجبروه على العمل من أجلهم لَمَا كان في معسكر الاعتقال الألماني».

قالت فوبي بحرارة: «لا يمكن إجبار أي رجل إنكليزي حقيقي على العمل لصالح الألمان. إن الإنكليز الحقيقيين يفضلون الموت أولاً».

قال ألفي: «دعينا نأمل أنه لا يريد أن يموت الآن وهو يخطط لقذفنا من فوق جرف صخري».

سألت فوبي بسرعة: «لماذا يجب أن تكون دائماً مبتهجاً؟»

ثم وقع حادث تصادم حين اصطدموا بشيء ما؛ اهتزت الشاحنة لكنها لم تبطن. ثم بدأت السيارة تصدر صوت صرير إلى أن توقفت. أغلق باب بعنف شديد. فجأة فُتح بابهم وتدفق ضوء النهار، والهواء

النقي. وقفًا، يبتلعان لعابهما ويرمشان أعينهما.

قال جيرمي: «ما زلتما على قيد الحياة». لقد بدا أكثر دهشة وراحة مما هو غاضب. وصل إلى فوبي وأمسك بشعرها، وجزّها من العربة. «هيا أنت. ستأتين معي».

صرخت، ورمشت عينيها في الضوء الساطع، كانت ساقاها المتذبذبتان لا تريدان دعمها وهو يضعها على قدميها. أمسك ألفي بلوزتها، لكن جيرمي لكمه لكمة قويّة طرحته أرضًا، ثم جزّها إلى الأمام. وقال لها: «هيا. تحرّكي. أسرع».

نظرت حولها وهي تقذف إلى الأمام. كانا على مدرج المطار.

صرخت: «ساعدوني!!». وضع جيرمي يده على فمها وهو يجزّها إلى الأمام.

وقف ألفي على قدميه. كان رأسه لا يزال يترنّح وهو يتعثّر وراء فوبي كرجل مخمور. كان جيرمي وفوبي متوجهين إلى إحدى طائرات سبتفايرز المصطفة إلى جانب المدرج. وبجهد كبير ركض عليهم، قذف نفسه على جيرمي في محاولة لإسقاطه أرضًا. وصرخ قائلًا: «دعها تذهب».

التفت جيرمي وضربه بقبضة قويّة جدًا بخلفية يده على وجهه، فقذفه ليطير إلى الخلف، وليضرب الأرض بقوة.

صرخت فوبي: «لا تؤذ ألفي، أنت أيها الفظيع». ثم أمسكت تلك اليد وغرزت أسنانها في اللحم الناعم

من كفه. أطلق جيرمي صوت هدير من الألم وانتشل بشكل غريزي يده منها. وصلت فوبي إلى ألفي وقالت له: «أركض بسرعة».

قام جيرمي بسحب مسدس، ورفع في وجهيهما، ثم قال، «ماذا بحق الجحيم. هيا أيها الصعاليك. اذهبا. لا أحد يستطيع أن يمنعني الآن، في أي حال.» وبينما كان الطفلان يركضان نحو صف من الأكواخ، التقيا سيارة مصفحة كانت تسير نحوهما. لقد صدر عنها صرير مستمر حتى توقفت بشكل كامل وقفز رجال الطيران منها. صرخ أحدهما: «طفلان. ماذا تفعلان هنا؟»

صاحت وهي لا تكاد تلتقط أنفاسها بعد محنتهما: «يجب أن تمنعوه. أوقفوا جيرمي بريسكوت. لقد خطفنا. إنه جاسوس ألماني».

ابتسم الطيار الأول ابتسامة عريضة وسألها: «هل هذا صحيح؟ هل هذا نوع من الجرأة؟».

حدقت فوبي به وقالت: «أنا الليدي فوبي ستون. أنا ابنة اللورد ويسترهام، وخطفنا من قبل جيرمي بريسكوت، ونعتقد أنه كان يخطط لإطلاق النار على وينستون تشرشل. يفكك الاتصال بفارلي إذا كنت لا تصدقني، ولكن عليك أولاً محاولة إيقاف جيرمي بريسكوت قبل أن يفعل شيئاً مريغاً. لقد ركض لتوه نحو تلك الطائرات».

لقد جعلهم صوت الرجال ينظرون إلى الأعلى. كانت إحدى طائرات سبتفايرز تسير باتجاه المدرج.

قال أحد الطيارين الذي كان يركض باتجاههم: «لقد شرقت طائرة، وقتل أحد شبابنا وأخذت طائرة من نوع سبتفاير.

ارتفع صوت محرك الطائرة حتى أضحى هديرًا. ثم تسارعت الطائرة وانطلقت إلى السماء؟ سألت فوبي بلهجة المنتصرة: «هل صدقتني الآن؟».

قال قائد المعسكر بعد أن كررا قصتهما للمرة السادسة أو السابعة وكانا في مكتبه يشربان الشاي: «لقد انتهى الأمر. لقد كنتما طفلين شجاعين للغاية. لا بأس إن استمررت وبكيت أيتها الليدي الصغيرة». قطبت فوبي حاجبيها وأبرزت ذقنها وقالت: «والدي لا يريدني أن أبكي في الأماكن العامة. من المفترض أن نكون قدوة». ثم وقفت وسألته: «هل تعتقد أن شخصًا ما يفككه الاتصال بأهلي من أجل إيصالنا إلى المنزل من فضلك؟».

لما وصلت إلى المنزل، سألت دموعها أخيرًا. اكتشفت فوبي أنهم لم يلحظوا غيابها حتى. قالت السيدة إيسي: «كنا نظن أنك بقيت بعيدًا في غرفة المدرسة لأنك لا تريدين المشاركة في الاستعدادات هذا الصباح، ولأنك لا تحبين أن تكوني مؤذبة تجاه الغرباء في الحفلات».

قالت فوبي بينما كان الحزن والأسى يتصاعد في نفسها بسبب هدوء أمها: «ولكن ألم يأت الكلبان لجلبكم لإنقاذي؟ كنت متأكدة أنهما سيفعلان».

حذقت الليدي ويسترهام فيها برعب وقالت: «لقد جاء الكلبان بالفعل. لقد كانا ينبحان ويصنعان ضجة فظيعة قبل وصول تشرشل. لقد أخذهما سوامز إلى الداخل وأقفل الباب عليهما». ثم فعلت فجأة شيئاً غير معهود بالنسبة إليها حيث ضمت فوبي ولفتها بين ذراعيها، وضمتهما إلى صدرها، وقالت: «أه يا فتاتي الصغيرة كان من المفكن أن تموتي».

«لقد كنت على وشك الموت. فلو لم يكن ألفي شجاعاً، ولو لم يكن قد أحسن التعامل مع جيرمي كان من المفكن أن يطير بي إلى ألمانيا. أو ربّما كان قد قتلني». عندئذ انفجرت بالدموع من دون إنذار.

لما كانت قد تمّت تهدئتها، وبعد أن جلست إلى جانب والدتها على الأريكة، تساءل والدها: «يا عزيزتي، لمّ لم تأتِ إلينا حين ظننت أنّ شخصاً ما كان يخطط لإطلاق النار على رئيس الوزراء؟».

قالت فوبي: «لم أكن متأكّدة أنّك ستصدقني. وفضلاً عن ذلك، من المفترض أن نبليغ السلطات بأيّ شيء مشبوه. تقول اللافتة ذلك. إلى السلطات؟». ثارت أعصاب اللورد ويسترهام واشتدّ غضبه وقال: «هذا الغبي الأحمق في القرية لن يعرف جاسوساً إذا قفز أحدهم وعصّه».

قالت الليدي ويسترهام: «لا تشتم أمام الأطفال يا رودي».

غضب اللورد ويسترهام وقال: «تعرّضت الطفلة للخطف من قبل خانن فاسد متعفن وكان من الممكن أن تموت وأنت قلقة من سماع كلمة شتيمة؟ إنّ ما

علينا أن نفعل الآن إرسالها إلى مدرسة داخلية جيدة حيث لن يكون لديها إلا القليل من وقت الفراغ».

نظرت فوبي في ديدو وابتسمت ابتسامة عريضة. قالت ديدو: «كيف تحصل على المكافأة لأنها تحملت مخاطر غبية؟ ماذا عن إرسالها إلى المدرسة النهائية؟ أو على الأقل اسمحوا لي أن أذهب وأقود شاحنة».

قال اللورد ويسترهام: «على جثتي فقط سيضعك أحدهم خلف عجلة القيادة».

كان ألفي جالسًا صامتًا وغير مرتاح في غرفة الصباح، وكان يتمنى أن يتمكن من العودة إلى المنزل. كان الأمر غريبًا، لكنه كان يفكر الآن في نزل حارس الطرائد كمنزله ووجد نفسه يتساءل ما إذا كان يرغب في العودة إلى والدته في لندن حتى لو انتهت الحرب.

وقف ألفي وقال: «يجب أن أعود. سوف تقلق علي السيدة روبنز بالقلق علي».

نظرت إليه الليدي ويسترهام بلطف وقالت: «بالطبع. اذهب إذن. أنت شاب شجاع. شكرًا لك. أحسنت صنعًا».

عند المدخل، توقف ألفي ونظر إلى الخلف وقال: «اكتشفت ساحة باكستر. هل تعرفين ماذا يبني هناك؟ إنه يبني توابيت. الكثير والكثير من التوابيت».

قال اللورد ويسترهام: «إنه يقوم بالتحضير للغزو».

الأمر الذي قد يكون بعيدًا بعض الشيء وذلك بفضل ما لم يحدث اليوم».

نظرت السيدة ويسترهام من حولها وكأنها لاحظت أن إحدى بناتها كانت مفقودة. وسألت: «هل لا تزال باما مع بن؟».

قالت مارغوت: «نعم، إنها لا تزال في المستشفى».

لقد كان شجاعًا بشكل فريد. أتمنى أن يكون على ما يرام».

علق اللورد ويسترهام قائلاً: «أتوقع أنه سيكون سعيدًا لأنه كان قادرًا على فعل شيء من أجل بلاده أخيرًا».

جلست بامبلا إلى جانب سرير بن في المستشفى. وكان كتفه مضمداً. بدا وجهه شاحبًا، لكنه كان مستيقظًا ومعنوياته عالية.

قالت بامبلا: «لا أستطيع أن أصدق ذلك عن تريكسي. يبدو أنها كانت تعمل لصالح الألمان طوال الوقت. كانت تسرق المعلومات في بليتسلي».

قال بن: «أتساءل لماذا تفعل ذلك؟».

«إنَّ السبب ذلك الشعور من التشويق المفاجئ والإثارة على ما أفترض. لا شك في أنها ستخبرنا في الوقت المناسب. يبدو أن والدها كان دائمًا مؤيدًا لألمانيا ومؤيدًا للنازية. لكن جيرمي، ما الذي جعله ينقلب ضدنا بهذه الطريقة؟ هل تعتقد أنهم قاموا بغسيل دماغه أو تعذيبه في ألمانيا؟».

«أتساءل ما إذا كان ذلك شعورًا مشوهًا بالوطنية».

أعتقد أن بعض الناس يعتقدون أنهم بإنهاء الحرب الآن، يوفرون على بريطانيا تدمير أئمن أئارنا، حتى لو كان ذلك يعني أن الرضوخ أو الخضوع لسيطرة ألمانيا.

ارتجفت بامبلا وقالت «لا أعتقد أننا سنعرف ذلك الآن. أتساءل ما إذا كان قد سافر جواً إلى ألمانيا على متن تلك الطائرة. أنا افترض ذلك».

نظرا إلى الأعلى على وقع خطى على الأرضية المبلطة. شجبت ستارة ووقف غاي هاركورت هناك. «أه، أنا أسف». سأل وقد ظهرت ابتسامة خبيثة على وجهه: «أمل أنني لا أقاطع لقاء غراميا، أليس كذلك؟».

قالت بامبلا: «بالطبع لا. تعال يا غاي».

وقف غاي إلى جانب نهاية السرير وسأل بن: «كيف تشعر أيها الصديق العزيز؟».

«بعيدا من شعوري بأن بغلا ركل كتفي، أنا بخير. قيل لي أنني كنت محظوظا، وأن الرصاصة اخترقت عضلة فقط وخرجت من الطرف الآخر».

«أنت محظوظ. لقد جئت ببعض الأخبار التي تفيد أن طائرة بريسكوت كانت قد تم إسقاطها فوق منطقة القناة».

سأله بن: «هل طارده طائرتنا من طراز سبتفايرز وتمكنت منه؟».

ابتسم غاي ابتسامة ساخرة وقال: «لا، حدث عكس ذلك تماما. لقد تم إسقاطه من قبل طائرات

ماسرشميت الألمانية. أمرٌ غريب، أليس كذلك؟».

مدّ بن يده وأمسك يد بامبلا، وقال: «أنا أسف».

تنهّدت بامبلا وقالت: «المسكين جيرمي. يا لها من نهاية مروّعة».

قال بن: «هكذا كان يريد أن يموت، أن تشتعل فيه النيران مثل الألعاب النارية». حدّق بن عبرها خارج نافذة المستشفى. وعلى الرغم من كل شيء، فإنّ جيرمي كان يعني شيئًا ما له أيضًا، كان جزءًا مهمًا من حياته سواء أحب ذلك أم لا.

ظلّوا صامتين في الوقت الذي استمرّت فيه ضوضاء المستشفى في الخلفيّة، قعقعة لعربة، الصوت الخشن للممرضة التي تعطي الأوامر.

قال غاي: «أتساءل لم لم يلاحظ أحد سلوك السافل بريسكوت من قبل؟ أفترض أنّ العدو اعتمد على حقيقة أنّهم كانوا يظنّون أنّه لم ينج أحد من هذا الفرار الجماعي ليكشف حقيقته».

سألت بامبلا: «إذن الرجل الذي سقط في حقلنا قد أرسل لئيسلمه له هو الرسالة، ألا تعتقد ذلك؟».

نظر بن نظرة خاطفة إلى غاي وهزّ رأسه بالموافقة قائلاً: «من دون أدنى شك. لم يكن الرجل يحمل معه أي شيء، عدا الصورة وهذه إشارة واضحة إلى أنّه لم يكن في حاجة إلى الذهاب بعيدًا. لم يكن في حاجة إلى المال أو بطاقة الحصص التموينية أو الأدوات. ومن المفترض أنّ جيرمي قد رثب بالفعل مكانًا لإخفائه».

وقالت بامبلا وهي تحاول تجميع أجزاء الصورة الكلية بعضها مع بعض: «كانت اللقطة هي الضوء الأخضر لهذا الموعد لقتل تشرشل، بمجرد أن عرف عملاؤهم أنه سيزور مطازًا قريبًا».

سأل غاي: «كيف عرفوا عن حفلة الحديقة في فارلي؟ إن إطلاق النار على رئيس الوزراء في المطار من المؤكد كان عملاً محفوفًا بالمخاطر».

قال بن: «لم يكن من المفترض أن تكون الحفلة في فارلي حين جرى التخطيط لها. كان مخططًا لها أن تُقام في تشارتويل، لكن رئيس الوزراء ألقى هذه الخطط، لذلك عرضت عائلة ويسترهام البديل عنها».

تابعت بامبلا: «لا بد من أن الرسالة كانت قد سلّمت في النهاية بوسائل أخرى. ربّما كانت واحدة من تلك الرسائل الإذاعية التي كنّا نحاول فكّ تشفيرها».

قال بن: «لقد رأى الصورة بالفعل. لقد جاء إلى استطلاع جوي بينما كنتُ هناك، وكانت الصورة ملقاة على الطاولة».

سأل غاي: «متى كان هذا؟».

«منذ بضعة أيام».

قالت بامبلا: «أه، أعتقد أنه لا بد من أن يكون لديه كل شيء مخطط له في وقت طويل سابق قبل ذلك. إن ما يدلُّ على ذلك الطريقة التي عرضت بها تريكسي النزول للمساعدة في الحفلة. لقد تمّ تخطيط ذلك كله منذ بعض الوقت».

هز غاي رأسه بالموافقة وقال: «أنا أوافقك الرأي. والواقع أننا نعتقد أنها كانت جزءًا من خطة أكبر، وضعت في تزامن مع لحظة عودته إلى إنكلترا، وهي خطة لتسهيل الغزو، وإعادة دوق وندسور، واغتيال العائلة المالكة. مع جيرمي في موقع القيادة».

ارتجفت بامبلا وقالت: «لا تكمل، من فضلك. لا أستطيع تحمّل مجرّد التفكير في الأمر». لقد وقفت وقالت: «ربّما يجب أن أذهب. سوف تقلق الأسرة بشأن ما حدث لي. ربّما سيسمح بابا لمارغوت بقيادة السيارة لاصطحابي».

قال غاي: «يفكّن أن أوصلك إلى المنزل».

ابتسمت له تلك الابتسامة المشرقة التي لطالما سحرت بن وقالت: «هذا لطف منك. سأذهب فقط إلى حمام السيدات، إذن. أنا متأكّدة أنّ لديكما أشياء تريدان أن تتحدّثا عنها ولا يفكّنكما قولها بحضوري».

قال غاي بينما كانت بامبلا تغادر الغرفة: «فتاة حادة الذكاء. وجذّابة أيضًا. يجب أن أقول إنّها تأخذ هذا بهدوء وبشكل ملحوظ، إذا أخذنا في الاعتبار أنّها كانت صديقتة».

قال بن: «أعتقد أنّ هذه الحفلة قد فتحت عينيها على الطبيعة الحقيقية».

ابتسم غاي ابتسامة عريضة وقال: «أنت الآن تدخل وتملأ الفراغ».

«أنا لست متأكدًا من هذا. هي تنظر إلي كأخ لها».

قال غاي: «لا أعتقد أن النظرة التي نظرتها إليك كانت أخوية فقط على الإطلاق. كما لم تكن الطريقة التي ألفت بنفسها عليك عندما تعرّضت لإطلاق النار أخوية أيضًا».

كان بن مستلقيًا هناك محدقًا في السقف، وكان يشعر بالدفء من الداخل. كان هناك أمل. لقد انتظر وقتًا طويلًا بصبر وهدوء منتظرًا فرصة، ولكن كان هناك أمل بالفعل.

ثم تذكر السؤال الذي ليس له إجابة بعد. «بخصوص مارغوت. هل تعتقد أنها تعمل لصالح الألمان؟».

اقترب غاي إليه وقال: «لا ينبغي أن أقول لك هذا، لكنها تعمل كعميل مزدوج في الوقت الحالي حيث تقوم بإرسال المعلومات مرّة أخرى إلى الألمان، والتسلل إلى اجتماعات «الحلقة» لكنها تبقينا على اطلاع بما يجري. كان عليها أن تتظاهر بمتابعة خططهم، بالطبع. أه، وطلب منها الانضمام إلى العمليات الخاصة. ستكون متجهة إلى اسكتلندا للتدريب قريبًا».

قال بن: «يا للروعة! أنا سعيد للغاية لأنها لم تكن جزءًا من هذا».

«حسنًا، كان يمكن أن تكون الأمور أسوأ من ذلك بكثير. كان الألمان يحاولون حملها على قتل الملك في حفل الحديقة المقرر عقده في نهاية هذا الأسبوع. وبذلك يكون الملك وتشرشل قد

قُضي عليهما بضربة واحدة وبشكل مفاجئ. لكن قصر باكنغهام تعرّض للقصف، لذلك تمّ إلغاء العمل. وبالطبع، لم تكن لديها أي نية للقيام بالمهمة، ولكن لأنها حدّرتنا من ذلك، سنبقي أعيننا مفتوحة لمحاولة مستقبلية. إنها فتاة شجاعة. إنها مخلصّة تمامًا».

عادت باميليا . وتساءلت: «هل نذهب الآن؟». ثمّ مشت إلى بن، وانحنت، ومزّرت يدها لتمسح شعره، وقبّلت جبهته. ثمّ همست: «سأعود في الصباح. وكان غاي على حقّ. فالنظرة التي نظرتها إليه لم تكن نظرة أخوية قطّ».

الفصل الأربعون

في كنيسة القرية

في يوم منتصف الصيف، أقام القس كريسويل مراسم تذكارية خاصة في الكنيسة تكريمًا لسيمان روبنز. حضرت القرية بأكملها المراسم، كما حضرتها عائلة اللورد ويسترهام والعاملون في فارلي. جلس السيد والسيدة روبنز معًا أمام مقصورة في قاعة يمسان أيدي بعضها بعضًا وينظران إلى كتب التراتيل لَمَا كانت الجوقة والجماعة تغني «يا الله، يا مساعدنا في العصور الماضية». جلس ألفي إلى جانبها، وشعر بالحزن والفخر في الوقت عينه.

في المقصورة إلى جانب واحد، كانت مخصصة لخدم عائلة فارلي، كانت الأنسة غامبل متعمقة في التفكير. إذا كان سيتم إرسال فوبي بعيدًا إلى المدرسة - وكانت قد أوصت بالفعل بمدارس للبنات من الدرجة الأولى من شأنها أن تستفيد إلى أقصى حد من دماغ فوبي الجيد - فلن تكون هناك حاجة إليها هنا بعد الآن. لقد كان لديها دماغ جيد، وقد تكون قادرة على تقديم الفائدة إلى بلدها. وتساءلت إلى من يفكها أن تتحدث عن ذلك.

لقد تم إخراج بن من المستشفى وكان يتعافى في المنزل، وقد أفسدته السيدة فينش من كثرة تدليلها له. وبينما كان لا يزال في المستشفى، تلقى زيارة من ماكسويل نايت نفسه وأشاد بعمله الجيد.

كان نايت قد قال له: «أريد أن أبقىك على قيودي

حتى لو كنت رجلاً من أكسفورد».

كانت بامبلا قد جاءت من بليتشلي لهذه المناسبة. لم تَرَ تريكسي منذ أن تم اعتقالها وما زالت تجد صعوبة في التصالح مع ما حدث. هل تم تجنيد تريكسي حتى قبل الحرب وذهبت إلى بليتشلي في الأصل كجاسوسة، أم أنها تعرضت للتهديد أو في أثناء وجودها هناك؟ أدركت بامبلا أنها قد لا تعرف ذلك أبداً. وأما جيرمي ... فلقد كان التفكير فيه أمراً مؤلماً جداً حتى الآن. لقد افترضت أن الجرح سيشفى في النهاية. نظرت إلى بن بشكل غريزي لتري أنه كان ينظر إليها، وابتسمت له.

ملاحظة تاريخية

هذا العمل عمل خيالي لكنه متجذر في الحقيقة. كانت هناك عدة جمعيات ومنظمات مؤيدة لألمانيا تعمل في إنكلترا في بداية الحرب العالمية الثانية. كانت أخطر مجموعة تُسمى «لينك». وتتألف بشكل أساسي من الأرستقراطيين، الذين كانوا يعتقدون أنه سيكون من مصلحة بريطانيا العليا التوصل إلى سلام مع ألمانيا قبل تدمير جميع الكنوز الوطنية. ولا أحد يعلم ما إذا كانوا سيساعدون بنشاط الغزو أم لا.

قام ماكسويل نايت بالفعل بتشغيل فرع سري للقسم الخامس من المخابرات العسكرية البريطانية من شقيقته في دولفين سكوير باسم الأنسة كوبلستون. كانت جوان ميلر حقا سكرتيرته، وكانت جاسوسة رائعة. وقد يرَبِّي حيوانات في مكتبه.

كان بليتشلي بارك كما وصفته تمامًا. يُمكنك زيارته اليوم ومعرفة الظروف المتقشفة التي تم فيها القيام بهذا العمل الرائع.

قد تلاحظ أوجه التشابه بين مصفمة الأزياء جيحي أرماند وكوكو شانيل، التي كانت قادرة على العيش في فندق الريتز والبقاء على قيد الحياة بعد الحرب، بفضل كونها عشيقة ضابط ألماني رفيع المستوى.

لا يوجد لورد ويسترهام وفارلي إلا في مخيلتي، لكن الموقع يقع في جزء حقيقي من منطقة

كينت، بالقرب من المكان الذي نشأت فيه وذهبت إلى المدرسة. وقد استندت إلى منزلين فخمين حقيقيين في الحي - بنزهيرت بليس ونول - وكلاهما يستحق الزيارة. يقع تشارتويل الذي كان يحبه وينستون تشرشل كثيرًا في مكان قريب.

المؤلفة



الضورة لجون كوين هاركن عام ٢٠١٦

ريس بون هي مؤلفة الكتب الأكثر مبيعا في نيويورك تايمز لأكثر من ثلاثين رواية من روايات الخيال الغامض. يشمل عملها أسرار رواية الخيال الغامض مولي ميرفي التي تقع حوادثها من حيث الزمان والمكان في عام ١٩٠٠ بمدينة نيويورك، وروايات «الجاسوس الملكي» الأخف وزنا، والتي تصور قاصرا ملكيا في ثلاثينيات القرن العشرين في إنكلترا. كما كتبت روايات الخيال الغامض للمحقق إيفانز، والتي تدور أحداثها حول محقق في شرطة ويلز المعاصرة.

فاز عمل بون بأربع عشرة مرتبة تكريم حتى الان، بما في ذلك جوائز متعددة من جوائز أغاثا وأنتوني

وماكافيتي. تمت ترجمة كتبها إلى عدد كبير من اللغات، ولديها معجبون في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك /١٢/ ألف متابع على الفيس بوك. من أصل بريطاني، انتقلت بون لتقضي وقتها بين كاليفورنيا وأريزونا.

(1) «**débutante**»: المبتدئون امرأة شابة لها خلفية عائلية من الطبقة الأرستقراطية أو من الطبقة العليا وصلت إلى مرحلة النضج، وكبالغ جديد، تخرج من المجتمع في «ظهور لأول مرة» رسمي ... في الأصل، كان المصطلح يعني أن المرأة تبلغ من العمر ما يكفي لتكون متزوجة، وجزء الغرض من أن تكون قادرة على أن تكون متزوجة من عائلة أو أسرة.

(2) المخابرات العسكرية، القسم الخامس (: **Military**)

(Intelligence, Section 5) هو جهاز أمني واستخباراتي بريطاني يعد جزءًا من آلة الاستخبارات البريطانية، إلى جانب كل من جهاز الاستخبارات السرية (لمكتب السادس) وإدارة الاتصالات الحكومية وإدارة مخابرات الدفاع. وتخضع هذه الوكالات الاستخباراتية كافة لإدارة (اللجنة المشتركة للمخابرات) (بالإنكليزية: Joint Intelligence Committee) (JIC) وتشمل اختصاصاتها كلاً من: حماية الديمقراطية البرلمانية والمصالح الاقتصادية البريطانية، ومواجهة الإرهاب، ومكافحة التجسس داخل المملكة المتحدة وعلى الغم من أن وظيفة المكتب الخامس الأساسية هي حماية الأمن الداخلي، فإنه قد يضطلع أيضًا بأدوار خارجية تساعد على إنجاح مهماته الداخلية. يقع مقر قيادة المكتب الخامس منذ عام 1995 في تيمس هاوس بمنطقة ميلبانك اللندنية، ويشارك المكتب الخامس في تيمس هاوس ما يسمى بمكتب أيرلندا الشمالية، وهو أيضًا مقر المركز المشترك لتحليل الإرهاب، الذي يتبع جهاز الأمن. يتبع المكتب الخامس تسعة مكاتب موزعة في المملكة المتحدة، منها قيادة في أيرلندا الشمالية، ويعتقد أن له قيادة أخرى في غلاسكو.

(3) امرأة أجنبية بيضاء ذات مكانة اجتماعية عالية تعيش في الهند: زوجة مسؤول بريطاني.

(4) الكريكت رياضة تتضمن ضرب الكرات الخشبية أو البلاستيكية بمطرقة من خلال الأطواق (التي تسمى غالباً «الويكيت» في الولايات المتحدة) ومضمنة في ملعب للعشب.

(5) يشير شعار النبالة عموماً إلى الرأس والدرع والقمة والخوذة، في حين أن شعار العائلة يشير تقنياً فقط إلى الصورة الصغيرة التي تقع على رأس الخوذة (قمة الخوذة). شعار العائلة مكون من شعار النبالة، والذي يُمكن استخدامه رمزاً مبسّطاً عندما يكون شعار النبالة الكامل مفضلاً للغاية.

(6) عبارة عن مبنى من دون أي غرض حقيقي سوى أن تبدو جميلة أو مثيرة للإعجاب. بنيت في كثير من الأحيان مثل القلعة القديمة أو الخراب الروماني.

(7) كان سلاح الجيش النسائي (The Women's Army Corps) هو فرع النساء في جيش الولايات المتحدة. تم إنشاؤه كوحدة مساعدة، فيلق النساء للجيش المساعد (WAAC) في 15 أيار 1942 بموجب القانون العام 554، وجرى تحويله إلى وضع الخدمة الفعلية في جيش الولايات المتحدة باسم الوداد في 1 تموز 1943. كان أول مدير له أوفيتا كالب هوبي (Oveta Culp Hobby)، وهي امرأة بارزة في مجتمع تكساس. تم حل سلاح الجيش النسائي عام 1978، وجرى دمج جميع الوحدات مع وحدات من الذكور.

(8) خدمة البحرية الملكية للمرأة (Women's Royal Naval Service) كانت الخدمة البحرية الملكية للسيدات (WRNS) والمعروفة شعبياً ورسمياً باسم خدمة البحرية الملكية للمرأة هي الفرع النسائي في البحرية الملكية البريطانية. شكّلت لأول مرة عام 1917 للحرب العالمية الأولى، وتمّ حُلّت عام 1919، وجرى إحيائها عام 1939 في بداية الحرب العالمية الثانية، وظلت ناشطة حتى دمجت في البحرية الملكية في عام 1993. وشملت خدمة البحرية الملكية للمرأة طهارة، كتبة، تلغراف لاسلكي، رادار المتأمرين، ومحللو الأسلحة،

ومقدمو النطاق، والكهربائيون، وميكانيكي الهواء.

(9) التقنين هو نظام للحد من كمية الطعام أو الماء أو البنزين أو المواد الضرورية الأخرى التي يُسمح لكل شخص بالحصول عليها أو شرائها عندما لا يكون هناك ما يكفي منها.

(10) لقاء القطار هو الوضع في عمليات السكك الحديدية أو النقل بالسكك الحديدية حيث «يجتمع» القطار الذي يسير في اتجاه واحد أو في الموقع الذي «فيه» يجتمع مع شخص آخر يسير في الاتجاه المعاكس، إما في أثناء السفر على مسارين مزدوجين أو متعديين، أو في أثناء التوقف وانتظار انحياز السكك الحديدية للقطار الأخر لتمرير مسار رئيسي واحد. ويُعد تحديد وقت هذه القطارات ومكان تلبية خدماتها أمراً بالغ الأهمية في هندسة السكك الحديدية وخصوصاً في أقسام المسارات الفردية لتجنب التصادمات أو للسماح للقطارات الأسرع بتجاوز قطارات الخدمة الأبطأ.

(11) المنك هي ثدييات داكنة اللون، وشبه نصفية، أكلة اللحوم. تشمل أيضاً ابن عرس، وثعالب الماء. هناك نوعان موجودان يشار إليهما باسم «المنك»: المنك الأميركي والمنك الأوروبي. يرتبط المنك البحري المنقرض بالمنك الأميركي، لكنه كان أكبر من ذلك بكثير. المنك الأميركي أكبر وأكثر قابلية للتكيف من المنك الأوروبي، ولكن بالنظر إلى الاختلافات في الحجم، فمن المؤكد أنه لا يمكن تحديد المنك الفردي عادة على أنه أوروبي أو أميركي من دون النظر إلى الهيكل العظمي؛ ومع ذلك، فإن جميع المنك الأوروبي لديه رقعة بيضاء كبيرة على شفته العليا، في حين أن بعض المنك الأميركي فقط لديه هذه العلامة؛ وبالتالي، فمن المؤكد أن المنك من دون التصحيح هو من الأنواع الأميركية.

(12) جهاز إنغما (Enigma) جهاز تشفير جرى تطويره واستخدامه في أوائل القرن العشرين حتى منتصفه لحماية الاتصالات التجارية والدبلوماسية والعسكرية. كان يعمل على نطاق واسع من قبل ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية، في جميع فروع الجيش الألماني. وكان لديه لغز آية الدوار الكهروميكانيكية التي تدفع 26 حرفاً من الأبجدية. في

الاستخدام العادي، يقوم شخص ما بإدخال نص على لوحة مفاتيح إنغما (Enigma) ويقوم شخص آخر بكتابة أي من 26 مصباحاً أعلى لوحة مفاتيح تضيء في كل ضغطة مفتاح. إذا تم إدخال نص عادي، فإن الحروف المضادة هي النص المشفر. وكان إدخال النص المشفر يحولها مرة أخرى إلى نص عادي مقروء. تعمل آلية الدوار على تغيير التوصيلات الكهربائية بين المفاتيح والمصابيح مع كل مفتاح ضغط. ويعتمد أمان النظام على إعدادات جهاز إنغما (Enigma) التي كان يجري تغييرها يوميًا، بناءً على قوائم المفاتيح السرية الموزعة مسبقًا، وعلى الإعدادات الأخرى التي تتغير لكل رسالة. وكان يتعين على محطة الاستقبال معرفة الإعدادات الدقيقة التي تستخدمها محطة الإرسال وكيفية استخدامها لفك تشفير الرسالة بنجاح. كما هو مستخدم في الممارسة العملية، أثبت تشفير إنغما تعرضه لهجمات مشفرة قام بها خصوم ألمانيا، في البداية المخابرات البولندية والفرنسية، وفي وقت لاحق، المملكة المتحدة التي بذلت جهدًا هائلًا في بليتشلبي بارك كجزء من برنامج ألترا (Ultra). وبينما قدمت ألمانيا سلسلة من التحسينات على إنغما، وهي ما أعاققت جهود فك التشفير بدرجات متفاوتة، فإنها لم تمنع في نهاية المطاف بريطانيا وحلفاءها من استغلال الرسائل المشفرة من إنغما كمصدر رئيسي للمخابرات خلال الحرب. يقول كثيرون من المعلقين إن تدفق ذكاء الاتصالات من فك شفرة ألترا (Ultra)) من إنغما ولورنز (Lorenz) وغيرها من الأصفار قام بتقصير الحرب بشكل كبير وربما غير نتائجها.

(13) كانت آلات تايبكس (Typex) آلات تشفير بريطانية جرى استخدامها منذ عام 1937. لقد كانت تكيفًا لأنغما الألمانية التجارية مع عدد من التحسينات التي زادت في أمانها بشكل كبير. وقد جرى استخدام جهاز التشفير (ومراجعاته المتعددة) حتى منتصف الخمسينيات من القرن العشرين عندما استُخدمت أنظمة تشفير عسكرية أكثر حداثة.

(14) كانت فرقة بانزر الحادية والعشرون فرقة مدرعة ألمانية اشتهرت بدورها في معارك حملة شمال إفريقيا ما بين فترة 1941-1943 في أثناء الحرب العالمية الثانية لما كانت واحدة من فرقتين مدرعتين تتألف منهما دويتشه

(15) أحياناً كيتشيرري أو كيتشاري أو كيديري أو كيدجيري أو كيتشيرري أو خيشوري، هو طبق يتكون من الأسماك المطبوخة والمقطورة (الحدوق المدخنة تقليدياً) والأرز المسلوق والبقدونس والبيض المسلوق ومسحوق الكاري والزبدة والكريمة السلطان أحياناً.

(16) الاس الجوي طيار عسكري ينسب إليه إسقاط عدد كبير من طائرات العدو في أثناء القتال الجوي. تباين العدد الفعلي للانتصارات الجوية المطلوبة للتأهل رسمياً كأس جوي، لكنه عادة ما يكون قد أسقط خمس طائرات أو أكثر. ظهر مفهوم «الاس» عام 1915 خلال الحرب العالمية الأولى، في الوقت عينه الذي بدأ فيه القتال الجوي. لقد كان مصطلح دعاية يهدف إلى تزويد الجبهة الداخلية بعبادة البطل حين كانت حرب استنزاف. تم الإبلاغ على نطاق واسع عن الأفعال الفردية ونشرت الصورة لاس كونه فارساً شههاً، لتذكرنا بفترة ماضية. ولفترة قصيرة مبكرة حين جرى اختراع القتال الجوي، يُمكن للطيار الماهر بشكل استثنائي تشكيل المعركة في السماء. ومع ذلك، بالنسبة إلى معظم الحروب، كانت صورة الاس لا علاقة لها بواقع الحرب الجوية، حيث كان المقاتلون يقاتلون في التكوين والتفوق الجوي يعتمد بشكل كبير على توافر الموارد نسبياً.

(17) كلمتا الوريث (أو ولي العهد) الواردتان هنا لهما اللفظ نفسه باللغة الإنكليزية، هنا يستخدم الولد ألفي كلمة هواء بدلاً من كلمة وريث لإضحائها.

(18) عبارة عن مجموعة متجاورة من الأشجار موحدة بشكل كافٍ في التكوين أو التركيب أو توزيع الفئات العمرية أو الحجم أو الترتيب المكاني أو جودة الموقع أو الحالة أو الموقع لتمييزه من المجتمعات المتجاورة. الغابة هي «مجموعة من المدرجات».

(19) طبق هندي من الأرز المتبل والفاصولياء والعدس والأسماك المدخنة في بعض الأحيان.

(20) كانت فرقة كوينز أون رويال وست كهنت فوج مشاة

تابع للجيش البريطاني مقره في مقاطعة كينت في الفترة من 1881 إلى 1961. أنشئ فوج في 1 تموز 1881 كجزء من إصلاحات تشايلدرز، في الأصل كوينز أون (فوج غرب كينت الملكي)، من طريق دمج فوج 50 من مشاة القدم وفوج المشاة 97 (دي إيرل أولستر). في كانون الثاني 1921، سُمي الفوج باسم فوج ويست كينت الملكي، وفي نيسان من العام نفسه، تمت إعادة تسميته مرة أخرى، هذه المرة باسم فوج الملكة ويست كينت الملكية.

(21) المدرسة النهائية مدرسة للشابات تركز في تدريس الأدب والسلوك الاجتماعي والطقوس الثقافية للطبقة العليا كإعداد لدخول إلى المجتمع.

تدعي غرايم دونالد أن صالونات السيدات التعليمية في أواخر القرن التاسع عشر أدت إلى ظهور المؤسسات الرسمية النهائية في سويسرا في ذلك الوقت تقريبا. في ذروتها، تم إرسال آلاف من الشابات الثريات إلى العشرات من المدارس النهائية المتاحة. وكان الهدف الأساسي لتعليم الطلاب الحصول على الأزواج.

شهدت فترة الستينيات انخفاض المدرسة النهائية. يمكن أن يعزى ذلك إلى المفاهيم المتغيرة لدور المرأة في المجتمع، بالإضافة إلى قضايا الخلافة في المدارس التي تديرها الأسرة عادة والضغط التجارية في بعض الأحيان بسبب القيمة العالية للممتلكات التي تشغلها المدارس.

(22) وظيفة المشقة مصطلح يستخدم في الخدمة الدبلوماسية للولايات المتحدة لوصف وظيفة دبلوماسية تكون فيها ظروف المعيشة صعبة بسبب المناخ أو الجربة أو الرعاية الصحية أو التلوث أو عوامل أخرى. يحصل الموظفون المكلفون بمثل هذه الوظائف على فارق مشقة يراوح ما بين 10 و 35 في المئة من رواتبهم. قد تكون وظيفة المشقة التي تواجه مشكلات أمنية، على سبيل المثال في منطقة الحرب، وظيفة مشقة محددة مع موظفين مؤهلين للحصول على رواتب إضافية من الخطر.

(23) خليط مضغوط من اللحم والبهارات، مغلف في فتات الخبز والمقلية.

(24) مادة تستخدم لتلميع الأحذية.

(25) مدرسة للشابات تركز في تدريس اللباقة الاجتماعية والطقوس الثقافية للطبقة العليا كإعداد لدخول إلى المجتمع.

(26) شاي الكريمة (المعروف أيضًا باسم شاي ديفون بالكريمة، أو شاي ديفونشاير، أو شاي كريم الكورنيش) شكل من أشكال الوجبة الخفيفة لشاي ما بعد الظهيرة، ويتألف من شاي يتم تناوله بمزيج من الكعكات والكريمة المتشقة والمربي.

(27) فستان بأكمام قصيرة وتنورة كاملة تصل عادة إلى الركبتين أو أسفلها، وعادة ما تكون مصنوعة من مادة ملونة، غالبًا ما يكون عليها نمط من الزهور.

(28) شرطة الدولة السرية: كانت الشرطة السرية الرسمية لألمانيا النازية وأوروبا التي تحتلها ألمانيا. تم إنشاء القوة من قبل هيرمان جوربنج عام 1933 من خلال الجمع بين مختلف وكالات الشرطة الأمنية بروسيا في منظمة واحدة. ابتداءً من 20 نيسان 1934، انتقل إلى إدارة زعيم شوتزستافيل (SS) هاينريش هيملر، الذي عينه هتلر عام 1936 رئيسًا للشرطة الألمانية (شيف دير دويتشن بوليسي).

(29) دانيال في عربن الأسود سرذ في الفصل 6 من كتاب دانيال. توافق المنحة الحديثة على أن دانيال شخصية أسطورية. يتكون الكتاب من جزئين، ومجموعة من الحكايات في الفصول 1-6، وسلسلة الروى في الفصول 7-12: لم تكن الحكايات أقدم من الفترة الهلنستية (303-323 ق. م.)، والروى تعود إلى عصر المكابيين (منتصف القرن الثاني قبل الميلاد). ومن المحتمل أن تكون القصص مستقلة في الأصل، ولكن تم جمعها في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد من قبل مؤلف الفصل 7، وتوسعت مرة أخرى بعد ذلك بوقت قصير مع الروى في الفصول 8-12 لإنتاج الكتاب الحديث.

(30) التأكيد سز أو طقوس أو طقوس مرور تمارسها عدة طوائف مسيحية. الكلمة تعني تقوية أو تعميق علاقة المرء بالله. التأكيد ممارسة شائعة في الكنائس الكاثوليكية الرومانية

والإنكليكانية والأرثوذكسية حيث يجري تنفيذ معمودية الأطفال.

(31) كانت حرب الزهور (The Wars of the Roses)

عبارة عن سلسلة من الحروب الأهلية الإنكليزية للسيطرة على عرش إنكلترا وهي حروب خاضها مؤيدو اثنتين من فروع كاديت المتنافسة للبيت الملكي بلانتاجنيت: هاوس أوف لانكستر، المرتبط بوردة لانكاستر الحمراء، وبيت يورك، الذي كان رمزه الوردة البيضاء في يورك. في نهاية المطاف. استمر النزاع من خلال الكثير من الحلقات المتفرقة وبعدها بين عامي 1455 و 1487، ولكن كان هناك قتال مرتبط قبل هذه الفترة وبعدها بين الطرفين. اشتعل الصراع على السلطة حول المشاكل الاجتماعية والمالية التي أعقبت حرب المئة سنة، والتي كشفت عن المشكلات الهيكلية للإقطاع الوغد، إلى جانب العقلية وضعف حكم الملك هنري السادس، ما أعاد الاهتمام بمطالبة بيت يورك بالعرش من ريتشارد يورك. يختلف المؤرخون حول أي من هذه العوامل لتحديد السبب الرئيسي للحروب.

(32) جلسات المبتدئين: جلسات رسمية تتضمن تقديم

المبتدئين خلال الموسم والتي عادة ما كانت تنظمها الكنيسة خصوصاً للطبقات الغنية، وهذا يعني عادةً خلال الربيع أو الصيف والتي تتطلب تعليمات مسبقة من الآداب الاجتماعية، والأخلاق المناسبة.

(33) كعكة سميقة، مسطحة، لذيذة ذات ملمس ناعم

ومسامي، مصنوعة من خليط الخميرة المطهّوة على صينية، وتُؤكل محمصة مع الزبدة.

(34) ملجأ إندرسون. كوخ مصنوع من المعدن كان

البريطانيون يضعونه في حدائقهم خلال الحرب العالمية الثانية. كان تم استخدام الأكواخ للمأوى حين كان يجري إسقاط القنابل في أثناء الهجوم.

(35) كان الهون شعباً بدوياً عاش في آسيا الوسطى

والقوقاز وأوروبا الشرقية.

(36) كان السير أوزوالد إرنالد موسلي، البارون السادس (16 تشرين الثاني 1896 - 3 كانون الأول 1980) سياسياً بريطانياً اشتهر في العشرينيات من القرن الماضي كعضو في البرلمان، وفي وقت لاحق في الثلاثينيات أصبح زعيماً للاتحاد البريطاني للفاشييين.

(37) بطل مسرحية شكسبير هكيت.

(38) مطاردة الزبال لعبة يقوم فيها المنظمون بإعداد قائمة تحدد عناصر محددة، يسعى المشاركون إلى جمعها أو إكمال جميع العناصر الموجودة في القائمة، عادةً من دون شرائها. غالباً ما يعمل المشاركون في فرق صغيرة، الهدف أن تكون أول من يكمل القائمة أو لإكمال معظم العناصر في تلك القائمة.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook